العاشر
السنة ٢٦ • شوال ١٣٨٨ • ديسمبر ١٩٦٨

منبر الإسلام

الثمن ١٠ قروش

مع العدد هدية
لتفسير
فاتحة الكتاب
و
سورة البقرة

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
في غرة
كل شهر
عربي

العدد العاشر - السنة ٢٦   شوال ١٣٨٨

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون

صدق الله العظيم

من محتويات العدد

معالم الطريق .. نص خطابى السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ٢ ديسمبر ١٩٦٨

* صفحة من كتاب دعاء الثـورة للسيد حسين الشافعى
* كلمة السيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر فى الحفل الذى أقامه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمناسبة اعلان الجمهورية بجزر المالديف ..
* حديث مع سفير لبنان بالقاهرة
* حديث مع اللواء الركن محمود شيت خطاب
* تفسير القرآن الكريم
* السنة النبوية الشريفة
* والشمس وضحاها .. الاستاذ أحمد حسين
* انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .. فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
* تسامح المختلفين فى الرأى .. الدكتور احمد الحوفى
* نحو الجهاد ونحو الدين .. فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
* دراسات فى فقه الحديث ومذهب المحدثين .. الدكتور عبد المجيد محمود
* أسلوب السمو فى الانفاق .. الدكتور عبد الله العزازى
* الجمان فى تشبيهات القرآن .. الدكتور بدوى طبانة
* من أسرار القرآن .. الاستاذ على النجدى ناصف
* الاعجاز التشريعى فى القرآن .. المستشار على على منصور
* من الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم .. الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل
* الشريعة الاسلامية والآداب .. المستشار محمد خاطر
* شوال شهر تحقيق الآمال .. فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم
* من روائع الشعر العربى فى أدب العفو والتسامح الدكتور عبد الحكيم بلبع
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى .. الدكتورة عنايات الطحاوى
* تلك الأيـام (من القصص الاسلامى) .. الاستاذ حسين الطوخى

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش فى الجمهورية العربية المتحدة

٨٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير بالقاهرة

تليفون ٢٨١٥٦

معالم الطريق

نص خطابى السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

فى الدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام

٢ ديسمبر ١٩٦٨

• لن يكون هناك تناقض بين الثورة وشبابها وبالذات شباب الجامعات .

خطاب السيد الرئيس فى الجلسة الافتتاحية

القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا جامعا فى الجلسة الافتتاحية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى التىعقدت مساء ٢ديسمبر ١٩٦٨ بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة .. وفيما يلى النص الكامل للخطاب .

أيها الأخوة المواطنون أعضاء المؤتمر القومى ..
كل عام وأنتم بخير ..

وأرحب بكم مرة أخرى فى هذه القاعة التى شهدت بداية عمل مؤتمركم الذى يعتبر تشكيله علامة بارزة على طريق اعادة البناء السياسى فى وطننا .. ثم اعتذر اليكم اننا دعونا مؤتمركم الى هذه الدورة الطارئة قبل الموعد الطبيعى المقرر لعودته للانعقاد لدورة ثانية فانتزعناكم بذلك من مدنكم وقراكم .. من مصانعكم وحقولكم من مكاتبكم وبيوتكم على غير انتظار لكننا وجدنا ان هناك أمورا تقتضينا التشاور معكم وتتطلب ان نجلس معا نقدر بعض عمليات ومسئوليات عملنا المشترك ونفكر فيها ونتدبرها ونحقق أولا وقبل كل شىء رؤية أوضح ومع ان السبب المباشر الذى دعانا الى توجيه هذه الدعوة الى هذه الدورة الطارئة للمؤتمر القومى هو ما وقع من حوادث فى المنصورة ثم فى الاسكندرية

ومع ان الموضوع الأساسى فى جدول أعمال هذه الدورة الطارئة للمؤتمر القومى هو موضوع الطلبة والجامعات . مع هذا فان المسألة فى الحقيقة أهم من ذلك فى رأيى .. المسألة تتصل بعاملين .. العامل الأول هو تحديد أسلوب العمل الذى تستطيع به كل قوة من قوى الشعب ان تمارس دورها .. والعامل الثانى هو تحديد الاسلوب الذى تستطيع به السلطة التنفيذية تعبيرا عن الارادة الثورية لقوى الشعب العاملة التى تمثلها ولا تمثل غيرها أن تمارس سلطة الدولة فى وطننا .

نحن هنا نمثل قوى الشعب العاملة وبالتالى السلطة التنفيذية التى تنبثق عن الاتحاد الاشتراكى تمثل قوى الشعب العاملة تعمل من أجل مصلحة قوى الشعب العاملة .. لانمثل الرجعية ولا نمثل الاقطاع . ولا نمثل سيطرة راس المال . ولا نمثل اعوان الاستعمار . وانما الارادة الثورية لقوى الشعب العاملة .

الذين استغلوا الخطأ

تمثل الارادة الشعبية لقوى الشعب العاملة

وأود من كلامى معكم ولكى لا يكون هناك سوء فهم من جانب أحد ان أتفق معكم على مسائل اعتبرها فى واقع الأمر بديهية لكن تفصيلها واعادة تأكيدها واجب فى هذه الظروف .

أول نقطة .. انه لا ينبغى ولا يمكن أن يقوم تناقض بين الثورة وشباب الثورة .. وبالذات شبابنا فى الجامعات ..

النقطة الثانية ان الحوادث المؤسفة التى وقعت لا يمكن أن تكون فى مسئولية جموع الشباب كله وان كان قسط من المسئولية فيها يقع على قلة من الشباب تصرفوا بالخطأ ..

ثم كان سوء القصد من عناصر مختلفة وان كان يجب أن نسلم أن الفرصة التى استغلتها هذه العناصر لم تكن لتتاح لها لولا الخطأ الذى وقعت فيه هذه القلة من الشباب ..

النقطة الثالثة .. أن هذا تصور يفترض أو يدعى أن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو اعطاء سند للسلطة التنفيذية لكى تقوم باجراءات قمع للشباب هو تصور جانبه الصواب .. ان السلطة التنفيذية تملك من سند القانون ومن سند الظروف الاستثنائية التى يعيشها الوطن ما يطلق يدها فى اتخاذ ما تراه مناسبا من الاجراءات ..

كلنا نعرف ان احنا فى هذه الآونة من كفاحنا .. هناك قانون الطوارىء الاحكام العرفية .. القانون اللى كان العمل انتهى العمل بيه سنة ١٩٦٤ واعيد العمل بيه بعد العدوان فى يونيو سنة ١٩٦٧

فى اعتقادى أيها الأخوة ٠٠ أن المسألة مش مسألة قمع ولا هى مسالة سلطة وانما الأمر بالدرجة الأولى مسالة فهم وهو مصير مشترك لوطن عظيم لابد له أن يقف وقفة رجل واحد من أجل شرفه ومن أجل أرضه ومن أجل عزة أمته ومن أجل حقوقها المشروعة ٠٠

وأقول لكم بأمانة ان ما حدث لدينا فى الأسبوع الماضى أقل مئات المرات مما يحدث فى بلاد اخرى غيرنا بلاد قريبة وبلاد بعيدة ٠٠ بلاد متقدمة عنا وبلاد متخلفة بعدنا ولكن أقول فى نفس الوقت أن الطريقة التى نواجه بها ما حدث فى بلادنا تختلف كثيرا عما يفعله غيرنا ٠٠ ولا أظن أن هناك بلدا اخر يعيش الظروف ٠٠ ظروف الحرب التى نعيش فيها ٠٠ يواجه مشاكله ٠٠ أو بعض مشاكله بالطريقة التى نواجه بها مشاكلنا ٠٠

نملك شجاعة المناقشة

هذه الدورة الطارئة لمؤتمر الاتحاد الاشتراكى هذه المناقشة المفتوحة معكم وعلى مرأى من كل الشعب٠٠ مناقشة تكون مفتوحة فى الاذاعة ٠٠فى التليفزيون على مسمع من العالم كله ٠٠ العالم بما فيه أصدقاؤنا واعداؤنا هى شئ فريد وجديد وايجابى وصحى ٠٠٠

فى تحدى أسباب المشاكل ٠ وفى علاجهااعداؤنا قطعا قديأخذون أى فرصة أوأى كلمة ٠٠ويكبروافيها ويبنوا عليها نتائج ٠٠ ولكن ميهمناش بأى حال من الاحوال الكلام اللى بيقولوه الأعداء ٠٠ ولكن يهمنا ان احنا نمنع هدف الأعداء من أن يتحقق فى وطننا وأرجو ان يظل هذا الأسلوب هاديا لعملنا ٠٠ وأن نملك دائما شجاعة المناقشة المفتوحة وأن يكون احتكامنا فى كل ما يعترض طريقنا احتكاما الى الشعب وعودة حميدة اليه مهما تقول الاعداء ومهما

• العدو يركز على الجبهة الداخلية لأنها قاعدة الصمود السياسى الذى ضيع انتصاره العسكرى فى يونيو ١٩٦٧

منذ النكسة ونحن نتكلم ٠٠ والحقيقة حينما قلنا عن التغيير كان الغرض من التغيير أن يتغير الأسلوب أساسا ٠٠ ان احنا نناقش مشاكلنا بوضوح ونناقش أمورنا بوضوح ونعالج المشاكل بالاسلوب الثورى المفتوح لا بالاسلوب الثورى المغلق ٠٠

ونحن فى هذا فعلا نسير فى تجربة رائدة بالنسبة للعمل الثورى ٠٠ بنجرب ازاى نمشى بالاسلوب الثورى المفتوح ٠٠ وكان الاساس فى هذا مناقشتنا فى المؤتمر فى الدورة الأولى ٠٠ مناقشتنا اللى حصلت قبل كده ٠٠ الخطب اللى حصلت قبل كده ٠٠ بياناتنا اللى اتقالتقبل كده ٠٠ وعملنا ٠٠ ولهذا فى الظروف اللى احنا بنعيش فيها مفيش حد فى الدنيا بيعالج الامور بالشكل اللى احنا النهارده بنعالج بيه هذه المشكلة ٠

كذبوا ومهما حاولوا من وسائل الحرب النفسية ٠٠ ضدنا وضد الجبهة الداخلية لشعبنا ٠ وهنا نقطة لابد أن نعيها جيدا ٠٠ وأن نقدرها حق قدرها ٠٠ وهى نقطة الجبهة الداخلية ٠

ان تجربة النكسة من أولها الى اخرها أظهرت حقيقة راسخة ليست موضع شك ٠٠ وهى أن الجبهة الداخلية هى أساس الصمود ٠٠

فى يونيو من العام الماضى واجهت قواتناالعسكرية ٠٠ جبهتنا العسكرية ٠٠ محنة خطيرة ٠٠ وهزمنا فى معركة عسكرية ٠٠ وزى ما قلنا احنا مش أول بلد هزم فى معركة عسكرية ، كل البلاد هزمت فى معارك عسكرية وانتصرت فى معارك عسكرية ٠٠ ولكن كان الانتصار دائما نتيجة للصمود والتصميم والعزيمة ٠٠

فى يونيــو من العـام الماضى واجهت جبهتنــا العسـكرية محنة خطيرة كلنا نعرف ظروفها وكلنـا نعرف نتائجها ولكن الجبهة الداخلية ٠٠ الشـعب جماهير الشعب أثبتت بقوتها ومناعتها انها اكبر من الهزيمة العسكرية انها اكبر من المحنة العسكرية ٠٠ وهكذاهبت جموع الشعب وصمدت ورفضت الهزيمة وقدمت جموع الشعب هذا كله أساسا متينا لاعادة البناء ٠٠ تتجدد معه احتمالات النصر وامكانياته ٠٠

معنى صمود الجبهة الداخلية

أيها الأخوة ان صلابة الجبهة الداخلية وصمودها وتصميمها كان له معنى كبير هـذا المعنى هـو ان العدو لم يستطع تحقيق الهـدف الذى أراده من العدوان ، لم يكن هـدف العدو هو تحقيق نصـر عسكرى ولم يكن هدف العدو مجرد تحطيم قواتنا العسكرية ولكن كلنا نعلم أن هدف العدو كان فرض الإستسلام السياسى وبدون الاســتسلام السياسى بدون أن نستسلم سياســيا وبالذات احنا هنا فى مصر فى الجمهورية العربية المتحدة لا يصبح للنصر العسكرى الذى حققه العدو أية قيمة تذكر ٠٠

معروف أن العدو له اسـتراتيجية معينة قديمة معلنة وهى ايجاد التسوية بالقوة أو فرض التسوية بالقوة أو بالحرب ٠٠ ينتصر ثم يفرض ارادته ٠

ماذا حصل ؟ بالقوة وبالحرب ٠٠ بقوته ومساعدة القوة التى وراه استطاع أن ينتصر ولكنه لم يستطع أن يفرض علينا شروطه ٠٠ خسرنا المعركة العسكرية ولكنا صمدنا ٠٠ صمد الشعب وصمدت جماهير الشعب ، ولأن صلابة الجبهة الداخليــة وصمودها وتصميمها يجعـل الاستسلام السياسى الذى هو هدف المعركة العسكرية كلها أمــرا غير وارد فى الحساب ٠٠كمانه من الناحية الأخرى يتيح الفرصة الفرصة لنا بعد الهزيمة العسكرية وبعـد المحنـة العسكرية التى تحقق بها اعادة البناء العسكرى لكى تكون للارادة الوطنية السياسية جهازها المحارب المقاتل من ذلك اليوم اتجه تركيز العدو والعدو ليس اسرائيل وحدها وانما هو قوى كبيرة بعضهـا يقف وراء اسرائيل بصراحة وبعضها يشترك مع اسرائيل فى الاهداف ٠

هدف الحرب النفسية

من ذلـك اليــوم اتجه التركيز بكـل الوسائل بالمعارك النفسية وبحــرب الدعـاية ٠٠٠ بدا التركيز على الجبهة الداخليـة ٠٠ ومن ذلك اليـوم أيضــا أصبح أوجب الواجبات تحصين الجبهة الداخلية وتدعيم الجبهة الداخلية وكان تحقيق هذا الواجب هو الهدف الذى قصد اليه بيان ٣٠ مارس بكل ما تحدث عنه من اسس وبكل ما تحدث عنه من تغييرات ٠

وبدأنا بعد بيان ٣٠ مارس نحدث ما نسـتطيع احداثه من تحولات وتنظيمات وتشكيلات وتغييرات ٠٠ طبعا بعض هذه التغييرات كان يمكن احداثه بسرعة وبعضها الآخر كانت الوسيلة الوحيدة لأحداثه ان نمشى فيه خطوة ٠٠ خطوة ٠

بيان ٣٠ مارس كان مقسم الى عدة أقسام القسم الأول خاص بالبناء العسكرى ونحن نسير فى هذا البناء والكل يعلم الجهد المضنى والجهد الكبير ٠٠ الجزء الثانى خاص بالبناء السياسى وسرنا فى هذا البناء نتج عنه مؤتمركم القومى ٠

والجزء الثالث ٠٠ خاص ببعض التعـديلات والتغييرات ٠٠ والرابع خاص بما يتم بعد ازالة آثار العدوان والدستور الدائم ٠

فى المجال السياسى بالنسبة لبيان ٣٠ مــارس بدأت عملية اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب ٠٠ قامت المؤسسات السياسـية ابتداء من لجنة الوحدة الأساسية الى اللجنة المركزية ٠٠ الى اللجنة التنفيـذية العليا بالانتخـاب ٠٠ طبعا الاتحاد الاشتراكى بعد هذا العمل يسير فى دفعـة جديدة بعد اعادة تنظيمه يسير فى بناء العمل السياسى خطوة خطوة ولن يتم هذا العمل مرة واحـدة من الطبيعى ٠٠ أعداء الاتحاد الاشتراكى ٠٠ القــوى المضادة للاتحاد الاشتراكى ٠٠ القوى المضادة للثورة ٠٠ مهما عملنا ٠٠ لو عينا حايهجموا ولو انتخبنـا حايهجموا وباستمرار سيكون الاتحاد الاشـتراكى موضع هجوم وباستمرار حايكون الاتحاد الاشتراكى موضع التشكيك من أعداء الثورة ومن اعداء الاتحاد الاشتراكى ٠

موقف اعداء الثورة

احنا عملنا الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب من القاعدة الى القمة زى ماقلنا فى بيان ٣٠ مارس ٠٠ هل هذا انهى الهجوم على الاتحاد الاشتراكى ٠٠ لم ينه الهجوم على الاتحاد الاشتراكى ولن ينتهى الهجوم على الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ولكن نحن نستطيع بالاتحاد الاشتراكى بقوى الشعب العاملة الممثلة فى الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ان تواجه اعداء الاتحاد الاشتراكى أعداء الثورة أعداء قوى الشعب العاملة ٠٠

اذن ما جاء فى بيان ٣٠ مارس خاص بالاتحاد الاشتراكى نفذ بالانتخاب وطلعت عناصر مختلفة ستتفاعل بالظروف وبالاحداث ٠٠ ممكن تكون هناك بعض العناصر السيئة ٠ ولكن الاتحاد الاشتراكى فى بنائه الجديد اللى يمثل فعلا الارادة الشعبية سيستطيع ان يتخلص من أى عناصر سيئة ٠ ومفيش أى تنظيم فى العالم ما فيهش العناصر السيئة ولكن الواجب ان نتخلص ٠ ولكن الاتحاد الاشتراكى فى بنائه الذى تم بالانتخاب يمثل فعلا قوى الشعب العاملة يمثل تحالف قوى الشعب وهى الصيغة اللى اخترناها الصيغة اللى جت فى الميثاق الصيغة اللى أعتقد أنها تمثل أسلم شىء بالنسبة لنا ٠ بالنسبة لطبيعتنا ٠ بالنسبة لبلدنا وبالنسبة لظروف بلدنا ولكن اعداءنا سواء فى الخارج أو اعداء الثورة فى الداخل سيستمرون فى مهاجمة الاتحاد الاشتراكى على أساس انه التنظيم السياسى الذى يحمى الثورة ويحمى أهداف الثورة ٠

بناء على بيان ٣٠ مارس أو حتى قبل بيان ٣٠ مارس جرت تعديلات فى الحكومة وجندت للعمل الوطنى بعض من خيرة الكفاءات الموجودة فى وطننا. وطبعا احنا قلنا التغيير ٠٠ ويمكن انا أول واحد اتكلم على التغيير بعد النكسة وقلت ان احنا عاوزين المجتمع المفتوح ٠ ولم أقصد بالمجتمع المفتوح المجتمع الرأسمالى ٠

ابدا قلت ان احنا نريد المجتمع الثورى المفتوح اللى نناقش فيه أمورنا وعيوبنا ومنخافش من اعداءنا أنهم قد يستغلون هذه العيوب ٠

ولكن طبعا مهما غيرنا ومهما صلحنا اعداءنا حيقولوا محصلش تغيير طبعا التغيير غيرنا بالنسبة للاتحاد الاشتراكى وغيرنا ايضا بالنسبة للحكومة ٠٠ الرجعية لن ترضى بالتغيير والثورة المضادة قوى الثورة المضادة لن ترضى بالتغيير اللى احنا بنعمله بأى شكل من الأشكال ٠ ولن ترضى بأى شكل عن أى شىء ٠٠ الا اذا استطاعت قوى الثورة المضادة أنها هى تاخذ السلطة وتأخذ الحكم ٠

ضمانات الحريات العامة

بعد كده صدرت أيضا بناء على بيان ٣٠ مارس وبناء على الكلام اللى اتقال هنا فى مؤتمركم القومى صدرت الضمانات التى أشار المؤتمر بها بالنسبة للحريات العامة ٠٠ وعدلنا القوانين ٠٠ وانا تعهدت قدمكم هنا أما اتكلم الأخ حافظ بدوى وطلب التعديلات اللى كانت فعلا مقرره فى مجلس الأمة ٠٠ اننى سأنفذ هذه التعديلات ٠

وفعلا صدرت قوانين بهذه التعديلات اللى هى بالنسبة للحريات ٠٠ ولكن بيقولوا الناس فين قانون الحريات طبعا مفيش حاجة اسمها قانون الحريات ٠ ٠ الحريات دى عبارة عن قوانين وهناك قوانين تنظم حركة المجتمع ٠٠ والحركة فى المجتمع مفيش قانون اسمه قانون الحريات ٠٠

أما التعديلات اللى وعدتكم بها .. كل هذه التعديلات صدرت بالنسبة لقانون الطوارىء اللى هو قانون الأحكام الاحكام العرفية صدرت التعديلات بالنسبة للتظلمات . بالنسبة لقانون ١١٩ صدرت تعديلات بالنسبة له .. بالنسبة لقوانين الاعتقال والسجن صدرت التعديلات أيضا بالنسبة لها .. ولكن طبعا مهما أصدرنا من تعديلات وأنا بأقول أن التعديلات اللى احنا عملناها يمكن فيه بلاد كتير فى العالم .. مش البلاد اللى بتقول على نفسها . انها بلاد ديموقراطية وفيها نظام الليبرالى ، مفهاش هذه الضمانات اللى احنا أعطيناها .

برغم وجود قانون الطوارىء .. اللى هو قانون الأحكام العرفية فانه منذ صدور بيان ٣٠ مارس لم يعتقل بمقتضاه غير ثلاثة أشخاص فقط ينتمون الى تنظيم سياسى بيجرى توجيهه من الخارج وأنا فى المؤتمر اللى فات . فى أثناء المؤتمر اتكلمت على المعتقلين . واتكلمت على الاخوان اللى كانوا معتقلين وكانوا وصلوا فى وقت من الأوقات ٦٠٠٠ وقلت ان الباقى منهم فى المعتقل حوالى ٨٠٠ من الاخوان ومن كلامى معاكم فى جلسة المؤتمر الاخيرة أفرج من هذا الوقت حتى الآن أفرج عن حوالى ٤٠٠ من هذا العدد .

وسياستنا .. الحقيقة كانت دائما التوعية ثم الافراج .. أيضا جرى حل مجلس الأمة السابق ووجهت الدعوة الى انتخابات عامة لمجلس أمة جديد .. الحقيقة مجلس الامة مدته كانت حاتنتهى فى مارس وكانت الانتخابات حاتجرى فى يناير حسب الدستور .. بيقول أن الانتخابات تجرى قبل انتهاء مدة مجلس الأمة بشهرين وفى الحقيقة بعد اصدار التعريف الجديد بالنسبة للعامل والفلاح كان لازم نعمل انتخابات جديدة لمجلس الأمة . وأنا قلت هذا الكلام فى خطاباتى بعد بيان ٣٠ مارس .

صحافة الاتحاد الاشتراكى

ايضا بعد بيان ٣٠ مارس اعطيت الفرصة كاملة لاتحاد الطلاب تدعيما للشباب وعلشان الاتحاد تكون قدامه فرصة للقيادة وللمشاركة الحية

فى النضال الشعبى والحقيقة كل المطالب اللى طلبوها نفذت وأيضا ترك للصحافة أكبر قسط ممكن الحقيقة من الحرية لتمارس دورها فى ظل الظروف الاستثنائية التى يعيشها الوطن .

الصحافة والرقابة اللى موجودة رقابة عسكرية والصحافة هى صحافة الاتحاد الاشتراكى .. الصحافة يجب أن تعبر عن الاتحاد الاشتراكى وعن الثورة وقوى الثورة وعن مصالح قوى الشعب العاملة . ولا يمكن باى حال من الأحوال أن نقصد بحرية الصحافة أن تكون الصحافة تعبير عن قوى الثورة المضادة .

فى المجال الاقتصادى اعطيت قوة دفع زائدة للزرعة والصناعة .. وحققت الزراعة محصولات نموذجية وبالنسبة للصناعة عادت قوة الانطلاق الى الصناعة وتتحمل الآن الصناعة فى الظروف الاقتصادية والضغط الاقتصادى اللى كنا متعرضين

غرب الدلتا .. وضع مستقبل الاراض الجديدة التى تم استصلاحها موضع بحث مستفيض بحيث تقرر خير الوسائل لاستغلالها ولدينا منها الآن حوالى ٤٠٠ الف فدان . وضعت بعض مشاكل الخدمات العامة ذات الطابع الاقتصادى وفى مقدمتها مشكلة المواصلات ومشكلة الاسكان موضع الدرس لايجاد حلول لها . ووضعنا وراء مرفق النقل فى القاهرة هذا العام ٢٠ مليون جنيه .

بالنسبة للمعركة وبالنسبة لخدمة المعركة جندنا كل طاقاتنا للعمل السياسى سواء فى المحيط العربى أو فى المحيط الدولى

وأنا بدى أقول ان احنا يجب علينا أن نعمل سياسيا فى المحيط الدولى وفى المحيط العربى بكل وسيلة من الوسائل حتى لا نعزل انفسنا عن الرأى العام العالمى وحتى نستطيع أن نبين للرأى العالمى ما هو هدف اسرائيل .. هدف اسرائيل هو التوسع

• لابد أن نسلم أن هناك قلقاً يسببه الجو الكئيب نتيجة للنكسة ونتيجة للحالة التى نواجهها الآن بين استمرار الحرب وعدم استمرار القتال .

له تتحمل نصيب كبير من المسئولية لسد الاحتياجات الداخلية للاستهلاك .

بعدين أيضا بدأ بحث الاصلاح الاقتصادى والمالى وسرنا فى هذا الاصلاح الاقتصادى والمالى من الميزانية اللى فاتت ولكن لم يتم ولن يتم الاصلاح الاقتصادى والمالى فى وقت قصير .. ثم بدأ بحث أيضا اللوائح اللى موجودة والقوانين والمعوقات دى كلها عايزه وقت علشان نقدر نوصل لها .

واحنا عاملين فى مجلس الوزراء وفى اللجنة التنفيذية العليا فى كل منهم لجنة لمتابعة بيان ٣٠ مارس ولجنة لمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر القومى أيضا اجريت تعديلات فى وحدات الانتاج بقصد وضع الأصلح والأقدر على الخدمة فى المكان الملائم .

احنا قلنا فى بيان ٣٠ مارس الرجل المناسب فى المكان المناسب ولكن طبعا أعداؤنا لن يجدوا أبدا الرجل المناسب فى المكان المناسب أعداءنا باستمرار حايشككوا فى كل عمل بنعمله ..اعطى جهد مضاعف لاتمام بناء السد العالى قبل موعده المقرر بسنة كاملة أعيد التركيز على عملية استصلاح الاراضى الجديدة

واسرائيل حاولت أن تخدع الرأى العام العالمى ونجحت فى خداع الرأى العام العالمى ولكن تحركنا السياسى دوليا وفى الامم المتحدة استطاع ان يكشف هدف اسرائيل واستطاع ان يكشف اسرائيل الى حد كبير أو الى حد ما انها تريد التوسع .

قواتنا اثبتت فعاليتها

بعدين وجهنا الجهد الأكبر من اهتمامنا للمواجهة المسلحة للقوات المسلحة حتى يمكن ان نعمل ضد العدو .. وكان هذا عن طريقين العمل بجهود خارقة وجهود مضنية للاسراع فى اعادة البناء العسكرى .. ولقد اختبرت كفاءة هذا البناء الجديد اختبارا حيا بالنيران واثبت الاختبار مقدرته كما وكيفا .. وعندنا مثال حى لذلك .. وهو معارك المدافع عبر القناة ثم معارك الطائرات فوق القناة .. وفى هذه المعارك كلها أثبتت قواتنا النامية من جديد فعاليتها وتاثيرها .. الأمر الذى يستحق منا أكبر التقدير للجنود الابطال الذين استطاعوا (تصفيق حاد) الذين استطاعوا فى أقصر وقت ان يقوموا باعظم جهد .

وأنا رحت زرت هؤلاء الابناء فى خط النار وشفتهم .. وشفت الحال اللى وصلوا اليه فى الـ١٤ شهر

اللى فاتت وشفت الضباط والعساكر وهمه قاعدين هناك فى الجبل .. فى الصحراء على حافة القناة وعلى ضفة القناة شهور وشفت شفتهم وشفت حماستهم واستعدادهم للمعركة

وطبعا زى ما قلت احنا كان **قدامنا مراحل** .. المرحلة الأولى هى مرحلة الصمود والمرحلة الثانية هى مرحلة الردع . والمرحلة الثالثة هى مرحلة التحرير . وقلت ان العملية مش عملية سهلة لأن احنا بنعيد بناء قواتنا المسلحة جميعها من الأول

وكانت أصعب هذه المراحل هى مرحلة الصمود وقد اجتزنا هذه المرحلة بحمد الله وانتقلنا الى المرحلة الأخرى وهى مرحلة الردع .

ونحن نسير فى هذه المرحلة بتدعيم قواتنا المسلحة بكل الامكانيات وبكل الوسائل حتى يمكن أن ننتقل الى المرحلة الثالثة .. وهى مرحلة تحرير الأرض العربية التى احتلتها اسرائيل .. ده بيعوز مننا الحقيقة جهد ووقت وعمل مضنى ويحتاج مننا

اما بيتكلم وزير الخارجية فى اسرائيل . كل الكلام بيكون موجه لمصر .. كل التهديد موجه لنا .. وأيضا بيقولوا ان الخطر اللى حييجى علينا حييجى من الجمهورية العربية المتحدة .. من مصر .. اذن العدو يعلم بالتحديد أن جبهة الخطر ضده هى الجبهة المصرية .

أيها الاخوة .. أساس هذا العمل كله كما نرى العمل اللى عملناه بعد ما تكلمنا فى ٣٠ مارس أساسه هو صلابة الجبهة الداخلية .. وصمود الجبهة الداخلية .. وتصميم الجبهة الداخلية .. وهذا أمر لايحتاج الى دليل .. ومن ثم فان العدو يدرك ان الجبهة الداخلية لابد ان تكون هى الجبهة التى يتحتم عليه ان يبذل اكبر جهوده وأهم جهوده

من هنا أصبح هم العدو الأكبر الجبهة الداخلية بأكبر قدر من التأثير بالاذاعة وبالوسائل الأخرى بل وحين أحس العدو ان الجبهة العسكرية قد زادت

• إن أى تخلخل فى جبهتنا الداخلية أو ما يبدو أنه تخلخل سوف يجعل ضريبة الدم أكثر على خطوط القتال ووراءها .

أيضا ان احنا لانتحرك الا ونحن على ثقة كاملة فى امكانية النجاح فى هذه المعركة .

لهذا على ابنائنا فى القوات المسلحة مسئوليات كبيرة سواء بالنسبة للدفاع أو بالنسبة للتدريب .. ده الحقيقة الميدان الأول اللى مشينا فيه .. ميدان بناء قواتنا المسلحة .. والطريق الثانى اللى مشينا فيه طريق دعم العمل الفدائى .. وما نقوم به فى هذا الصدد يعرفه الجميع والعدو يعرف أيضا ما نقوم به فى هذا السبيل ويعرف ايضا بعد ذلك أن الجبهة المصرية بالتحديد هى جبهة الخطر ضده .

كل التهديد موجه لنا

أعداءنا أما بيتكلموا .. أما بيتكلم رئيس وزراء اسرائيل .. أما بيتكلم وزير الدفاع فى اسرائيل

مناعتها عليه فانه بدأ يوجه الى الجبهة الداخلية ضرباته المباشرة وكان ذلك قصد العدو من عملية نجع حمادى .

أيها الأخوة :

لابد أن نسلم أيضا أنه كانت هناك اعتبارات يمكن حسابها كعوامل مساعدة للعدو .. هناك القلق الطبيعى والجو الكئيب الذى تركته النكسة .. هناك الاحتلال اللى مضى عليه اربعتاشر شهر للاراضى العربية .. ولكن احنا مش أول بلد فى العالم تعرض للعدوان واحتل جزء من أرضه .. فيه بلاد كثيرة تعرضت للعدوان واحتلت اجزاء منها . فيه بلاد كثيرة .. فيه عندنا انجلترا فى الحرب العالمية الثانية خلص جيشها كله اللى كانت بعتاه الى فرنسا

(البقية ص ١٩٢)

صفحة من كتاب

دعاة الثورة

للسيد حسين الشافعى

شهداء الله

فى فجر هذه الثورة ، وعلى التحديد فى آخر ديسمبر من عام ١٩٥٣ ، احتفل سلاح الفرسان – المدرعات الآن – بالذكرى الخامسة لشهداء الفرسان فى حرب فلسطين ، ولم يقتصر الحفل على ذكرى شهداء مصر ، بل شمل الشهداء الحلفاء من الخليج الى المحيط ، ورفع ذكر الشهداء المجهولين ، وهم فى كل أمة أحق بالذكر والتخليد .

فى ذلك اليوم ، القى السيد حسين الشافعى كلمة الفرسان فى ذكرى الشهداء ، فقال : الحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، والسلام على الشهداء ، ثم السلام على الأحياء ، سلام على الشهداء الخالدين بجهادهم ، الخالدين بتضحياتهم ، الخالدين فى حياتنا جميعا ، فان ذكراهم بيننا ليست ليوم أو لحفل ، بل اننا لنذكرهم أبد الدهر ، مثلا عاليا فى التضحية والفداء

لقد اجتمعنا اليوم فى مواكبهم لانبكيهم أو نتقبل العزاء فيهم ، أو نندب حظنا لفقدهم ، فنحن لم ولن نفقدهم ، فقد كسبناهم ذخرا لهذا السلاح ، فاخذنا من بطولتهم شعارا نفاخر به : **« النصر أو الموت » نعم النصر او الموت .. النصر فى الحياة ، والنصر على الحياة ، علو فى الممات وعلو فى الحياة قال تعالى :**

« ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الا من شاء الله »

فسأل النبى جبريل من هم الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟

قال : هم شهداء الله

وكتب أبو بكر الصديق الى خالد بن الوليد يقول :

« أعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك ، فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ، ولاتغسل الشهداء من دمائهم ، فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة »

أيها السادة ، كم عاش منا ناس ثم ماتوا ، فلم يتركوا أثرا ولاذكرى ، فكانت حياتهم

وموتهم سواء . أما هذا الاثر الذى تركه فينا هؤلاء الشهداء البواسل ، فسوف يبقى دائما مشرقا ودائما مضيئا ، لكل من يبتغى الذكر الحسن والخلود على الزمن

ونحن والله لانموت حتف انوفنا لانموت الا قتلا بالرماح وتحت ظلال السيوف ، لنستحق شرف الشهادة ، ونرتقى الى المعنى الكريم فى الحديث الشريف :

« والذى نفس محمد بيده ، لوددت ان أغزو ثم اقتل ، ثم اغزو ثم اقتل ، ثم اغزو فاقتل»

ثم قال بطل الأبطال :

« مامن احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وماله على الأرض من شىء ، الا الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات ، لما يرى من فضل الله عليه »

ايها السادة لقد رأيتم هذه الجموع الحاشدة ، التى اجتمعت لتمجد هذه الذكرى الخالدة ، ذكرى الاقدام والبذل ذكرى تشيع فينا كل حوافز العزم والاصرار ، على العمل المتواصل ، بلا توقف ولاهوادة حتى نصل بهذه الامة الى ماتستحق ، والى مايجب أن تكون عليه فالذى يعنينا فى هذا الامر أن تبقى هذه الأمة حية خالدة ولايهم فى بقائها من يستشهد أو يموت ، ففى سبيل حياتها وعزتها كل غال رخيص ، حتى المهج والارواح

نحن فى معركة لم تنته بعد ، وان معركة الامس لتدفعنا الى معركة الغد ، (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

والسلام على الشهداء ، ثم السلام على الأحياء .

كلمة..

السيد الدكتور عبد العزيز كامل

وزير الأوقاف وشئون الأزهر

في الحفل الذي أقامه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية احتفالا باعلان النظام الجمهوري في جزر مالديف

٩ ديسمبر ١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسار على سنته الى يوم الدين وسلام الله عليكم أيها الأخوة والاخوات ورحمته وبركاته في هذه المناسبة الكريمة التي نجتمع فيها في شهر رمضان المبارك لنحتفل أولا بهذا الشهر الكريم الذى كرمه الله تبارك وتعالى بأن انزل فيه القرآن (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ذلك الشهر الذى اختار الله له ان تكون فيه كبرى المعارك الاسلامية وتكون فيه بدر وان تكون غزوة الفتح وان يكون فيه عودة الجيش الاسلامي ظافرا من غزوة تبوك وأن يكون فيه انتصار الاسلام الرائع في معركة عين جالوت هذا الشهر الذى يرتبط عندنا بالايمان والجهاد بالعباد والشهداء نسأل الله جلت قدرته ان يجعله شهر خير علينا وأن يعيده علينا بالخير والنصر انه على مايشاء قدير

وفى هذه المناسبة نحتفل بها أيضا بقيام جمهورية المالديف الاسلامية وهى كما تعلمون مجموعة من الجزر تقع فى المحيط الهندى وأنتم كما تعلمون أن العالم الاسلامى اذاماأردتم له تشبيها فشبهوه على شكل هلالين كبيرين أحدهما يحيط بالبحر المتوسط والثانى يحيط بالمحيط الهندى فاذا ما نظرنا الى ذلك الجنوبى وجدنا فيه جزرا كأنها النجوم المضيئة من هذه الجزر جزر مالديف انها جزر مضيئة بالايمان وسط ذلك الهلال الجنوبى الذى يكون اكثر من نصف عدد سكان العالم الاسلامى ولقد عنى آباؤنا من المؤرخين والجغرافيين بهذه الجزر وزارها نفر منهم وزارها ابن بطوطه كما تعلمون وكتب عنها المسعودى فى مروج الذهب وكتب عنها البلاذانيون من رجالنا وتعطى مثالا رائعا لسماحة هذه البلاد وسماحة الاسلام معا ذلك بأن الاسلام حينما قام كانت مراكز القوة الكبرى التى تقابله تقع الى الشمال من الجزيرة العربية ممثلة فى دولتى الفرس والروم من اجل ذلك اتجهت اغلب المعارك الى هذه الجبهة الشمالية بقطاعيها الشرقى والغربى

وهنا كان الاسلام الذى اضطر أبناؤه الى ان يحملوا السيف دفاعا عن وجودهم ضد مؤامرات مستمرة بدأت من حياة الرسول عليه السلام بل ان هذه المؤامرات يمكن ان ترجع الى العهد المكى نفسه ثم اذا بها وقد دخلت فيها عناصر من خارج الجزيرة العربية بعد أن هاجر النبى عليه السلام الى المدينة المنورة ان المؤامرات التى حيكت ضد الاسلام لم تكن من العرب وحدهم وانما كانت من العرب الذين لم يكونوا وقتئذ على الايمان وكانت من اليهود الذين ناصبوا النبى صلى الله عليه وسلم وناصبوا الاسلام العداء من أول يوم رغم ان الاسلام مد اليهم يد الخير من أول يوم ٠

ولكنهم نكثوا عهدهم بعد أن واثقوا هذا العهد وبعد ان قطعوا على انفسهم أن يعيشوا على الخير مع المسلمين ولكنهم نكثوا العهد مرة بعد مرة ثم بعد هذا نجد تحالفا مريبا مع الروم وتعاونا معهم وكان مجال التآمر على النبى عليه الصلاة والسلام وعلى الدعوة الاسلامية فى بدء قيامها كان واضحا وكان جليا وفرض على المسلمين أن يقابلوا هذه العداوات بمنهج علمى مخطط واضح ٠

واذا كان آباؤنا من المسلمين الذين اتجهت بهم طرق الغزوات والحروب والمعارك الى الشمال ودفعت بهم الى وسط أسيا كما دفعت بهم الى افريقيا وأروا الدنيا كلها فى هذه الفترة نموذجا من المحارب العف الشريف النزيه الذى لايرفع السيف الابقانون ولا يضعه الا بقانون والذى لا يلجأ الى سيفه الا اذا عز الدواء مثله فى ذلك كمثل الجراح لا يلجأ الى مشرطة الا بعد أن تعيا به السبل هكذا كانوا تلاميذ

مخلصين للنبى عليه الصلاة والسلام الذى علمهم وادبهم ورباهم وأمرهم ، فان كانوا فى وقت الحرب كان يقول لهم (لا تقتلوا امرأة ولاشيخا ولا طفلا ولا عسيفا أى اجيرا ولا تتبعوا فارا ولا تجهزوا على جريح ولا تقطعوا شجرة الا لطعام وستمرون على قوم ترهبوا فى صوامعهم فدعوهم وما هم فيه)

هذه كانت اخلاق المحارب المسلم الذى اتجه الى الجبهة الشمالية والذى قال فيه بعض علمائنا ان المرأة لتأمن المحارب المسلم على عرضها أكثر مما تأمن أهلها واخوانها ، ذلك لأنه كان لهم عاصم من دينهم ومن قرآنهم وهم يعيشون وبين أعينهم قول الله تبارك وتعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا) المعارك لاتزيدهم الا ايمانا بربهم واستمساكا بالحق الذى عاهدوا ربهم على أن يعيشوا له وان يموتوا من اجله .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) انهم المؤمنون الصادقون الصابرون الذى يقول ربهم فيهم (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما) انهم الصابرون المتمسكون (الذين قال لهم الناس ان الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)

هذا هو نموذج الايمان المؤمن الذى تجلى فى الجبهة الشمالية أما الجبهة الجنوبية فلم تكن جبهة حرب أساسا وانما نشر الاسلام فيها آباؤنا من التجار ومن العلماء ومن الأفراد الذين نذروا أنفسهم لله تبارك وتعالى ومن هؤلاء الشيخ الكبير أبو البركات الذى نشر الاسلام فى جزائر المالديف كانوا يذهبون الى هذه الأقطار ليس أمامهم وليس بين أعينهم الا ان ينشروا دينا دعاهم اليه ربهم ، يسيرون وبين اعينهم قول الله تبارك وتعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) كانوا يقولون انهم من المسلمين كانوا نماذج حية لهذا الدين كانوا يحاولون ان يكون كل منهم قرآنا يسير على قدمين يهدى الناس بعمله قبل أن يهديهم بقوله لقد تعلموا من رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن اصحابه الكرام (كنا على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام نحفظ القرآن عشر آيات بعشر آيات فلا نتجاوزها حتى نعمل بما فيها من العلم فتعلمنا العلم والعمل جميعا .

اذن كانوا يطبقون هذا القرآن على أنفسهم ومن اجل ذلك نجد ان طبيعة الاسلام الذى انتشر بها فى ذلك القطاع الجنوبى الكبير من العالم الاسلامى تختلف اختلافا كبيرا عن طبيعته التى انتشر بها فى القطاع الشمالى ولا يرجع هذا الى تباين فى طبيعة الاسلام وانما له طبيعة واحدة هى انه دين سلام ودين دفاع عن السلام انه حينما لقى العداوات فى القطاع الشمالى قابلها مقابلة قوية عنيفة وحينما لقى من يستمعون الى ذلك الحق فى القطاع الجنوبى لم يكن بينه وبينهم الا ان يقول لهم كلمة الحق والا ان يستمعوا منه كلمة الحق ، ومن هنا تجد ان انتشار الاسلام فى أجزاء كثيرة من شرق افريقيا وفى جزائر المحيط الهندى وفى اجزاء كثيرة من اندونيسيا ومن الاقطار التى تقع الى ما وراء ذلك كالفلبين وفى الصين وفى اليابان انما جاء نتيجة جهود صابرة مؤمنة قام بها آباؤنا من التجار والملاحين الذين عاشوا فى هذه الأقطار .

هذه النقطة ينبغى أن تكون واضحة وضوحا كبيرا فى أذهاننا ذلك لأن ديننا فى جوهره انما هو دين سلام ودين الكلمة الطيبة واننا حينما يلقى بعضنا بعضا نقول السلام عليكم ورحمة الله وحينما ندخل الصلاة ندخلها مكبرين لله تبارك وتعالى الله أكبر وحينما نخرج من هذا التكبير انما نخرج منه بمعنى السلام فتقول اذا نظرت يمينا السلام عليكم ورحمة الله واذا نظرت يسارا السلام عليكم ورحمة الله وأنت حينما تذهب الى بيت الله العتيق انما تناجى ربك وتقول اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام .

البقية ص ٢٠٤

حديث مع سفير لبنان بالقاهرة

الدكتور حليم سعيد أبو عز الدين

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى تلتقى فيها المجلة بالدكتور حليم سعيد أبو عز الدين، فقد كانت المرة الأولى فى اكتوبر ١٩٦٦ – عندما قدم الى القاهرة سفيرا للبنان ..

وما بين العامين جدت أحداث وتغيرت ظروف .. وانتهزت المجلة فرصة مرور ٢٥ عاما على ذكرى استقلال لبنانِ الشقيق وذهبت للقاء الدكتور حليم سعيد أبو عز الدين فى مكتبه بدار السفارة بالقاهرة ، وفى ذهنى أسئلة كثيرة ، وبسماحته المعهودة رحب بالحديث الى المجلة الذى بدأه بالحديث حول مرور ٢٥ عاما من ذكرى الاستقلال .. قائلا ..

فى ٢٢ نوفمبر من هذا العام مرت ٢٥ سنة على اعلان استقلال لبنان لكن لبنان لم يحتفل بهذه المناسبة الكريمة وفقا للعادة السنوية بسبب الظروف القاسية التى يجتازها عالمنا العربى .. وهو يأمل أن يحتفل فى العام القادم هو وشقيقاته العربيات بعد عودة الحق الى نصابه .

وموقف لبنان العربى موقف واضح فى العمل الدائم لمصلحة القضية العربية .

واننى لسعيد بأن أقرر أن لبنان – حكومة وشعبا – مقيمين ومغتربين يعمل من أجل قضية العرب الكبرى، قضية فلسطين وما تفرع عنها ولن يألو لبنان جهدا فى القيام بكل امكانياته

فى هذا المضمار وهو يمد يده مفتوحة سمحاء لشقيقاته العربيات تعمل وإياها فى السراء والضراء على ما فيه الخير للجميع ..

ـ ما هو دور لبنان فى الظروف العربية الراهنة ؟

قال :

ان لبنان يريد لكل بلد عربى شقيق ما يريده لنفسه ، ولذا فانه منذ عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧ وهو يعمل خاصة مع الدول الشقيقة التى استهدفها العدوان على دفعه وازالة آثاره بكافة الوسائل واننا نقوم بواجبنا ونؤدى قسطنا من العمل العربى المشترك على جميع الأصعدة . وأود أن أشير هنا الى ما تقوم به الدبلوماسية اللبنانية وأبناء لبنان المنتشرون فى كافة أقطار الأرض ، من مساع واتصالات لشرح الحق العربى وازالة ما يغشى النفوس فى البلدان الأجنبية من ابهام أو جهل لقضايانا .

ان الدبلوماسية اللبنانية معباة ومجندة لخدمة قضيتنا الكبرى . وان كل لبنانى مغترب بالاضافة الى اللبنانى المقيم ، يعتبر نفسه جنديا لها . ومن المعلوم أن لاخواننا المغتربين أمكنة مرموقة فى ديار الاغتراب التى يقيمون فيها . وهم يواجهون صعوبات جمة وقوى هائلة ظاهرة وخفية تعرضهم ومصالحهم لمخاطر كثيرة ولكن ذلك لم ولن يمنعهم من تأدية واجبهم نحو بلادهم ونحو العرب جميعا .

وعلق سيادة السفير على مهمة يارنج قائلا :

ـ أعتقد أنه من السابق أوانه أن نقول بفشل مهمة يارنج ، وأفضل استعمال كلمة تعثر مهمة يارنج اذ أننا نحن العرب حقنا صريح وموقفنا واضح ولا نخشى من مجابهة كل الاحتمالات فى سبيل دعم حقنا .

ثم قال سيادته :

أما احتمالات العمل المقبل فى حال توقف السفير يارنج عن مهمته واعلانه هو واعلان الأمم المتحدة توقفه ، ولن يكون ذلك الا بسبب موقف اسرائيل المتعنت ، فهذه ما يسعى العرب اليوم لتقريرها على ضوء حقهم ومطالبهم . والاتصالات الثنائية والجماعية التى تقوم اليوم بين العرب تستهدف الاتفاق على عمل عربى موحد يتضافر لتحقيق جميع آمال العرب .

ـ ما مدى حاجتنا الى مؤتمر قمة عربى . وما الذى يمكن أن يحققه المؤتمر ؟

ان الاتصالات التى تجرى الآن بين الدول العربية بالاضافة الى تلك التى جرت بين وزراء خارجية العرب خلال وجودهم فى الأمم المتحدة تستهدف نفس الغايات التى يدعى مؤتمر القمة لتحقيقها . وستستمر هذه الاتصالات الى أن تدعو الحاجة لعقد مؤتمر قمة جديد، وبذلك تكون أعمال المؤتمر واضحة ومدروسة بعد أن يكون قد سبق بحثها بين وزراء الخارجية

وكان سؤالى الأخير لسيادة سفير لبنان بالقاهرة عن :

تطور العلاقات بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة .. وهل جد جديد من الاتفاقيات فى الأيام الأخيرة ؟

قال :

يسرنى أن أقرر أن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان على أحسن ما يكون من المودة والاخوة والصفاء .. والاتفاقات المعقودة بين البلدين الشقيقين تنفذ باخلاص .

وقد عقدنا مؤخرا اتفاقا للتعاون السياحى بيننا سيكون فاتحة خير ان شاء الله لتطوير السياحة فى بلدينا . وارجوان يمتد هذا الاتفاق فيشمل سائر الدول العربية الشقيقة لنتعاون جميعا على استثمار الخيرات السياحية فى بلدينا .

حديث مع اللواء الركن محمود شيت خطاب

إعداد : نجاة الزنيري

فى النصف الثانى من نوفمبر عام ١٩٦٥ عقد مجمع اللغة العربية مؤتمرا فى بغداد بالاشتراك مع المجمع العلمى العراقى واتخذ توصية جاء فيها :

(تشكل لجنه من المختصين تحت اشراف الجامعه والقيادة العربيه الموحدة لتوحيد المصطلحات العسكريه على ان يعاونها بعض اللغويين :

وقد كتبت الجامعه العربيه الى الدول الاعضاء والمجمع اللغوى والقيادة العربيه الموحدة ، فأوفدت مندوبين عنها لحضور اجتماعات اللجنه التى تقرر تشكيلها لتحقيق هذا الهدف .

وبدأت اللجنه اجتماعاتها فى ٣٠ مايو ١٩٦٨ . وانتخبت اللواء الركن محمود شيت خطاب مندوب المجمع اللغوى ، رئيسا ، ـ

واللواء الركن محمود شيت خطاب من الضباط الاحرار الذين قاموا بثورة ١٤ تموز فى العراق وقد أودع السجن مع الرعيل الأول من الشهداء الذين قارعوا الطاغيه عبد الكريم قاسم بعد انحرافه عن أهداف الثورة .. وفى السجن لاقى شتى أنواع التعذيب .

وعندما أطلق سراحه بادر الى الاتصال بالضباط الأحرار واستطاعوا ان يطيحوا بحكم عبد الكريم قاسم . وقد تولى منصب وزير الشئون البلديه والقرويه فى اول وزارة تألفت فى العراق بعد سقوط عبد الكريم قاسم .. وهو حاليا وزيرا للمواصلات .

واللواء خطاب من رجال السيف والقلم اذ هو عضو فى المجمع العلمى العراقى وعضو فى المجمع اللغوى بالقاهرة . وقد أصدر من المؤلفات العسكرية والتاريخية .

فقد أصدر كتابا قيما عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعنوان (الرسول القائد) وقد أعيد طبعه أربع مرات ونفد ، كما ترجم الى ست لغات

وأصدر سلسلة (قادة الفتح الاسلامى) فى سبعة مجلدات .. وآخر كتبه (العسكريه الاسرائيليه) كما صدر قبله (الوجيز فى العسكرية الاسرائيلية) وهو مجموعة المحاضرات التى القاها على طلاب قسم الدراسات الفلسطينيه فى معهد البحوث والدراسات التابع لجامعة الدول العربية .

كما صدر له ايضا (المصطلحات العسكريه فى القرآن الكريم) .

والتقيت باللواء الركن محمود شيت خطاب لكى اسال سيادته عن الهدف من تأليف هذا الكتاب ولأساله أيضا عن نشاط لجنة توحيد المصطلحات العسكرية التى يتولى رئاستها فى نطاق جامعة الدول العربيه ..

ـ متى فكرتم فى تأليف كتابكم عن المصطلحات العسكريه فى القرآن الكريم وما هو الهدف من تأليفه ؟

ـ فكرت فى تأليفه منذ امد بعيد ذلك لأننى اعتبر القرآن الكريم لغة كتاب العربية الأول بالاضافه الى أنه كتاب الاسلام الأول . وقد وجدت ان المصطلحات العسكريه فى الجيوش العربيه مختلفه أشد الاختلاف منها مصطلحات تركيه وانجليزية وفرنسية . فأردت أن أحتكم الى القرآن لتوحيد هذه المصطلحات لاننى قدرت ان العرب فى كل مكان يخضعون خضوعا تاما بغير جدال وحدود الى ما جاء به من مصطلحات عسكريه تقودهم الى توحيد مصطلحاتهم العسكريه المتناقضه . لذلك أخرجت هذا الكتاب للناس ليكون الأساس المتين أو القويم للنهوض بواجب توحيد المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية .

وماذا عن كتابكم الأخير (العسكريه الاسرائيليه)؟

ـ بدأت بتأليفه بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ حتى أسد ثغرة فى المكتبة العربية واشيع التوعية العسكرية بين المدنيين والعسكريين على حد سواء خاصة والواقع اننى كنت أقتنى كل كتاب يصدر عن اسرائيل فى اللغة العربية وفى اللغات الأخرى وذلك لأكون على أهتمام شديد بنوايا اسرائيل العدوانية وبما تبيته للعرب خاصة وللمسلمين عامة من خطط توسعية عدوانية . خاصة وبعد حرب يونيو وجدت أنه من أسباب انهيار معنويات العرب أولا ومن أسباب اندحارهم فى الحرب ثانيا عدم معرفتهم معرفه دقيقة شاملة للعسكرية الاسرائيلية . فألفت هذا الكتاب . وألقيت محاضرات فى معهد الدراسات العربيه العليا فى أوائل عام ٦٨ فى القاهرة . فاصدر المعهد هذا الكتاب فى طبعته الأولى وصدر فى طبعته الثانية بعد شهر عن دار الطليعة فى بيروت .

(الوحدة العسكرية العربية)هو موضوع كتابى القادم

ـ وكما سألت سيادته عن مشروعات المستقبل قال لى .

ـ اننى اعتقد ان هذه الوحدة لاتضع حدا لنوايا اسرائيل التوسعية فحسب بل تجبرها على اعادة حقوق العرب كامله فى أرضهم المغتصبه .. خاصه ان الطاقات المادية والمعنوية للعرب متفوقة تفوقا ساحقا على الطاقات الماديه والمعنويه لاسرائيل .

ولكن الطاقات العربيه لايسودها النظام . والطاقات الاسرائيليه منظمه .

والطاقات القليلة المنظمة تتغلب دائما على الطاقات الكثيرة غير المنظمه . والوحدة العسكريه العربيه هى التى تضمن تحقيق النظام للطاقات العربيه لتكون قوة ضاربه فى الزمان والمكان الحازمين .

ماهوهدف اللجنة العسكرية لتوحيد المصطلحات ؟

ـ الهدف منها ان تتكلم الجيوش العربية بلغة واحده فذلك هو السبيل الوحيد لتعاونها فى الميدان اذ كيف يمكن ان تتعاون هذه الجيوش وهى تتكلم لغات مختلفة .. ؟

خاصة كما ان من ركائز التعاون اشاعة الانسجام الفكرى بين العسكريين فى الجيوش العربية وتوحيد مصطلحاتهم العسكرية هو الذى يشيع هذا الانسجام فاذا صدر كتاب عسكرى فى القاهرة مثلا أمكن تدارسه فى الاقطار العربية الأخرى .

أما اذا بقيت المصطلحات العسكرية غير موحدة فان هذا الكتاب يقرأه جيش الجمهورية العربية وحده . ولا تقرأه جيوشنا ..

وهذه اللجنة ستصدر اربعة معجمات عسكرية..

ا ـ معجم انجليزى عربى .

ب ـ معجم فرنسى عربى

جـ ـ معجم روسى عربى

د ـ معجم عربى انجليزى فرنسى روسى . يغطى المعجمات الثلاث .

ان توحيد المصطلحات العسكريه ليس ضروريا للجيوش العربيه فقط بل هو ضرورى للمثقفين من غير العسكرين وذلك ليكون عونا لهم عند ترجمة الكتب العسكريه الاجنبيه .

ان واجب اللجنه واجب تاريخى وعليهاحمل ثقيل ولكن يستحق الصبر والعناء والتضحية بالجهد والمال .

ويبلغ عدد المصطلحات العسكريه ١٨ألف مصطلح عسكرى وقد استطاعت اللجنة خلال شهر واحد توحيد الف وخمسمائة مصطلح هى عبارة عن حرف ا وحرف ب والمصطلحات العسكرية العامة .

وتتألف اللجنه من ضابط واحد من كل جيش عربى . وضابط من القيادة العربيه الموحدة . وممثل لمجمع اللغه العربية .

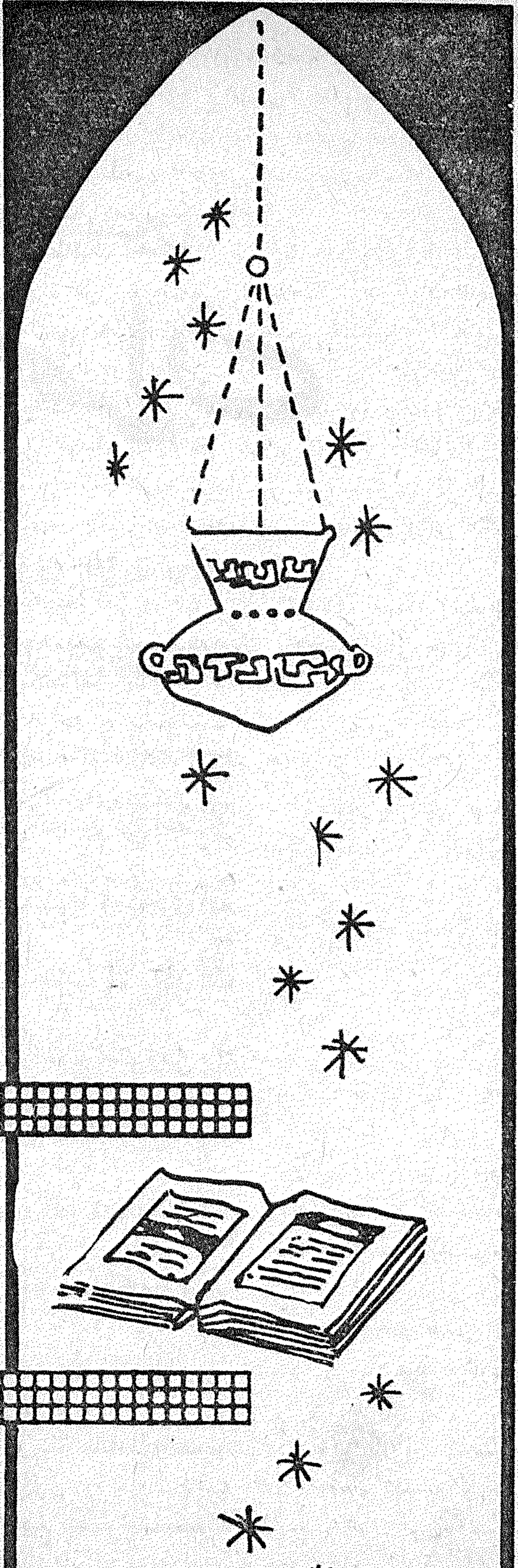

تفسِيرُ القرآنُ الكرِيم

تابع تفسير

سورة آل عمران

من أول الآية ١٤٣ الى آخر الآية ١٦٧

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾
وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا
اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا

وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ
أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ
أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ
وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ
إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ
وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا
وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾
۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

١٤٣ ـ لقد كنتم تطلبون الموت فى سبيل الله من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله ، فقد رأيتم الموت حين قتل اخوانكم بين أيديكم وأنتم تنظرون .

١٤٤ ـ لما أشيع قتل محمد فى غزوة أحد ، هم بعض المسلمين بالارتداد ، فأنكر الله عليهم ذلك قائلا : ليس محمد الا رسولا قد مات من قبله المرسلون أمثاله ، وسيموت كما ماتوا ، وسيمضى كما مضوا ، أفئن مات أو قتل رجعتهم على أعقابكم الى الكفر . ومن يرجع الى الكفر بعد الايمان فلن يضر الله شىء من الضرر ، وانما يضر نفسه بتعريضها للعذاب ، وسيثيب الله الثابتين على الاسلام الشاكرين لنعمه .

١٤٥ ـ لايمكن أن تموت نفس الا باذن الله ، وقد كتب الله ذلك فى كتاب مشتمل على الآجال . ومن يرد متاع الدنيا يؤته منها ، ومن يرد جزاء الآخرة يؤته منها . وسيجزى الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهاد وغيره .

١٤٦ ـ وكم من الأنبياء قاتل مع كل منهم كثيرون من المؤمنين المخلصين لربهم ، فما جبنت قلوبهم ولا فترت عزائمهم ، ولا خضعوا لأعدائهم بسبب ما أصابهم فى سبيل الله ، لانهم فى طاعته والله يثيب الصابرين على البلاء .

١٤٧ ـ وما كان قولهم عند شدائد الحرب الا أن قالوا : ربنا ، تجاوز عما يكون منا من صغائر الذنوب وكبائرها ، وثبتنا فى مواطن الحرب ، وانصرنا على أعداء دينك ، الكافرين بك وبرسالة رسولك .

١٤٨ ـ فأعطاهم الله النصر والتوفيق فى الدنيا ، وضمن لهم الجزاء الحسن فى الآخرة ، والله يثيب الذين يحسنون أعمالهم .

١٤٩ ـ يايها الذين آمنوا ان تطيعوا الكفار اعداءكم الذين اعلنوا الكفر او اخفوه ، فيما يدعونكم اليه من قول أو فعل، يقلبوكم الى الكفر ، فتخسروا الدنيا والآخرة .

١٥٠ ـ والله هو ناصركم .

وَلَا مَا أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ
عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ
ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟
وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا

ولا تخشوهم لان الله أعظم الناصرين .

١٥١ ـ لايضعفكم ما أصابكم يوم أحد فسنقذف الخوف ، والفزع فى قلوب أعدائكم ، لاشراكهم بالله آلهة لم ينزل الله بعبادتها حجة ، لانها لاتنفع ولا تضر ، ومستقرهم النار فى الآخرة وبئس هذا المكان للظالمين مقاما .

١٥٢ ـ وان نصر الله محقق واقع ، ولقد صدقكم الله الوعد بالنصر حين قتلتم كثيرين منهم أول الامر بارادته ، حتى اذا ضعف رأيكم فى القتال ، واختلفتم فى فهم أمر النبى اياكم بالمقام فى مراكزكم ، فرأى بعضكم ترك موقفه حيث ظهر النصر ، ورأى البعض البقاء حتى النهاية ، وعصى فريق منكم امر الرسول فمضى لطلب الغنيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر ، وصرتم فريقين منكم من يريد متاع الدنيا ، ومنكم من يريد ثواب الآخرة ، لما كان ذلك ، منعكم نصره ثم ردكم بالهزيمة عن اعدائكم ، ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره . ولقد تجاوز عنكم لما ندمتم . والله ذو الفضل عليكم بالعفو وقبول التوبة .

١٥٣ ـ اذكروا أيها المؤمنون حالكم وقت أن كنتم تبعدون فى الارض هاربين ، ولا تلتفتون لأحد من شدة الهرب ، والرسول يناديكم من ورائكم لترجعوا ، فجازاكم الله حزنا غامرا كالغمة ، توالى على نفوسكم لكى لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وماأصابكم من الهزيمة . والله عليم بمقصدكم وأعمالكم .

١٥٤ ـ ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغم نعمة الامن ، وكان مظهرها نعاسا يغشى فريق الصادقين فى ايمانهم وتفويضهم لله ، أما الطائفة الاخرى فقد كان همهم انفسهم لايعنون الا بها ، ولذلك ظنوا بالله الظنون الباطلة كظن الجاهلية ، يقولون مستنكرين : هل كان لنامن أمر النصر الذى وعدنا به شيء ؟ قل ـ أيها النبى ـ الامر كله فى النصر والهزيمة لله ، يصرف

ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟
وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ
حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾
إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ
فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ
بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ

الامر فى عباده ان اتخذوا أسباب النصر ، او وقعوا فى أسباب الهزيمة . وهم اذ يقولون فى أنفسهم : لو كان لنا اختيار لم نخرج فلم نغلب . قل لهم . لو كنتم فى منازلكم وفيكم من كتب عليهم القتل لخرجوا الى مصارعهم فقتلوا . وقد فعل الله ما فعل فى احد لمصالح جمة ، ليختبر ما فى سرائركم من الاخلاص وليطهر قلوبكم ، والله يعلم ما فى قلوبكم من الخفايا علما بليغا .

١٥٥ — ان الذين انصرفوا منكم عن الثبات فى أماكنهم — يا معشر المسلمين — يوم التقى جمعكم وجمع الكفار للقتال بأحد ، انما جرهم الشيطان الى الزلل والخطأ بسبب ماارتكبوا من مخالفة الرسول ، ولقد تجاوز الله عنهم ، لانه كثير المغفرة واسع الحلم .

١٥٦ — يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا فى شأن اخوانهم اذا ابعدوا فى الارض لطلب العيش فماتوا أو كانوا غزاة فقتلوا ، لو كانوا مقيمين عندنا ماماتوا وماقتلوا ، فقد جعل الله ذلك القول والظن حسرة فى قلوبهم ، والله هو الذى يحيى ويميت ، وبيده مقادير كل شىء ، وهو مطلع على ما تعملون من خير أو شر ، ومجازيكم عليه .

١٥٧ — ولئن قتلتم فى الجهاد او متم فى أثنائه ، لمغفرة من الله لذنوبكم ، ورحمة منه لكم ، خير مما تجمعونه من متاع الدنيا لو بقيتم .

١٥٨ — ولئن متم او قتلتم فى الجهاد فلن تضيع اعمالكم ، بل ستحشرون الى الله فيثيبكم على جهادكم واخلاصكم .

١٥٩ — كان رحمة من الله بك وبهم ان لنت لهم ولم تغلظ فى القول بسبب خطئهم ، ولو كنت جافى المعملة ، قاسى القلب لتفرقوا من حولك ، فتجاوز عن خطئهم ، واطلب المغفرة لهم ، واستشرهم فى الامر متعرفا آراءهم مما لم ينزل عليك فيه وحى ، فاذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه متوكلا على الله ، لان الله يحب من يفوض أموره اليه .

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَ اللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ
مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ
عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ
قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ
مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

١٦٠ – ان يؤيدكم الله بنصره – كما حصل يوم بدر – فلن يغلبكم أحد . وان قدر لكم الخذلان لعدم اتخاذكم أسباب النصر – كما حصل يوم أحد – فلا ناصر لكم سواه . وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون ويفوضوا أمرهم اليه.

١٦١ – ماصح لنبى أن يخون فى المغنم كما أشاع المنافقون الكذابون ، لان الخيانة تنافى النبوة ، فلا تظنوا به ذلك . ومن يخن يأت يوم القيامة بإثم ما خان فيه ، ثم تعطى كل نفس جزاء ما عملت وافيا ، وهم لايظلمون بنقصان الثواب أو زيادة العقاب .

١٦٢ ليس من سعى فى طلب رضا الله بالعمل والطاعة ، مثل الذى باء بغضب عظيم من الله بسبب المعصية . ومصير العاصى جهنم وبئس ذلك المصير .

١٦٣ – ليس الفريقان سواء بل هم متفاوتون عندالله تفاوت الدرجات ، والله عالم بأحوالهم ودرجاتهم ، فيجازيهم على حسبها .

١٦٤ – لقد تفضل الله على المؤمنين الاولين الذين صحبوا النبى ، بأن يبعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آيات الكتاب ، ويطهرهم من سوء العقيدة ، ويعلمهم علم القرآن والسنة ، وقد كانوا من قبل بعثه فى جهالة وحيرة وضياع.

١٦٥ – أجزعتم وتخاذلتم ، وقلتم مستغربين حين أصابتكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم ضعفيها يوم بدر : من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا ؟ قل : الذى أصابكم من عند أنفسكم بسبب مخالفتكم الرسول . والله قادر على كل شىء ، وقد جازاكم بما عملتم .

١٦٦ – ان الذى أصابكم أيها المؤمنون يوم التقى جمعكم وجمع المشركين بأحد واقع بقضاء الله ، وليظهر للناس علمه من ايمان المؤمن حقا .

١٦٧ – وليظهر نفاق الذين نافقوا ، وهم الذين قيل لهم حين انصرفوا يوم أحد عن القتال : تعالوا قاتلوا لأجل طاعة الله أو قاتلوا دفاعا عن أنفسكم، قالوا : لو نعلم أنكم ستلقون قتالا لذهبنا معكم – وهم حين قالوا هذا القول أقرب للكفر منهم للايمان ، يقولون بأفواههم ليس هناك حرب ، مع أنهم يعتقدون فى قلوبهم أنها واقعة. والله أعلم بما يضمرون من النفاق ، لانه يعلم نتيجة أسرارهم .

محمد صلى الله عليه وسلم

السنة النبوية الشريفة

الباب الثالث

من الجهر بالدعوة إلى وفاة أبي طالب وخديجة

قبوله عليه السلام للأذى أكسبه عطف بعض قومه

قال ابن اسحق : حدثني رجل من اسلم كان واعية ، أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا ، فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره . فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه . فعمد الى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ان أقبل متوشحا قوسه ، راجعا من قنص له (١) . وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له ؛ وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة . وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى فى قريش وأشد شكيمة . فلما مر بالمولاة ، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته قالت له : يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد أنفا من ابى الحكم بن هشام ؟ . وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبه ، وبلغ منه مايكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم ! فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ؛ فلم يقف على أحد ، معدا لأبى جهل اذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا فى القوم ، فأقبل نحوه ، حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟! فرد ذلك على ان استطعت !! فقامت رجال من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل . فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فانى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة رضى الله عنه على اسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ؛ وأن حمزة سيمنعه . فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه » .

رواه ابن هشام فى سيرته « السيرة النبوية لابن هشام ص ٢٩١ » .

---

(١) قنص : أى صيد ويتبين من هذا أن قبول النبى صلى الله عليه وسلم لايذاء أبى جهل وعدم اعتراضه عليه اكسبه عطف مولاة ابن جدعان فهى التى أبلغت حمزة بما صنع ابو جهل بابن أخيه مع أنها كانت مشركة ، وكان سببا فى دخول حمزة ، ذلك الطود الشامخ . فى هذا الدين الحنيف ، وهذا الايذاء البالغ كان سببا فى اسلام عمر فى الوقت الذى كان يهم فيه بقتل النبى عليه السلام . كما سيأتى بعد هذا .

اسلام عمر

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اللهم أعز الاسلام بأحب هذين الرجلين اليك، بأبى جهل أو بعمر (١) بن الخطاب فكان أحبهما الى الله عز وجل عمر بن الخطاب •

رواه احمد واللفظ له • ورواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح غريب « الفتح الربانى ج ٢٠ ص ٢٣٠ »

أمر النبى عليه السلام أصحابه بالصبر على الاذى وتبشيرهم بأن العاقبة لهم

عن خباب بن الأرت :

أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل الكعبة متوسدا بردة له فقلنا :

« يا رسول الله ادع الله تبارك وتعالى لنا ، واستنصره . قال : فاحمر لونه أو تغير . فقال : « لقد كان من كان قبلكم يحفر له حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق ما يصرفه عن دينه • ويمشط بأمشاط الحديد •

---

(١) كان اسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة : وذكر ابن اسحاق فى سبب اسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطاب ـ وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ـ كانت قد أسلمت واسلم زوجها سعيد بن زيد ، وهم مستخفون باسلامهم من عمر . وكان نعيم بن عبدالله ، رجل من بنى عدى قد أسلم أيضا مستخفيا باسلامه من قومه . وكان خباب بن الارت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن . فخرج عمر يوما متوشحا سيفه ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورهطا من اصحابه . فذكروا له انهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة وأبوبكر بن أبى قحافة الصديق وعلى بن ابي طالب ، رضى الله عنهم ، فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم =

= بمكة ولم يخرج فيمن خرج الي ارض الحبشة ، فلقيه نعيم ابن عبدالله ، فقال : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريد محمدا هذا الصابىء الذى فرق امر قريش ، وسفه احلامها ، وعاب دينها ، وسب الهتها ، فاقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا ؟ افلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه . فعليك بهما ، فرجع عمر عائدا الي أخته فاطمة وعندها خباب بن الارت ، معه صحيفة فيها (طه) يقرئها اياها . فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم ، أو فى بعض البيت ! وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين اتى الى الباب قراءة خباب عليها ، فلما دخل قال : ما هذا الهينمة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى تالله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها ، فشجها ، فلما فعل ذلك ، قالت له اخته وختنه : نعم قد اسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما باخته من الدم ، ندم على ما صنع وارعوى ، وقال لاخته : اعطنى هذه الصحيفة التي كنتم تقرأون آنفا ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك . قالت له أخته : انا نخشاك عليها ، قال : لا تخافى ، وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه ، فقالت له : يا أخى انك نجس على شركك ، وانه لا يمسها الا الطاهر ، فقام عمر واغتسل فأعطته الصحيفة وفيها (طه) . فقرأها . فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له : يا عمر ، والله انى لارجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه . فانى سمعته وهو يقول : (اللهم أيد الاسلام بابي الحكم بن‌هشام ، أو بعمر بن الخطاب) فالله الله ياعمر . فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خباب علي محمد حتى اتيه فاسلم فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد الى رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه ، فضرب عليهم الباب . فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف . فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع . فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ! فقال حمزة بن عبد المطلب ، فاذن له ، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه . فقال رسول‌الله =

ما دون (١) عظم من لحم أو عصب ، ما يصرفه عن دينه . وليتمن الله تبارك وتعالى هذا الامر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء (٢) الى حضرموت (٣) لا يخشى الا الله (٤) تعالى ، والذئب على غنمه . ولكنكم تعجلون »

رواه أحمد واللفظ له ، ورواه البخاري وأبو داود والنسائي (الفتح الرباني ج ٢٠ ص ٢٢٢)

مقاومته عليه السلام للكفر عمليا بتحطيمه الاصنام التي على ظهر الكعبة

عن علي رضي الله عنه قال :

انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجلس » ، وصعد على منكبي . فذهبت لأنهض به ، فرأى مني ضعفا فنزل . وجلس نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال : « اصعد على منكبي » . قال : فصعدت على منكبه . قال : فنهض بي . قال: فانه يخيل الي أني لو شئت لنلت أفق (٥) السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر (٦) أو نحاس ، فجعلت أزاوله (٧) عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه ، حتى اذا استمكنت منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقذف به » فقذفت به فتكسر كما تنكسر القوارير (٨) ثم نزلت فانطلقنا أنا ورسول صلى الله عليه وسلم نستبق (٩) توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس .

رواه أحمد واللفظ له : ورواه أبو يعلى والبزاز ، ورجال الجميع ثقات (الفتح الرباني ج ٢٠ ص ٢٢٤)

= صلى الله عليه وسلم : ائذن له . فاذن له الرجل . ونهض اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة واخذ بحجزته ، أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال : (ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى ان تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة) فقال عمر : يارسول الله جئتك لاؤمن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله . قال : فكبر رسول الله صلي الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمر قد اسلم . فتفرق اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم من مكانهم ، وقد عزوا في انفسهم حين اسلم عمر مع اسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتصفون بهما من عدوهما .

وكان ابن مسعود يقول : ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى اسلم عمر ، فلما اسلم عمر قاتل قريشا حتى صلي عند الكعبة وصلينا معه .

(١) ما دون عظم من لحم أو عصب : أى ما تحت عظمه

(٢) صنعاء : عاصمة اليمن وقتذاك .

(٣) حضرموت : بلدة باليمن بينها وبين صنعاء مسافة بعيدة

(٤) لا يخشى الا الله : أى أن المسافر الذى يقطع هذه المسافة البعيدة في الصحراء ، سيكون آمنا لا يخاف أحدا من الكفار ، لان البلاد جميعا ستكون دار اسلام .

(٥) أفق السماء : أى ناحيتها .

(٦) تمثال صفر أو نحاس : صفر بضم الصاد وسكون الفاء نوع من النحاس .

(٧) فجعلت أزاوله : أى أعالجه لاقتلعه من مكانه .

(٨) القوارير : أواني الزجاج .

(٩) نستبق : أى نعدو كعدو المتسابقين خوفا من أن يراهما أحد ، وكان ذلك في أول الدعوة قبل الهجرة ، وعمل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك شبيه بعمل ابراهيم عليه السلام اذ حطم الاصنام .

التشريع - الفقه - الأبحاث
الدراسات الصوفية فى الإسلام

والشمس وضحاها

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

❋ والشمس وضحاها
❋ والقمر اذا تلاها
❋ والنهار اذا جلاها
❋ والليل اذا يغشاها
❋ والسماء ومابناها
❋ والأرض وما طحاها
❋ ونفس وما سواها
❋ فألهمها فجورها وتقواها
❋ قد أفلح من زكاها
❋ وقد خاب من دساها
❋ كذبت ثمود بطغواها
❋ اذ انبعث أشقاها
❋ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها
❋ فكذبوه فعقروها
❋ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها
❋ ولايخاف عقباها

سورة مكية

هذه السوره مكية باتفاق ، وقد ذكرنا من قبل فى فضائلها الحديث الوارد فى الصحيحين عندما عاتب رسول الله معاذ بن جبل لاطالته القراءة فى الصلاة وقال له : هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى أو والشمس وضحاها أو والليل اذا يغشى .

والشمس

يقسم القرآن بالشمس للفت نظر الانسان الى عظم هذه الآية ودلالتها بالتالى على عظمة خالقها .

والشمس هى أعظم الظواهر الفلكية التى صدعت الانسان بكنهها ، وكلما ازداد علما ، كلما ازداد من من أمرها عجبا (١)

وقد احتفى القرآن بالشمس فذكرها فى القرآن ٣٢ مرة ، وهو فى كل مرة يكشف عن جانب من نواميسها ولقد جاءت فترة فى مستهل القرن التاسع عشر ، ظن فيها بعد اكتشاف دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ، أن الشمس ثابتة لاتتحرك

---

(١) تبعد الشمس عن الارض بمقدار ٩٢٫٨٠٠٫٠٠٠ ميلا تقريبا وهى عبارة عن كرة غازية ملتهبه يبلغ طول قطرها ٨٦٤٫٠٠٠ ميلا أى قدر قطر الارض ١٠٩ مرة وتبلغ كتلتها ٣٥٠ الف مرة كتلة الأرض وكل سنتى متر مربع من سطح الشمس يشع ضوءا بما يعادل ٥٠ ألف شمعة وتبلغ الحرارة فى مركزها ٢٠ مليون درجة ..

حول القضاء والقدر والجبر والاختيار

ولكن بعد أن تقدم العلم أصبحنا نعرف أن الشمس تدور حول نفسها ، وانها بمجموعتها تتحرك كذلك وصدق القرآن العظيم عندما يقول :

*** والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (يس ٣٨)**

*** لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون يس٤٠)**

وضحاها

ضحى الشمس : ضوءها

وحق أن يقسم القرآن بضوء الشمس واذا كان الأقدمون لايرون فى هذا الضوء الا انه صانع النهار الذى يكشف عن الموجودات ، فنحن نعلم اليوم أن الضوء هو مصدر كل الموجودات .

فالمادة والطاقة على ما يقول علماء الطبيعة كلاهما مؤلف من ذرات ، وهذه الذرات ليست سوى شحنة من الكهرباء الموجبة (بروتونات) تدور حولها شحنات من الكهرباء السالبة (الكترونات) وهذه الشحنات الكهربائية هى أمواج كهرومغناطيسية ، وهى بدورها احدى حالات الاشعاع الذى هو احد نتاج الضوء ، وهذا الذى يقول به الطبيعيون من أن الضوء مصدر كل شيء لايدهش المؤمنين الذين يتلون فى القرآن : **الله نور السموات والأرض** . (النور ٣٥)

والقمر اذا تلاها

واذ تذكر الشمس ، فان الذهن ينتقل على الفور الى القمر ، **الذى يظهر فى السماء عندما تغيب** الشمس ، والذى يبدأ هلالا حتى يصبح بدرا كاملا

واذا كان نور الشمس يملأ الكون بالحيوية والنشاط والحرارة ، فان ضوء القمر على العكس من ذلك يبعث على الهدوء والسكينة والخيال والشاعرية .

وقد أصبحنا اليوم نعلم الكثير من أمر القمر **ونحن نوشك أن نصل اليه ، وهو على أرجح الآراء جزء انفصل عن الأرض وظل يدور حولها بحكم الجاذبية وهو كرة صخرية باردة معتمة ،وليس هذا** الضوء الذى يشع منه سوى انعكاس جزء بسيطمن أشعة الشمس التى تسقط عليه فنوره ليس أصيلا ولكنه مستمد من نور الشمس (١)

وهكذا يكشف العلم فى كل يوم عن اعجاز القرآن الذى يفرق دائما بين نور الشمس ونور القمر

*** وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (نوح ١٦)**

فالشمس هى السراج المتقد المشتعل بنفسه ،اما القمر فليس سوى نور منعكس

والنهار اذا جلاها

جلاها : كشفها وأظهرها

يقول بعض المفسرين ان الضمير فى جلاها يعود على الشمس ، بمعنى أن النهار يجلى الشمسويظهر قرصها ، وهذا قول مردود ، لأن الشمس هىصانعة النهار وليس العكس ، والصحيح أنالضميريعود على الأرض ، حيث يجليها النهار ويكشف عن موجوداتها وكائناتها وأسرارها .

والليل اذا يغشاها

أى عندما يغشى الليل الأرض ، فيغطيها ويلفها فى الظلام .

ويتابع بعض المفسرين قولهم من أن الضميريرجع الى الشمس فيقولون ان الليليغشى الشمس ويحجب ضوءها ، وهو كما قدمنا قول غير سائغ لأن احتجاب الشمس هو الذى يؤدى الى الليل وليس العكس ، والصحيح أن الضمير يعود على الارض ، ويكون

---

(١) يبلغ قطر القمر ٢٢٠٠ميل ويبلغ حجمه ١/٥٠ من حجم الارض وهو يبعد عن الارض ٢٤٠ الف ميل ولا يحيط به غلاف جوى ومن المتوقع أن يصل اليه البشر فى السبعينات .

المعنى هو لفت النظر لآية الليل عندما يغشى الأرض فيغطيها ويلفها فى الظلام

والسماء وما بناها

ولقد فصلنا الحديث عن السماء فى سورتى السماء والطارق والأعلى وكيف أن المجوعة الشمسية كلها وكل النجوم التى نراها لاتعدو أن تكون ذرات هائمة فى هذا الفضاء اللانهائى ·

ويرى بعض المفسرين أن (ما) فى كلمة (وما بناها) مصدرية والمعنى والسماء وبنيانها أووبنائها قال بذلك (قتاده واختاره المبرد) ولكن البعض الآخر (الحسن ومجاهد) يرون ان المعنى (ومن بناها) وقد اختار الطبرى هذا الرأى ، ونحن أيضا نختاره ، لأن السياق فى الآيات التالية تقتضيه عندما نصل الى آية (ونفس وما سواها) فألهمها (فجورها وتقواها)

بناء السماء

ويقف علماء الطبيعة والفلك مذهولين مشدوهين أمام بناء السماء العجيب ، وكيف تتماسك الاجرام السماوية ، ويلتزم كل منها مداره فلا يصطدم ببقية الأجرام ويحاول البعض ان يرجع الى قانون الجاذبية تكوين السماء ونظامها ، ولكن منشىء الجاذبية أى صاحب نظريتها ونعنى به نيوتن ينكر أن يكون باستطاعة قانون الجاذبية أن يفسر كل ما يجرى فى السماء ، ولنستمع اليه وهو يدعو للايمان بالله بعد ان نفكر فى ملكوت السماء والأرض ·

من المحقق أن الحركات الحالية للكواكب لايمكن ان تنشأ عن مجرد فعل الجاذبية العامة لان هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس فيجب لكى تدور هذه **الكواكب حول الشمس ، أن توجد يد الهية تدفعها** على الخط المماس لمداواتها ، ومن الجلى الواضح أنه **لايوجد سبب استطاع أن يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران فى جهة واحدة وعلى مستوى واحد بدون حدوث أى تغيير يذكر فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه ، وغير هذا ففى تكوين الأجرام السماوية كيف أن الذرات** المبعثرة استطاعت أن تنقسم الى قسمين ، القسم **المضىء منها انحاز الى جهة لتكوين الاجرام المضيئة والقسم المعتم انحاز الى جهة لتكوين الاجسام المعتمة كالكواكب وتوابعها كل هذا لايعقل حصوله الا بفعل عقل لاحد له ، اله منزه عن الجسمانية حى حكيم موجود فى كل مكان يرى حقيقة كل شىء فى ذاته ويدركه اكمل ادراك)**

هكذا ينتهى العلم دائما الى حيث يقرر الدين

والارض وما طحاها

طحاها : أى بسطها ووسعها · وقال بعض **المفسرين بان معناها قسمها ولكن عامة المفسرين على** الرأى الاول وهو أنها بمعنى بسطها (والأرض **فرشناها فنعم الماهدون)**

والقرآن فى هذه الآية يلفت النظر الى أعجب حقائق الارض الكونية التى تذهل الراسخين فى العلم · فالأرض كما أصبح معروفا ومقررا وثابتا بالتجربة الحسية ، ان الأرض كرة تدور حول نفسها مرة كل اربع وعشرين ساعة وتدور فى مدار حول الشمس مرة فى كل عام مما يجعلها تنطلق فى الفضاء بسرعة قدرها ١٨ر٥ ميلا فى الثانية الواحدة ومع ذلك فان الأرض تبدو ثابتة كالطود الراسخ ، منبسطة كأكمل ما يكون الانبساط

ونحن نستخدم فى الرى الصناعى انحدار الأرض من جانب الى آخر حسب ما نشاء ونختار ، بل ان نهرا كنهر النيل ينحدر فى مجراه اربعة الاف كيلو متر دون أن نحس أى أثر لكروية سطح الأرض فلا عجب اذا لم يستطع الانسان أن يتصور الا انالارض مسطحة ، ومع ذلك فهى كروية وهى رغم ثباتها الظاهرى تنطلق بسرعة مخيفة فى الفضاء ·

وصدق القرآن العظيم عندما يشير الى هذه الظاهرة فى سورة النمل :

*** وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون (٨٨ النمل)**

ونفس وماسواها

سوى بمعنى عدل وأتقن وجعل الشىء سويا أى تاما ·

وهكذا مضى القرآن كما هو منهاجه ، بعد أن ذكر بالشمس والقمر والنهار والليل ، والسماء والأرض فيقسم بالنفس الانسانيه باعتبارها أكمل الكائنات وأعلاها لاختصاصها بالعقل الذى هو قبس الهى ·

فألهمها فجورها وتقواها

لم ترد مادة الالهام فى القرآن الكريم الا فى هذه **الآية ، فلا عجب اذا أدى ذلك الى افتراق المفسرين** حول معنى الكلمة وبالتالى مدلول الآية فى مجموعها

فقيل : الهم بمعنى عرف وأرشد الانسان الى التمييز بين الحسن والقبيح ، والخير والشر ، فهى **من** قبيل آية (هديناه النجدين) وان النجاح والفلاح فى الأخذ بأسباب التقوى ، والخيبة والهلاك فى سلوك طريق الفجور كما توضح ذلك الآيتان **التاليتان (قد أفلح من زكاها ــ وقد خاب من دساها) واستدل بهذه الآيات على حرية الانسان فى الاختيار ومسئوليته عن أعماله ٠**

وهذا هو رأى جمهور السنة والجماعة ٠ على أن أقواما آخرين ، اتخذوا من هذه الآية دليلا على ما يقولون به ، من أن الانسان مجبر فى كل اعماله بما قضى عليه القدر منذ الأزل

وقد ورد فى بعض الأحاديث ما يعزز هذا النظر اذا لم يضم الى هذه الأحاديث ما يكملها من أحاديث أخرى

ومن بين هذه الاحاديث ما جاء فى صحيح مسلم على لسان ابى الأسود الدؤلى نقلا عن عمران بن حصين قال :

قال لى عمران بن حصين ، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشىء قضى ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وثبتت به الحجة عليهم فقلت بل شىء قضى ومضى عليهم ، فقال :

أفلا يكون ظلما ؟ قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شىء خلق الله وملك يديه فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون ٠

فقال لى : يرحمك الله ، انى لم ارد بما سألتك الا لأحرز عقلك (أى لأمتحن عقلك) ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشىء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق ،أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال : لا بل شىء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عزوجل (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها)

وقد تكرر هذا المعنى الذى ورد عن الرسول بمناسبة هذه الآية بصدر آية أخرى من سورة الليل

ذكر ابن كثير (١) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الفرقد فاتى **رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: ما منكم من أحد ــ أو ما من نفس منفوسة ــ الا كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ،فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير الى أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير الى** أهل الشقاء ــ **فقال : أما اهل السعادة فييسرون لعمل** أهل السعادة **وأما أهل الشقاء فييسرون الى عمل** أهل الشقاء ثم قرأ : **فأما من أعطى واتقى وصدق** بالحسنى فسنيسره لليسرى ٠٠ **الآية وروى الترمذى** **عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقضاء خيره وشره وحتى** يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وان ما أخطأه لم **يكن ليصيبه ٠**

حول القضاء والقدر

وهكذا نجد أنفسنا وسط موضوع القضاء والقدر وهو الموضوع الذى أعيا العقول مذ كان الانسان انسانا ، ولم تستطع الفلسفة بكل تفكيرها الحر ،ولا العلوم الطبيعية أن تصل فيه الى رأى يحسم القضية وليس سوى الايمان بالله والانقياد والاستسلام الى تعاليم الدين ، ما يغمر قلب الانسان بالرضا والسكينة

آيات وآيات

لقد تضمن القرآن الكريم آيات تنطق بان الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شىء ومقدر كل شىء وأن ليس للانسان ارادة أو مشيئة الى جوار مشيئته وان الهداية والضلالة بارادته ، مثل :

*** ولو شاء ربك ما فعلوه (الانعام ١١٢)**

*** وما تشاءون الا أن يشاء الله (الانسان ٣٠)**

*** من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون (الاعراف ١٧٨)**

---

(١) أورد ابن كثير هذا الحديث على اختلاف فى الروايات كما جاء فى كتب الاحاديث ولكن المعنى واحد ٠

* فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم (ابراهيم)

على أن هذه الآيات يجب أن تقرن دائمابالآيات الأخرى التى تنطق بأن ارادة الله اقتضت ان يزود الانسان بالعقل وما يستتبع ذلك من حرية الارادة والاختيار من مثل قول القرآن الكريم

* فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى .. طه ١٢٣)

* وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (الكهف ٢٥)

* وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى (النجم ٣٩ - ٤١)

* ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (الرعد ١١)

* وما يضل به الا الفاسقين (البقرة ٢٦)

وقد تبدو هذه الآيات وكأن بينها تعارض وتناقض ولكن المؤمنين يعرفون بقلوبهم ووجدانهم ، أن الله سبحانه وتعالى يجل عن التعارض والتناقض ، وكل مافى الأمر أن عقولنا تعيا عن ادراك بعض حكمه الخفية

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المعنى :

* هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب (آل عمران ٧)

رأى لنا

ولقد ناقشت هذا الموضوع مناقشة حرة مستفيضة فى كتابى (الطاقة الانسانية)

وخلاصة ما قلته هناك ، أننا لانستطيع أن ننكر الملموس والمحسوس من طبيعتنا وهو قدرتنا على التفكير والتمييز والاختيار وأننا نستمع فى داخل نفوسنا الى مايدلنا على الخير والحق والحسن ،ولكن اهواءنا قد تتغلب فنندفع فى الاتجاه المضاد واننا قد نندم على ذلك ونتوب ، وقد نصر ونمضى رغم الصوت الذى ينادينا ويحذرنا .

وذلك كله يدل على ان الله قد منح الانسان قدرا من الحرية ليتحرك فيه ويقرر اختياره فى هذا الامر أو ذاك وليس أدل على ذلك ، من انه بعث الينا بالرسل وانزل الكتب لتعلمنا وتهدينا وترشدنا . بل ان المجتمع الانسانى كله يقوم على فكرة التربية والتهذيب والتعليم

وتعويد الناس على احترام القوانين ، وكل ذلك يكون لامعنى له ولا مفهوم ، اذا لم يكن الانسان قادرا على التمييز ، قادرا على الاختيار . وفى ذلك يقول حجة الاسلام الغزالى :

اعلم أن من ظن أن الله تعالى قد أرسل الرسل وأنزل الكتب وأمر ونهى ووعد وتوعد لغير قادر مختار فهو مختل المزاج يحتاج الى علاج)

فالانسان يجب أن يعرف أنه مسئول وانه يجب أن يحتمل مسئولية أعماله وان يجتهد ما وسعه الجهد للقيام بالأعمال الصالحة وان يبتعد عن الأعمال الضارة بنفسه وبالجماعة معملا عقله مستمعا الى صوت الضمير وأوامر الشريعة .

على أن يكون مؤمنا فى قرارة نفسه أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء ، ومدبر كل أمر .

ليست قضية عقلية

ولا ينبغى للمؤمن أن يحاول بعقله التوفيق بين هاتين القضيتين أو ان ينحاز الى احداهما دون الأخرى فكل منها يمت الى عالم غير العالم الآخر ، فقضية الحرية وقدرة الانسان على الاختيار تمت الى عالم الشهادة ، عالم الواقع المحسوس ، حيث نروح ونجيء ونتعلم ونتطور ونجاهد ونكافح لتحسين حظوظنا

بارادتنا وحسن اختيارنا وتدبير عقولنا والانتفاع بتجاربنا وتجارب الآخرين وكل هذا حق وواقع ومحسوس ٠

والى جوار هذا الواقع ، الى جوار عالم الشهادة هناك عالم الغيب الذى هو النتيجة الحتمية لوجود الله عز وجل ، والذى نؤمن به ، ونعبده باطاعة أوامره ، ومن أوامره أن نعمل وان ننطلق وان نجتهد على ان لاتفارقنا العقيدة لحظة واحدة ، انه الغالب على أمره ، المنفذ لمشيئته الفعال لما يريد ، وان كل ما يجرى أو يقع فى الوجود قد سبق فى علمه ويتم بارادته ٠

والعقل أعجز عن الاحاطة بعالم الغيب الذى هومن خصائص الألوهية ، وكل ما يتعلق بالألوهية وماهيتها وغاياتها فلا قبل للعقل بادراكه ، لان العقل **جزء والألوهية هى الكل ، وما كان للجزء ان يدرك الكل**

هل التناقض أساس الطبيعة ؟

وليس أدل على أن هذه القضية مما يعجز العقل عن ادراكه ، أن الماديين الذين لايعترفون بالله واتخذوا المادة نقطة ابتداء لمباحثهم وأفكارهم قد جعلوا التناقض الاساس الذى تقوم عليه الطبيعة واعتبروا (الديالكتيك) أى التناقض هو سر كل شيء ومفتاح كل أمر ، فاذا تناقضت أعمالهم مع اقوالهم اجابوك بأن ذلك طبيعى جدا ، لأن الطبيعة هى التناقض ، وهكذا حلوا كل المشاكل بزعمهم ٠ أما نحن المؤمنين **فنؤمن أن لاتناقض ، وانما هو توافق وتناغم فى كل** شيء ، وما يبدو متعارضا أو متناقضا ، فليس ذلك الا مؤقتا والا لعجز عقولنا عن الادراك وستأتى الساعة التى نعرف فيها مالم نكن نعرف

فلننطلق فى الحياة كما أمرنا الله ولنعمل عقولنا ولنستشعر بحريتنا التى هى قوام انسانيتنا ولنحتمل كرجال مسئولية أعمالنا فى الوقت الذى نؤمن فيه بان الله لايظلم مقدار ذرة وانه أحنى علينا من الأم على وليدها ٠

*** قد أفلح من زكاها**

*** وقد خاب من دساها**

الفلاح : النجاح والفوز ٠ والخيبة ٠ الخسران ٠

والزكاة : النمو أو التطهر

ودس من التدسيس أى اخفاء الشيء فى شيء آخر

والمعنى أنه قد ربح وفاز من زكى نفسه بالاعمال الصالحة ، وطاعة الله والابتعاد عن الدنس والمعاصى ومحارم الله وهى كل ما يعود على الفرد والجماعة بالضرر ٠

وخسرت نفس من دسها فى المعاصى والضلال وهذا هو التفسير الذى يتفق وتقرير مسئولية الانسان عن أعماله وانه هو الذى يزكى نفسه بأفعاله وهو الذى يدنسها بأفعاله كذلك وهى من قبيل قول القرآن الكريم : **قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى ٠**

ولكن بعض المفسرين يجعلون الضمير فى زكاها ودساها ، عائدا الى الله سبحانه وتعالى ويكون المعنى على تقديرهم : قد أفلح من زكى الله نفسه ، وقد خاب من دس الله نفسه ٠

ويرى بعض المفسرين فى هاتين الآيتين جواب الأقسام بالشمس والقمر والليل والنهار ، بينما يرى آخرون أن هاتين الآيتين تابعتان للآية السابقة (فالهمها فجورها وتقواها) وأن جواب القسم فى الآيات التالية ٠

*** كذبت ثمود بطغواها**

ثمود قبيلة عربية من العرب البائدة طغواها :أى أى طغيانها بخروجها عن الحد فى العصيان وقال ابن عباس بطغواها أى بعذابها الذى وعدت به

*** اذ انبعث اشقاها**

انبعث : أسرع ، أشقاها : الشخص أو الأشخاص الذين تحدوا صالحا

*** فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياهـــا** رسول الله أى صالح • سقياها أى الموعد الذى حدد لتشرب فيه •

فكذبوه فعقروها

عقروها : ذبحوها •

فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها

دمدم : أى أطبق عليهم وأهلكهم •

فسواها : أى سوى الجميع فى العذاب ، أودمر مساكن القوم وجعلها مساوية للارض •

ولايخاف عقباها

أى أن الله لايخشى عاقبة عمله اذ يهلك ثمـــود ، وقيل بل فى الكلام تقديم وتأخير وان الذى لم يخف عقبى ما عمل هو هذا الشقى الذى ذبح الناقة

جواب القسم

وفى رأى البعض أن هذه الآيــات التى تضمنت قصة ثمود هى جواب الاقسام التى بدأت بهـــا السورة وتقدير الجواب المحذوف ليدمدمن الله على كفار قريش الذين يكذبون رسول الله كما دمـدم على ثمود لتكذيبهم صالحا • وأن الله قد صـــدق وعده لرسوله ، عندما تهاوى أئمة الكفر صرعى فى غزوة بدر ولم ينج قريشا ، الا أنها آمنت ودخلت فى دين الله أفواجا •

قصة صالح وثمود

وهذه الآيات القصيرة المركزة ، تروى قصة سيدنا صالح التى فصلت فى أكثر من ســورة فى القرآن ، وملخصها أن ثمود هى احدى قبائل العرب العاربة أو البائدة وكانت تعيش قبل الميلاد فيمـــا يعرف الآن بالحجر وهو موقع بين الحجازوالشام الى وادى القرى ولا تزال آثار ثمود باقية حتى اليوم ويطلق عليها اسم مدائن صالح ويزورها الســـواح والرواد • وكانت قوافل قريش على زمن رســول الله تمر على مدائن صالح فى ذهابها الى الشـــام وعودتها منه ، ولابد انها كانت تروى قصة صالح مع قومه حتى أن القرآن يذكرهم بها

وكانت ثمود تعبد الأصنام ، فأرســـل الله اليهم صالحا واعظا لهم ومذكرا اياهم بأنعم الله عليهـم ووحدانيته ، ولكن قوم صالح طلبوا منه آية لاثبات نبوته ، فجاءهم بناقة وأعلم قومه انها ناقة الله اى أنها ليست مملوكة لأحد ، وطلب منهم أن لايتعرضوا لها فى أيام حددهالتشرب فيهاوانذرهم بسوء العاقبة اذا هم تعرضوا للناقة بسوء

وسخر القوم بهذا الانذار ، وتآمروا على ذبـح الناقة وتصدى لهذا العمل أحد كبار القوم ، وقيل بل اثنان ، ويتحدث القرآن عن تسع نفر تآمـروا عـلى قتل صالح ورهطه بعد ذبح الناقة •

فلما أن ارتكبوا هذه الجـــرائم ، ولم يتوبوا ويستغفروا الله ، حق عليهم العذاب الموعود، فكانت الصاعقة التى حرقت دورهم وأزهقت أرواحهـم • وظلت مساكنهم وآثارهم الخاوية علىعروشها عبرة لمن يعتبر •

ماقيل عن الناقة

ولم يقف المفسرون القدامى عند حد الفـــاظ القرآن أو ما نقل عن الرسول (صلوات الله عليه) فى وصف الناقة وخصائصها ، بل راحوا يتقـولون على هذه الناقة مالا سند لهم فيه ، كقولهم انها خرجت من بطن صخرة كما ذكروا بيانات مستفيضة عـن جسمها وكيفية شربها وكيفية حلبها ومقامها ورغائها وتفاصيل المؤامرة على عقرها وصورة النهاية التى انتهت اليها •

وكل هذه أقوال زائدة على ماجاء فى القرآن ولم ترو عن الرسول ، ولذلك لم نشأ ان نشير اليهـــا ولا لوم ولا تثريب على المسلم ، اذا هو اسقط كل هذه المرويات التى لاسند لها(١) والحمد لله رب العالمين

---

(١) من شاء المزيد من هذه القصة فعليه مطالعة قصص الأنبياء للمرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

رويدكم ايها الأوعال
التى تحاول تحطيم شم
الجبال الراسيات فلا تعود
إلا بهشيم تذروها الواهيات"

٢٣

قبل أن نعرض للقول الفصل الذى يوضح وجه الحق الصراح ، فى ابطال فرية القول بنسخ قوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) حتى تسبب هذا القول فى فتح باب التلاعب بشريعة الاسلام بل بأركانها الخمسة التى هى عمادها ،وأى بقاء لبناء بعد هدم قوامه ، قبل أن نعرض للقول الفصل ، نقدم تحذيرا شديدا من التساهل فيما اعطته الشريعة عناية خاصة وبذلك نكون قد حطمنا اقلاما أخذت ترمرم من هنا وهناك ، وتقم من نفايات الكتب التى لاتتحرى الصواب دائما حتى صدق على مؤلفيها قول الامام الشافعى ، رضى الله عنه : (مثل الذى يأخذ العلم بلا حجة ، كمثل حاطب ليل يحمل بين جنبيه أفعى تلدغه ، وهو لايدرى .

ونحن اليوم نقول : اذا أحسنا الظن بهؤلاء الذين يتخبطون فى دين الله ،هذا التخبط الذى سلبه روحه الذى به قوامه وافقده أثره فى اصلاح الامة بسبب ما اشاعوه واذاعوه بين أبنائها بانه لا تثريب على مفرط فيما فرضه الله عليه ، ولا خوف من عقاب الله لمن قصر فى جنب الله

نقول : اذا أحسنا الظن بهم وقلنا : انهم لم يطلعوا على خوفه صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة وهلعه على ما سيصيبهم يوم القيامة ، حتى بكى وسال دمعه على خده الشريف فبلل لحيته ، اذا كانوا لم يطلعوا على ذلك فتساهلوا وحملوا الناس على التساهل فاليهم أسوق الحديث :

جاء فى تفسير المرحوم الشيخ محمد عبده لسورة **النساء ، لآية (ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما . فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا) آيات ٤٠و٤١و٤٢ من سورة النساء ، قال الاستاذ الامام بعد ما بين سبحانه فى الآيات السابقة ما أعده من العذاب لمن يتخذ الشيطان له قرينا ، وما اعده للمتقين الذين يعملون الصالحات من الأجر المضاعف فى دار النعيم ، بعد ذلك جاء سبحانه بقوله (فكيف اذا جئنا من كل أمة ..)** أى : فكيف يكون حال الناس اذا جمعهم الله ، وجاء بالشهداء عليهم وهم أنبياؤهم ؟ فما من أمة الا ولها بشير ونذير ، هذه الشهادة هى التى غفل عنها الغافلون ، وبكى لها النبى – صلوات الله عليه – عندما أمر بعض اصحابه ان يقرأ عليه شيئا من القرآن وهو – صلى الله عليه

وسلم – أعلم الناس بالقرآن،هذه الشهادة يوم يجمع الله الناس مع أنبيائهم ويتبين منها بعد مقابلة عقائدهم وأخلاقهم ، وأعمالهم ، بعقائد انبيائهم واعمالهم واخلاقهم .

نقول : تعرض أعمال كل أمة على نبيها ، لافرق بين اليهود والنصارى والمسلمين وسائر اتباع الأنبياء فمن شهد لهم نبيهم بعد معرفة أعمالهم على وفق ماجاء به وأمر الناس بالعمل به ، فهم ناجون .

والآن نجد كل أمة من اتباع الأنبياء ، تدعى أنها متبعة لنبيها ، وان كانت قلوبهم مملوءة بالحقد والحسد ، والغل ، وكره الخير للناس ، واعمالهم أغلبها – ان لم تكن كلها شرور ومفاسد عليهم وعلى الناس ، فهؤلاء يتبرأ الأنبياء منهم ، هذا المشهد المشحون بالهول يوم القيامة هو الذى جعل صاحب القلب الرحيم ، عليه افضل الصلاة والتسليم تفيض عيناه من الدمع أشفاقا على أمته وألما لما سيصيبها .

وروى البخارى ومسلم ، والامام أحمد والترمذى وغيرهم ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه :ان **رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : (اقرأ على قرآنا) قلت : يارسول الله هل اقرأ عليك ، وعليك** أنزل ؟ قال : نعم ، أحب ان أسمعه من غيرى فبدأت **فى قراءة سورة النساء حتى وصلت الى قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) ، قال صلى الله عليه وسلم (حسبك الآن) وفى رواية قال : (أمسك) فأمسكت** ورفعت وجهى الى رأسه صلى الله عليه وسلم **فاذا عيناه تذرفان الدمع وفى رواية ، فرأيت دموعه تسيل على خديه .**

فليت شعرى ، هل يعتبر المسلمون اليوم بهذا ، وهم المشهود عليهم كما اعتبر الشهيد الأعظم فيبكون عند تذكر ذلك اليوم كما بكى ، ويستعدون باتباع سنته واجتناب جميع البدع ، والتقاليدالدنية التى لم تكن فى عهده ، صلى الله عليه وسلم ؟ وبذلك يكونون كأصحابه أمة وسطا ، لاتفريط منها فى الدين ولا افراط فى أمور الجسد ولا فى أمور الروح نقول : هل يعتبرون بذلك ؟ أم يظلون سادرين فى غواياتهم مقلدين لآبائهم المنحرفين دون ان يتنبهوا الى حال العاصين فى ذلك اليوم العصيب . انتهى

الا فليتق الله أولئك المتاجرون للعوام على حساب الدين

اتقوا الله فى هذا القلب الرحيم ، قلب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتذكروا هذا الموقف الذى سيبكى فيه يوم القيامة حزنا وحسرة عليكم ويضطره الموقف الرهيب الى ان يشكوكم لخالقه ويقول :(يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا (آية ٣٠ من سورة الفرقان .

ولا يمكن ان يريد صلى الله عليه وسلم هجر قراءته وحفظه عن ظهر قلب انما أراد هجر تدبره ، وهجر العمل به لان الذين يقرءونه ، ويحفظونه الآن يعدون بالملايين وقد كانوا فى عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين يعدون على الأصابع

ارحموا هذا الروح الطاهر الذى ستهزه الحسرة عليكم يوم القيامة عندما يراكم عقب الموقف الرهيب ويناديكم أيها المؤمنون هذا حوضى ، فاشربوا منه فاذا ما سمعوا صوته الحنون يقبلون فى شغف فتحول الملائكة بينهم وبين الحوض وتطردهم عنه ، وهم فى أشد الحاجة لقطرة من ماء يطفئون بها حرارة الموقف المرعب المخيف فاذا رأت الملائكة ما غشيه ، صلى الله عليه وسلم من الألم وشدة الشفقة عليهم تقول له صلى الله عليه وسلم ما معناه : دعهم يلقون جزاءهم فانك لاتدرى ماذا أحدثوا بعدك ؟

جاء كل ذلك فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ، ومسلم ، واحمد فى مسنده عن انس بن مالك وحذيفة بن اليمان عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم انه قال : (ليردن على الحوض أقوام من أمتى ثم يجذبون ويبعدون عن الحوض فأقول (يارب) أمتى ، أمتى فيقال لى : انك لاتدرى ما احدثوا بعدك ، فأقول : سحقا .. سحقا .

فما هو هذا الذى أحدثناه بعده ، صلى الله عليه وسلم ؟

نقول ، والأسف يلفنا فى طياته : اننا احدثنا فى دين الله ماشوه أصوله الخمسة جميعا ووقف عملها وحرمنا ثمرتها الم نسجل فى الكتب التى تدرس فى المعاهد الحيل التى بها نسقط الصلاة ،والزكاة، وفتحنا فيها (باب صلاة شخص عن آخر مات ولم يصل (والصوم عن الغير) أيضا ؟ حتى صارت فرائض الله كلها كأنها واجبة على التخيير ، لاالزام للجميع بها . كصلاة الجنازة مثلا التى تجب على اهل القرية جميعا ، فاذا لم يصلوا أثموا ، وعوقبوا جميعا ولو فعلها البعض سقطت عن الباقين ، والخطر الداهم ان الركن الأعظم وهو توحيد الله سبحانه بالعبادة

لجوء اليه وحده عند الحاجة ، نقول : حتى هذا كن غشية ماغشى غيره ، فجعلوا لله شركاء من ونه يلجئون اليهم لقضاء الحاجات ، واغاثة الملهوفين شفاء المرضى بغير طرق العلاج المشروعة ، والقـــاء بغض ، أو الحب فى القلوب وطلب انجاب الأولاد ذكور وغير ذلك مما لايقدر عليه الا الله سبحـــانه عالى .

وقد بلغ من بعضهم أن تجرأ على الله عز وجل، ال : انه سبحانه ليس له قضاء أزلى ، انظر ذلك فى فسير الألوسى ، الجزء(١٣) عند قوله تعالى (يمحو له مايشاءويثبت وعنده أم الكتاب) آية٣٩ من سورة رعد ، وفى تفسيره أيضا جزء (٢٨) آية ٤ من سورة ممتحنة فكيف يتفق هذا مع قوله تعالى : (وكل شىء حصيناه فى امام مبين) أية ١٢ من سورة يس والامام هنا هو : اللوح المحفوظ المسمى فى القرآن ايضـــا الكتاب ، وقوله سبحانه : (وعنده مفاتح الغيب لا **يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تســقط من ورقة الا يعلمهاولا حبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) آية ٥٩ من ســـورة الأنعام ، وقوله عز وجل « ما أصـــاب من مصيبــة** فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير) آية ٢٢ من سورة **الحديد ، وقوله سبحانه (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكـم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) آية ٦١ من سورة يونس**

وقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس : احفـظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على ان يضروك لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، واعلم ان مـا أصابك لم يكن ليخطئك وان مـــا أخطـــاك لـــم يكن ليصيبك ، رفعت الاقلام ، وجفت الصحف

وتجرأ أيضـا رجل يلقب بأنه من كبار الصالحين فقال بان فرعون موسى مات مؤمنا ، بل وشهيدا من الشهداء الذين هم عند ربهم يرزقون

انظر هذه الفضيحة فى تفسير الألوسى أيضـــا جزء (١١) عند تفسير آية ٩٠ من سورة يونس وهى قوله سبحانه حتى اذا ادركه الغرق قـال آمنت) . فكيف يعقل هذا مع قوله تعالى ، بعد الآية مباشرة . **(آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أية ٩١** وقوله سبحانه (النار يعرضون عليها غدوا وعشيـا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» أية ٤٦ من سورة غافر

وهذا المعنى الذى جاء فى آية (٩١) السابقة وهو عدم انتفاع الانسان بالتوبة والايمان عند مشاهدة الموت ، هذا المعنى تكرر فى القرآن الكـريم كثيرا ، وصريحا فى أنه لاينفع من ذلك قوله جل شأنه فى آيتى ٨٤ و ٨٥ من سورة غافر (فلما رأوا بأسناقالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، فلـم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) وآية ١٨من **سورة النساء (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن)**

والأدهى من كل ذلك : ان هذا الشيخ الكبير ،ذا المنزلة الرفيعة فى نفوس العوام واشباه العوام يقرأ فى القرآن النص القاطع بان فرعون سيكون فى جهنم وبعد ذلك يقول قولته الشنعاء قال تعالى (ولقـد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعـــون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد . يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود . وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) آيات ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩من سورة هود . وقوله تعالى لموسى عندما أرسله لفرعون(اذهب الى فرعون انه طغى) .. الى قوله (فكذب وعصى).. الى قوله (أنا ربكم الأعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) آيات ١٧ و٢١ و٢٤ و٢٥ من النازعات

أفبعد هذه النصوص الصريحة ، وخاصة ماجاء فى سورتى هود ، والنازعات من كفر فرعون وخلوده فى النار ،يجوز لمؤمن بالله أن يقول: ان فرعون مات مؤمنا بل وشهيدا ؟ وخبرونا : ماهو حكم الله فيمن يقول مايخالف نصا صريحا قاطعا فى خبر من أخبـــار القرآن ؟

ان القلم ليخجل من تسجيـل هذا الحكم الذى يعلمه صغار الطلاب نسأل الله السلامة والعافية

للحديث بقية

تسامح المختلفين فى الرأى

الدكتور أحمد الحوفى

يطيب لى أن أشيد بخلق كريم ساد فى المجتمع الاسلامى الأول ، وأن أدعو الى التحلى بهذا الخلق العظيم ، وهو تسامح الذين يختلفون فى الرأى تسامحا ينبنى عن حلم وسعة صدر وبعد نظر وتقدير لحرية الفكر .

فليس من الطبيعى ولا من المعقول أن يعيش الناس فى مجتمع تتعدد مشكلاته ، وتتضارب مصالحه ، وتتفاوت فيه معارف الناس وثقافتهم وتجاربهم وامزجتهم ، ثم نتطلب من هؤلاء الناس أن يطبعهم فكر موحد ، وأن يصدروا جميعا عن رأى لا يختلف . انما الطبيعى أن يختلف الناس فى بعض المشكلات ، وكثيرا ما يثمر هذا الخلاف ثمرات طيبة ، اذ يتولد منه رأى جديد لم يكن فى حسبان المختلفين .

على أن هذا الاختلاف فى الرأى لا بد أن يكون مبرأ من التعصب الأحمق ، ومن الموجدة والنقمة ، ما دام الغرض نبيلا ، وهو الوصول الى الحق ، وبلوغ الخير ، وتحقيق الصالح العام .

ورحم الله شاعرنا شوقى ، فهو القائل :

فى الرأى تضطغن العقول
وليس تضطغن القلوب

وبديهى أن الاجتهاد ـ و
أحد أصول التشريع الاسلام
قائم على الرأى .

وطبيعى ان يختلف أصح
الرأى فى بعض ما يجتهدون

**فهل كان الاختلاف سببا
أسباب الخصومة والعداء ؟**

**هل تبادل المختلفون ت
الضلال والكفر والجرى
الأهواء ؟ . لقد اختلف المسلم
الأولون فى صدر الاسلا
ولكن لم يعب احدهم على الآخ
انه خالفه . بل كان يثوب
الحق اذا ما تبين له وهو را
سمح طيب النفس .**

من هذا أن أبا بكر وعم
خالفا على بن ابى طالب ومن مع
من أهل البيت ، حينما أراد
السيدة فاطمة ان ترث أبا
ورفض أبو بكر وعمر .

وشبيه بهذا أن عمر خالف
أبا بكر فى نظام العطاء ، اذ كا
أبو بكر يورعه على المسلمي
بالتساوى ، فعارضه عمر مرات
فلما تولى الخلافة غير نظام
التسوية المطلقة ، ومنع الناس
أعطياتهم بحسب سبقهم الى
الاسلام أو قرابتهم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وحدث
أنه أعطى صفوان بن أمية
والحارث بن هشام وسهيل بن
عمرو أقل مما أخذه سابقوهم ،
فرفضوا عطاءهم ، وقالوا اننا لا
نعرف أحدا أكرم منا ، فقال لهم
انى انما أعطيتكم على السبق الى
الاسلام ، لا على الأحساب .

الوا : فنعم اذن ، ورضــوا طائهم ، وعاشــوا مخلصـين ينهم •

ثم جــاء على بن أبى طـالب رجع النظـام الى ما كان عليه ام أبى بكر •

ولم يكن هذا التغيير عن هوى عصبية ، بل كان استجابة لما رضه الصالح العام ، وذلك أن ا بكرر تولى الخلافة والاسلام ى بدء حيـاته ، وفى حاجة الى نصار وأعوان ، فســوى بين لناس فى العطاء • فلمـا تولى عمر كان الاســلام قد انتشر عــزت كلمته وعظم جنــده واتسعت فتوحه ، فرأى عمر ان المهاجرين والأنصــار هم الذين احتملوا شدائد الدعوة ، وقاسوا آلام الجهاد ، وهم الذين رفعــوا علم الاســلام ، وصــبروا على البأساء والضراء،وفقدوا أموالهم فمن العدالة أن يختصـهم ببعض الثمرات التى غرسوا أشجارها ، وســقوها بدمائهم ، فميزهم بالانصبة الكبرى •

لكن على بن ابى طالب جاء فى وقت يموج بالفتنة والثــورة، ويجهر فيه كثير من المســلمين بخصــومتهم لقريش وبانكار ما تدعيه لنفســها من حقــوق ومميزات،فرأى ان سلامة المجتمع فى التســوية بين النـاس فى العطاء •

ولم يحدث بسبب هذاالخلاف فى نظام العطاء عداء ولا شحناء

على أن عمر بن الخطاب رأى بعد ان استقرت دعائم الاسلام ، وامتنـع على مناوئيه أن المؤلفة قلوبـهم الذين جعلهم القـرآن الكريم مصرفا من مصارف الزكاة يجب أن يلغوا ، لأن الاســلام ليس فى حاجـة الى تأليف من يخشى بأســهم أو يطمـع فى انضوائهم تحت لوائه •

وحينما فتح المسلمون أرض العراق والجزيرة والشــام فى عهــد عمر بدر الخــلاف فى تقسيمها على الفاتحين أو بقائها بأيدى أصـحابها يزرعونهـا ويؤدون خراجها •

وكان من رأى عمـر وبعض الصـحابة أن تبقى الأرض فى أيدى أصـحابها ، على أن تكون ملكا للدولة ، وعليهم خراجها •

وقد راعى عمر أن تقسـيم الأرض على الفاتحين نـوع من الاقطـاع ، وراعى مسـتقبل المحرومين والمحتـاجين الذين سيولدون فيما بعد ، وخشى ان تحتـاج الخزانة العامـة فى المستقبل الى مال فلا تجده •

ولم يحفل عمر بأن رأيه هذا قد يغضـب الفاتحين الذين يطمعـون فى امتلاك الأرض ، لانهم غلبوا عليها بسـيوفهم ، وحسبوها غنيمة لهم •

وكان مما قالـه عمر : كيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الأرض قد قسـمت وورثت عن الآباء ، وصـارت فى حـوزة الوارثين • ان هذا ليس برأى •

فقال له عبد الرحمن بن عوف فما الرأى ؟ أليست الأرض مما أفاء الله عليهم ؟

قال عمر : فاذا قسمت أرض العراق وأرض الشـام فمن اين تسـد الثغـور ؟ ومـاذا يكون للذرية والأرامل بالحجاز والشام والعراق ؟ •

ثم قال للصـحابه : والله ما أريد الا الحـق ، وقد رأيت أن أترك الأرض لزارعيها ، وأضـع عليهم فيها الخراج ، وفى رقابهم الجزية يؤدونها ، فتكون الأرض فيئا للمسـلمين من المقاتلـة والـذرية ومن يأتى بعـدهم ، أرأيتم هذه الثغور ؟ لابد لها من رجال يلزمونها ، أرأيتهم هـذه المدن العظام كالشام والجـزيرة والكوفـة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها أن تشحن بالجيوش وادرار العطـاء عليهم ، فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسـمت الارض ؟

فوافقـوه على رأيه ، فى غير ما غضب أو ضغينة •

هكذا كان المسـلمون الأولون يختلفون ، وهكذا كان اختلافهم دليلا على مرونة الاسلام وسماحته وتســامح معتنقيـه ، ثم ان اختلافهم دليل على يقظة العقل ، واستنارة الفكر ، وتفهم حصيف للظروف والملابســات ، وايثار للصالح العام على المنافع الخاصة وعلى الشهوات والأهواء •

نحو الجهاد و نحو الدين

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

١ – كان المسلمون فى عودتهم من احدى الغزوات الظـافرة وهم فى فرحتهم لما أحرزوا من نصر ولما اصابوا من مغانم .. فسأل أحدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم – هل علينـا جهاد بعد ذلك يارسول الله .

واحسب أن السائل لم يكن ناقما ، ولا راغبا عن جهاده .. ولا متزهدا فى استئنافه بل كان فى غبطة تهز أعطافه ، وتحث فى نفسه أملاجديدا نحو غزوات أخرى ، ينكل فيها بعدوه ، ويثـار ممن يبادئهم المكيدة ، ويذودهم عن بيضة الوطن وحرمة الدين .

فهو يسأل ليستطلع النبأ عما وراء هذه الغزوة ليعد عدته ، ويبيت نيته ، كما هى نزعة الابطـال المجاهدين .

وكان جواب النبى – صلى الله عليه وسلم – لهذا السـائل من الاسـلوب الحكيم : جوابا : لا بالايجاب ، نعم : علينـا جهاد .. ولا بالسلب : لا – ليس علينا جهاد . بل كان توجيها اصـلح لشأنه وشأن الآخرين ممن عساهم يسـألون ، او يتطلعون الى الجواب عما سمعوا فيغنيهم عن أسئلة تدور بخلد الكثيرين .

قال – صلى الله عليه وسلم – « رجعنـا من الجهـاد الاصـغر ، الى الجهاد الاكبر : جهـاد النفس »

ويبدو أن النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو يعلم بفرحة اصـحابه ادرك من ملامح وجوههم ان نفوسهم متهيئة الآن لسماع ما يعظهم به ، ومقبلة على تلقف ما يحدثهم فانه ما كان يسـوق اليهم التوجيه الا فى وقت الاستعداد منهم ، وتلك هى حكمته فى تثقيفهم .

وأدرك من حال سـائله بالذات انه شـغوف باستئناف المعارك ، وانه معتز بالانتصـار : حتى ليخشى عليه أن يغتر بما عمل ، أو يتوانى عن نشاطه فى المسابقة الى الخيرات عامة ..

فاختار اجابته بأن الجهاد الذى كانوا فيه لايعتبر

غاية قصوى ، بل هو دون غيره مشـــقة ، واقرب سبيلا ، وايسر ثوابا .

كان جهادا مع الكفار ، والكفر شر محصـــور وخطره مدفوع .. وجهاده مستطاع وان كان فى تضحية وبذل ، فلكل شىء نهاية ، والله فى عـون المجاهدين المخلصين .

٢ ـ ولكن هناك عـــدوا لدودا ، لانأمن غوائله، وصديقا مخادعا يستتر ، ولا يتكشف .

هناك نفس أمارة بالســـوء .. ربما صرفت المجاهد عن جهاده ، وحببت اليه القعود عن رحله وزهدته فى ثوابه ، لان النفس الأمارة بالسوء جانحة الى الهوى ، وحليفة الشيطان ، فهى تزين القبيح من الخلق . وتهون الصــعب من المآثم ، وتخفف مسئولية الرذيلة .. وتطمع فى تدارك مايفوت .

فراغب الخير لنفسه لايكفيه أن يشهد غزوة أو اكثر من غزوة .

نعم اذا استشهد مخلصا فى جهاده فقد فاز حقا، كما تعهد الله له بذلك .. واذا عاش فهـو بحاجة الى حراسة نفسه من نفسه .

ويكون جهاده لنفسه أشق عليه من قتال عدوه الذى قد ينهزم ، ولا تنهزم نفسه هو .

ولذلك كان جواب النبى صلى الله عليه وسـلم « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهـاد الاكبر : جهاد النفس »

فالنفس تواقة الى الانطـلاق ، وطموحة الى استيفاء متعها ، وهى لاترضى من الناس الا بمـا يعجبها ، ولا تدين كثيرا بآداب الاجتماع ، وهى فى كل ما تنزع اليه ـ من أرزاق ، وحظوظ،وسيادة، وتدليل ـ على حد ما يقول البوصـيرى ـ رحمه الله ـ :

والنفس كالطفل ان تهمله شـب على
حب الرضـــاع ، وان تفطمه ينفطم

نعم : نفسك كالطفل الناشىء ، اذا دللته ، ورفهته أكثر مما يساس به خرج عن طوعك . واسـتعصى عليك تقويمه ، وصار عليك ، ولم يكن لك ، فانت الذى اطلقت له العنان ، وانت الذى تعـانى منه المكاره ، وتعالج خسرانه بعد الأوان .

وهذه لمحات موجزة ، ينطوى على أكثر منهـا جواب الرسول فيما اعتبره : الجهاد الاكبر . جهاد النفس .

٣ ـ وفى توجيه الرسول نحو هذا النـــوع من الجهاد الاكبر القاء المسئولية على عاتق الانسان ، وتلقين المرء أن أمره بيده ، وان تدارك الامر قبل استفحاله مستطاع ، وتحصين الخلق الشـخصى بسياج التربية الدينية ، والاجتماعية فى متنـاول الراغبين .

والشاعر يقول :

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنـــع

فاختيارك اليك ، والخيـــر لك ان وعيت ، والندم منـــك . وعليك ان توانيت وتغاضيت ولذلك كان الانسان على نفسه بصيرة .. وكان كل امرىء بما كسب رهين .

وتلك شريعة الله مع خلقه ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ..

٤ ـ وعندما يجاهد الانســان نفسه ، ويأخذ اهبته لاصلاحها فسيكون أقدر على جهـــاد عدوه الكافر ، وسيكون اجدر بالنصر دائما ، كما كان منتصرا مع الرسول ..

وكأن الرسول يهدف من جـوابه عن ســؤال صاحبه الى اغرائه بالجهـــاد الذى يتعشـــقه ، ويعتز به ، ويرمقه .. وكأنه يصارح أصحابه بأن أهليتكم للجهاد تقتضيكم التسلح بالدين ، وبالخلق الحسن .. فاذا تغلبتم على أنفسكم بجهـــادها ،

وتقويم اعوجاجها ، والتنزه عما يشوب كمالها فانتم المجاهدون المكتملون شعار الجندية للعدو الاصغر ، والعدو الاكبر ، وأنتم حزب الله الغالبون .

لهذا نرى القرآن الكريم فى سياقه لا يذكر الجهاد وحده . ولكن يذكره دائما مقرونا بالايمان ، أو بالايمان والعمل الصالح ، أو بالهجرة فى سبيل الله ، أو ببذل المال فى سبيل الخير ، وهكذا من شعب الطاعات .. لنفهم أن الجهاد ليس مجرد حمل السلاح فى وجه العدو ، بل هو أعمق من ذلك هو خلق أصيل ، وضمير حى ، وقلب مؤمن ، ولسان صدوق .. هو شخصية غير رخوة ، وهو بعد ذلك كله جندى يحمل سلاحه ، ليقاوم أهل الباطل ، وينهض براية الاسلام على شرفات الحق ..

ومن اشارات القرآن الى ذلك قول الله تعالى : **((الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله)) يعنى : أن أهل الايمان هم أهل الجهاد فى سبيل الله..وأهل الايمان هم المتصفون به على وجه الكمال : عقيدة وعملا ، وخلقا ، كما كان السابقون من المؤمنين .**

وأما من لم يكن على كمال ايمان فهم دون الجهاد المنشود ، ودون منزلة المجاهدين حقا ..

٥ ـ وقد روت كتب الحديث النبوى أن رجلا من الصحابة كان يخرج فى زمرة الجيش ويقاتل الكفار فى بسالة ، واقدام ، وكان يتغلب كثيرا على الاقران ، ويصرع منازليه ، ومن يقاومه ، حتى عجب الصحابة لكثرة قتلاه ، واستبساله .. فذهبوا بخبره الى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وذكروه بالثناء على مسمع النبى .. فقال لهم الرسول ((انه من أصحاب النار)) ففزعت نفوس الصحابة لهذا النبأ المؤسف ، ولكنهم لم يراجعوا النبى فيما قال ..

وبعد فترة أخرى كانوا فى غزوة ، ومعهم صاحبهم ذلك .. فأصابته ضربة سيف فى ساعده ، فتدلى بها ذراعه الى جانبه .. فلم يحتمل الرجل اصابت فماذا صنع .

غرس قبضة حربته فى الارض ، وركع ببطن على رأسها فنفذت من ظهره .. ومات منتحرا بيد فبادر الصحابة بخبره الى الرسول ـ صلى الل عليه وسلم ـ فنهض النبى الى الجهر بقوله ((الل اكبر .. اشهد الا اله الا الله ، واشهد أنى محمد رسول الله .. ان أحدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .. وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها))

ومن هذا الحديث تبين للصحابة أن النبى كان ملهما بما تنبأ به عن هذا البطل ، فأخبر عنه سابقا بأنه من أهل النار .. ثم ثبت للصحابة أن هذا المجاهد لم يكن مخلصا فى جهاده كما تخيلوا .. وانما كان حريصا على الشهرة ، ومفتونا بشجاعته فلما دنا أجله صنع بنفسه ما لا يعتبر من صبر المجاهدين ، وقتل نفسه ، وذهب خاسرا لجهاده ، ولحياته ، لانه تعجل حياته دون صبر على القضاء كما يصبر المجاهدون

ولو أن هذا كان مصقول النفس بالتربية ، وكان وثيق الصلة بدينه ، ولم يكن مريض القلب بالنفاق لأظهر الله من شأنه فيه غير ما أظهر

٦ ـ وهذه عبرة لنا .. جرت على غيرنا ، وتعلمناها من سنة نبينا .

ونحن بحاجة الى التأسى بها ، وبتكاثرها من الاحداث التى يحملها الينا القصص الدينى ، والتاريخ .

وكثيرا ما يحدثنا القرآن ، وقصص التاريخ عن أمجاد المؤمنين ، وبطولات المجاهدين .. فلتكن أسوتنا بخير ما نعرف ، ولتكن مسالكنا فى الجهاد ، وفى المجتمع ، وفى أوساطنا المتعددة على خير مانعلم

أمانة الكلمة (١)

فضيلة الدكتور بدر المتولى عبد الباسط

الأمانة من أخلاق الأنبياء والمرسلين ، والخيانة من سمات المنافقين، والفطر السليمة تحب كل أمين ، وتكره كل خوان أثيم ، ولهذا رأينا أهل مكة ـ قبل بعثة النبى ، صلى الله عليه وسلم ـ يمدحون الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه الصادق الأمين .

وكل ما طلب منك المحافظة عليه فهو أمانة ، فحقوق الله تعالى ـ أمانة ، وحقوق الجماعة أمانة ، والوديعة أمانة ، وأسرتك وكل من ولاك الله عليهم أمانة ، والعلم أمانة ، والسر أمانة .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول **« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » وان من أعظم الأمانات وأخطرها ـ وان تهاون الناس فى أمرها ـ أمانة الكلمة .**

وأمانة الكلمة تتناول ناحيتين .. ناحية ايجابية ، وناحية سلبية ، فأما الناحية الايجابية فان تعد وعدا أو تعقد عقدا ، فالأمانة تقتضيك أن تفى بوعدك وتلتزم بعقدك :

« يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » و « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

ولا يعفيك من الوفاء بكلمتك أن تعلم أن عدوك سينقض عهدك **« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .**

والمؤمن اذا وعد وفى ، والمنافق اذا وعد غدر .

ومن أمانة الكلمة من الناحية الايجابية ، أن تكون صادقا فى قولك متثبتا فى أخبارك ،

لا تلقى الكلام على عواهنه ، ولا تتبع الشائعات من هنا أو من هناك فتذيعها .. « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » .. وفى قراءة فتثبتوا . والمعنيان متقاربان .

وحسب المرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع « وانما يكب الناس على وجوههم – فى جهنم – يوم القيامة حصائد ألسنتهم » .

هذه أمانة الكلمة من الناحية الايجابية .

وأما أمانة الكلمة من الناحية السلبية فحفظ السر فى أعماق القلب ، فلا تطلع عليه صديقا ولا عدوا ، وسواء كان هذا السر للفرد أو للجماعة . فان أفشيت سر من ائتمنك فقد خنته .. « ان الله لا يحب الخائنين » . وكنت – بهذا على شعبة من النفاق ، وان من صفات المنافق كما حدثنا الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم – انه اذا أؤتمن خان .

والخيانة كل الخيانة أن تذيع سرا لأمتك ، فمن فعل ذلك عن قصد فهو خائن لأمته ، منافق فى عقيدته ، خارج عن ملته مباح الدم لا يستحق الرحمة : « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

وأما من أفشى السر لا عن قصد – فهو ضعيف الارادة منحل العزيمة، غير أهل للثقة ويستحق – مع هذا – أن يؤدب بما يليق بأمثاله ، فقد روى المحدثون : ان أبا لبانة بن عبد المنذر أرسله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى يهود بنى قريظة لينزلوا على حكمه – صلى الله عليه وسلم – فاستشاروه فى ذلك ، فأشار بيده الى حلقه – أى انه الذبح – ثم فطن الى أنه قد خان الله ورسوله ، فحلف لا يذوق طعاما حتى يموت ، أو يتوب الله عليه وانطلق الى مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فربط نفسه فى سارية منه – أى فى عمود من عمده – فمكث على ذلك تسعة أيام حتى كان يخر مغشيا عليه من الجهد حتى أنزل الله توبته على رسوله ، فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وأرادوا أن يحلوه ، فحلف أن لا يحله أحد الا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيده ، فحله .

وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يراه فى الصلوات الخمس على هذه الحال فلا يحله تأديبا وتربية له ولأمثاله .

وهذا حاطب بن أبى بلتعة – رضى الله عنه – وهو من المهاجرين الأولين ، وممن شهد بدرا كتب الى أهل مكة كتابا يخبرهم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عازم على فتح مكة ، ونزل الوحى على رسول الله بهذا ، واسترجع الرسول – صلى الله عليه وسلم – الكتاب فقام عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقال يا رسول الله دعنى أضرب عنقه ، فانه قد نافق ، فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – بعد أن استبان له انه فعل مافعل عن ضعف لا عن سوء قصد ، دعه يا عمر ، فانه من أهل بدر ، ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم .

فالنبى – صلى الله عليه وسلم – لم ينكر على عمر أن من فعل مثل هذا يستحق القتل ان كان سيء القصد ، ولولا ماضيه فى الجهاد لكان له مع النبى شأن آخر .

هذه هي أمانة الكلمة ، والمؤمن أمين ، والمنافق خائن لئيم .

رزقنا الله حسن الأدب بمنه وكرمه .

« لتفسدن فى الارض مرتين »

- ١ -

لما بدأت كتابة هذه السلسلة : « بنو اسرائيل فى ميزان القرآن » سألنى كثيرون عن قول الله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين » الى آخر الآيات الكريمات سئلت ما حقيقة المرتين ؟ وهل مضى وعدهما ، أو لم يمض بعد ، أو مضى وعد أولاهما ولم يجىء وعد الآخرة ؟ .. سألنى فى ذلك كثير من الشباب ، وبعض الشيوخ .. وسئلت فى البيت ، وفى « التليفون » وفى الطريق ، وكنت أجيب بما يناسب المقام ويتسع له .. وجاءت ذكرى الاسراء الشريف هذا العام ، ورأى فيها بعض السادة العلماء أن يعرضوا للمرتين خطابة وكتابة ، وقالوا فيما قالوا : ان أولى المرتين قد حدثت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأن أخراهما لم يأت وعدها بعد ، ونحن فى انتظار أن ينجز الله وعده ، فيبعث عليهم من عباده من يدمر بيتهم ويخرب ملكهم .. ولعل قلق المتسائلين جاء من وجود اسرائيل فى فلسطين اليوم ، فدفعهم ذلك الى التماس الامل فى أن أخرى المرتين لم تجىء بعد ونورد فى هذه الكلمة خلاصة من حقائق التاريخ الاسلامى وغير الاسلامى ، وحقائق التفسير ونصوص التوراة الموافقة لما فى القرآن ، ليقر الحق فى نصابه ، ثم نبين حقيقة وجودهم أو وضعهم الملفق المفتعل فى فلسطين .

- ٢ -

يقول الله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » الى ان يقول تعالى : « فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

بنو إسرائيل فى ميزان القرآن

الأستاذ البهى الخولى

وهذا النص الكريم يدلّ على أن الله تعالى منح بنى اسرائيل فرصتين ليثبتوا فيهما صلاحيتهم لأمانة الحياة وقيمها ، وأنذرهم فى المرة الاولى انه سيبعث عليهم من عباده قوما أشداء لا يبقون لهم شيئا من شارات سلطانهم السياسى أو الدينى **« فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا »** .. وأنذرهم فى المرة الثانيةأن سيبعث عليهم – أيضا – من عباده قوما أشداء يلحقون بهم ما هم أهله من المساءة والتدمير وتقويض الهيكل رمز مجدهم الدينى « ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

واذا رجعنا الى التاريخ ألفينا الافسادة الاولى قد مضت بعقوبتها ، ذلك أن موسى – عليه السلام – توفى وترك هؤلاء فى برية سيناء بقيادة يوشع بن نون ، فعبر بهم يوشع نهر الاردن الى أرض كنعان – فلسطين – وظلوا بعد يوشع الزعيم القائد الفاتح فى حروب متصلة مع الكنعانيين – سكان البلاد الاصليين – ليست لهم وحدة سياسية تربطهم وتنظم شأنهم فى الحرب والسلم، اذ كان يتولى شأنهم قيادات دينية باسم «القضاة» حتى سئموا تلك الحالة وعزوا اليها ما يلقون من هزائم ، وكانوا يرون الامم والشعوب من حولهم تحكم بملوك منهم فاستشرفوا لهذا النظام وطلبوا الى نبى وقتهم أن يقيم عليهم ملكا منهم ، وفى هذا يقول القرآن الكريم **« ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ، قال : هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا ؟ قالوا : ومالنا الا نقاتل فى سبيل الله وقداخرجنا من ديارنا وابنائنا ؟فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين »** ويقول القرآن والتوراة من قبله : ان الله اختار لهم ملكا اسمه طالوت ، ومن بعد طالوت تولى الملك داود عليه السلام ، ومن بعده تولى ابنه سليمان ، وكان عهد سليمان هو أزهر عهد وأيمنه فى تاريخ بنى اسرائيل من حيث الحضارة وقوة الشأن بين الامم .. وقد بنى فى هذا العهد بيت عظيم للرب لاول مرة ، وبه هيكل فخم اعتبر بعـ ذلك مظهر مجدهم الدينى ورمزه .. وبعد سليم ظهرت فيهم آفة التمرد والشقاق والضيق بالنظ فانشقوا على أنفسهم ، وقسموا الدولة التى كان تنشر التوحيد فيما حولها قسمين : قسم شمالى سموه « اسرائيل » وقسم جنوبى ، سموه « يهوذا وأخذت كل منهما تناوىء الاخرى .. وانتهى الا الى أن اسرائيل « المملكة الشمالية » أدركها الفن فسقطت بما جلبت علىنفسها من سوء السياسات فى الداخل والخارج .. وظلت يهوذا « المملك الجنوبية » وحدها حينا ذاقت فيه شؤم المعصي فى الداخل بعبادة الاصنام وأكل السحت ، وشؤ سياسة الغدر والنفاق ونقض العهود فى الخارج حتى هوجمت من الغرب من مصر بفرعون هـذ الزمان ، ومن الشرق ببختنصر ملك بابل .. وفى نوبة من نوبات الضيق بهذا الاسلوب الخسيس غزاهم بختنصر فقتل منهم مقتلة عظيمة ودمر مدينتهم وخرب معبدهم بيت الرب وهيكله .. ومن بقى منهم من الكبار والاطفال والنساء ساقه معه سبيا ذليلا الى عاصمة ملكه بابل ، وترك المدينة وراءه خاوية على عروشها على الحال التى وصف الله بقوله :

« أو كالذى مر على قرية وهىخاوية علىعروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه » .. وظلت كذلك حوالى سبعين عاما تغلبت فى أواخرها الفرس على بابل ، واذن ملك الفرس للسبى المغترب – أى للاسرائيليين – ان يعودوا الى بلدهم فعادوا وعمروها على ما سنفصله فى حينه ..

تلك هى المرة الاولى بوعدها ، فقد أفسد القوم بأكل السحت وعبادة الاصنام – على ما سنفصله – أيضا – فى حينه – كما أفسدواسياسيا بانقسام دولتهم واتباع سياسة الغدر والنفاق ، فجاء بختنصر فأزال وجودهم السياسى والاجتماعى ، وساق الى بابل من نفى منهم حيث ظلوا هناك حوالى سبعين عاما وبلادهم مخربة خاوية ليس فيها

من يعمرها ، وهذا كله يحمل سمات المرة الاولى على ما أنذر القرآن بقوله : **« فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا »** .

ولكن بعض السادة العلماء الذين كتبوا وخطبوا فى ذكرى الاسراء الشريف ، قالوا ان هذه ليست المرة الاولى ، لان الله وصف من يبعثهم على اسرائيل بأنهم « عبادا لنا » وعباد الله انما هم المؤمنون ، وبختنصر رجل وثنى وليس مؤمنا ، وبمنطق القرآن لا يجوز ان نعتقد أن بختنصر هو صاحب المرة الاولى .. وأحب أن أناقش هذا الرأى فى ضوء نصوص القرآن .. وأقوال أئمة المفسرين ، وحقائق التاريخ الاسلامى وغير الاسلامى ..

● فأما القرآن الكريم فقد ورد فيه ما يدل بصفة قاطعة على أن كل ما خلق الله من ذوات مرئية وغير مرئية برة وفاجرة هم عبيد له تعالى : **« ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا »** .. ومع ذلك نسوق من النصوص الكريمة ما يقطع بأن كلمة العباد ، أو عبادى ، أو عبادا لنا ، أو عبادنا لا تفيد التخصيص بالايمان ، بل تفيد الوصف بها وبغيره .. ومن ذلك قوله تعالى : **« يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون »** والاستهزاء برسل الله كفر بالاجماع ..

● ويدور حوار فى النار يوجه اللوم فيه من المستضعفين الى المستكبرين الذى ساقوهم الى **هذا المصير ، فيقول تعالى « قال الذين استكبروا: انا كل فيها ان الله قدحكم بين العباد»**أى حكم بين عباده صالحهم وطالحهم .. ويقول عيسى عليه السلام عن الذين اتخذوه وأمه الهين من دون الله: « ان تعذبهم فانهم عبادك » مع أن عبادة غير الله كفر بالاجماع .. ويقول تعالى : **« ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا »** فالعبودية فى هذا النص وصف متحقق للجميع ، ولكن الله يهدى بوحيه منهم من يشاء، ومثله قوله تعالى : **« يصيب به من يشاء من عباده »** ، **« وكفى به بذنوب عباده خبيرا »** .. ومما له دلالته الواضحة قوله تعالى : **« انما يخشى الله من عباده العلماء »** فالجميع عباده ولكن يخشاه منهم العلماء فقط .

ويقول تعالى : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض » وليس من صفة المؤمنين أن تطغيهم بسطة الرزق ، ويقول جل شأنه « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » .. ونختم النصوص بنص تدل فيه كلمة عبادى على الضالين من أهل النار فى قوله تعالى : **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ، قالوا سبحانك ما كان لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ، ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانواقوما بورا »** أى قوما هالكين .. فهؤلاء الهالكون الذين نسوا الذكر والذين عبدوا من دون الله ما عبدوا يقول فيهم الله « عبادى » .. هذه نصوص القرآن بدلالتها القطعية تبين ان كلمة العباد ، وعبادى ، وعبادا لنا ، وعبادنا تطلق على المؤمن والكافر ، واما المفسرون فمجمعون على أن المرة الاولى قد حصلت قبل عمر بن لخطاب ، وأن صاحبها وثنى غير مؤمن ، ونختار من هؤلاء المفسرين ثلاثة لا يجادل مجادل فى امامتهم ، هم :

١ — الطبرى ، فقد قال : « كان أول الفساد بين قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك النبط وكان يدعى ضحا بين .. وذلك قول الله تعالى : « فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد .. » ويروى الطبرى رواية ثانية فى أن صاحب « المرة الاولى » هو بختنصر ملك بابل .. ورواية ثالثة انه ايضا بختنصر — .. الى أن يقول : ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله « أولى بأس شديد » وفيما كان فعلهم فى المرة الاولى فى بنى اسرائيل ، وأورد فى ذلك عن ابن عباس وقتاده أنه « جالوت » .. وعن سعيد بن جبير انه سنجاريب ملك بابل والد بختنصر .. وعن سعيد ابن المسيب انه بختنصر .. وعد مجاهد انهم من فارس ..

فهذا الامام العلم فى التفسير والفقه والتاريخ يقرر امرين : الاول أن المرة الاولى حصلت قبل عمر ، والامر الثانى أن أصحابها الذين بعثهم الله فيها على اسرائيل كانوا من الوثنيين ، فان « جالوت » هو الذى كان يحارب داود وقتلة داود عليه السلام ، فلا شك فى كفره ، واما سنجاريب وبختنصر فكلاهما من بابل عبدة الاوثان والكواكب ، وأما الفرس فهم عبدة النار .. والملاحظ أن ابن عباس وهو صحابى وشأنه فى فقه القرآن شأنه يقول : ان صاحب المرة الاولى « جالوت » الكافر ، أى انه أجاز أن تطلق عليه كلمة « عبادا لنا » وهو كافر .. ونقول فى مثل هذا فى قتادة ، وسعيد ابن جبير ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وكلهم من أجله التابعين ، وكلهم لم يجد الآية الكريمة تمنع أن يكون أصحاب المرة الاولى من الوثنيين .

٢ — ابن كثير ، فقد قال فى تفسير قوله تعالى: « بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد » أى سلطنا عليكم جندا من خلقنا أولى بأس شديد .. ثم يقول : ثم اختلف السلف والخلف فى هؤلاء المسلطين عليهم من هم ؟ وذكر فى هذا الخلاف ما ذكره الطبرى عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومجاهد .. الى أن قال : وقد اخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم ، ثم ذكر الرواية عن سعيد بن المسيب بأنه هو بختنصر .

فهذا الامام الجليل المؤرخ الحافظ الفقيه يقرر أن المرة الاولى قد حصلت بعقوبتها ، وان الذين سلطهم الله فيها — على اختلاف فى تعيينهم — كانوا من الوثنيين ، فلو أن كلمة عبادا لنا كانت تعنى المؤمنين وحدهم لتوقف فى اجازة ما أجازه من سبقه ..

٣ — الفخر الرازى ، وقد ذكر من الاقوال ما ذكره الطبرى وابن كثيرغير أن عبادته تمتاز من عبارتيهما بأن كلمة « العباد » فى قول الله « عبادا لنا » هم المسلطون الوثنيون ، فقد قال : ان قوله تعالى : « فاذا جاء وعد أولاهما » معناه أولى المرتين .. واختلفوا فى أن هؤلاء « العباد » م[illegible] هم ؟ .. فقيل سلط الله عليهم بختنصر ، فقت[illegible] منهم أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة ، وذهب بالبقي[illegible] الى بابل فبقوا هناك فى الذل الى ان قيض ال[illegible] ملكا آخر غزا أهل بابل ، واتفق أن تزوج بامرأة م[illegible] بنى اسرائيل فطلبت منه أن يرد بنى اسرائيل ال[illegible] بيت المقدس ، ففعل » .. والقول التالى : أ[illegible] المراد من قوله « بعثنا عليكم عبادا لنا » أن ال[illegible] تعالى سلط عليهم جالوت » الخ .. والقول الثالث[illegible] أن قوله « بعثنا عليكم عبادا لنا » هم المجوس فقا[illegible] قصدوهم وبالغوا فى قتلهم وافنائهم ، واهلاكهم ..

فهؤلاء أئمة ثلاثة يرون أن كلمة « عبادا لنا » تطلق على المؤمنين وغيرهم ، ومن قبل هؤلاء الائمة السادة التابعون يرون مفاهيم اللغة قائمة على هذا المعنى ، ومن قبل الجميع ترجمان القرآن عبدالله ابن عباس الذى نزل القرآن بلغته ، وتكلم هو بلغة القرآن اذ كانت سليقة وطبعا له ، ففهمه فيها هو الفهم الذى يعول عليه ، وقد قال : ان جالوت الوثنى هو المقصود بقوله « بعثنا عليكم عبادا لنا » وهذا يعنى بصفة قاطعة أن كلمة « عبادا لنا » تطلق على المؤمن وغيره .

واذا كانت أقوال الائمة ، والتابعين ، والصحابى العربى بالسليقة عبدالله بن عباس ، ونصوص القرآن الصريحة التى أوردنا « اذا كان ذلك كله يقرر ان كلمة « عبادا لنا » تطلق على المؤمن وغير المؤمن ، فقد بطل احتجاج من قصرها على المؤمنين وحدهم ..

● وأما حقائق التاريخ فمجمعة على أن تلك المرة — أى أولى المرتين — كانت قبل عمر بن الخطاب

أ — فالتوراة — وهى هنا تقص تاريخهم — تفيض فى ذكر مأساة السبى البابلى وما سبقه من قتل وتدمير ، وتفرده بلا أدنى تردد الى بختنصر .. وبختنصر كان قبل الاسلام أى قبل عمر بنحو ألف عام .

ب ـ وكتب التاريخ عامة تقرر ما تقرر التوراة ليراجع تاريخ يوسينوس وقصة الحضارة ـ مثلا ول ديورانت

ج ـ وقد رأينا أئمة التفسير ـ ومنهم مؤرخان من كبار مؤرخي الاسلام ـ ومعهم التابعون يعزون تخريب المرة الاولى ومحنتها الى أشخاص من الوثنيين سبقوا عهد عمر بنحو الف عام على ما قررنا .. هذا وابن عباس صحابى عاصر عمر ، وعرف كل صغيرة وكبيرة من فتوحه ، فلو كان فعل عمر هو المراد بأولى المرتين لقرره ابن عباس ، ولكنه لم يقله ، وقال ان صاحب المرة الاولى هو « طالوت » الذى كان قبل عمر بأكثر من ألف وأربعمائة عام ..

ومن نصوص القرآن الكريم ، ومن تقريرات الائمة وعلى رأسهم صحابى جليل بدون مخالف ، ومن اجماع حقائق التاريخ يتبين أن أولى المرتين بعقوبتها قد حصلت قطعا قبل ظهور الاسلام أى قبل عمر رضى الله عنه ، وليس للقائلين بغير ذلك اى مستند من لغة أو تاريخ .

ـ ٣ ـ

عاد بنو اسرائيل .. وكان عليهم اذ كتب الله لهم أن يعودوا من أسر بابل ، وأن يعمروا مدينتهم وهيكلهم ، أن يعتبروا ويستقيموا على وصايا الله ، ويجتنبوا ما يسخطه ، ويذكروا ما انذرهم به ، ولكن طبعهم الاثيم لج بهم فى المخالفة والاثم ، فهل يحل الله بهم وعد الآخرة انفاذا لقوله : ((**فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا**)) ؟ ..
نعم .. والتاريخ يذكر فى جلاء أن الله سلط عليهم تيطس الرومانى ، فخرب مدينتهم ومعبدهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وشرد من بقى منهم فى الافاق

ونوجز تاريخهم منذ عودتهم من بابل الى أيام تيطس الرومانى فى أنهم لما عادوا من بابل عادوا تحت سلطان الفرس ـ بعد أن كانوا مستقلين ، وبعد الفرس دخلوا فى سلطان اليونان ، وبعد اليونان دخلوا فى سلطان الرومان .. وكانو خلال تلك القرون مثال التمرد والانتقاض على السلطة الحاكمة ، ومثال التمرد على كل فضيلة اجتماعية فيما بينهم وبين أنفسهم ، وبينهم وبين الله .. ونكتفى بذكر بعض شأنهم أيام الرومان ، فانهم كانوا على ديدنهم فى الفسق والسحت ، ويقول عنهم عارف باشا العارف فى كتابه تاريخ القدس : « وكان هناك عدد من الزعماء الطماعين ، دينهم النهب والسلب وقطع الطريق .. وقامت الخصوما تبينهم وبين كبار الحاخامين ، ووصل هؤلاء الحاخامون الى درجة من الطمع والنفوذ ، نهبوا فيها البيادر ، وجمعوا الاعشار لأنفسهم حتى انهم لم يبالوا بالفلاحين والفقراء سواء أماتوا جوعا أم بقوا على قيد الحياة » .. وفى عهد الرومان ـ أيضا ـ كانت مأساة دسائسهم ضد المسيح عليه السلام .. أما علاقتهم بالمستعمر فيكفينا منها ما وصفهم به الوالى بيلاتوس : « انهم يضحون بكل غال ورخيص فى سبيل مصلحتهم ، وان مدينتهم عش الدسائس والفتن » وهذا الوالى هو الذى عاصر المسيح وشهد مكرهم به حتى أفتوه بقتله .. وكان من أحقادهم أن جعلوا المكان الذى دفن فيه المسيح ـ على زعمهم ـ مزبلة تلقى فيه القمامات وما يستقذر من الخرق ، وكذلك صنعوا بالخشبة التى زعموا أنه صلب عليها .. كل ذلك والرومان المستعمرون لا هم يهود ، ولا نصارى ، والمدينة مدينة اليهود وليس تحت اتباع للمسيح .. ومضت السنين على ذلك ، تارة ينكل بهم الرومان تأديبا لهم ، وتارة يغضون .. فلما رأوا أن ذلك لا يجدى معهم الا الطغيان ، وزيادة الفسق والشر ، وفقد الامن ، قرروا أن يقضوا عليهم قضاء تاما .. وتم التنفيذ على يد تيطس سنة سبعين بعد الميلاد ، اذ دك الاسوار ، وهدم المنازل ، وحرق الهيكل ، وامتلأت الشوارع بجثث القتلى حتى قرر المؤرخ اليهودى يوسيفوس الذى شهد بنفسه الحصار أن عدد القتلى بلغ مليون نسمة « ألف الف » وذلك عدا الذين ذهبوا الى

الأسر أو بيعوا رقيقا فى الاسواق ، ويقول الدكتور رياض بارودى: « ان تيطس قتل جميع البالغين من عساكر ومدنيين ، وباع الاولاد أسرى ، وهدم كل منازلها والسور والهيكل » ويقول العلامة السيد محمد صديق خان فى كتابه لقطة العجلان : « ان تيطس قصد بيت المقدس ، وأوقع باليهود وأسرهم عن آخرهم ، الا من اختفى ، ونهب القدس وخربه ، وخرب بيت المقدس كأن لم يغن بالامس ، ولم تعد لهم بعد ذلك رياسة وكان ذلك بعد رفع المسيح بأربعين سنة » أى سنة سبعين بعد الميلاد كما تقرر سابقا .. ويقول الدكتور محمد عبد المعز نصر فى كتابه الصهيونية فى المجال الدولى : « والفكرة التى سادت عن اليهود منذ أن دمر الرومان معبدهم فى اورشليم سنة ٧٠ ميلادية ، **هى الفجر الظاهر عن** اقامة دولة تضم الشعب اليهودى ، فقد جلوا عن موطنهم فى فلسطين وتفرقوا فى جميع أنحاء العالم »

وظلت المدينة بعد ذلك خالية .. فقد كانت خالية من المسيحيين من قبل وصارت الآن خالية من اليهود أيضا ، وليس بها سوى حاميتها الرومانية .. وبدا لبعض المسيحيين فعادوا ، أما اليهود فقد حظر عليهم العودة .. وتطاولت السنين وتوالت القياصرة والولاة ، وكان شىء من التسامح أتاح لأقلية من اليهود أن تعود .. الى أن اعتنق الرومان وعلى رأسهم القيصر الديانة المسيحية ، فقوى شأن المسيحيين بفلسطين ، وظل نجم اليهود آفلا .. « وجاءت هيلانة ــ أم القيصر ــ الى القدس تريد العثور على الخشبة التى صلب عليها المسيح ــ فى زعمهم ــ فأخبرها القساوسة أن هذا الصليب رماه اليهود الى الارض والقوا عليه القمامات والقاذورات ، فأمرت باستخراجه وفرحت به وعظمته وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة « كنيسة القيامة الآن » لتكون على قبر المسيح على زعمهم ، ثم زادت البيت اليهودى تخريبا وأمرت بطرح الزبل والقمامات فيه وعلى صخرته المقدسة جزاء بما فعلت اليهود بقبر المسيح » وكان ذلك سنة ٣٣٥ ميلادية .

ومضت السيادة معقودة للديانة المسيحية وليس لليهود فيها من الامر شىء ، والقمامة تزدا فى المعبد المخرب على صخرته العتيدة ، وليس فيـ الا انقاض مطمورة وبقايا أطلال شاخصة .. وبعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والحال على ما وصفنا حتى لحق بربه ، ومرت أيام أبى بكر ثم كانت أيام عمر ، فلما أراد فتح بيت المقدس وعجز الرومان عن حمايته أبى القساوسة ان يسلموا المدينة المقدسة الا لعمر بن الخطاب نفسه ، فذهب وتسلمها من القساوسة على ما هو مفصل فى التاريخ .. ووجد القمامة تكظ المعبد وصخرته، فأزالها وبنى مكانها أول مسجد بفلسطين : المسجد الاقصى اليوم ..

فاذا ذكرنا أن الله يقول عن المرة الثانية : « **فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا** » اذا ذكرنا ذلك ، كان فعل تيطس هو مصداق هذا الوعد فهو الذى اذل اليهود وساء وجوههم .. ودخل المسجد مخربا كما دخله غيره أول مرة .. ودمر بيوت مدينتهم وأسوارها تدميرا أما فعل عمر فليس به من سمات هذا الوعد مثقال ذرة فانه لم يسوء اليهود اذ لم يكن لهم بالمدينة وجود سياسى ولا طائفى ، والمعروف تاريخيا انهم فرحوا به شماتة بالمسيحيين ، وكانوا يدلون المسلمين على مواطن الضعف ، فلم يقتل عمر منهم احدا ، ولم يشرد أحدا .. ودخلها رضى الله عنه سلما لم يدمر بها بيتا واحدا ، ولا يمكن ان يكون هذا هو المراد بقوله تعالى : « وليتبروا ما علوا تتبيرا » والتتبير هو التدمير .. ووجد عمر البيت مكانا للقمامات ، فأزالها عنه وبنى عليه مسجدا للمسلمين ، يقول الحسن بن احمد المهلبى فى كتابه المسالك والممالك : «ولما وصلت هيلانة الى القدس بنت كنيسة القمامة على القبر الذى تزعم النصارى ان عيسى دفن به ، وضربت بيت المقدس الى الارض ، وأمرت أن تلقى فى موضعه قمامات البلد وزبالته .. وبقى الحال على ذلك حتى قدم عمر

ن الخطاب رضى الله عنه ، وفتح القدس ، فدله
ضهم على موضع الهيكل فنظفه عمر من الزبايل ،
بنى به مسجدا » ومثل ذلك قال السيد محمد
صديق خان .. ويراجع الطبرى وابن الاثير وابن
ثير فى فتح بيت المقدس ..

فوقائع التاريخ الاسلامى وغير الاسلامى تؤكد ن تيطس الرومانى هو صاحب وعد الآخرة اذ دخل لمسجد مخربا كما دخله بختنصر أول مرة ، وتبر كل ما علا تتبيرا ، وليس هو عمر بن الخطاب الذى دخل المدينة سلما لا حربا ، ودخلها معمرا لا مخربا.

— ٤ —

ولم يقم لليهود بعد وعد المرة الاخرة أى وجود سياسى أو طائفى فى مكان ما بفلسطين أو غيرها الا أن يتفرقوا فى أمم الارض جاليات أو شراذم ضئيلة لا ينزلون فى بيئة الا على عهد بالتزام نظمها وتقاليدها على ما أخبر الله تعالى بقوله : **« ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل — عهد — من الله وحبل من الناس »** وقد ظل هذا شأنهم فى كل مكان بالدنيا الى اليوم .

اما مكانهم اليوم بفلسطين ، فليس هو مكان الامة ، أو المجتمع السوى ذى الانظمة الطبيعية ، اذ لم يقل أحد من علماء الاجتماع ان المجتمع هو أرض تغتصب من أهلها ويجمع لها الافراد من نوازع الامم من كل صقع فى بلبلة من اللغات ، والالوان ، والتاريخ .. ولم يقل عالم ان الدولة مسخ ميت يقيمه غيره حيث شاء ، ويسنده بالسلاح والمال والسياسة تعويضا عما يفقد من جذور تكفل له الحياة والاصالة ، ولنا أن نسأل أنفسنا ، كم دقيقة تبقى اسرائيل على قيد الحياة اذا تخلت عنها أمريكا ونفضت يدها منها ؟

ان اسرائيل ليست اسما لمجتمع جاء ثمرة لنواميس العمران ، انما هو تلفيق أو « تجميع » استعمارى أقامته انجلترا فى قلب بلاد العروبة والاسلام عقب الحرب العالمية الاولى ، لما رأته من وحدة الولاء الجارف لجيوش خليفة المسلمين ، ووحدة العداء المضطغن لها ولجيوشها فى تلك الحرب ، فما أن انتهت الحرب حتى أخذت تصطنع ذلك التجميع المعادى ، ومزقت من حوله تلك الوحدة الجليلة فرقا هزيلة لا تزال تعانى الضعف والفرقة الى اليوم .. وما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهى حتى أطلقت أمريكا على ذلك «التجميع» اسم الدولة .. فنحن لسنا بازاء دولة يهودية ، بل بازاء « معسكر » أغتصب له الاستعمار أرضا من أرضنا ، ليجعله نقطة ارتكاز له ، يدبر فيها ويثب منها الى ما يشاء من الاهداف .

فعدونا هو الاستعمار ولاسيما أمريكا ، أما أولئك الممسوخون فقد كنا نمنحهم الذمة فى الماضى بحبل من الله حين كنا فى مستوى الاخذ بكتابه تعالى ، ولكنا فى نهضتنا الحافلة ، ودعوتنا الى التمسك بكتاب الله سنعيد احكام حبل الله حول أعناقهم لنردهم ان شاء الله الى منزلة الصغار التى كتبها لهم ، وكانوا أحق بها وأهلها .

اليهود

أعداء الحياة الإنسانية

من كتابهم المقدس

فضيلة الشيخ كمال أحمد عون

جناية كتابهم على الأخلاق والآداب

انتهينا فى الأحاديث السابقة من نقاط هامة هى على الترتيب :

بيان دستور اليهود المقدس فى قهر الشعــــوب المجاورة وابادتها وما يحمله ذلك من نذر خطيرة بشر مستطير .

ثم تفنيد ادعائهم حقا تاريخــيــا فى فلسطين ، باعتراف كتابهم أنهم طرأوا على أهلها الأصليين غازين ثم جلوا عنها محطمين مدحورين

كذلك تفنيد ما يزيفونه من دعوى الوعد الالهى الأبدى بامتلاك الأرض المقدسة ، وقد أكذبهم النظر الصحيح فى كتابهم والسجل المفتوح من حقــائق التاريخ

وبقى أخطر شئ فى رأينا على الصعيد العالمى وهو جناية كتابهم المقدس على الأخلاق والآداب وعدوانه على مثل الانسانية العليا من النبيين والمرسلين .

ولقد يكون خطيرا ما تخطه أقلام ضالة أو تلفظ قلوب مريضة ونفوس مشئوفة ثم تتلقفه صحاف ماجنة ، ودور للنشر خبيثة تتملق الغرائز والأهو ولع بالانحراف وتحرص عليه وتغرى به .

ولكن شيئا من ذلك على خطورته لن يصــل الى مستوى السوء من كتاب ينشر فيه معتنقه الهـــدى والنور والايمان ، والخلق القويم ، والسلوك الحميد فاذا به يرى بين ثناياه من أقاصيص الجنس وجرائمه وعدوانه ، ومن الاشادة ببعض هذا السلوك الشائن كأسلوب سياسى يعمد الى نفع طائفى لليهود وايقاع دموى بأعدائهم ، يرى من ذلك كله الشيء الكثير ثم يجاوز ذلك الى أسفار مقدسة للتشكيك والحيرة والاضطراب والخلط ، وأخرى سواها الى التشبيب والغزل المكشوف ، منسوبا الى الوحى الالهى . أوالى الالهام واحاديث الصفوة المختارة من رسل الله وانبيائه الكرام

فما عساه يبقى للانسانية لو تحقق ما يريده اليهود لكان الدواء داء دويا والشفاء موتا وحيا وانقلب الهدى ضلالا ، والخير وبالا ، الا (كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذابا)

ونحن مضطرون آسفين الى كشف بعض شائعات اليهود ، وتهجمهم على مقام الهداة المرشدين أولئك الذين أقامهم الله منار هدى لبني الانسان في مسيرتهم على مدى التاريخ ، والى اشارة موجزة عن بعض هذه الاسفار العجيبة .

وعلى سبيل المثال فالى القارىء ما يلي :

لوط وابنتاه

هذا ما ذكره كتابهم عن نبي الله الكريم لوط عليه السلام وبنتيه المؤمنتين الناجيتين معه بعد هلاك قومه ، وهجرته من أرض الرذيلة والفساد ، وقد أمطر الرب عليها كبريتا ونارا فدمرها تدميرا ، اذ نسب الكتاب اليه شناعة حمل بنتيه منه بعد ان سقتاه خمرا ليلة بعد أخرى ، فلم يشعر بشيء مما صنع ، ووضعت كل منهما ولدا كان أبا لشعب بأكمله ،هما الموآبيون ، والعمونيون . (فصل ١٩ ـ سفر التكوين)

واذا عرفنا عداوة اليهود لكل من الشعبين لأنهم لم يتلقوا آباءهم القادمين من مصر بالخبز والماء كما ذكر كتابهم عرفنا سر الفرية على نبي الله وابنتيه الطاهرتين .

داود والمرأة

وداود النبي الاواب الذي آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب . وألان له الحديد وسخر معه الجبال مسبحة بالعشي والاشراق كما جاء في الذكر الحكيم . يشهد له كتابهم مرارا بالاستقامه وطهارة القلب ص ٥٤١ ـ **ويشهد له الرب سبحانه بمثل ذلك في** خطابه لسليمان ص ٧٥٠ يزعم كتابهم في كلام طويل أن امرأة جميلة لجار له اعجبته فارسل رسلا وأخذها ودخل عليها وحملت .. ويحتال على قتل زوجها في الحرب ثم ضمها لنفسه زوجة بعد أن بكت زوجها

ثم جاء منها بعد ذلك النبي العظيم سليمان بن داود عليهما السلام (سفر الملوك الثاني ف ١١ وما يليه

أبشالوم وفراش أبيه

وتأتي ثمار الجريمة المفتراة شوكا وحنظلا ، ويذكر كتابهم نقل الخطيئة عن داود الى غيره كما يذكر أن الرب سيثير عليه الشر من بيته وانه سيدفع أزواجه الى سواه ، ثم لايكون هذا الداخل على أزواج داود وسراريه سوى أحد بنيه المسمى(أبشالوم) في فتنة شق فيها عصا الطاعة وحارب أباه وطارده وكاد ينتصر لولا أن قضى عليه جند أبيه (سفر الملوك الثاني ف ١٥ وما يليه)

أمنون بن داود وأخته

ولئن كان هذا صنيع أبنه العاق أبشالوم فهذا ولده الحبيب أمنون وما صنعه بأخته بنت أبيه حيث يبسط الفصل الثالث عشر من سفر الملوك الثاني كيف تدله ابنه أمنون في حب اخته حتى سقم فنصحه قريب (لهما نصيحة شيطانية استطاع بها ان ينال بغيته من أخته اغتصابا ثم طردها . فلما علم بذلك أبوهما لم يزد على أن تغيظ في نفسه ولم يعاقبه ولم يحزن خاطره لأنه بكره

ولا يسعنا الا ايراد بعض فقرات القصة بالفاظها ليرى القارىء أسلوب الكتاب في سرد الشنائع وما يوحى به من سوء وخبث عجيب اذ يقول .(٢) وتدله أمنون حتى سقم في تامار أخته لأنها كانت عذراء فكان يعسر عليه ان يصنع بها شيئا (٣) وكان لأمنون صاحب اسمه .يوناداب بن شمعة أخي داود وكان يوناداب رجلا ذكيا جدا ... (٥) فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض فاذا أتاك ابوك ليعودك فقل له لتجيء تامارا اختي وتطعمني خبزا وتعمل الطعام وآكل من يدها ـ الى ان يقول (١٩) فجعلت تامار رمادا على رأسها ومزقت القميص الموشى الذي كان عليها ورفعت يدها على رأسها وذهبت وهي تصرخ (٢١) وسمع داود الملك بجميع هذه الامور فاغتاظ جدا ولكنه لم يحزن نفس أمنون ابنه لانه كان يحبه اذ كان بكره .. الخ

فهذا السوء الذى يقصه كتابهم ويثير من اشمئزاز النفوس الكريمة مالا تبلغ العبارة وصفه لا يكفى الكتاب مجرد سرده حتى يضيف اليه من سوء نفسية كاتبه ما يغرى أمثاله بأمثاله .. فالفتاة لو كانت ثيبا لم يعسر عليه فى رأى الكتاب ما يريد وابن العم لايهمه شرف أسرته بل هو يغرى بانتهاكه وعلى يداحق الناس برعايته ، والكتاب يبارك هذا كله ويصف بوناداب بانه ذكى جدا .. وتبلغ هذه الفقرات تسعا وثلاثين فى قرابة ثلاث صفحات من قداسة ذاك الكتاب .

سلف

وقد نسب كتابهم لأحد أبناء يعقوب عليه السلام وهو بكره رأوبين مضاجعته لسرية أبيه ، وان أباه سمع بذلك ولم يذكر انه صنع شيئا (ص ٦٠ من سفر التكوين ف ٣٥)

كما نسب ليهوذا ولد يعقوب انه ضاجع كنته (زوجة ولد له مات) يحسبها بغيا وانها علقت منه فلما ظهر حملها أراد اقامة الحد عليها باخراجها لتحرق ، فأقامت حجة عليه — فصلها كتابهم — بأن الحمل منه ، فتركها (ص ٦٦ من سفر التكوين ف ٣٨)

خلف

بل اقام الكتاب نصبا تذكاريا لامرأة يهودية جميلة، قدمها عمها اليهودى الى حارس النساء الملكى فى بلاط فارس مع العذارى اللائى يوضعن تحت الاختبار عند الملك من المساء الى الصباح .. فعلق الملك بحبها ثم جعلها ملكة بعد الملكة السابقة التى غاضبته وفارقها واستدرت المرأة عطف الملك على بنى جنسها أثناء سبى بابل المشهور فرد حريتهم اليهم وسمح لهم بالعودة الى فلسطين وأمر بمعاونتهم .. تلك اليهودية هى استير وبأسمها سمى السفر الأخير من اسفار المجلد الأول من العهد العتيق (ص ٨١٢ — ٨٢٦)

سفر الجامعة

ثم لاتقف مخازى الكتابه الجنسية عند حد سر… الأقاصيص واقعة أو مفتراة ، ولكنه يمضى و… استكمال الاطار العام لصورة شائهة عجيبة لكتا… دينى عجيب .

فهذا سفر الجامعة بما حوى من اضطراب وحير… والحاد ، اذ يتردد بين الحكمة والحماقة ، والعـ… والجهل ، والاقرار والانكار والايمان والكفر ثم تنتهى… الدعوة فيه الى التمتع بالحياة والخمر والنساء فالكلب الحى خير من الأسد الميت ، وليس للاموات من جزا… (ص ٢١٠) ويطرد فى هذه المعانى الموحية بالقلق والاضطراب الى ان يختم خلطه بالأمر بتقوى الله وحفظ وصاياه ، لأن الله سيحضر كل عمل ليدين على كل خفى خيرا كان أو شرا (ف١٢ ص ٢١٣)

وقد عرف الجامعة بنفسه فى الفصل الأول اذ يقول : كلام الجامعة ابن داود ملك أورشليم .. انا الجامعة ملكت على اسرائيل باورشليم

نشيد الانشاد

واذا كان سفر الجامعة قد ختم لغوه وخلطه بعبارة يأمر فيها بتقوى الله فان سفرا آخر يليه يسمى نشيد الانشاد ليس فيه شيء من الخلط وانما هو صفو صراح ولكن فى معانى الغزل المكشوف كاسمج ما يكون الغزل وأوضح ما يكون الفحش .. ثم لمن هذا السفر من الكتاب المقدس ؟ انه لسليمان فيما زعم كاتبه . واين موضع هذا الاسفاف من سليمان الحكيم ؟ ولكن لاعجب بعد كل مارأينا من بعض ما احتواه الكتاب وبعد أن نسب الزيغ والكفر لنبى معصوم كما فى سفر الملوك الثالث (ف ١١) فهل يستغرب وصفه له بما دون ذلك من لغو المقال

فهل كاتب الكتاب المقدس على هذا النحو عدو اليهود أو انهم فى الحقيقة اعداء الحياة الانسانية يسلكون فى افسادها كل سبيل !!

المسيحية والاسلام

نتقل بعد ذلك نقلة لعلها تغسل بعض أوضار ده القبائح المسطورة فى هذا الكتاب العجيب فنرى العهد الجديد من الكتاب المقدس وهى تعاليم أناجيل وما نسب الى السيد المسيح فى دعوته الى طهر والعفاف ، وقطع وساوس النفس ونوازع هوى ما نصه : وكثيرا ما تكررت وتأكدت هذه عانى .

(قد سمعتم أنه قيل للاولين لاتزن أما انا فاقول كم ان كل من نظر الى امرأة لكى يشتهيها فقد زنى ها فى قلبه فان شككتك عينك اليمنى فاقلعها وألقها عنك فانه خير لك أن يهلك أحد اعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم متى ف ص ٨)

فاذا اتجهنا الى رياض الاسلام تنسمنا أريحه العبق الندى بالكرامة الكاملة والحرية الفاضلة ، رزيناه وقد سلك باتباعه سبل الطهر والعفاف حث على الستر والاحتشام وأمر بغض الأبصار وحفظ الجوارح وفرض صيانة الأعراض والأنساب **وحمى شرف المرأة وسمعتها من افواه الماجنين وعد** ... المحصنات من الموبقات وقرنه بالشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق والتولى يوم الزحف وسجل القرآن اللعنة فى الدنيا والآخرة على قاذفى العفيفات وأمر بجلدهم وردشهادتهم واسقاط كرامتهم ... كا ذلك ليوفر جوا طاهرا نقيا يتنفسه المجتمع **الاسلامى السليم ، ومن ينهج نهجه من غير المسلمين**

وفى القرآن الكريم :

(يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ..)

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم)

(وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ..)

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون)

« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)

فاذا كانت الصهونية بكل شرورها ودنسها وأطماعها تجىء اليوم لتأتى على القواعد من قداسة هذه الأرض الطاهرة ولتلويث شرف العرب من مسلمين ومسيحيين ، واشاعة الرذيلة بين ربوع هذه البلاد وبث بائعات الهوى الليلى وما جنات صهيون فليس ذلك بالجديد منأمرهم ولا هوبالغريب من ميراثهم وتاريخهم المدون باقلامهم واسفارهم المسفرة عن شرهم !!

نصر الله والفتح

ولكن الأمل فى نصر الله تعالى يواكب النفوس الأبية من وارثى هداية السماء فى أرض النبوات والأنبياء ممن يقدسون طهارة المسيح المجيد ويعتزون بعزة الاسلام

ولئن احتجت نساء القدس العفيفات من مسلمات ومسيحيات وبعثت الى سلطات اسرائيل باحتجاجها متحدية الحديد والنار وبعثت الى العالم كله ممثلا فى الامم المتحدة تنكر على اسرائيل الفحش والعار فان طلائع الزحف المقدس من شباب العرب والمسلمين وابطال فلسطين الغر الميامين ، يسطرون اليوم اروع الصفحات فى عالم التضحية والفداء ،ويغسلون بالدماء الزكية الثرى الطاهر من أقذار صهيون .

وسيعلم اليهود فى اسرائيل - ان لم يكونوا قد علموا - ان سلامهم وحياتهم لن يوفر لهم فى دولة عنصرية عادية مهما صنعت ومد الاستعمار لها فى هذا الصنيع سعيا وراء غاياته وأهدافه ولو كان فيها انتحار اليهود .

وان سلامهم وحياتهم فى رحاب العرب - كما عرفوا ذلك تماما على مدى التاريخ وكلما فقدوه فى أمة من الامم الغربية فى القديم والحديث وما اكثر ماأوقع الغربيون بهم محاولين استئصال شأفتهم انتقاما من طرائقهم ، ومما صنعه اسلافهم مع السيد المسيح وزخرت بأنبائه مؤلفات الثقات من المؤرخين

سلام اليهود وحياتهم بفلسطين لو شاءوا فى دولة عربية تحفظ فيها للأقليات حقوق يصونها شرف العرب وترعاها عدالة الاسلام ، الا ان موعدهم الصبح ، وان صبح النصر باذن الله قريب .

دراسات في فقه الحديث ومذهب المحدثين

الدكتور عبد المجيد محمود

« ١ »

علاقة الحديث بالفقه علاقة وثيقة متلازمة نشأت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فعندما ينطق الرسول بحديث تشريعى انما يقر حكما فقهيا ، وعندما تعرض له عليه الصلا والسلام حالة من القضاء ا ما يفصل فيها بحديث ولهذا لم يكن البحث عن الحديث لمجرد جمعه ف دواوين أو المحافظة عليه من الضياع – وان كان هذا فى ذاته غاية جليلة – وانما كان البحث عن الأحكام التى تقررها الاحاديث هو الدافع الاول والاهم ، ولهذا لم يكن فى عصر الصحابة فاصل بين المحدث والفقيه ، حتى اذا وجد من يتخصص فى استنباط الأحكام من القرآن والحديث ، ومن يتخصص فى رواية الحدث ومعرفة اسناده وعلله – أخذ الحديث ينفصل عن الفقه ، وبدأ المحدث يتميز عن الفقيه .

وقد استقر فى أذهان الكثيرين نتيجة لهذا الفصل أن المحدث لا يعرف غير الرواية ، وأن اجتهاده محصور فى نطاق البحث عن عللها وتحرى أحوال رواتها ، أما الفقه فليس من مهمة المحدث ولا حظ له فيه ، اما لأنه لا يعنى به ، واما لانه ليس له قدرة على الاستنباط ، فعلى المحدث أن يجمع المادة ، وعلى الفقيه أن يستعملها ويضعها موضعها ، وذلك هو تشبيه الأعمش حين قال لاحد الفقهاء مسلما بفكرة التخصص هذه : « أنتم الاطباء ونحن الصيادلة » .

ثم ساعد على ترويج هذه الفكرة نماذج من الرواة لم تكن تنظر فيما تحمله من علم ، ولم يكن عندها قدرة على الاجتهاد والاستنباط ، مثل مطر الوراق من محدثى القرن الثانى ، الذى سأله رجل عن حديث ، فرواه له ، فلما سأله الرجل عن معناه رد عليه مطر قائلا : لا أدرى ، انما انا زاملة .

وأمثال مطر الوراق هم الصورة التطبيقية لما جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :

« نضر الله عبدا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » .

وقد علق الامام الشافعى رضى الله عنه على هذا حديث بقوله : « دل هذا الحديث على انه قد حمل الفقه غير فقيه ، يكون له حافظا ، ولا يكون ه فقيها » .

ولكن المحدثين لم يكونوا جميعا كذلك ، بل جد منهم طائفة حملت فوعت ، ونظرت استنبطت ، واستطاعت ان تكون لها مدرسة خاصة لها منهجها وسماتها ، ولم يغب عن تصورها فرق بين الراوى المجرد والراوى الفقيه ، بالثورى يقرر أنه ليس كل من حمل الحديث مكن ان يستفاد منه العلم بالأحكام ، وينصح حد تلاميذه بقوله : « خذ الحلال والحرام من لمشهورين فى العلم ، وما سوى ذلك فمن لمشيخة » .

ويبدو أن لفظ « الشيوخ » أو « المشيخة » صار اصطلاحا يطلق على غير الفقهاء من المحدثين ؛ كما سبق فى عبارة الثورى ، وكما روى عن وكيع بصورة أوضح واكثر تحديدا ، حيث استعمل « الشيخ » فى مقابلة « الفقيه » ، وذلك حين سال بعض من فى مجلسه مختبرا لهم : « الاعمش احب اليكم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله . او سفيان ، عن منصور ، عن ابراهيم ، عن علقمة ، عن عبدالله؟» فردوا عليه :

« الأعمش عن أبى وائل أقرب » ، فقال : « الاعمش شيخ ، وأبو وائل شيخ . وسفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله ، فقيه عن فقيه ، عن فقيه ، عن فقيه » .

وفى هذه المقالات سوف نبين كيف تكونت المدرسة الفقهية للمحدثين ، ونحاول أن نصف ملامحها وسماتها ، ثم نتحدث عن مراحلها وتطورها ، بادئين بعصر الصحابة حتى نصل الى القرن الثالث الهجرى ، وهو القرآن الذى وضح فيه كيان المحدثين وبرز فيه فقههم .

رواة الحديث من الصحابة : ملامح من فقههم :

نستطيع أن نعتبر عصر الصحابة منبع الآراء الفقهية : منه تتدفق ثم تسيل متشعبة فى أودية الزمن ، مكتسبة فى مسيرتها ما اختلطت به من الطبائع والعقول والبيئات المتفاوتة ، مثلما يكتسب الماء من خواص الارض التى يمر عليها ما يحفظ عذوبته وخواصه أو يخرجه عنها . ونظرة فاحصة الى معظم المذاهب الفقهية تؤكد ما نقول ، وتكشف عن جذور هذه المذاهب الممتدة الى عصر الصحابة رضوان الله عليهم ، تمتص منه حياتها ، وتتلمس فيه البراهين على صحتها واستقامة طريقتها ، وتستأنس به لما تذهب اليه .

وتعرضنا هنا لهذا العصر انما هو من جانب تأثيره فى المحدثين وتأثرهم به ، عن طريق النماذج التى يشبهونها ، والتى تلتقى معهم فى الاهتمام بجمع الحديث والعناية بروايته .

ولم يكن الصحابة متساوين فى القدرات العقلية ، ولم تكن الظروف المهيأة للتحصيل العلمى مواتية لكل واحد منهم ، اذ أن بعضهم كان يطيل ملازمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيسمع منه ويتفقه عليه على حين أن آخرين منهم كانوا مشغولين بالجهاد فى سبيل الله ، او بشئون الحياة من زراعة او تجارة أو غير ذلك ، كما قال الصحابى طلحة بن عبيد الله : « انا كنا اهل بيوتات وغنم وعمل ، كنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار » .

واذا كان الاحصاء التقريبى لعدد الصحابة الذين توفى عنهم رسول الله هو مائة وأربعة عشر الفا ، فان من أثر عنهم الفتوى من الصحابة لا يتجاوز المائتين ، ما بين مكثر من الفتوى ومتوسط فيها ومقل منها .

وكما تفاوت الصحابة فى مقدار ما أثر عنهم من فتوى تفاوتوا فى مقدار روايتهم الحديث ما بين مقل ومكثر . غير انه ينبغى أن نتنبه الى أن قلة المروى من الحديث عن فقهاء الصحابة ممن كانت لهم عناية بالفتوى لا تعنى انهم لم يكونوا يعلمون من الحديث الا ما رووه ، فانهم ما كانوا يروون الحديث الا فى مناسبة تستدعيه اذ لم يكن من همهم الاشتغال بالرواية وحدها ، وانما اشتغل برواية الحديث من تأخر به العصر منهم بعد الفتوحات واستقرار المسلمين ، فاحتيج اليه وقصد للفتوى والتحديث .

وإذا استعنا باحصائية ابن حزم فى عدد الاحاديث التى رواها كل صحابى فسوف نرى أبا هريرة فى المقدمة ، حيث روى (٥٣٧٤) خمسة الاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثا ، يليه عبد الله بن عمر بن الخطاب (٢٦٣٠) ثم أنس بن مالك (٢٢٨٦) ، ثم عائشة (٢٢١٠) ، ثم عبد الله بن عباس (١٦٦٠)

وسوف نختار هؤلاء الصحابة المكثرين من رواية الحديث – باستثناء أنس بن مالك – ، لنبين جوانب من فقههم ، ونلقى الضوء على منهجهم ، لتدرك تأثيرهم فى المحدثين من بعدهم .

ونستطيع أن نقسم هؤلاء الاربعة الذين اخترناهم كنماذج للمحدثين فى عصر الصحابة – الى مجموعتين :

تتكون المجموعة الأولى من السيدة عائشة وابن عباس . وتضم المجموعة الثانية أبا هريرة وابن عمر .

وهذا التقسيم مبنى على أسس كثيرة تبرزها المقارنة بين المجموعتين – فمن هذه الأسس :

أولا : الملكة الفقهية ودقة الاستنباط

وقد كان للمجموعة الاولى من ذلك حظ أوفى ونصيب أكبر ،وهو الذى مكنها من كثرة الفتوى بسبب استعمال العقل وعدم التحرج من الرأى . ولذلك قال ميمون بن مهران فى مجال الموازنة بين ابن عمر وابن عباس : « ابن عمر أورعهما ، وابن عباس أعلمهما » . ويؤكد ابن القيم هذا الاستنتاج الذى أبرزته الموازنة بين المجموعتين فيقول : « وقد كان أبو هريرة وعبد الله بن عمر من أحفظ الصحابة للحديث وأكثرهم رواية له ، وكان الصديق وعمر وعلى وابن مسعود وزيد بن ثابت أفقه منهما ، بل عبد الله بن عباس أيضا أفقه منهما ومن عبد الله بن عمرو . »

أما السيدة عائشة رضى الله عنها فان فقهها أشهر من أن يعرف به ، ويكفيها أن الصحابة كانوا اذا أشكل عليهم الامر فى الدين استفتوها ، قال أبو موسى الأشعرى : « ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علما » ، وقال مسرو ابن الأجدع « تابعى توفى سنة ٦٣ هـ » : راي مشيخة أصحاب محمد يسألونها عن الفرائض .

ثانيا : كمية الفتوى :

فقد أثر عن المجموعة الاولى من الفتوى أكث مما أثر عن المجموعة الثانية ، وقد ذكر ابن ح أبا هريرة فى المتوسطين فى الفتيا ، ولكنه ذكر ا عمر مع عائشة وابن عباس فى المكثرين منها ، غ انا اذا قارناه بهما ، فسوف نرجح أنه كان أقل فت منهما ، يشهد لهذا ما عرف عنه من ورعه وتشدد وما شهد به تلاميذه فى مجال الموازنة بينه وبي ابن عباس . فمن ذلك ما رواه الدارمى « عن عبي ابن جريج قال : كنت أجلس بمكة الى ابن عم يوما والى ابن عباس يوما ، فما يقول ابن عم فيما يسأل – لا علم لى – أكثر مما يفتى به » .

وفى تذكرة الحفاظ عن سليمان بن يسار ، قال « كنت أقسم نفسى بين ابن عباس وابن عمر فكنت أكثر ما أسمع ابن عمر يقول لا أدرى ، وابن عباس لايرد أحدا . فسمعت ابن عباس يقول عجبا لابن عمر ورده الناس ، الا ينظر فيما يشك فيه : فان كانت مضت به سنة قال بها ، والا قال برأيه » ؟

وفى تذكرة الحفاظ أيضا عن أبى مجلز قال : « شهدت ابن عمر والناس يسألونه فقال : اياكم عنى اياكم عنى ، فانى كنت مع من هو أفقه ، ولو علمت أنى أبقى حتى يفتقر الى لتعلمت لكم » . أما ابن عباس فكان يعلم أنه سوف يحتاج اليه ، فكان يطلب العلم استعدادا لذلك . فقد روى عنه أنه قال : لما مات النبى صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الانصار : هلم بنا نسأل الصحابة فانهم اليوم كثير قال : واعجبا لك ، أترى الناس يحتاجون اليك ؟ ! قال : فترك ذلك وأقبلت أسأل ، وان كان ليبلغنى الحديث عن رجل فآتى بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائى على بابه يسفى الريح على من التراب ، فيخرج فيرانى فيقول : يا ابن عم رسول الله ، ما جاء بك ، هلا أرسلت الى فآتيك ؟ فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك . فأسأله عن الحديث . فعاش الرجل الانصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى يسألونى ، فقال : هذا الفتى كان أعقل منى .

يقول ابن حزم عن ابن عباس : هو أكثر
حابة فتوى على الاطلاق . وقد جمع فتاويه
كر محمد بن موسى بن يعقوب ابن الخليفة
ن أحد أئمة الاسلام فى العلم والحديث — فى
ين مجلدا .

لثا : نقد الحديث والنظر فيه وعرضه على
ى وعلى الاصول العامة فى التشريع — من
س التى تميز المجموعة الاولى عن الثانية .
ئشة وابن عباس فى ذلك أخبار كثيرة نكتفى
بما يأتى :

— نقض الوضوء بما مست النار :

وقد اختلف الصدر الاول فى ايجاب الوضوء
مست النار ، لاختلاف الآثار الواردة فى ذلك،
بوا ثلاثة مذاهب :

الأول »، لا يجب الوضوء بأكل شىء ما ، سواء
ذلك ما مسته النار وما لم تمسه ، لا فرق بين
الابل ولحم غيرها . وهذا مذهب الجمهور ،
روى فى الصحاح وغيرها من أن الرسول اكل
شاة ثم صلى ولم يتوضأ ، ولما رواه جابر .
آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه
سلم ترك الوضوء مما مست النار .

المذهب الثانى : وجوب الوضوء من أكل ما
سته النار .

المذهب الثالث : وجوب الوضوء بأكل لحم الابل
اصة ، لأحاديث وردت فى ذلك فيها التفريق
ن اكل لحم الشاة واكل لحم الجزور ، وفيها
مر بالوضوء من لحم الابل خاصة .

والذى نريد ان نوضحه هنا هو موقف ابن
باس مما رواه ابو هريرة فى ايجاب الوضوء من
ل ما مست النار ، ومناظرته له فى ذلك ، وعن
ى شىء صدر النقد من ابن عباس .

فقد روى الترمذى أن ابا هريرة لما روى
حديث « الوضوء مما مست النار » قال له ابن
باس : يا ابا هريرة ، أتوضأ من الدهن ؟ أتوضأ
ن الحميم ؟ فقال أبو هريرة : يا ابن اخى اذا
سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا تضرب له مثلا .

ب — الوضوء من حمل الجنازة :

فقد روى عن أبى هريرة : « من غسل ميتا اغتسل ، ومن حمله توضأ » فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت : « أو نجس موتى المسلمين؟ وما على رجل لو حمل عودا ؟ »

وقد وقف ابن عباس من هذا الحديث مثل موقف عائشة تماما ، فروى عنه انه قال : « لا يلزمنا الوضوءفى حمل عيدان يابسة » .

وكأن عائشة وابن عباس لاحظا فى هذين المثالين ان الاصل فى نقض الوضوء هو قوله تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء » . ولذا اتفق على انتقاض الوضوء من البول والغائط والريح والمذى والودى . واختلف فيما عداها . على أن أكثر المختلف فيه يمكن اعتباره ذريعة مفضية الى احداث ما اتفق على نقض الوضوء منه: مثل ما يخرج من الجسد كالدم وغيره من السبيلين أو من غيرهما ، ومثل النوم ولمس المرأة ومس الذكر . أما حمل الميت وأكل ما مست النار فليسا داخلين فى الاصل المتفق عليه ولا فيما يفضى اليه ، ولذا كان الوضوء منهما محل استنكار .

ومن الأمثلة أيضا ما روى فى قطع صلاة المصلى اذا مر أمامه امراة أو كلب أو حمار ، وقد روى البخارى انكار عائشة لهذا الحديث وقولها : « بئسما عدلتمونا بالكلب والحمار » وروى الترمذى انكار ابن عباس أيضا لهذا الحديث ، وغير ذلك كثير

رابعا : أما العامل الرابع الذى يميز السيدة عائشة وابن عباس عن ابن عمر وأبى هريرة ، فهو أن المجموعة الاولى قد دأبت على البحث عن علل الأحكام وتحرى غاياتالشريعة وعدم الوقوف عند ظاهر النص فى أغلب الاحوال .

فمن ذلك ماقالته السيدة عائشة رضى اللهعنها فى خروج النساء الى المساجد : « لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن الخروج الى المساجد » . وهذا يعنى انها تأخذ فى اعتبارها عامل الزمن ، ورجحان المصلحة فى ضوء المقصود العام من التشريع .

ومن ذلك رأى عائشــــة وابن عباس فى لحوم الحمر الأهلية . فالمشهور أنها محرمة لما جاء فى تحريمها من الاحاديث الصحيحة . ولكن عائشـــة ذهبت الى حليتها مستدلة بالآية الكريمة :

« قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به »

وكذلك ذهب ابن عباس الى حليتها ، فعن عمرو ابن دينار قال : قلت لجابر بن زيد : يزعمون أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم نهى عن الحمر الأهلية ، قال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو والغفارى عندنا بالبصرة ، ولكن أبى ذلك البحر ابن عباس ، وقرأ : « قل لا أجد فيما أوحى الى محرما .. » الآية .

واذا كان ابن حزم قد اعتذر عن السيدة عائشة بأن النهى لم يبلغها ، ولو بلغها لقالت به ـ فانه لايستطيع أن يعتذر بمثل ذلك عن ابن عباس الذى بلغه النهى فلم يقف عنــد ظاهره ، بل بحث عن الدواعى التى دعت اليــــه ، والى العلة التى كان عليها مداره . فقد روى عنه أنه قال : « لا أدرى أنهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أنه كان حمولة الناس فكره أن تذهب حمولتهم ، أو حرم فى يوم خيبر لحوم الحمر الأهليـة » . ويعلق ابن حزم بأن هذا ظن من ابن عباس ووهلة ـ أى غلط وسهو ـ لان النبى صلى الله عليــــه وسلم بين وجه النهى عنها فيما رواه البخارى : « ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية فانها رجس » .

وقد تأثر برأى ابن عباس فى هذه المسألة تلميذه سعيد بن جبير ، فقد روى أبو اسحاق الشيبانى عن ابن أبى أوفى قال : أصبنا حمرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وطبخناها ، فنادى منادى رسول الله أن اكفئوا القــــدور بما فيها . قال أبو اسحاق . فذكرت ذلك لسعيد بن جبير . فقال : انما نهى عنها لانها كانت تأكل الجلة .

ولنا الى ابن عباس عودة .

الإسلام

الدكتور يحيى درويش

أقام الاسلام المجتمع على اسس كثيرة غيرت م... صور الحياة ولونها وفلسفتها وأوجدت انما... من الفكر والسلوك وجعلت للمجتمع قيمة لم يكن... ليعرفها لولا دعوة الرسول . ومن هذه الاسس .

أولا : المساواة :

فلا تفاضل لجنس على جنس أو لون على لون أو أمة على أمة أو فرد على فرد الا بالتقــــوى أى بالكمالات الانسانية بالعمل الصالح بالاخـــلاق الفاضلة . يقول الله عزوجل (**أن أكرمكم عند الله أتقاكم**) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (**الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى .**

ثانيا : الاخاء :

يقرر القرآن الكريم هذا المبدأ فى قوله تعالى :

(**انما المؤمنون اخوة**)

ثالثا : المودة :

وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (**لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه**

الخدمة و الاجتماعية

والوثيق بالايمان تعميقا لهما وتأكيدا .
ويلاحظ فى هذا المبدأ والذى قبله ارتباطهما الصريح

رابعا : الشورى :

وهى أساس الديمقراطية (فى العالم المتحضر اليوم وقد ورد ذكر هذا المبدأ فى القرآن الكريم فى صفات المؤمنين الاساسية .. واقترن باقامة الصلاة فى قوله تعالى **(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم .)**

ولأمر له حكمته سميت السورة التى ورد فيها ذكر هذا المبدأ باسم سورة (الشورى)

خامسا : التعاون :

والتعاون فى الاسلام لاحدود له لأنه يرتبط بالبر والتقوى ولاحدود للبر ولا نهاية للتقوى .
يقول الله عز وجل : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

سادسا : التكافل الاجتماعى .

ونظام التكافل الاجتماعى فى الاسلام والمبادىء التى يقوم عليها والتىلايتسع المقاملذكرها ومقارنتها بغيرها - يفوق فى حكمته واهدافه وروح ادائه كل ما عرفه العالم من نظم التكافل الاجتماعى حتىاليوم

يقول الله عز وجل : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل وما ملكت ايمانكم .

ويقول : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل)

سابعا : العلم

والاسلام يأخذ بمبدأ العلم فى كل شىء حتى فى العقيدة فهو لايقبل ايمان المقلد ويذم المقلدين بدون علم .

والاسلام يرفع من شأن العلم والعلماء قال الله تعالى **(يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)**

ثامنا : العمل :

والعمل فى الاسلام هو الغاية من الوجود ذاته ولكنه العمل الصالح والعمل الافضل والأحسن
يقول الله عز وجل : (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا)

ويقول (أنا لا نضيع أجر من احسن عملا)
ويقول (فاذ قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ من العجز والكسل فيقول - تشريعا وتعليما للامة - اللهم أنى أعوذ بك من العجز والكسل .

تاسعا : تربية النفس وتزكيتها :

لتكون فى تطور دائم فى سلم الكمالات وهذه التربية هى اساس كل مجتمع انسانى وهى التى تعطيه روح الحياة الفاضلة . المتطورة فى سلمها الحضارى .

يقول الله عز وجل : (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها طهرها ونماها - وقد خاب من دساها - اهملها واخملها .

عاشرا : السلام :

والمجتمع الاسلامى هو مجتمع سلام ، ومجتمع تعايش انسانى .. والحرب فى الاسلام انما هى من

أجل الدفاع عن النفس ، والحق والعدل ، والوطن من أجل السلام ذاته .

يقول الله عز وجل : (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا)

وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم)

لم يقل القرآن الكريم (تقاتلون) عدو اللهوعدوكم وانما قال (ترهبون) أى تخيفون العدو فلا يجرؤ على قتالكم .

حادى عشر : القوة والعزة .

والمجتمع الاسلامى مجتمع قوة وعزة .

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف .

ثانى عشر : التناصح والتواصى بالحق وبالصبر .

الدين النصيحة لله وللرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ويقول الله عز وجل : والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

ثالث عشر : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهذا المبدأ يكون رأيا عاما فى المجتمع لحماية القيم الفاضلة والمثل العليا وربطها بسلوك الناس (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)

رابع عشر : الوحدة الاجتماعية وحدة الجسد الواحد

كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**

فليست الشريعة الاسلامية ذات صبغة دينية مجردة بل كانت دائما تعنى بوضع اسس وقوانين لظروف الحياة الخاصة والعامة يدخل فيها كل ما يتصل بالنظم التشريعية التى تتمشى مع تطورات المدنية والحضارة فى كل عصر وقد عنيت تلك الشريعة فوق ما عنيت بتهذيب الانسان وصقل روحه فى ناحية هامة جدا هى علاقة هذا الانسان بأخيه الانسان وقد وضع الدين الاسلامى احسن الأسس وأقومها للمجتمع ورسم الطريق واضحة لحسن العلاقة بين الفرد والجماعات والح فى كل ركن من أركانه على التعاون البشرى الذى هواساس العمران كما حرض المؤمنين فى كل مناسبة على الرحمة والبر والاخاء والعدل والاحسان وقد نص القرآن الكريم فى كثير من مواضعه على الرحمة والرحمة أصل الاحسان والاحسان هو المبدأ الفطرى للخدمة الاجتماعية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)

وقد اهتم الاسلام كثيرا بالبر والاحسان والعمل الصالح واعتبرها ركنا اساسيا من أركان الدعوة المحمدية وفرضها على المسلمين ووضعها فى منزلة الايمان وجاء القرآن بكثير من الآيات التى تفسر احكامها وتضع أصولها وتفصيلها .

والواقع أن فكرة الضمان الاجتماعى التى يفخر قادة الخدمة الاجتماعية فى الغرب بانهم مبتكروها لها أساسها فى تعاليم الدين الاسلامى لان هذا النظام كان متبعا فى أدق صوره فى صدر الاسلام اذ أن من غايات الدين أن يقارب بين الطوائف وان يوفر فى المجتمع التكامل الاجتماعى الذى لم يعرفه الغرب الا حديثا . فالأموال كانت تؤخذ من القادرين لمساعدة العاجزين والزكاة التى كفلت حقا من حقوق الفقراء (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) انما نظر اليها على انها منة يمن بها على الاغنياء ويتفضل بها على الموسرين (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وكذلك جعلت الزكاة حقا

مقررا لبيت المال لا سبيل الى المماطلة فيه حتى أن العرب لما ارتدت عن دفع الزكاة عقب وفاة الرسول ونصح الخليفة الأول بان يداريهم قال والله لومنعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه واذا كانت فلسفة الرعاية الاجتماعية الحديثة تنكر الاحسان من الغنى الى الفقير مباشرة لما فى ذلك من غضاضة على الفقير ومن زيادة لكبرياء الغنى فان الاسلام قد تنبه على هذا من اكثر من ثلاثة عشر قرنا فجعل الزكاة تجبى الى بيت المال ثم تنفقها الدولة على من هم بحاجة الى المساعدة والرعاية بل ان الاسلام قد حدد أوجه الصرف مما يجبى من أموال الزكاة تحديدا يحكمها ويحقق الغاية من جمعها ويحول بين المتكاملين وبين الانتفاع بها (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل**)

ولم يكن البر فى الدعوة المحمدية خاصا بأهل الجنس أو الدين وانما كان عاما لكل محتاج مسكين (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) وهذا يتفق مع مبدأ الخدمة الاجتماعية للجميع دون تفرقة فى الجنس والدين أو اللون .

وهناك أيضا التعليم ومحاربة الجهل فقد قاوم الاسلام الجهل وأمر بطلب العلم وتحمل المشاق فى سبيله (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ولم يجد الرسول لنشر التعليم بين الناس الا ان يكثر ممن يقرأ ويكتب فكان يفرض على المتعلم أن يعلم غيره وكان النبى يفرض على الاسرى الذين لامال لهم ان يفتدوا انفسهم بتعليم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة . اما الفلسفة التعليمية فكان اساسها القرآن والسنة المحمدية وكان القرآن الكريم اساسا للعلوم الاسلامية وكانت مدارس المسلمين فى مبدأ الامر لاتتعدى حوائط جوامعهم يجتمعون فيها على هيئة حلقات لسماع استاذ يلتفون حوله ولما اتسع الاطلاع وزاد الباحثون فى العلم زود كل جامع بخزانة من الكتب ثم الحقت المدارس بالجوامع وأوقف عليها كبير من الأوقاف للصرف عليها وشجع على ذلك رغبة الاغنياء فى الاحتفاظ بأموالهم لتدريبهم خوفا من استيلاء السلطان عليها فكان الرجل منهم اذا كثر ماله خاف من تعدى السلطات على من يخلفه من ذريته يبنى المدارس والجوامع والزوايا ويقف عليها الأوقاف خوفا من ضياع أمواله ويجعل من شروط الوقف ان يتولى ادارة الاوقاف احد اولاده ويحدد له نصيبا منها فيكون ذلك لذريته واولاده أمانا من الفقر ـ وكان من اسباب انشاء الجوامع والمدارس التنافس فى تأييد المذاهب المختلفة فكان السلطان يعمل على نشر تعاليم مذهب بالاكثار من دور العلم التى تبشر به .

يأتى بعد ذلك النظام التعاونى فان من اهم اسسه ان الواقع لتكوين اجهزته هو الرغبة فى تبادل المعونة مع الغير فيما يعجز الفرد بمفرده عن تحقيقه بنفسه من نفع أو صالح مادى أو معنوى هذا هو الاساس الروحى للحركة التعاونية تراه ممثلا فى الآية الكريمة (**وتعاونوا على البر والتقوى**) **وفى الحديث الشريف (الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه) وفى الحكمة المأثورة (الناس بخير ما تعاونوا** فالتعاون بأسسه ومبادئه العامة بل وباتجاهاته المعاصرة لم يخرج عن كونه وليدا لمبادىء الاسلام ومحققا لاصل من أصوله ومؤكدا للاتجاهات التى أوصى بها ونص عليها .

أما الاسرة ورعايتها فان حقوق الطفل وواجبات الآباء والامهات وسلامة العلاقات الاسرية وتحديد ضوابطها وأحكامها والصلح والتحكيم بين افرادها ورعاية الاطفال مجهولى النسب كل ذلك فرغ الاسلام منه منذ اربعة عشر قرنا ووضع له الأسس التى تكفل حماية الاسرة باعتبارها الخلية الاساسية فى بناء المجتمع .

ثم انظر الى احكام السلوك الانسانى كيف ينظمها القرآن الكريم عندما ينصح لضمان الابن وهو يعظه بعدم الاشراك بالله والبر بالوالدين واتباع طريق التوحيد والاخلاص والامر بالمعروف واحتمال الشدائد والمحافظة على الصلاة والابتعاد عن الخيلاء والتكبر .. حدود من السلوك الانسانى لايدانيها ما وضع من نظريات علمية بل هى مصدر لكل اساس يبنى عليه المجتمع البشرى .

الشريعة الإسلامية والآداب ...

فضيلة المستشار محمد خاطر

قال الله تعالى وهو أصدق القـــائلين (ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكـونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خـيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئـك هم الظالمون ، ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسســـوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتـا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم)

وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال (أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره • قال أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقــول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته) اخرجه مسلم

كان فيما أوضحناه من مقالات سابقـــة بعض ما زخرت به أحكام الشريعة الأسلامية من حرص عـلى الأخلاق والآداب بما يكفل الخير والسعادة للفـرد والمجتمع وبما ينظم علاقات الفرد مع الآخرين ويرتب حياته ومعاشه على نسق يتفق وقواعد الدين وهدى سيد المرسلين •

وفيما نعرض له اليوم من آداب واسس للاخلاق قد أوضحها القرآن الكريم بالدرس والتفصيــل وبينها فى اقواله وافعاله اجلى بيان امام المتقين وسيد المرسلين والمثل الأعلى فى فضائل الاخلاق صلوات الله وسلامه عليه ـ ومنها ترى كما أوضحنا آنـفا ان الشريعة الاسلامية فى احكامها تضع الأساس للاخا

والمحبة حتى يتم التعايش في سلم وسعادة وترابط بين جميع الأفراد دون تحقير من شخص لآخر أو أيذاء ، وعلى هذا الأساس يتم بناء المجتمع الفاضل مادام قد وقر فى نفس الفرد بالتربية الخلقية والروحية التى سلكتها الشريعة الغراء بان ما يصدر منه من آيذاء أو تحقير لأخيه انما يوجهه لنفسه وذاته ، وأنت لاتجد هذه المثل وتلك القيم ابدا فيما يوضع من عقوبات دنيوية حسب نوع الجريمة وفقط دون ما نظر الى ما ينتج عنها من مسائل نفسية ورواسب تحكم علاقات الأفراد والجماعات أما ما تهدف اليه الشريعة فى أحكامها هو التربية الخلقيه والروحية بجانب ما وضعته من عقوبات ذلك لأن ما ارتكبه المعتدى من اساءات انسانية وما هدمه من قيم روحية لايمكن أن تجبرهاالعقوبات المادية وحدها اذ هى لا ترأب ما حدث من صدعو تفكك وانهيار يشير الى ذلك قوله جل شأنه (لايسخر **قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) فاذا ما اعتقد كلواحد** ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لامتنع وكف عن الوقوع فى المعصية لكن الناس لايطلعون الا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بما خفى وما تكنه الضمائر وتحويه القلوب والصدور — وفيما ترسمه الآية الكريمة منهدى ينبغى ان لايجترىءأحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه فقد يكون ذلك الشخص اخلص ضميرا وأتقى قلبا وأورع نفسا ممن هو على ضد صفته فيظلم الانسان نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وكرمه وقربه ٠٠ فرب اشعث أغبر لو اقسم على الله لابره وعن حارثة بن وهب الخزاعى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (الا أخبركم بأهل الجنه كل ضعيف متضاعف لو اقسم على الله لأبره ، هذا ولقد بلغ بالسلف انهم كانوا يفرطون فى التوبى من الوقوع فى مثل ذلك، قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن اصنع مثل الذى صنعه • وعن عبد الله بن مسعود (البلاء موكل بالقول • لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا) هذه هى صفات الزهد والطاعة والخشية من الله وعلى أساسها كان التعاطف بين الأفراد وكانت المحبة التى تجمع القلوب المتنافرة وتبعد عنها البغضاء وفحش القول والسخرية •

هذا وتؤكد الآية الكريمة ان الانسان فى اساءته لأخيه انما يسىء لنفسه وهو بذلك يسىء أيضا الى ما أوجبته الشريعة من وحدة ومحبة وتآخ اذ تقول (ولا تلمزوا أنفسكم) فلا توجه أى لمز أو عيبلاخيك لأنك انما توجهه لنفسك ذلكلأن المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا تألم منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر فمتى عاب المؤمن أخاه فكأنما عاب نفسه وهو فى الوقت ذاته انما يعرض نفسه لأن تلمز بما لمز به الغير ، ومن النبذ واللمز ان تلقب أخاك بما يكرهه وينفر منه وقد روى أن الرسول صلوات الله عليه قال (من **حق المؤمن على أخيه ان يسميه بأحب اسمائه اليه) بل لقد طلبت الشريعة الغراء الى الشخص ان يتخير** لطفله حين يولد الاسم الحسن لأن ذلك من بينحقوق الابن على ابيه — ولهذا كانت التكنية من السنة ، والأدب الحسن قال عمر رضى الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهه ولقد لقب ابو بكر بالصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وهكذا ولما تزل هذه الألقاب فى الأمم كلها تجرى فى مخاطباتهاومكاتباتها وهى فى العرف من دلائل التوقير والاحترام — هذا وقد عرضت الآيات أيضا الى صفات مرذولة نهت عن الوقوع فيها أو التخلق بها فدعت الى اجتناب الظن والتجسس والغيبة وبينت الآثار والآثام المترتبة على ذلك كما أوضحت بشاعة الجرم فى ذلك وبعده عن القيم الانسانية والفضائل الروحية وقد قال الرسول صلوات الله عليه ان الله تعالى (حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء) كماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم حطب فرفع صوتهحتى أسمع العواتق فى خدورهن قال يامعشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فانمن تتبع عوراتالمسلمين تتبع اللهعورته

حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ــ أما من يتجاهر بالفسق والفجور فقد هتك ستر نفسه وأباح حرمتها وقد روى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له

هذا وقد عرف الرسول الكريم الغيبة فى الحديث السابق تعريفا واضحا عاما وهى أن تذكر اخاك بما يكره ثم فصل فبين انه ان كان فيه ما تقوله فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وافتريت عليه وارتكبت اثم الافتراء والقذف ــ كما روى فى تعريف الغيبة أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبة) وفى ذلك مايوفق بين معنى الغيبة شرعا ولغة

وأوضحت الآيات بشاعة جرم الغيبة وصورت هذه البشاعة بأفظع ما ينبو عنه الطبع ويخالف الذوق والحس وتنفر منه النفس وتعافه وتمجه الفطر اذ جعلت المغتاب كمن يأكل لحم اخيه ميتا ــ وفى التصريح بصلة الأخوة فى هذا المقام وهى توجب الترابط والتناصر والمحبة لا اكل اللحم وانتهاك الحرمات ما يشير الى شفاعة الفعل ومقدار الأثم فليس المأكول أى لحم ميت بل هو لحم الأخ • فانظر يأخى مقدار الجرم ــ عن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهمافنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شيءفاخبرهما سلمان بذلك فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما •

وفى تعريف الحديث فى صدر الكلام للغيبة مايدل أيضا على أنه اذا كان الأخ لايكره ما يعاب به كاهل الخلاعة والمجون فان ذلك لا يكون غيبة بل هو مطلوب حين الاستعانة على تغير المنكر بذكره لمن يظن قدرته على ازالته • ولذلك فقد استثنى العلماء من الغيبة بعض المسائل كالتظلم لمن له قدرة على ازالة الظلم أو تخفيفه فيجوز للمتكلم ان يذكر ظلم من ظلمه وكذلك فى التحذير للمسلمين من الاغترار بشخص كجرح الرواه والشهود وكذلك فى الاستفتاء عن حكم المعتدى وطريق الخلاص منه الى غيرذلك مما يدفع عن الأفراد والجماعات ويحمى حدود الدين وحرماته من الانتهاك ــ والى لقاء ان شاء الله فى رياض الشريعة الغراء واحكامها •

مع القرآن الكريم

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

٢

« انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين » .

« قرآن كريم »

ذكرنا فى المقال السابق ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الاحكام والشرائع والأداب التى ترمى الى سعادة المجتمع وتجانب بينه وبين الانحدار الى مزالق الشر والتى ان أخذت بها الأمم ، قوى بنيانها ، وطالت أيامها ، ووافتها السعادة ، ومكن لها فى الارض، وأمنت غير الايام ، وصروف الزمن .

ونكتب فى هذا المقال عن « اعجاز القرآن » بما احتوى من أنباء الغيب والوقائع التى لم تكن فى الحسبان ، قال تعالى : « الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين » سورة الروم مكية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق . الآيات من ١ ــ ٣ ، واخباره بالامم الماضية والشرائع السالفة ، مما كان لا يعلم القصة منه الاالواحد من أخبار أهل الكتاب ممن أفنى طول حياته فى تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه الصحيح ويأتى على نصه ، وهو اذ ذلك أمى لا يقرأ ولا يكتب

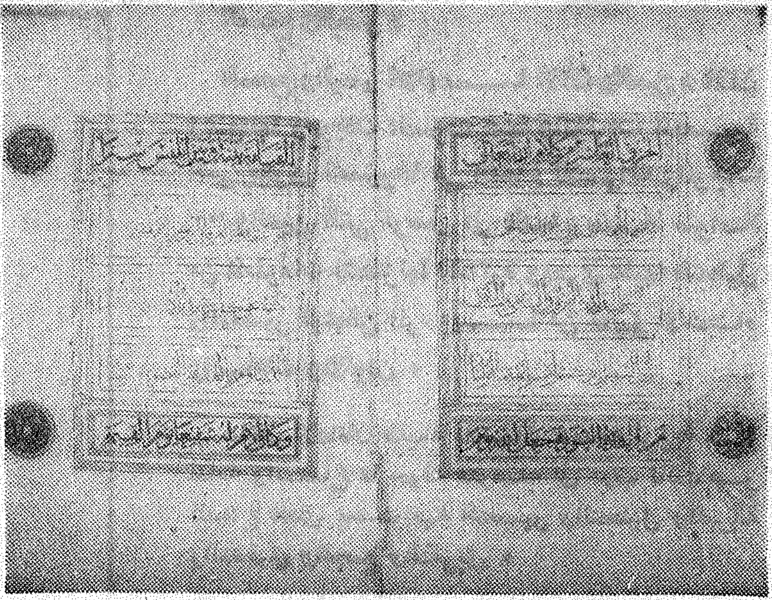

صفحتان من القرآن الشريف المخطوط بمعرض دار الكتب والوثائق القومية وهما مكتوبتان بخط الثلث الجلي وكذا أوائل الاجزاء وهى منقوشة ومزخرفة بالنقوش العربية البديعة الرائعة .

قال جل شانه : ((وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)) الخ الآية . سورة العنكبوت مكية ، وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم الآية ٤٨ .

ووعده الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بدخول مكة آمنين مطمئنين فجاء كما أخبر .

فضلا عن مكانته من الفصاحة ، ونهايته فى البلاغة ، وما وضع عليه من الأسلوب العجيب ، والترتيب

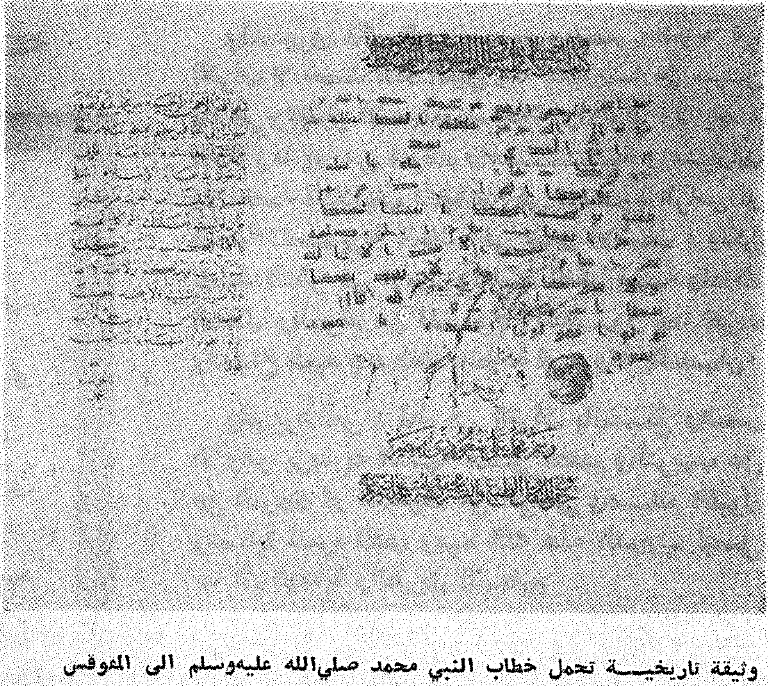

وثيقة تاريخية تحمل خطاب النبي محمد صلي الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط بمصر .

الغريب المخالف لسنة ما كان مألوفا من أساليب العرب كالفواصل التى انفرد بها ، فلم يجىء نظما كما كان يفعل شعراؤهم ((وما هو بقول شاعر)) ولا مسجوعا كما كان يفعل خطباؤهم وكهنتهم ((ولا بقول كاهن)) ولا مطلقا مرسلا كما هو العادة فى سائر كلامهم ووسائلهم .

فأى أحد من البشر يمكنه أن يأتى بسورة من مثله أو بآيات يسيرة منه ولو كان حكيما حاذقا او شاعرا مفلقا أو خطيبا مصقعا أو كان من أجل العلماء وأعظم السياسيين

ولا غرو فى ذلك ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض على من بلغ من معارضيه منهم فى الفصاحة أعلى منزلة ، وفى البلاغة اسمى مرتبة أن يأتى باقصر سورة من مثله ، وهو اذ ذاك أشد الناس عداوة له و غضا لدينه فلم يستطع أن يجرؤ ويقول : أنا لها ! بل يقف صاغرا حائرا !! ولم عجز العرب عن ذلك ؟؟

وكيف يصابون بالعجز ، ويرمون بالعى ، مع كثرة خطبائهم ، ووفرة شعرائهم ، واستفحال كلامهم ، وقوة بلاغتهم وفصاحة عبارتهم وسهولة ذلك عليهم ؟؟

وما الذى أعجزهم عن معارضته ، ودفعهم فى صدورهم عن مجاراته ، وألجم أفواههم عن محاكاته ، وهم اذ ذاك أحرص الناس على محاولة اطفاء نوره وابطال دعوته !! أعجزهم عن معارضته أنه من عند الله العليم الخبير القاهر فوق عباده ، فضلا عن حسن تأليفه والتئام كلمه ، وفصاحته ووجوه ايجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان هذا الميدان ، وأرباب ذلك الشأن .

فلما عجزوا عن ذلك وهم أشد الناس أنفة ، وأكثرهم مفاخرة ، نادى الله تعالى عليهم بالعجز واعجاز القرآن فقال جل شانه : ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) سورة الاسراء مكية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص الآية ٨٨ .

ولما تحققوا بأنهم عاجزون مع أنهم أحكم خلق الله لغة ، وأشدهم عدة ، والكلام سيد عملهم جزموا بأن هذا القرآن ليس من كلام البشر ، وأنه من عند الله تعالى أرسل به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون معجزة

((البقية صـ ٨٥))

من الأشباه والنظائر في القرآن

دروب المسئولية

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

- السمع والبصر
- صفتا تنزيه
- اختلاف النظائر
- البيان المعجز

السمع والبصر :

السمع والبصر أداتهما الأذن والعين : الأذن وقنواتها وموجات الصوت فيها والمؤثرات العصبية التى يجرى تفسيرها فى الدماغ للاصوات والموجات .. والعين التى ترسل الى الدماغ سيلا متواصلا من المعلومات فتختزنها الذاكرة ويجرى عليها التحليل والتفسير فيتمكن المرء بها من تمييز الأحجام والمسافات والألوان .

هاتان الأداتان طليعة للانسان تتقدمه لرؤية ما أمامه واستماع ما حوله فتوصله الى درب ثالث هو الدماغ الذى يحدث فيه التفسير والتحليل والمعرفة والتدقيق والجمع والتفريق .

وهذا الدرب الذى يسميه أهل العلم دماغا سماه أهل اللغة والدين قلبا وأطلق عليه القرآن اسم الفؤاد فكان أدق وأوفى لأنه اشتقه من التفؤد الذى هو التأثر والتحرك والاتقاد .

ويقول الغزالى عن هذا الدرب ان فى قلب الانسان عينا يعبر عنها مرة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس . ودع عنك العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند ضعيف البصيرة كثرة المعانى ، وانما نعنى به المعنى الذى يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون .

وقد جرى ذكر السمع والبصر والفؤاد فى القرآن لا نقصد اداة العين وما يمر بها من سيل المناظر وتقدير الأحجام والمسافات والالوان ولا بقصد الأذن وما بها من قنوات وأغشية واهتزازات ولا بقصد التلافيف المتداخلة فى فجوة الرأس أو اللحمة الصنوبرية الكائنة فى صدر الانسان ، ولكن بقصد النظر فى الأمور وتقليب الفكر فيها وادراك الحلال والحرام من المسموع والمنظور بعد تفؤده وانطباع العبد بعد ذلك بالطاعة أو مروقة بالعصيان .

ولم يرد أمر « قط فى القرآن بالسمع والبصر الا وهو يريد به التنبيه على التفهم والتربيب على على التروى أو التبكيت على الرفض وعدم القبول وحسابا للمرء الذى وهبه الله هذه الدروب ليصل بها الى الهداية والطريق المستقيم

وسواء أكان للانسان باصرة ترى واذن تسمع أو لم يكن له فانه يعتبر مبصرا سميعا متى كان له فؤاد يتفأد ويتوقد ، أما اذا تلف دماغه أو فسد قلبه

أو خمد فؤاده فانه يخرج عن كيان الانسان المكلف والمطالب المسئول ولو كان له اذن تسمع وعين ترى .

ومنافذ البدن كلها عيون على العالم الخارجى وبدونها لا تنتظم الحياة ولا يتم لها التنسيق اذ يعدها العلماء والفلاسفة تنظيما مستمرا بين داخل الجسم وخارجه . فبدون الحواس لا يكتسب البدن عن العالم الخارجى علما ولا وجدانا .

وقد ارتفع البحث والعلم بأداتى السمع والبصر فحسبهما من بين كل الحواس منافذ للمعانى وادراك الجمال بينما انحطت منافذ الذوق والشم واللمس الى ادراك الأجزاء المادية المتطايرة الذائبة من الاجسام . وما لم تذب هذه الأجزاء فلا لمس ولا شم ولا مذاق .

ولقد شهد القرآن بعلو هذين الدربين وحسبهما اذا كانا كاملين من غير عيب ولا نقص - من صفات الألوهية ، ووجه سبحانه اللوم لمن يعبد من لم يكملا فيه فقال .. لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر » فكان الموصوف بهما كاملين مستحقا للعبادة وأهلا للتاليه .

صفتا تنزيه :

وكان المن بالسمع والبصر على الانسان لأن السمع والبصر الموهوبين له انما هما هبة مما اختص الله به نفسه من صفات التنزيه فكان المن بهما تنويها بالانسان عظيما .

وقد اختلفت طوائف المتكلمين فى الصفات التى تطلق على الله وعلى العباد فقال غلاة الجهمية انها حقيقة فى العبد مجاز فى الرب وقد رفضه ابن القيم من الحنابلة وعده أخبث الأقوال وأشدها فسادا . وقال أبو العباس الناشى انها حقيقة فى الرب مجاز فى العبد وارتضاه أهل التصوف . أما أهل السنة فقد قالوا انها حقيقة فى الرب والعبد من حيث تختلف فيهما فلله تعالى منها ما يليق وللعبد منها ما يليق .

ثم قال المتصوفة ان الله سبحانه وضع فى الصورة الانسانية معانى سبعة منها السمع والبصر وجعلها مرآة للانسان اذا نظر فيها عرف خالقها وذكر النعم التى أسبغها ووضع بازائها أضدادها متذكرا غير ناس ومتنبها غير غافل .

ووصف الله بالسميع - كما يقول الغزالى وغيره معناه أنه هو الذى لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفى ، وهو يسمع بغير جارحة بوصف قديم قائم بذاته منزه عن أن يتطرق اليه الحدثان . والسمع فى حقه سبحانه صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات .

ووصفه بالبصير - فى قول الغزالى وغيره - معناه أنه هو الذى يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه مرئى وان استخفى . وبصره سبحانه قديم قائم بذاته منزه عن أن يكون بضوء وحدقة وأجفان ، ومقدس عن أن يكون بانطباع الصور والألوان . والبصر فى حقه سبحانه صفة ينكشف بها كمال صفات المبصرات .

وقد جرى وصف الله بلفظ السميع والبصير وأشباه هذه الألفاظ كالعليم والخبير اختيارا من أحسن صيغ الاشتقاق وأكملها ، ولم يقل انه السامع والباصر والناظر تنزيها للصفة عن شوائب العيوب والنقوص .

وحظ العبد من هاتين الصفتين قاصر ، فان سمعه لا يدرك جميع المسموعات بل ما قرب من الأصوات ، وبصره لا يدرك جميع المبصرات بل يتناول الظواهر ويقصر على البواطن والسرائر .

ولكن الانسان رزق من هاتين الصفتين حظ فى الدين يحثه عليه الفؤاد فيسمع كلام الله فيهتدى به ولا يضل ثم ينظر ببصره الى الآيات وعجائب المخلوقات فلا يكون نظره الا تقليبا وافتكارا وعبرة وادكارا .

وسمع المرء وبصره محاسبان من سمع الله وبصره اذ هما بمرأى من الله ومسمع فلا استهانة بالنظر الى حلال أو محرم ولا امتهانا بالاستماع الى مذكور

أو مستور ، ومن استخفى عن غير الله فكيف يستخفى على من يسمعه ويراه !

وأعظم ما يشفق منه السامع الباصر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يكن له ورع يحجزه عن محارم الله لم يعبأ الله بشيء من عمله » **وأجل منه قوله سبحانه .. قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما »** .

اختلاف النظائر :

ونظائر القرآن التى تجمع بين السمع والبصر والفؤاد من كثرتها لا تتكرر ولكنها تلبس صورا معجزة من البيان وترمى كلها الى وجوب تصور المعانى والتفكر فيها ، وسواء أثبتها الله للمؤمنين أو نفاها عن الكافرين فانه سبحانه يحث على التحرى بها والبلوغ الى الخير منها .

فبينما يمن الله بفضله على بنى آدم ويذكر نعمته **عليهم بهذه الدروب بقوله فى سورة النحل « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » وبقوله فى سورة المؤمنين « وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة » بينما يمن عليهم بها اذا هو يجيء بها فى سورة الاسراء أمكنه للمراقبة ومواضع للمسئولية فيقول سبحانه .. ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »** .

وحتى لا تكون على الله حجة بعد الرسل فقد نبه الله الانسان الى أن يتخذ من سمعه وبصره طريقين الى قلبه حيثما وقف وكيفما سار وذلك حين **يقول سبحانه » أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »** .

وبينما جاء النظير فى سورة البقرة مبينا لخسارة **الكفار وضلالتهم فى قوله تعالى .. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » فانه** يجيء مرة أخرى باللوم عليهم فى سورة الأعراف فيقول « أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » ويجى مرة ثالثة فيقول فى سورة **يونس « ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون . ومنهم ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون »** .

ولقد أشعر القرآن النفوس بفقدان الأمل فيمن لا يصل بين بصره وقلبه وسمعه وقلبه فعدهم من الموتى لأنهم لا يسمعون دعوة ولا ينتفعون بحيلة ، وذلك حين يقول سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم **فى سورة الروم « فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين . وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون »** .

ومع أن القرطبى يراه ردا على القدرية الذين لا يصغون الى أدلة التوحيد فانه كلام يعم كل المتمادين فى الضلالة فهم كالموتى قد افتقدوا بسوء ما فعلوه ما كان لهم من قوة تعقل وتنقاد ففقدوا بذلك أهم الخصائص فى مميزات الانسان .

ولم يترك القرآن أن يجمع بين السمع والبصر فى السلب كما جمع بينهما فى الايجاب ثم جمع بينهما فى التعجب والدعاء، فاذا لم يذكر أحدهما مع صاحبه فى صراحة أشار اليه لتتم النظائر فى لغة القرآن وهى لغة لا يفوتها فائت ولا يشذ عليها غريب ولا غائب .

البيان المعجز :

وكذلك ربما فات من لا يسمع ولا يبصر أن القرآن ترك أن يقرن بين السمع والبصر أحيانا ، ولكن حتى يدفع هذا الظن فاننا نأتى بمثالين من النظائر وفيهما غاية التبصير والتبيين :

وأولهما قوله سبحانه « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » .. والى هنا لم تذكر الآية البصر وذكرت القلوب مكان الافئدة ، فلما لم تكن قد ذكرت العيون بجوار الآذان بقولها مثلا : أو عيون يبصرون بها ـ لم يفتها أن تختم القول باللازم المعتاد فقال سبحانه فى ختام الآية .. فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى

القلوب التى فى الصدور » فكان الختـــام به عودا بالاكمال اللائق فى الكلام المعجز الناطق .

وثانيهما ما جاء فى سورة القصـــص حيث جمع القرآن جمعا متباعدا بين السمع والبصر فى آيتين تعقب احداهما الأخرى ولم يفته أن يجمع بين النظائر اذا تباعدت كما جمع بينها اذا تقاربت لتتم الفكـرة وتلتئم الفقرة .

قال ســـبحانه « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون » .

وفى الآيتين قول يحسب له حسابه ويرمق بـابه فان القرآن حينما ذكر الليل السرمد فى الآية الأولى ختمها بالسمع لمناسبة الظرف المظلم اذ الليل يصلح للسماع دون الابصار ، وحينماذكر النهار السرمدفى الآية الثانية ختمها بالبصر لمناسبة الظرف المضىء اذ النهار يصلح للابصار أكثر من السماع ، ففى فاصلة كل آية ما يناسبها ويرافقها وما يؤنسها ويوافقها .

ولقد نشأت من هاتين الآيتين وأشباههما مشكلة المعارف هل هى ضرورة أو هى بالاستدلال : فقـــال قوم – منهم الغزالى – ان العقل من طبعه أن يـدرك المعارف الضرورية مثل علمه بأن الشىء الواحدلايكون قديما وحادثا ولا يكون موجودا ومعدوما .

وقال آخرون – ومنهم الامام الطوسى فى التبيان– ان الآيتين تنبيه من الله لنبيـــــه وخلقه على وجه الاستدلال على توحيد الله وابطال القول بأن المعارف ضرورية لأنه لو كان تعالى معلوما بالضرورة لما احتاج الامر الى ذلك ، لأن كونه معلوما ضرورة تغنى عـــن الاستدلال عليه ، وما لايعلم ضرورة من أمر الدين فلا تصح معرفته الا ببرهان يدل عليه .

ومن حق الخبراء فى المجلس الأعـــلى للشئون الاسلامية أن يذكر لهم ما اقتبسوه من كلام المفسرين وما قالوه ابتداء فى هاتين الآيتين ، وأنا أوضح هنا وأقرب ما انتهوا اليه :

قالوا ان الآيتين الكريمتين تنبهان النـــاس الى حقيقة يجب أن يعرفوها ويعوها وهى أنه تعـالى لو خلق الأرض بحيث تكون ليلا دائما أو نهارا دائما لما كان هناك اله غيره يهب الأرض ليلها ونهارهاويعاقب بينهما لتتخلق عليها الحياة ويبقى الأحياء .

ولو كانت الأرض قد دارت حول محورها وحـول الشمس غير دورتيها الحاليتين واللتين يتخلقعنهما الليل والنهار وفصول السنة لاســـتمر الظلام فى نصفها واستمر الضياء فى نصـــفها الآخر فارتفعت الحرارة فى المضىء وأحرقت الحياة فيه ، وانخفضت فى المظلم فجمدت فيه الحياة ، كما هو المظنـون فى القمر الى اليوم .

أما الدورتان الحاليتان فانهماتكفلان الليل والنهار فينشأ السكون فى الليل وينشأ السعى فى النهـار ويتهيأ الجو لحياة الانسان والحيوان والنبات ، وهو فضل من الله على عباده يستدعى الاقرار بوحدانيته وقدرته ودوام حمده وعبادته ، ومن أجل ذلك عقب القرآن على الآيتين بقوله « **ومن رحمته جعـل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » وأيده بنظير آخر فى سورة الفرقان فقال .. وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو اراد شكورا »**

وبهذا هيأ الله للانسان من اختلاف الليل والنهار ان يستدرك أيضا فى أحدهما ما فاته فى الآخر اذا لم يتيسر له فيه بسبب من الأسباب فتمت عناية الله به ونعمته عليه .

الإعجاز التشريعي في القرآن

احتفلت الاذاعة والتليفزيون منذ شهور بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم الى السماء الدنيا ثم تتابع الوحى به منجما الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد دعيت اذ ذاك لالقاء كلمة عن الاعجاز التشريعى فى القرآن الكريم كما دعى غيرى ليلقى كل منهم كلمة عن الاعجاز العلمى فى حدود تخصص كل منهم .

ولما كانت معجزة كل رسول موقوته تنتهى بانتهاء عصره وكانت معجزة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم باقية على الدهر الى يوم ان تقوم الساعة .. ولما كنا كورثة لدين الاسلام مكلفين بابلاغ الرسالة الى من لم تصله فى عهد الرسول ، ولما كنا نقرأ كل يوم هذه الآيه فى القرآن (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وجب على كل فى حدود تخصصه أن يكشف عن نواحى الاعجاز فى القرآن

ولقد بدأنا منذ شهر صفر الماضى بذكر بعض الاشارات الى مواطن الاعجاز التشريعى فى القرآن وفق ترتيب المصحف وانتهينا من سورة البقرة وها نحن نتقدم الى سورة آل عمران وبالله التوفيق .

الآية ٧٦ - بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين .

توجب الآية الوفاء بالعهد وفى الوفاء بالعهد آيات اخرى سبقت هى (٢٧ ، ١٠٠ ، من سورة البقرة) وفى الحديث الشريف (المؤمنون عند شروطهم الا شرطا حلل حراما او حرم حلالا) ولقد اتهم الاسلام والمسلمون بانهم لايرعون العهود ولا يعقدون معاهدة الا لحاجة مؤقتة وينبذونها كلما حانت لهم الفرصة

وقد مر الرد على هذه الفرية . ومن جوامع كلم الامام على بن أبى طالب ماورد فى كتابه للاشتر النخعى(وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانه واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد اجتماعا عليه مع تفرق أهوائهم من تعظيم الوفاء بالعهد فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك) وحدث أن أحد قواد المسلمين رد الى معاهديه الجزية التى اقتضاها عماله منهم لما احس بعدم قدرته على الدفاع عنهم وكان ذلك شرطا من شروط العهد .

الآية ١٣٠ يأايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة .

وقد سلف أن علقنا على الآيات الأخرى المختصه بالربا من سورة البقرة وهى ٢٧٥ - ٢٨٠ وتكلمنا عنها من الناحية الجنائية وفى آية آل عمران هذه وصف الربا بأنه أضعاف مضاعفة وهذا يدعونا الى الكلام من الناحية الاقتصادية عن الربا فالربا نوعان ربا النسيئة وهو ما حرم بنص القرآن وضابطه كل قرض جر نفعا للمقرض فى مقابل النسيئة أى التأخير سواء أكانت المنفعه نقدا أو عينا كثيرة أو قليلة لاكما ذهبت اليه القوانين الوضعية من جعل

المستشار على على منصور

الربا جائزا فى حدود معينه ٦٪ مثلا ومن ربا النسيئة التعامل مع المصارف بفوائد تأخير ٠

اما ربا الفضل فهو بيع ربوى بمثله أو زيادة كأردب قمح جيد بأردب وكيلتين باتفاق الطرفين ويكون فى المطعومات التى تخرج منها الزكاة وفى النقدين وتحريمه ثابت بالحديث الشريف الذى مر ذكره وحديث آخر عن ابن عمر (لاتبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل ولا تبيعوا الورق الا مثلا بمثل سواء بسواء انى اخشى عليكم الرماء أى الربا) وبعض العلماء يرى أن الأول هو المحرم مؤكدا بنص القرآن لأنه هوالربح الذي يؤكل به الربا أضعافا مضاعفه اما ربا الفضل فضرره قليل ولم يحرم بالحديث لذاته وانما لانهقد يجرالى ربا النسيئةوذلكمن باب سد الذرائع فهو يباح عندالضرورة والحاجه والربامن الناحية الاقتصاديه من أخطر الوسائل على الثروة والانتاج لأنه وسيلة الى كنز النقدين والاستكثار منها دون عمل سوى الاتجار بها مع أنهما فى الأصل لم يوجدا الا كواسطة تقوم بها المنتجات والحاصلات حتى يمكن التبادل عليها وتقييمها بالنسبة لبعضهما البعض وديانة اليهود نفسها تحرمه بين اليهودى واليهودى وانما أحلوه مع الآخرين لمصلحتهم وللاضرار بالآخرين والتحكم فى الاقتصاد الدولى فبئس مايصنعون ٠

الآية ١٥٩ (وشاورهم فى الأمر)

الشورى أصل أصيل وركن ركين فى الاسلام ولقد قيل ماخاب من استخار ولا ندم من استشار والقرآن على نهجه فى التشريع يشرع كبريات الاسس والقواعد ويدع التفاصيل للجماعه بحسب ظروف الزمان والمكان فقد يكون النظام البرلمانى فى الحكم والشورى صالحا لبلادمعينه كانجلترا وفرنسا بحيث يكون رجال الحكومة مسئولين أمام البرلمان لأنهم نشأوا على ذلك ومرجع الأمر عندهم تاريخى يتفق مع البيئه التى هم فيها ٠ وقد يكون نظام الحكم الرئاسى وفيه نوع كبير من الشورى مناسبا لبلاد كالولايات المتحدة لما تبغيه من نهوض مريع وعدم تعويق التقدم والرقى بسقوط الوزارات كما هوحادث فىفرنسا البرلمانية حيث لم تكن الوزارة قبل الحرب الأخيرة لتبقى أكثر من ثلاثة اشهر وقد تكون الشورى على نظام وسط بين الرئاسى والبرلمانى كما هو الحال فى الجمهورية العربية المتحدة ٠ فكل دوله وكل جماعة لها أن تسن طريق الشورى وفق ظروفها وتاريخها وبيئتها ٠

والمهم أن مبدأ الشورى يكون موجودا خشية تسلط الفرد وتحكمه وطغيانه ولذلك اكتفى القرآن بالنص على المبدأ منذ أربعة عشر قرنا سابقا بذلك كل الديانات العصرية التى تتشدق بالحرية ٠

سورة النساء

الآية ٥ ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا ٠

الاية ٦ ـ وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا ٠

تنظيم الولاية على المال

١) تتحدث هاتان الآيتان عن طائفتين من الضعفاء ارادة أو عقلا هما السفهاء واليتامى فتنظمان تدبير المال وصيانته بالنسبة لهما ٠ فالمال لايترك فى ايديهم أو تحت مطلق تصرفهم وانما يوضع مال السفيه تحت قوامة ولى عليه ٠ وله منه الرزق والكسوه ٠

٢) وأما اليتيم الصغير القاصر فيظل ماله تحت يد وليه حتى يبلغ سن الرشد ٠ (وللتحقق من البلوغ أمارات جسمية أما التحقق من الرشد فيحتاج الى ابتلاء أى ـ اختبار واذن يجب تنظيم هذا الاختبار للبالغين قبل التقرير برشدهم ٠

٣) وتبين الاية السادسة واجبات الاولياء على القصر وهم الاوصياء عادة ، فتحظر عليهم اتلاف هذه الاموال واكلها وانما يباح للولى الفقير ان يقتضى أجرا معقولا على ولايته أما الغنى فواجبه ان يتنازل عن هذا الأجر ٠

٤) وأخيرا تنظم الآية كيفية ، انهاء الوصاية أو الولايه وذلك بأن يدفع الى القاصرالذى صار بالغا رشيدا ماله ، ويجب الاستشهاد على ذلك ٠ وهنا نلمس مرة أخرى حرص المشرع على تنظيم الاثبات واعداد دليله سلفا بالاشهاد ٠ وقد سبق أن رأينا ان القرآن الكريم يستوجب الاشهاد على التبايع ، الاشهاد على الكتابة المتضمنة دينا ٠

الآية ١٢ **(أو دين غير مضار))** ٠

يشير هذا التحرز الى الصورية فى الديون وانها مكروهة لأنها تزعزع ثقة الناس المالة والائتمانية ٠

ضرب الأمثال

قال تعالى « ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون » .

ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما ، الاستحياء من الحياء ونقيضه القحة والضرب يقع على جميع الاعمال الا قليلا. يقال ضرب فى التجارة وضرب فى الأرض وضرب فى سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب على يد غيره اذا أفسد عليه أمرا أخذ فيه .

وضرب الأمثال انما هو جعلها لتسير فى البلاد، يقال ضربت القول مثلا وأرسلته مثلا ، والبعوض صغار البق والفسق الترك لأمر الله ، وقال الفراء ، الفسق الخروج عن الطاعة .

وحين بين الله كون القرآن معجزا أورد شبهة ساقها المنافقون أو اليهود وهى أن الله أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت وأى قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب بها الأمثال وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله وكيف ينكرون الأمثال والله يقول ..

« ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون » ، وقال « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » .

وضرب الأمثال من أعظم علوم القرآن ، والناس فى غفلة عنها مع أن ضرب الأمثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة . التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل تصويره بصورة المحسوس ، فان الأمثال تصور المعانى بصورة الأشخاص لأنها أثبت فى الذهن لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى ، والغائب بالشاهد .. وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو ابطاله، ومن حكمتها تعليم البيان وهو من **خصائص هذه الشريعة ولضرب** العرب الأمثال واستحضارها شأن ليس بالخفى فى ابراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق، ومن ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة فانه يؤثر فى القلوب ما لا يؤثر **وصف الشيء فى نفسه ، ولذلك** أكثر الله فى كتابه وفى سائر كتبه من ضرب الأمثال حتى سميت سورة من سور الانجيل بسورة الأمثال ، وفشت فى

في القرآن الكريم

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

كلام النبي – عليه الصلاة والسلام – وكلام الأنبياء ، والحكماء ..

ولقد عقد جعفر بن شمس **الخلاف في كتاب الآداب ، بابا** في ألفاظ من القرآن جارية مجرى الأمثال ويسميها أرباب البديع ارسال المثل، وأورد من من ذلك قوله تعالى :

« ليس لها من دون الله كاشفة»

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

« الآن حصحص الحق » .

«وضرب لنا مثلا ونسي خلقه » .

« ذلك بما قدمت يداك » .

« قضي الأمر الذي فيه تستفتيان » .

« أليس الصبح بقريب » .

وأمثال القرآن قسمان ظاهر مصرح به نحو قوله تعالى : **« كمثل الذي استوقد نارا »** . وخفي لا ذكر للمثل فيه، وهذا كما سئل الحسين بن القفل انك تخرج أمثال العرب والعجم من كتاب الله فهل تجد فيه خير الأمور أوساطها ، قال نعم في أربعة مواضع ، قوله تعالى: **« لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » وقوله تعالى « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا » «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك» وقوله تعالى « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها »** ..

وقيل فهل تجد في كتاب الله تعالى ليس الخبر كالعيان ، قال في قوله تعالى :

« أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » .

قيل فهل تجد كما تدين تدان .. قال ، في قوله تعالى: **((من يعمل سوءا يجز به))** .

قيل فهل تجد لا تلد الحية الا حية .. قال ، في قوله تعالى **« ولا يلدوا الا فاجرا كفارا »** .

والمعنى أن الله لا يستحيي ، أي لا يدع، وقيل لايمتنع، لأن أحدنا اذا استحيى من شيء تركه وامتنع منه ومعناه أن الله لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيرة لحقارتها اذا رأى الصلاح في ضرب المثل بها ، ولقد ضرب العرب الأمثال في حواضرهم وبواديهم.. وتمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجرأ من ذبابة ، وأضعف من بعوضة فضربوا المثل بالبعوضة لأنها على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وتزيد عضوين آخرين .

فأراد الله تعالى أن ينبه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب صنعه ، قال تعالى :

« فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم » .

وهذا شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية صدوره عنه تعالى ، فأما الذين آمنوا ، أي صدقوا محمدا والقرآن وقبلوا الاسلام ، فيعلمون أنه الحق

من ربهم ، مدحهم الله تعالى بأنهم تدبروا حتى علموا أنه من ربهم وأن المثل وقع فى موضعه ، وأما الذين كفروا بالقرآن فيقولون – أى فلاعراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم الحق – قالوا : ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا والارادة ضد الكراهة ، وهى ماهية يجدها الانسان العاقل من نفسه ويدرك التفرقة بينها وبين علمه وقدرته وألمه ولذته ففى قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا ، استرذال واستحقار ، كما قالت عائشة – رضى الله عنها – فى عبد الله بن عمرو بن العاص حين أفتى بنقض ذوائب النساء فى الاغتسال : يا عجبا لابن عمرو هذا ، محقرة له ، ثم قال تعالى « يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا » ، والاضلال أمر عارض مترتب على سوء اختيارهم واسناد خلق الضلال اليه سبحانه مبنى على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى وان كان أفعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم، ومعنى الاضلال تشديد الامتحان الذى يكون عنده الضلال وذلك بأن ضرب لهم الأمثال لأن المحنة اذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت اضلالا ، واذا سهلت فاهتدى سميت هداية، فالمعنى المراد من هذه الآية أن الله تعالى يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضل بها قوم كثير ،

ويهتدى بها قوم كثير ، ومثل ذلك ما اذا أدخل الرجل الفضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها ، قيل له أفسدت فضتك وهولم يفعل فيها الفساد وانما ظهر فسادها عند محنته كذلك لم يؤثر الله فيهم الضلال وانما ظهر بسوء اختيارهم ، **والهداية الدلالة بلطف ، وتقع** فى القرآن على وجوه :

١ – أن تكون بمعنى الدلالة والارشاد .

٢ – بمعنى زيادة الألطاف التى بها يثبت على الهدى .

٣ – أن تكون بمعنى الاثابة.

٤ – الحكم بالهداية .

٥ – الهداية بمعنى جعل الانسان مهتدى .

وأهل الهدى كثير فى أنفسهم وانما وصفهم الله بالقلة **لقوله « وقليل من عبادى الشكور » .**

وقليل ماهم فهم قليل بالنسبة الى أهل الضلال ، فان المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة والفاسق فى الشريعة، الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة ، وهو عند أهل السنة من أهل الايمان الا أنه عاص وعند الخوارج كافر ، وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين ،

والنقض الفسخ وفك التركيب والعهد العقد ، وهو وصية الله وأمره ، والميثاق ما وقع التوثيق به ، والقطع الفصل بين الشيئين وأصله فى الأجسام، ويستعمل فى الأعراض والمعنى أن الله وصف الفاسقين المذكورين فى الآية ، فقال : هم الذين ينقضون عهد الله ، أى يهدمونه لا يوفون به وعهد الله يقع على وجوه ..

١ – ما ركب فى عقولهم من أدلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل .

٢ – وصية الله الى خلقه على لسان رسوله بما أمر من طاعته ونهى عن معصيته ، فنقضهم لذلك تركهم العمل به .

٣ – ان المراد به كفار أهل الكتاب وعهد الله الذى نقضوه ما أخذه عليهم فى التوراة من اتباع رسول الله والأنبياء ففرقوا وقيل أمروا بأن يصلوا القول بالعمل ففرقوا بينهما بأن قالوا ولم يعملوا فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا فى الأرض فأخافوا السبيل وقطعوا الطريق ، أولئك هم الخاسرون الذين أهلكوا أنفسهم فهم بمنزلة من هلك رأس ماله فضل سعيه وساء حاله .. من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

إعجاز القرآن الكريم

الدكتور درويش الجندي

كانت نسبة القرآن الكريم الى الله تعالى سببا فيما أثاره الأعاجم فى المحيط الاسلامى من التفكير حول القرآن الكريم من جهة قدمه وحدوثه : أهو أزلى قديم أم مخلوق محدث وقد تزعم المعتزلة صف القائلين بخلق القرآن اذ وجدوا أن القول بذلك أمر يتفق وكلامهم فى صفات الله تعالى •

وتزعم الذين ينهجون منهج السلف معارضة المعتزلة ، فقال بعضهم : القرآن غير مخلوق وقال بعضهم القرآن كلام الله ، لانقول مخلوق أو غير مخلوق ، وعدوا اثارة هذا الموضوع بدعة • وغالى بعض الحنابلة فقالوا : القرآن بحروفه المقطعة والأجسام التى يكتب عليها والألوان التى يكتب بها وما بين الدفتين قديم •

ولما جاء أبو الحسن الأشعرى قال : القرآن كلام الله قديم غير مغير ، فأما الحروف المقطعة والأجسام والأصوات المحدودات فمخلوقات مخترعات •

وقد اتصل البحث الذى دار حول قدم القرآن وحدوثه بالتفكير فى ما هية الكلام وفى أصل اللغة وفى الصلة بين الالفاظ ومدلولاتها وصاحب التفكير فى كل أولئك – التفكير فى جهة الاعجاز فى القرآن الكريم ، من حيث هو كلام باللسان العربى •

قال النظام المعتزلى : ان الآية والأعجوبة فى القرآن مافيه من الاخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا ان الله منعهم بمنع وعجز أحدهما فيهم) فهو ينكر اعجاز القرآن فى نظمه وتاليفه ويعتبر بيان القرآن بيانا عربيا عاديا كان فى استطاعة العرب أن يأتوا بمثله لولا أن الله صرف عقولهم عنه •

وشجع رأى النظام الملاحدة على الطعن فى نظم القرآن الكريم والزراية عليه فتصدى لهم علماء المسلمين وعملوا على دحض حججهم وكشف الغطاء عن ضلالهم وافترائهم يقول ابن قتيبة من أهل السنة (وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا ، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة وأبصار عليلة ونظر

مدخول فحرفوا الكلم عن مواضعه وعدلوه عن سبيله ، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة فى اللحن وفساد النظم والاختلاف وأدلوا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر والحدث الغر واعترضت بالشبه فى القلوب ، وقدحت بالشكوك فى الصدور . من أجل ذلك كان لابد من الرد على هؤلاء المضلين باثبات عروبة القرآن والتدليل على أنه جار على أساليب العرب — ولعل كتاب المجاز لأبى عبيدة أول كتاب يبحث فى أسلوب القرآن يعرضه على أساليب العرب ، ويقرر انه نمط منه وكذلك كان كتاب المشكل لابن قتيبة دفاعا عن الأسلوب القرآنى ومقابلة بينه وبين لغات العرب

وانتهى أمر الدفاع عن عروبة القرآن الى اتجاه بعض المؤلفين فى الاعجاز الى تقرير أن من دواعى الاعجاز ما يرجع الى الاحاطة الالهية بلغة العرب ، على على حين قصر علم البشر عن هذه الاحاطة .

ونحن نرى ذلك الاتجاه فى كتاب بيان اعجاز القرآن لحمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى . يقول الخطابى (وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لأمور منها أن علمهم لايحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبأوضاعها التى هى ظروف المعانى والحوامل لها ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التى بها يكون ، وارتباط بعضها ببعض ، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها الى أن يأتوا بكلام مثله . وانما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى قائم ورباط لهما ناظم . واذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور فى غاية الشرف والفضيلة .

ولقى رأى النظام معارضة شديدة ، وخالفه المعتزلة أنفسهم وعملوا جاهدين على اثبات اعجاز القرآن من حيث هو أسلوب وتعبير

وكان أول من خرج على النظام تلميذه الجاحظ الذى يرى أن الاعجاز بالنظر الى ذات القرآن متصل منظم وحده بصرف النظر عما اشتمل عليه من المعانى وهو يستدل على ذلك بانه تعالى طلب الى العرب أن يأتوا بعشر سور من مثله فى النظام والروعة فى التأليف ، حتى ولو حوى التأليف كل باطل مفترى لا معنى له وكلمة النظم عند الجاحظ فى معرض حديثه عن القرآن ترد مرادفة للتأليف كقوله (ان الرسول تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه) وقوله (وفى كتابنا المنزل الذى يدل على أنه صدق — نظمه البديع الذى لايقدر على مثله العباد ..

وترد هذه الكلمة عند الجاحظ فى بعض المقامات الأخرى بمعنى نوع الاسلوب والطريقة فى التعبير ونوع الكلام من حيث أسلوبه وطريقته فى التعبير اذ يجعل الجاحظ للنظم اصنافا من القصيد والرجز والمزدوج والمجانس والأسجاع والمنثور .

ويرى الباقلانى — وكان أشعريا — أن القرآن معجز بهذا المعنى الثانى الذى ذكره الجاحظ . يقول الباقلانى : (لقد كان نظم القرآن معجزا لأن نظمه خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة فى كلامهم ومباين لأساليب خطابهم . ومن ادعى ذلك فلابد له من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى ، لان قوما من كفار قريش ادعوا أنه شعر ، ومن الملحدة من يزعم أن فيه شعرا ، ومن أهل من يقول انه كلام مسجع الا أنه أفصح مما اعتادوه من اسجاعهم ، ومنهم من يدعى أنه كلام موزون فلا يخرج بذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب)

وقد جوز بعض الاشاعرة أن الاعجاز وقع بالتحدى بكلام الله القديم القائم بنفسه ولكن المعول عليه عندهم هو التحدى بهذه الالفاظ الدالة على القديم . يقول الباقلانى : (أن الاعجاز واقع فى نظم الحروف التى هى دلالات وعبارات عن كلام الله القديم وان التحدى انما كان بأن يأتوا بمثل الحروف التى هى نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها ، مطردة كاطرادها ، ولم يكن بأن يأتوا بمثل الكلام القديم الذى لامثل له)

وينكر عبد الجبار المعتزلى بصدد حديثه عن اعجاز القرآن ان ترتبط الفصاحة بالنظم بمعنى الأسلوب والطريقة فى التعبير كما يرى الباقلانى. يقول عبد الجبار : (قال شيخنا) ابو هاشم ، انما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه وحسن معناه ، ولا بد من اعتبار الأمرين لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحا ، فاذن يجب أن يكون جامعا لهذين الأمرين ، وليس فصاحة الكلام بان يكون له نظم مخصوص لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر والنظم مختلف اذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة ، وقد يكون النظم واحدا وتقع المزية فى الفصاحة ، فالمعتبر ما ذكرناه لأنه الذى يتبين فى كل نظم وكل طريقة)

ويقول عبد الجبار مؤيدا رأى استاذه أبى هاشم (ان العادة لم تجر بأن يختص واحد بنظم دون غيره فصارت الطرق التى عليها يقع نظم الكلام معتادة ولذلك لايصح عندنا — أى عند المعتزلة أن يكون

اختصاص القرآن بطريقة فى النظم دون الفصاحة التى هى جزالة اللفظ وحسن المعنى • ومتى قال القائل (انى وان اعتبرت طريقة النظم فلابد من اعتبار المزية فى الفصاحة فقد عاد الى ما أردناه ، لأنه اذا وجب اعتبار ذلك فمتى حصل مثل تلك المزية فى أى نظم فقد صحت المباينة)

واذا كان عبد الجبار يؤيد رأى استاذه فى ارتباط الاعجاز بالفصاحة التى هى جزالة اللفظ وحسن المعنى — فانه يستدرك على أستاذه مافاته من بيان أن الفصاحة لا تظهر الا فى الكلام المؤلف ، ومعنى ذلك أنه يربط الفصاحة بالمعنى الآخر للنظم عند الجاحظ وهو تأليف الكلام ، وان كان عبد الجبار لم يطلق على هذا المعنى اسم (النظم) • يقول عبد الجبار (اعلم أن الفصاحة لا تظهر فى افراد الكلام وانما تظهر فى الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز فى هذه الصفة أن تكون بالمواصفة التى تتناول الضم ، وقد تكون بالاعراب الذى له مدخل فيه وقد تكون بالموقع ، وليس لهذه الاقسام الثلاثة رابع ، لأنه اما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها ولابد من هذا الاعتبار فى كل كلمة ، ثم لابد من اعتبار مثله فى الكلمات اذا انضم بعضها الى بعض لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة ، وكذلك لكيفية اعرابها وحركاتها وموقعها ، فعلى هذا الوجه الذى ذكرناه انما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها)

ويذكر عبد الجبار فساد الرأى الذى يقول ان القرآن معجز من حيث هو حكاية للكلام القديم أو عبارة عنه ، أو لأنه فى نفسه قديم

ومهما يكن من شىء فان عبد الجبار يعارض الباقلانى الأشعرى فى ربط للاعجاز بالنظم بمعنى نوع الكلام من حيث أسلوبه وطريقته فى التعبير وفى قوله بأن الاعجاز فى ألفاظ القرآن المعبرة عن كلام الله القديم • ويربط اعجاز القرآن بالنظم بمعنى التأليف ، وهو احد المعنيين اللذين ذكرهما الجاحظ للنظم • وقد ربط الجاحظ الاعجاز بهذا المعنى من قبل أن يربط به عبد الجبار

وكلا هذين — الجاحظ وعبد الجبار — يفضل اللفظ على المعنى فى الدلالة على فصاحة الكلام ، فالجاحظ يقول (والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والمدنى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفى صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير

وعبد الجبار يقول (أن المعانى وان كان لابد منها فلا تظهر فيها المزية ، وان كان تظهر فى الكلام لأجلها ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحد أفصح من الآخر والمعنى متفق ، وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع والمعبر عنه فى الفصاحة أدون ، فهو لابد من اعتباره وان كانت المزية تظهر بغيره • على أنا نعلم أن المعانى لا يقع فيها تزايد ، فاذن يجب أن يكون الذى يعتبر التزايد عند الألفاظ التى يعبر بها عنها على ما ذكرناه)

وقد شرح عبد الجبار كيف تكون الفصاحة ميدانا للاعجاز ، وبين صحة التحدى بالكلام الفصيح فذكر أن للكلام الفصيح مراتب ونهايات وقال ، ان جملة الكلمات وان كانت محصورة فتأليفها يقع على طرائق مختلفة ، ومن أجل ذلك تختلف مراتب الكلام فى الفصاحة ، فيجب الا يمتنع أن يقع فيه التفاضل ، وتبين بعض مراتبه من بعض ويزيد عليه قدرا يسيرا أو كبيرا وما هذا حاله فالتحدى صحيح فيه لأن فيه مقادير معتادة تصح فيها زيادات فى الرتب غير معتادة ، وصار ذلك فى بابه بمنزلة مقادير ما يمكن القادر منا أن يفعله ، انها مقادير معتاده وتصح فيها زيادات فى مراتب غير معتادة ، فكما صح فيما حل هذا المحل التحدى فكذلك القول فيما ذكرناه فى الكلام

وجاء عبد القاهر الجرجانى فوضع نظريته فى فى النظم مستهديا بما قاله عبد الجبار المعتزلى من قبله ، متبعا اياه فى اثبات أن البلاغة والبيان أمر يتسع للمعجزات ، ويقبل العقل أن يتصل به الاعجاز ، وفى ربطه البلاغة بالنظم بمعنى تأليف الكلام ، فميدان النظم بهذا المعنى ميدان فسيح ،وان العقل ليتقبل بالرضا والارتياح أن يفضل بعض الكلام بعضا فى ميدان النظم •• وان يتقدم منه الشىء الشىء ، ثم يزداد من فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ، ويعلو مرقبا بعد مرقب ، ويستأنف له غاية بعد غاية حتى ينتهى الى حيث تنقطع الأطماع وتحسر الظنون وتسقط القوى وتستوى الأقدام فى العجز)

غير أن عبد القاهر كان أشعريا ونحن نعرف أن أبا الحسن الأشعرى قال • ان الكلام نوعان : نفسى ولفظى ، والكلام النفسى بالنسبة الى الله هو القديم •

ومن أجل ذلك فقداء تهدف عبد القاهر من نظريته فى النظم — فوق اثبات ان البلاغة محصورة فى النظم أمر يتسع للمعجزات على نحو ما قال عبد

الجبار – بيان أن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي وأما الكلام اللفظي فهو ظل لهذا الكلام النفسي

وكان عبد القاهر الى أشعريته نحويا ، وكان الارتباط الاساسي للنحو باللغة القائمة على الألفاظ مدعاة الى اتهام النحو باللفظية ، والى غفلة أرباب هذه التهمة عن قيمة النحو في اداء المعاني ومساعدة اللغة على الافصاح عنها ، وقد برزت هذه التهمة على ألسنة المتعصبين للمنطق اليوناني الزارين على لغة العرب التي كان النحو العربي عنوانها وجوهرها ولقد كان ذلك مثار مناقشات بين النحويين والمناطقة في القرن الرابع الهجري بوجه خاص بعد ان تم تقابل الثقافات العربية والأجنبية ، واستحدث لون من التعصب الثقافي الى جانب ألوان العصبيات الجنسية والدينية التي كانت تصطرع في المجتمع العباسي المترامي الأطراف . ولقد كانت هذه المناقشات مجالا طيبا لحصر الاذهان في تعرف ماهية كل من النحو والمنطق واستبانة رسالة كل منهما وما بينهما من العلاقات والمناسبات .

ومهما يكن من شيء فقد حصر عبد القاهرة الجرجاني البلاغة في النظم الذي هو مقصور عنده على وضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو وفي العمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت ورسومه التي رسمت والنحو عنده كما يتحدث عن الجملة من حيث تغير أواخر كلماتها بتغير تراكيبها يتحدث عنها كذلك من حيث اسرار الجمال التي تكمن وراء نظم كلماتها وترتيبها الترتيب الذي يقتضيه علم النحو وانتفع عبد القاهر في نظريته في النظم أيما انتفاع بما تراءى له من صلة المنطق باللغة من ناحيه ومن صلة النحو بالمنطق من حيث انه بمثابة منطق خاص باللغة من ناحية أخرى – ليخرج من حسية الكلام وليبين أن جوهر الكلام أمر نفسي معنوي ليحقق ما استهدفه من نظريته من بيان أن جوهر الكلام هو المعنى القائم بالنفس تأييدا لعقيدة الأشعرية .

لقد أثبت عبد القاهر أن معاني النحو تمثل العلاقات بين معاني الكلم في النفس واليها يستند ترتيب هذه المعاني في النفس . وقال : ان المعاني تترتب في النفس ، والألفاظ تترتب في النطق ترتيبا يتحكم فيه ترتيب المعاني فهناك نظم معنوي في النفس يقابله على اللسان نظم لفظي يتبعه تبعية مطلقة ويقتفي آثاره

ولقد كان حرص عبد القاهر على تفسير ما هية الكلام على هذا النهج متلاقيا مع تفسير شيخة أبي الحسن الاشعري للكلام ، ذلك التفسير الذي عارض به أبو الحسن المعتزلة العقليين التحريبيين الذين قصروا حقيقة الكلام على الألفاظ والحروف ، فلم يتسن لهم ازاء ذلك الا أن يقولوا بخلق القرآن ، كما عارض به من قال من السلفيين بان القرآن قديم بالفاظه وحروفه ، اذ الألفاظ والحروف لايمكن أن تتصل بكلام الله القديم المنزة عن مشابهة الحوادث والمخلوقات ، وبذلك كان رأى الأشعري وسطا بين هؤلاء وهؤلاء ، وكان أقرب الى القصد والاعتدال .

وكأني بعبد القاهر يرد على المعتزلة ومن نهج نهجهم في انكارهم الكلام النفسي كما قرره الاشاعرة وفي تقريرهم أن الكلام النفسي ما هو الا تقدير للكلمات والعبارات ، وان هو الا تفكير بالفاظ وحروف – كأني بعبد القاهر يرد على هؤلاء اذ يقول (وآفة هؤلاء الذين لهجوا بالأباطيل في أمر اللفظ انهم قوم أسلموا أنفسهم الى التخيل وألقوا مقادتهم الى الأوهام .. ذلك بانهم يتعلقون بما في العادة ومجرى الجبلة من أن الانسان يخيل اليه اذا هو فكر أنه كان ينطق بالالفاظ التي يفكر في معانيها حتى يرى انه يسمعها سماعه لها حين يخرجها من فيه وحين يجرى بها اللسان وهذا تجاهل لأن سبيل ذلك سبيل انسان يتخيل دائما في الشيء قد رآه وشاهده انه كان يراه وينظر اليه ، وأن مثاله نصب عينيه فكما لايوجب هذا ان يكون رائيا له ، وان يكون الشيء موجودا في نفسه – كذلك لايكون تخيله أنه كان ينطق بالألفاظ موجبا أن يكون ناطقا بها وان تكون موجودة في نفسه حتى يجعل ذلك سببا الى جعل الفكر فيها وحتى يجعل فكره – اذا فكر في نظم الكلام – فكرا في الألفاظ التي يريد أن ينطق بها دون المعاني)

وكان يعاصر عبد القاهر الجرجاني الأشعري – ابن سنان الخفاجي المعتزلي صاحب سر الفصاحة

ولقد كان الخفاجي يرى ما يراه المعتزلة من ان الكلام أى كلام لايحرج عن الحروف والأصوات . وقد طبق هذا المنهج في تفسيره لسر الفصاحة تطبيقا عنى فيه عناية فائقة بالحروف والأصوات . ويبدو تحيزه للالفاظ في جعلها موضوعا لكلام يشكله المؤلف في صورة الألفاظ ، فيجعل منها فصلا منشورا أو بيتا منظوما كما يشكل النجار الخشب في صورة كرسي مثلا .

وقد عرض الخفاجي لرأى من فسروا الكلام كما فعل عبد القاهر الأشعري – بانه معنى قائم بالنفس وعده رأيا فاسدا ، وهو يزعم ان الذين قالوا بهذا

الرأى انما لجئوا اليه بعد ان رأوا ظهور أدلة المعتزلة على القول بخلق القرآن الذى يتألف من الحروف ولا يخرج عن الألفاظ ، فلجئوا الى هذه الحيلة : حيلة تفسير الكلام بالمعنى القائم بالنفس ليتسنى لهم القول بقدم القرآن على بعض الوجوه يقول الخفاجى المعتزلى فأما من ذهب الى أن الكلام معنى فى النفس من المجبرة فان الذى حملهم على هذا المذهب الواضح الفساد ظهور أدلة نظار المسلمين على حدوث هذا الكلام المعقول ، وتقديم بعض حروفه على بعض ،فلم يتمكنوا من الاعتراف بأنه من جنس الأصوات المتقطعة مع القول بان كلام الله عز اسمه قديم ، فادعوا لذلك أن الكلام غير هذا الصوت المسموع وأنه معنى قائم بالنفس ، ليسوغ لهم قدمه على بعض الوجوه .

وجاء الزمخشرى المعتزل بعد عبد القاهرة ، وكان يقول بخلق القرآن على المنهج المعروف لدى المعتزله.

واذا كان عبد القاهرة قد سخر بحوثه البلاغية فى نظريته فى النظم التى تناولتها فى كتابه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ــ قد سخر هذه البحوث لخدمة عقيدته الاشعرية فى الكلام ، فان الزمخشرى من جانبه قد سخر ايضا بحوثه البلاغية فى الكشاف فى خدمة بعض عقائد المعتزلة وخاصة ما يتعلق منها بالتوحيد والعدل . ولعل الزمخشرى قد تأثر فى ذلك النهج بالقاضى عبدالجبار المعتزلى فى كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن الذى قصد فيه الى الآيات المتشابهة ليبين خطأ الناس فى فهمها وتأويلها ويكشف عما يراه ، مؤيدا آراء المعتزلة ومدافعا عنها ــ متذرعا فى ذلك بالفكر وبالتحليل البلاغى وحمل الكلام فى كثير من الآيات على التشبيه والمجاز)

بقية مقال (مع القرآن الكريم)

له تدل على أنه صادق فى كل مابلغه عن الله تعالى ، فصدقوه عند ذلك وآمنوا بجميع ما جاء به من عند الله تعالى ، وصاروا يدخلون فى دين الله افواجا .

واني لا يكون ذلك كذلك ، وقد جاءهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومكارم الاخلاق ، وهداهم الى الصراط المستقيم ، والمنهج القويم ، وانقذهم من ظلمات الضلال الى نور الاسلام ، بعد أن أمات فيهم ما كان فاشيا بينهم من الصفات المذمومة ، والعادات القبيحة : «كقتل أولادهم خشية املاق ، ووأد بناتهم وهن أحياء خيفة الحاق العار بهم وحفظا لشرفهم » . وبعد أن نزع ما فى صدورهم من غل ليصيروا اخوانا معتصمين ، رحماء بينهم أشداء على الكافرين .

نعم ، جاء القرآن الكريم فانقذ الامة العربية من الضلال ، وأرشدها الى اعتقاد العقائد الصحيحة الحقة ووحدها وقواها وهداها الى ما فيه صلاحها وسعادة مآلها ، وهذبها وزكاها وأنار عقولها وقوم أخلاقها ، وسدد أحكامها فسادت العالم اجمع .

وليس ببعيد على دين أعدته الحكمة الالهية خاتمة الاديان لنوع الانسان

ينتهى به الى غاية المدنية ، ويصل الى أقصى مراقى الاداب « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور » .

ولقد رفع الله شانه وجعل كلمته هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وتنافس المتنافسون بعد ذلك الى اعلاء كلمة الله ، واتخذوا القرآن لهم قانونا سماويا ، وناموسا الهيا ، والاستمساك بعروته الوثقى التى لا انفصام لها .

نعم ، أخذوا القرآن منارا لهم يهتدون به فى أحكامهم وأعمالهم وأحوالهم ، وبلغ المسلمون بذلك مابلغوا من المجد المؤثل ، والعز المنيع ، وظفروا بما لم يظفر عليه غيرهم من القرون الخالية الى ان ارتقوا الى أسمى ما يصل اليه العقل البشرى فى هذه الحياة ، وذلك بفضل هذا الكتاب الكريم الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم .

وكانت للمسلمين عناية جليلة به ، اذ كانت تقرؤه شيوخهم خاشعين خاضعين محترمين ما يتلونه من الآيات وترتيلها ترتيلا حسنا يحملهم على التفكير فى خالق السموات والارض والتدبر فى معانيها .

اهتمام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقران الكريم

ولقد اهتم المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقرآن الكريم باشراف المسلم الغيور الاستاذ محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس اهتماما عظيما فخصص بالمجلس « لجنة القرآن المرتل » نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الاسلامية فى قارتى افريقيا وأسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية ترتيل المقرىء العظيم فضيلة الاستاذ الجليل « الشيخ محمود خليل الحصرى » رواية حفص عن عاصم ، وأخرى رواية ورش عن نافع . وقد نالت الاعجاب فى جميع انحاء العالم الاسلامى ، وشهرة فائقة فى جميع الدول .

ونسأل المولى ــ جلت قدرته ــ أن يعيد هذا العيد على العالم الاسلامى والامة العربية والدول المحبة للسلام بالخير والسعادة والهناءة باسترداد الاراضى المحتلة التى اغتصبها العدو اللدود الغادر الدنس « اسرائيل » بمساندة الدولة الاستعمارية «أمريكا» والصهيونية العالمية انه سميع مجيب.

الطمأنينة

من أخلاق الإسلام

فضيلة الدكتور احمد الشرباصي

كلمة (الطمأنينة) تفيد معنى السكون والاستقرار ومن ذلك طمأنينة الأعضاء اى استقرارها وعدم حركتها ، وقد جاء فى الحديث النبوى : (ثم اركع حتى تطمئن راكعا) والاطمئنان هو السكون بعد الانزعاج ، وطمأنينة القلب وعدم اضطرابه وقلقه وقد يراد بطمأنينة القلب أن يسكن فكر الانسان الى شىء يعتقده فلا يرتاب فيه ولا يشك ، ومن هذا قول الله تعالى : (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) أى ان الايمان ثابت فى قلبه ، مطمئن اليه صاحبه لم يخالطه شك أو ريب ٠

وقد يراد بطمأنينة القلب الثقة فى أمر أو توقعه برجاء عميق ، كما فى قول الله تعالى : (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به) أى وما جعل الله الامداد المتتابع لكم بالملائكة فى غزوة بدر الا ان يكون بشرى لكم ، ولتسكن به قلوبكم وتثق فيه وترجو من ورائه الخير والنصر ٠

ويقول الصوفية ان الاطمئنان سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان ، أو هو سكون أمن فى استراحة نفس ٠

و (الطمأنينة) خلق من أخلاق القرآن الكريم ، تحدث عنها فى أكثر من موطن ، فقال فى سورة البقرة (قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) وقال فى سورة الرعد : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب) وقال فى سورة الفجر (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) ٠٠ الخ

وبتدبرنا لحديث القرآن الكريم عن الطمأنينة نفهم — والله أعلم بمراده — أنه يقصد بها الثبات والاستقرار ، ويتحقق هذا بأمور منها ان تكون النفس موقنة بالحق لايخالجها فيه ظن أو تردد ، وان تكون آمنة لايستفزها خوف ولا حزن وان تنتهى بآمالها ورغباتها الى ربها ، فليس وراءه أقوى منه ولا اقدر، ولذلك يقول الامام الرازى : (ان حاجات العبد غير متناهية ، وكل ما سوى الله تعالى فهو متناهى البقاء

والقوة الا بامداد من الله وغير المتنــاهى لايصير مجبورا بالمتناهى ، فلابد ــ فى مقابلة حاجة العبد التى لانهاية لها ــ من كمال الله الذى لانهاية له ، حتى يحصل الاستقرار ، فثبت أن كل من آثر معرفة الله لشيء غير الله فهو غير مطمئن ، وليست نفسه نفسا مطمئنة .

أما من آثر معرفة الله لا لشيء سواه ، فنفســه هى النفس المطمئنة ، وكل من كان كذلك كان أنسه بالله ، وشوقه الى الله وبقاؤه بالله وكلامه مع الله فلا جرم يخاطب عند مفارقة الدنيا بقوله : ارجعى الى ربك راضية مرضية ، وهذا الكلام لا ينتفــع الانسان به الا اذا كان كاملا فى القوة الفكرية الالهية او فى التجريد والتفريد

وينبغى أن يكون معنى قول الرازى : ان حاجات العبد غير متناهية ، معناه ان حاجات الانسان كثيرة موصولة مادام حيا ، والبقاء الأبدى الذى لانهــاية له انما هو لله وحده : **(كل من عليها فــان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)**

والطمأنينة خلق أصحاب العقول الراجحة والعلم الراسخ ، والايمان القوى والذكر الخالص ،والحق الثابت فهم لايزدهيهم متاع ، ولا يوئسهم تعب ،وما داموا قد أقبلوا على الله واعتصموا بحبل اللهوحرصوا على ذكر الله فانهم لايبدلون لما عداه فى هذه الحياة ولذلك قال سهل بن عبد الله : اذا سكن قلب العبد الى مولاه ، واطمأن اليه ، قويت حال العبد فاذاقويت أنس بالعبد كل شيء)

ولقد أشار البصراء بدقائق الأخــلاق الى ان الطمأنينة مراتب ودرجات تبدأ بطمأنينة القـلب بذكر الله ، فان القلب اذا احصن فى ذكر الله هدأ واطمأن ، وسكن واستراح وهناك طمأنينة الســالك على بصيرة وهدى الى استقامة طريقه ، وتوصيله الى غايته . ولعله مما يشير الى هذا قول الحق جل جلاله **(قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيره أنا ومن اتبعنى)** وهناك طمأنينة المؤمن الى لطف الله وسعة رحمته ، فربه هو القــائل : **((ورحمتي وسعت كل شيء))**

والرجل المطمئن لايحزن على مافات ، ولا يفرح بما هو كائن ولايخاف مما هو آت ، وهو لايضجر من اداء واجب فان الطمأنينة فيها معنى الاقــامة والدوام ، ولذلك يقال : اطمأن فلان بالمكان اذا لزمه وأقام فيه ، وهو لايمل مجانبة الاثم ، لأن الاثــم والطمأنينة لا يجتمعان فالاثم حيرة ولكن البر سكينة والحديث يقول : (الاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) ويقول : (البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب)

والمطمئن لايجزع من قضاء ، ولا يضيق بقدر ، بل يردد مع القائل :

ما قد مضى يانفس فاصطبرى لـه
ولك الأمان من الذى لم يقــدر
وتحـــقفى أن المقـــدر كائن
يجرى عليك ، حذرت أم لم تحذر

ولقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليــه وسلم المثل الأعلى فى التخلق بخلق ، الطمأنينة ، فما استطاعت الأهوال المتوالية أن تخرجه عن وقــاره ورزانته ولا استطاع النصر العظيم أن يزدهيه أو يغره ، ولا ضعف يقينه او رجاؤه فى أحلك الظلمات وأشد الأزمات ، والقرآن يترجم عن هذا حين يقول **(الا تنصروه فقد نصر الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنــود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم)**

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فاراهــا أيما شمــم

ومن مفاتح الطمأنينة ذكر الله تعالى بالاقبــال على تلاوة كتابه وتدبر آياته ، وذلك لأن القــلب

يطمئن بالايمان واليقين والقرآن الكريم هو أصدق رائد الى هذا الايمان وهو أقوى قاطع لذيل الشك والريب **ومن هنا جاء قول الله تبارك وتعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) لان هؤلاء اذا ذكروا ربهم وقرأوا كلامه وتدبروا مغزاه خشعت قلوبهم واطمأنت**

ويعلل الفخر الرازى ذلك بقوله : (ان القلب كلما وصل الى شىء فانه يطلب الانتقال منه الى حالة أخرى أشرف منها ، لأنه لاسعادة فى عالم الأجسام الا وفوقها مرتبة أخرى فى اللذة والغبطة أما اذا انتهى القلب والعقل الى الاستسعاد بالمعارف الالهية والأضواء الصمدية بقى واستقر ، فلم يقدر على الانتقال منه البتة ، لأنه ليس هناك درجة أخرى فى السعادة أعلى منها وأكمل فلهذا المعنى قال (الا بذكر الله تطمئن القلوب)

وقد يحلو لمعترض أن يقول : ان القرآن هنا يقول : (الا بذكر الله تطمئن القلوب) وفى مكان **آخر يقول : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت** قلوبهم) والاطمئنان ضد الوجل · والجواب عن ذلك أن المؤمنين اذا ذكروا العقاب ، وعدم العصمة من المعصية وجلوا وخافوا ، واذا ذكروا الثواب والرحمة اطمأنت قلوبهم ، فالوجل عند ذكر العقاب والاطمئنان عند ذكر الثواب ·

ويمكن أن يقال أن علمهم بكون القرآن معجزا يجعلهم يطمئنون الى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن خوفهم من عجزهم عن الاستقامة الكاملة على الصراط المستقيم يوجد الخوف فى قلوبهم .

وقد تكون الطمأنينة عن (طريق التطلع) الى تحقق اليقين وتأكد الايمان بالمشاهدة والعيان كما فى قول **الله جل جلاله : (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن** ليطمئن قلبى) وهذا تطلع لا بأس به الى الطمأنينة التى تحقق اليقين وتثبته ولنلاحظ ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يسأل عن حالة شىء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول ، فقوله :كيف تحيى الموتى ؟ ليس نفيا للاحياء ولكن السؤال استفهام عن هيئة الاحياء ، مع التصديق بتحقق الاحياء ووقوعه فابراهيم قد سأل ان يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها وايصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها فهو قد أراد ان يحصل عنده الفرق بين المعلوم سماعا والمعلوم عيانا ·

ولم يكن ابراهيم عليه الصلاة والسلام شاكا فى احياء الله الموتى قط ، وانما طلب المعاينة ، لأن النفوس تتطلع الى مشاهدة العجيب من الأحوال مع تصديقها له ولهذا جاء فى الحديث (ليس الخبر كالمعاينة) · والحديث الذى يقول (نحن احق بالشك من ابراهيم ، اذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) معناه أن ابراهيم لو كان شاكا لكنا نحن أحق بالشك منه ونحن لانشك فابراهيم أحرى الا يشك فالمراد من الحديث تأكيد نفى الشك عن ابراهيم

وفى هذا يقول تفسير المنار (فهم بعض الناس من هذا السؤال أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان قلقا مضطربا فى اعتقاده بالبعث ، وهذا شك فيه ، وما أبلد اذهانهم وأبعد أفهامهم عن اصابة المرمى وقد ورد فى حديث الصحيحين : (نحن أولى بالشك من ابراهيم) اى اننا نقطع بعدم شكه كما نقطع بعدم شكنا أو اشد قطعا ·

نعم ليس فى الكلام مايشعر بالشك فانه ما من احد الا وهو يؤمن بأمور كثيرة ايمانا يقينيا وهو لايعرف كيفيتها ويود لو يعرفها فهذا التلغراف الذى ينقل الخبر من المشرق الى المغرب فى دقيقة واحدة يوقن به كل الناس فى كل بلد يوجد فيه ، ويقل فيهم العارف بكيفية نقله للخبر بهذه السرعة

أفيقال فيمن طلب بيان هذه الكيفية انه شاك بوجود التلغراف ؟ طلب المزيد فى العلم والرغبة فى استكناه الحقائق والتشوف الى الوقوف على أسرار

الخليقة مما فطر الله عليه الانسان وأكمل الناس علما وفهما ، أشدهم للعلم طلبا للوقوف على المجهولات تشوفا ، ولن يصل أحد من الخلق الى الاحاطة بكل شيء علما وقتل كل موجود فقها وفهما .

وقد كان طلب الخليل عليه الصلاة والسلام رؤية كيفية احياء الموتى بعينيه من هذا القبيل فهو طلب للطمأنينة فيما تنزع اليه نفسه القدسية من معرفة خفايا أسرار الربوبية ولا طلب للطمأنينة فى أصل عقد الايمان بالبعث الذى عرفه بالوحى والبرهان دون المشاهدة والعيان)

وقد زكى القرآن المجيد مكانة النفس المطمئنة ، وبشرها بحميد مآلها وجمال عاقبتها فقال: (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) ومعنى (النفس المطمئنة) هنا هى التى لاتأمر بالسوء ، وهى النفس المؤمنة الموقنة ، المخلصة الساكنة التى أيقنت ان الله ربها فأخبتت لذلك ورضيت بقضاء الله تعالى وعلمت ان ما أخطأها لم يكن ليصيبها وما أصابها لم يكن ليخطئها والتى عملت على يقين بما وعد الله فى كتابه ، وهى واثقة بالبعث ومالها عند الله من ثواب

وقد ذكر المفسرون نماذج للذين اطمأنت نفوسهم من أهل السلف الصالح فذكروا حمزة وأبا بكر وابن عباس وعثمان بن عفان وخبيب بن عدى ، رضوان الله على الجميع وقد كان من دعاء السلف (اللهم هب لى نفسا مطمئنة اليك)

وقد تحدث القرآن عن نوع سيء من الطمأنينة لأنها طمأنينة كاذبة تقوم على الاغترار والانخداع ، **فقال فى سورة الحج (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) فليست الطمأنينة هنا هى تلك الطمأنينة الراسخة الثابتة المستقرة وانما هى صورة طمأنينة موقوتة مضطربة قلقة .**

ويقرب من هذا الوادى قول الله تعالى : (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)

وقال الله تعالى فى سورة يونس : (ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) أى ان الذين لايؤمنون بالبعث ولا يطمعون فى ثوابنا اكتفوا بملذات الدنيا وشهواتها وركنوا الى الدنيا واغتروا بها وغفلوا عن آيات الله وأهملوها سيكون مصيرهم النار بما كفروا وفجروا وقد علق الامام الرازى على هذه الآية بقوله (صفة السعداء أن يحصل لهم عند ذكر الله نوع من الوجل والخوف ،كما قال تعالى :اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ثم اذا قويت هذه الحالة حصلت الطمأنينة فى ذكر الله تعالى كما قال تعالى : وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

وصفة الأشقياء أن تحصل لهم الطمأنينة فى حب الدنيا ، وفى الاشتغال بطلب لذاتها كما قال فى هذه الآية : واطمأنوا بها فحقيقة الطمأنينة عند هؤلاء أن يزول عن قلوبهم الوجل فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم توجل قلوبهم ، وصارت كالميتة عند ذكر الله تعالى)

والانسان فى أشد الحاجة الى خلق الطمأنينة يجعله يندفع فى شعاب الحياة ومسالكها ، يمشى على نور الايمان ، ويعمل بثقة اليقين ويواجه المتاعب بالصدر الرحب ، ويلقى المسرات بالاتزان والاعتدال وبذلك يسعد فى حياته وينعم برضوان الله جل جلاله عليه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

الحث على استذكار القرآن وتعاهده والتحذير من تركه بعد حفظه

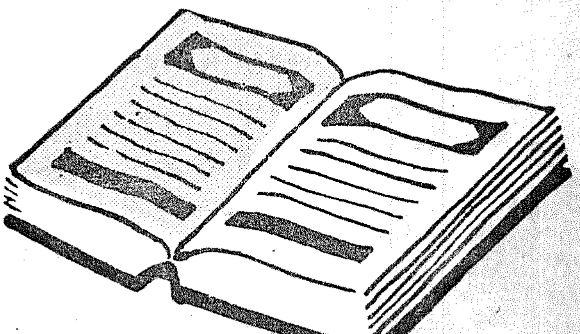

فضيلة الشيخ محمود خليل الحصري

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، انما صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقله ، ان عاهد عليها امسكه وان اطلقها ذهبت (رواه البخارى ومسلم)

والمعقله : المشدودة بالعقال وهو الحبل .

وعن ابن مسعود قال : قال صلى الله عليه وسلم: بئسما لاحدكم يقول نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نسى ،استذكروا القرآن فلهو اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها ،رواه البخارى ومسلم وبئس كلمة ذم ، وكيت وكيت يعبر بهما عن الجمل الكثيرة والكلام الطويل .

قال القاضى عياض : اول مايتأول عليه الحديث ان معناه ذم الحال لاذم القول اى بئس الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه ، وقوله : استذكروا القرآن اى واظبوا على تلاوته ، واطلبوا من انفسكم المذاكرة به . وقوله : فلهو اشد تفصيا اى تفلتا وتخلصا (والنعم بفتح النون المشددة وفتح العين : الابل . والعقل بضم العين والقاف جمع عقال وهو الحبل الذى يشد به البعير .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده لهو اشد تفصيا من الابل فى عقالها) رواه البخارى ومسلم .

ومعنى تعاهدوا القرآن : واظبوا عليه بالحفظ والترداد . قال الطيبى : (شبه القرآن الكريم وكونه محفوظا على ظهر القلب بالابل النافرة وقد عقل عليها الحبل وليس بين القرآن والبشر مناسبة قريبة لانه حادث وهو قديم . والله تعالى بلطفه منحه هذه النعمة العظيمة فينبغى له ان يتعاهده بالحفظ والمواظبة عليه .

وعن ابى عمر رضى الله عنهما قال : (فاذا قام صاحب القرآن فقرأ ، بالليل والنهار ذكره والانسيه اخرجه مسلم .

وعن ابن عمر قال : (قال صلى الله عليه وسلم : **مثل القرآن اذاعاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له ابل فان عقلها حفظها وان اطلق عقالها ذهبت فكذلكم صاحب القرآن) اخرجه أحمد.**

قال ابن كثير : ومضمون هذه الاحاديث كلها الترغيب فى كثرة تلاوة القرآن الكريم واستذكاره وتعاهده ، لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير نسأل الله تعالى العافية منه .

وعن آنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد . وعرضت على ذنوب امتى فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القرآن اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه الترمذى . وصرح النووى فى الروضة بان نسيان القرآن كبيرة لهذا الحديث .

وروى سعد بن عبادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من تعلم القرآن ثم نسيه لقى الله يوم القيامة اجذم) اخرجه ابو داود . ومعنى اجذم كما قال العلماء منقطع الحجة .

وكان سفيان بن عيينه يذهب الى ان النسيان الذى يستحق صاحبه الذم ، ويضاف اليه الاثم هو الترك للعمل به، وان النسيان فى لسان العرب الترك قال تعالى (**فلما نسوا ما ذكروا به) اى تركوا وقال نسوا الله فنسيهم) أى تركوا طاعة الله فترك رحمتهم** قال سفيان . وليس من حفظ القرآن او شيئا منه وتلفت منه بناس اذا كان يحل حلاله ويحرم حرامه

قال القرطبى فى (التذكار) : وهذا تأويل حسن جدا وله وجه ، الا ان الله تعالى اثنى على من كان دأبه قراءة القرآن فقال : (ومن الليل فتهجد به **نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) فتهجد به اى بالقرآن . وقال : (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) وسمى القرآن ذكرا .**

وتوعد من اعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه . قال **تعالى : (كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ، من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدين فيه وساء لهم يوم القيامه حملا)وقال : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ــ قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ــ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) .**

فهذه ظاهرة تلاوة القرآن وكذلك ظاهر الحديث واذا كان نسيان القرآن من الذنوب فلا احتراز منه الا بادمان قراءته . قال صلى الله عليه وسلم : **يا أهل القرآن توسدوا واتلوه حق تلاوته آناء الليل وآناء النهار وتغنوه وأتقنوه ، واذكروا مافيه لعلكم تفلحون .**

قال ابو عبيد : تغنوه ــ اجعلوا غناكم من الفقر ولا تعدوا الاقلال معه فقرا . ومعنى تقنوه اقتنوه كما تقتنون الاموال . قال ابن كثير : وقد ادخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى (ومن اعرض عن ذكرى) الايات . وهذا الذى قاله ــ وان لم يكن هو المراد جميعه ــ فهو بعضه ، فان الاعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام (تعهدوا القرآن ، واستذكروا القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم والتفصى : يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها ومنها تفصى النوى من التمرة اذا تخلص منها ، اى ان القرآن اشد تفلتا من الصدور من النعم اذا ارسلت من غير عقال . وعن ابن مزاحم قال : ما من أحد تعلم القرآن فنسيه الا بذنب احدثه لان الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم) ونسيان القرآن من اعظم المصائب .

ولهذا قال اسحق بن راهوية : يكره للرجل ان يمر عليه اربعون يوما دون ان ينتهى فيه من قراءة القرآن كله .

من أسرار القرآن الكريم

الأستاذ علي النجدي ناصف

ونعنى به هنا أن يأخذ الأسلوب فى حركات اعرابه ، أو نظم عبارته ، أو تساوق ضمائره ، أو دلالة بعض مفرداته على وجه يخالف أصول العربية المقررة ، أو يخالف الشائع المتداول منها ، ذهابا مع المعنى ، وايثارا لمقتضياته على مقتضيات اللفظ

وفى العربية شواهد من هذه الأوجه ، لايختص بها الشعر ، ولكنها قسمة بينه وبين النثر ، الا أنها فى الشعر أكثر عددا وأشد تنوعا ، لأن النثر أوسع مجالا ، وايسر علاجا والتأثر فيه أقدر على التصرف والتغيير . أما الشعر فان له مآزق حرجة ومسالك ضيقة اذا دفع الشاعر اليها وحمل نفسه على رياضتها لم يسعه الا التكلف أو الترخص وربما استجاز مالا يستجيز فى السعة وحين الاختيار ، ليحكم قافية ، أو يقيم وزنا .

ويختلف الشعراء فى مبلغهم من الاجتراء على اللغة اختلافا كبيرا ، فمنهم مقل ومنهم مكثر ومنهم عدل بين بين . وليس يرجع ذلك الى اختلاف ملكات الشعر فيهم قوة وضعفا ، أو مطاوعة وامتناعا كلا فانما نعنى هنا الشعراء المقدمين من أصحاب المواهب العالية فى الشعر . وهؤلاء أجدر ألا يكون بينهم خلاف يذكر فى رسوخ الملكة ، والاقتدار على النظم ولكن مرجعه الى خلافهم فى أسلوب التفكير وطريقة التناول .

فمنهم المتسهل السمح يلتمس معانيه من قريب وفى غير جهد ولا عناد ، فيتوافى اليه الشعر اجمع لخصائص الفطرة ، وابعد من تزويق الصنعة ومنهم المتشدد البعيد الغور ، يمعن فى طلب المعنى ويغلو فى الغوص عليه ، غير آل فيه جهدا ولا وقتا ، فيخرج شعره أدق معنى وأبين صنعة وأكثر تعرضا للضرورة والاستكراه .

واذا كان الشاعر مع ذلك متعاليا أو معجبا بنفسه

يبال قراءة ٧ ولا اكترث لنقاده ، فيخرج شعره على
يقع له ، لا يميز جيدا من رديء ولا يـرى ان
ضا منه آثر من بعض بالرواية والذيوع .

ومن أمثلة خلاف الظاهر فى الشعـــر قـــول
لأخطل يهجو قيسا ويخاطب بنى سليم من بينهم

كروا الى حريتكم تعمرونهمـــــا
كما تكر الى أوطانهـــا البقــر

فجعل لبنى سليم حرتين ، ولم تكن لهم الا حرة
احدة .

وقول الآخر ، يرويه سيبويه :

كلوا فى بعض بطنكم تعفـــوا
فان زمانكـــــم زمن خميص

فجعل لأصحابه بطنا واحدا ، وان كانوا الجمعا
ن الناس .

وقول الفرزدق .

فلو رضيت يداى بهـــا وضـــنت
لكان عـــلى للقدر الخيـــار

فوضع (ضنت) لليدين ، وانما هى لليدالواحدة
ما اليدان فلهما ضنتا .

ومن أمثلته فى النثر قولهم : شابت مفـــارقة
وليس للانسان الا مفرق واحد ، كأنهم يريدون ان
الشيب يمشى فى رأسه كله ، وهو فى المفرق أظهر
فكأن رأسه كله مفارق وقولهم : عظيم المناكب ،
وليس للانسان الا منكب واحد ، كأنهم يريدون أن
منكبيه لعظمهما لا يبدوان كما يبدو المنكبان بل كما
يبدو جمع من المناكب .

وليست هذه الظواهر التى ترى فى اللغة سواء
فى الحكم ولا للعلماء فيها رأى جامع .

والمشهور أن بعضها جائز ، ولا حرج فى استعماله
والقياس عليه وبعضهامحظور لايصح تجاوزه ولاقياس
مثله عليه ، والمفهوم من مجمـــل كلامهـــم فى القضية أن المعنى هو وحده الفيصل فيها اباحة وخطرا ، لأنه روح الكلام والمقصود بالتعبير ، فكل مالا يلبسه ، أو يحول دون فهم المراد به فهو ســائغ مقبول .

وخلاف الظاهر بهذا المعنى قليل فى العربيـة : شعرها ، ونثرها ـ اذ اقرن الى ما فى القرآن الكريم منه . واذا كان هو فى الشعر مظنة تكلف واضطرار فى اكثر الأمر .. فانه فى القرآن مدار حكمة ووحى بلاغة وبيان .

واذا كنا قد علمنا أسرارا منه ، فان ما نجهـل من أسراره أكثر . ولعلنا قادرون فى الغد على علم ما نجهل منه اليوم يعيننا عليه ويمكن لنا منه اتساع آفاق المعرفة وتنوع أسبابها وسيظل هذا دأبنا معه ودأبه معنا أبدا ، يزيدنا علما كلما زدناه بحثا وكلما زادت أسبابنا اليه تنوعا : لا أسراره تنفد ، ولانحن نكف عن المحاولة والدأب بحثا عن حقيقة منــه مجهولة ، وكشفا لسر فيه مكنون .

وما مثلنا معه ـ من هذا الجانب ـ الا كمثلنــا مع الكون الأعظم : بهرتنا آياته وشاقتنا عجـائبه الى التفكر فيه واطلاع أسراره ، فعلمنا منها ماقدرنا على علمه ، وسنظل نطلب المزيد منها ما بقيت الحياة فيه .

ولا يحسبن الباحث الذى يكتنه سرا أو أسرارا فى آية أو آيات من الكتاب العزيز ـ أنه قداستأداها كل ما عندها فلم يبق لقائل غيره مقال فيها .هيهات فما أرى ذلك الا من خطأ التقدير ، أو المغالاة فى تزكية النفس واحسان الظن بها فانما هـــو فى الحقيقة لم يبلغ منها الا بمقدار حظه من الفهم عنهـا والتهيؤ لوحيها ، وعلى حسب الحال التى يكـون عليها حين النظر والدراسة .

ولعله اذا رجع اليها أكثر علما ، وأتم نضجـا أو اذا رجع اليها على حال هو فيها المع ذهنا واصفى روحا ، وأسطع اشراقا أن يعلم منها جديدا ، أو يضيف الى ما علم منها مزيدا لم يكن يعلمه من قبل

وأول ما نبدأ به هنا من خلاف الظاهر فى القرآن الكريم ٠

مفردات بمكان الجموع

١ ــ الضيف يذكر اللغويون ان الضيف من الكلمات التى يمكن ان تقال للواحد والجمع على سواء وانها مع ذلك لتجمع على أضياف وضيوف وضيفان ٠ لكن القرآن الكريم لم يستعملها تعبيرا عن الجمع الابلفظ المفرد ، فيقول الله سبحانه فى سورة الحجر :٥١، **٥٢ (ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا : سلاما ، قال : انا منكم وجلون) ويقول فى سورة الذاريات : ٢٤، ٢٧ ، (هل آتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال : سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال : الا تأكلون ؟) ويقول فى سورةهود ٧٧ ، ٧٨ (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا ، وقال : هذا يوم عصيب ٠ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ،قال: ياقوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد) وذكر ضيف لوط كذلك بلفظه المفرد مرة أخرى فى سورة الحجر : ٦٨ ومرة ثالثة فى سورة القمر ٣٧**

فالضيف الذين يتحدث القرآن الكريم عنهم لم يكونوا ضيف ناس من الناس فى عمومهم ولكنهم ضيف ابراهيم ولوط عليهما السلام رسولان من رسل الله الكرام ورسل الله هم صفوته من خلقه ، وأكرمهم عليه سبحانه ، لأنهم حملة رسالاته ودعاة الناس الى صراطه آتاهم من الفضائل البشرية ما لم يؤت غيرهم ، ليكونوا أئمة الناس بالدعوة والأسوة جميعا ٠

وقرى الضيف لا يكون الا عن سماحة وأريحية فهو اذا دين وخلق وعقل ، دين لأنه يدل على الثقة بالله وحسن الاعتماد عليه ، وصدق الرجاء فيه ٠ وخلق لأنه يدل على المروءة والنخوة والف الناس والارتياح لمشاركتهم له فى الرزق ٠ وعقل لأنه يدل على فهم صحيح لمعنى السماحة وتقدير حكيم لقيمة المال ومكانه من صاحبه كما يجب ان يكون

ومن غير الأنبياء تكتمل السماحة فيه ، ويدر[ك] منها هذه المعانى حق ادراك ، ويأخذ نفسه بالتزا[م] فى غير توجس ولا تردد٠

وهذا رسول الله محمد صلوات الله علي[ه] يرغب فى قرى الضيف ويعلى من شأنه ويري[د] خلقا فاشيا فى الناس ، فيقول فيما يرويه الإما[م] أحمد فى مسنده (من كان يؤمن بالله واليوم الآ[خر] فليكرم ضيفه) الحديث

ومن قبله ابراهيم ــ عليه السلام ــ لم يكفه [...] اكرام ضيفه ، مع انكاره اياهم وجهله من هـ[...] أن يلطفهم بما يسد الحاجة ، ويدفع الجوعة [...] جاءهم بعجل سمين فقربه اليهم ودعاهم اليه ، و[...] كان فى بعضه كفاية وبلاغ اذ كانوا ثلاثة ، أو عشر[ة] أو اثنى عشر كما يقول المفسرون٠ ولكنه قرى الأنبي[اء] وكفى ٠

أما لوط ــ عليه السلام ــ فقد كان قراه اياهـ[م] من نوع آخر ، أعجله سوء ظنه بقومه ان يجيئه[م] بطعام ، بل شغله أن يكون منه على بال ، قبـ[ل] أن يكفل لهم الأمن والطمأنينة ٠

لقد هاله أمر الضيف وأهمه ما عسى أن يصيبه[م] من قومه ، ولكنه اعتصم بنخوته واحتفظ برباط[ة] جأشه فلم يتخل عنهم ولاتهاون فى حقهم عليه وقف [...] دونهم يجادل فيهم ، ويفديهم ببناته أن يكن أزواج[ا] لمن يريد من قومه لا يستثنى احدا ولا يشترط شرطا٠

ومن يكن على مثل هذا الايثار المطلق والحمي[ة] البالغة يكن فى اكرامه لضيفه مثالا يحتذى ويكن الحديث عنه حديثا عجبا ٠

فاذا كانت قصة ضيف ابراهيم ولوط ــ كمـ[ا] يقصها القرآن ــ تصور مبلغ النبيين الكريمين من السماحة أعمالا واقعة ، ومشاهد متخيلة ــ فان لفظ الضيف بافراده تعبيرا عن الجمع يصورها شعورا عميقا وطبعا أصيلا ٠ فهو يوحى بان أضيافهمـا لم يكونوا فى رأيهما ، والتفكير فى أمرهما والتدبير لهما أضيافا ذوى عدد ، يعد لهم على قدر عددهم ولكنهم كانوا فى خفة المئونة ، وقلة الكلفة ،ووفرة القرى وحسن الاقبال وحفاوة اللقاء كما يكون الضيف الواحد ينزل بمضيف جواد ٠ وتبارك الله أبلغ القائلين ٠

أسلوب السمو في الإنفاق

الدكتور عبدالله العزازي

قال المشرع الحكيم (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم -

الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماانفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عندربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون - قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم - يأيهاالذين آمنوالاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شىء مما كسبوا والله لايهدى القوم الكافرين

ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بماتعملون بصير ، أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار لـه فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصارفيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ، يأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ومايذكر الا أولوا الألباب ، وما انفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيآتكم والله بماتعملون خبير)

صدق الله العظيم

وبعد فيأيها القارىء جرد نفسك مما حولك ومن حولك من زخارف الدنيا وشهواتها لتصفو روحك وتستعد لرحلة معى الى العلا نطرق باب السماء فى تمام خضوع وخشوع سائلين (يارب) أنت لاشك (لا اله الا أنت) وأنت الذى خلقت الخلق وأبدعت الانسان فى أحسن تقويم ، وأوجدت فيه غريزة حب الاجتماع فهل تركته من غير ضمانات والتزامات تكفل له حياة حرة كريمة واجتماعا قويا سعيدا ؟ وفى غمرة الصفاء كان الجواب دعوة الى النظر فى دستور البشرية والعودة اليه والتأمل فيه ففيه المبتغى المرجو والأمل المنشود فماذا كان ؟

الأب واحد والأم واحدة فالناس اخوة واقارب مهمابعدت الدار وشط المزار

يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم - ثم ماذا ؟ قربت الدار ودنا المزار لمن رفرفت عليهم راية الاسلام ، وملأ قلوبهم الايمان

(انما المؤمنون اخوه)

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) (الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) (ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم) - هذا وغيره مما يربط المؤمنين برباط

مقدس من التعاطف والتراحم حتى أصبحوا جسدا واحدا اذا تألم عضو منه فى أى نقطة من الكرة الارضية انوتألم له سائر الاخوة فى جميع البقاع

والله سبحانه (لحكمة) يعز من يشاء فيمنحه الثراء ليشكر المنعم لا بالقول الاجوف بل بالبذل والعطاء فى كل مايخفف آلام أخيه الانسان كى يشعر بانسانيته ووجوده نظيفا من الحقد والحسد والأمانى السوداء لأخيه الذى أغناه الله وفضله بالرزق وبذلك يسعد الناس وتسود المحبة فيهدأ المجتمع وينتج ويسير الى الأمام جسدا قويا بريئا من العلل والامراض فيطمئن الغنى على نفسه وماله وينام ولاحرس ولاحراس ولا اغلاق بمحكم المفاتيح ومن وراء الأبواب قضبان الحديد تحكم وتؤمن لكنها لاتجدى كما يجدى العطاء والعون فهما يناديان الاغنياء يبشران بالاطمئنان ناموا آمنين وفتحوا أبوابكم ونوافذكم ليل نهار فلقد احب الناس ورضى الله وهو غنى عما تقدمون بل كل الخير لكم حبا وهدوءا فى الدنيا ولكم فى الاخرة الثمن مضاعف الحسنة بعشر بل بسبعمائة بل بالمضاعفة ومضاعفة المضاعفة (والله واسع عليم)

هذا أمر المنفقين فى سبيل الله وهذا ثوابهم ، فما أسلوبهم فى الانفاق الذى استحقوا من أجله هذا القمر من الخير دنيا وأخرى ؟

ليس ماكان لهم الا أنهم يقدمون العون من أموالهم فى وجوه الخير (فى سبيل الله) فى السلم والحرب ليقوى مجتمع المسلمين فى الأرض مرتبطا برباط العقيدة المقدس مؤمنين بأحاسيس الناس شاعرين بانسانيتهم فلا تعقيب بعد العطاء بما يفسد القرض من من أو اذى فالرغبة منهم صادقة والرضا من الآخذ ولا طأطأة ولا خجل ولا ألم

هذا صنيعهم الذى استحقوا به الثواب وعظيم الاجر الذى لايعلم نهايته الا مهديه سبحانه وهو مضمون فهو عند خير ضامن كما ان لهم دوام السرور والأمن فى الدارين (لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

هذا هو العطاء الذى رضى الله عنه وارتضاه فان الله يرفض ايلام الانسان لأخيه الانسان ، ولأن يرد أخاه السائل بالحسنى ويغفر له ماكان من اثقال خير من عطاء مؤلم لاخير فيه ولاثمرة له فان الله غنى عنه فهو مردود غير مقبول والله حليم لايعجل بالعقوبة

ولقد أوضح المشرع الحكيم الا جدوى ولابقاء لمثل هذا العطاء فهو أجذم أقطع وهل لتراب على حجر أملس نزل به المطر متدفقا جارفا من أثر وبقاء ؟ فلا ثواب للمتبعين ماانفقوا بالمن والاذى والرياء فهى صفات الكفار ، فيجب على المؤمنين أن يبتعدوا عنها فلقد علموا المصير ورأوا المآل من شأن صفوان عليه تراب جرفه المدرار

هذا لون من ألوان الانفاق وهذا ثوابه وخير منه انفاق فى سبيل الله فى كل خير ابتغاء مرضاة الله وتحقيقا لثبات أنفسهم على الايمان ليصدق غيرهم من المؤمنين أنهم ثابتون صادقون وجزاء هؤلاء فيض من الثواب يتجلى بما كان من أمر جنة جمعت كل جنى شهى فى تربة صالحة من مكان مرتفع (بربوة) فيطيب الهواء ويجمل المنظر والرى اغداق من وابل أو طل والانتاج اضعاف مضاعفة فى كل عام مرتان وفرق بين انتاج حبة مرة وانتاج جنة طيبة التربة عذبة الماء باقية مثمرة تؤتى أكلها باذن ربها

فمن العقل والحكمة والخير للانسان ان يقدم على العمل النافع المنتج الذى تحمد عقباه وتضمن ثمرته فيثبت أنه انسان له وجود صحيح وأن عقله فى نضج وكمال وأن أسلوبه فى الحياة أسلوب أولى الألباب ولا ان يفرغ جهوده فى غير مفيد ولا أن يقضى حياته فى غير طائل تعب وعمل وسهر وعرق وفى النهاية قبض على الماء وحسرة من خداع السراب

فأى عاقل ينتمى الى بنى الانسان تكون به أدنى رغبة فى أن يعمل ويكد ويكدح فى شبابه ويجمع ثروة ممثلة فى حديقة جميلة المنظر موفورة الحسن (تجرى من تحتها الأنهار) يدخرها للزمن لنفسه يوم أن

ه الشيخوخة سنة الوجود
س فى جوها لاحـول له
رة – ولاولاده الضعاف
رجوا الى الحياة مطمئنين
ن لاكسالى متسكعين
رهم القرآن صغارا ضعافا
سيس الحاجة الى العون من
م وهى أمل الوالد والاولاد
ى الخناق فلا أمل الا الجنة
غمرة الامل دهمها اعصار
ع الأشجار والثمار – فيه
– أحرقت فأتت وأبادت –
ح وابادة وألم دونه الموت
ام وحسرة قاتلة وطامة
ى فمن ذا الذى يرضى بمثل
من فقدان الأمل وضياع
ئج ؟ لا أحد يرضى الامجنون
عقله أو جاهل اضله الله

**ما دام الانفاق فى سبيل
نتج أطيب الثمر واسمى
ائج فوجب على المنفق ان
خرج الطيب الجيد مما
ى ليكون الجزاء أجود
ب»، فالذى لا تقبله النفس
ير لا يبغيه فالناس فى
ساس سواء ، ومن ذا الذى
ى لنفسه بالغث الا اذا
هل لفرض أو بثمن يناسب؟
ى يحب الطيب رحمة
ذين ورفعة للمنفقين فهو
عن العالمين**

ذا هو الطريق ، طريق
اق فى سبيل الله ابتغاء
اته من طيب المكاسب وبذلك
ى الناس ويرضى الله ،
وان من الله ذلك خير ،
ياء واما أذى واما الردىء

فالبتر والرفض وغضب الله ، وارضاء الشيطان وهو المدمر المخرب ..

«الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » .

وهو عليم بالنيات ، يثيب حسب علمه والجزاء متفاوت واقصى درجاته وأسماها وأهمها وأشملها فيض الحكمة من الله لمن علم منه قوة الصدق والاخلاص فى النية ..

« يؤتى الحكمة من يشاء

ولا ينتفع بهذه الايات الا العقلاء ..

فمن أنفق أو نذر فى سبيل الشيطان أو فى سبيل الرحمن فالله علام الغيوب « **فان الله يعلمه** » .. وعد للصادقين ووعيد للكاذبين المرائين ، وليس لمن ظلم نفسه بانفاق يرضى الشيطان من نصير يدفع ويمنع عنه عقاب الله وسخطه يوم تشهد الجوارح على ما كان لا ظلم اليوم فالله عادل رحيم بالانسان ، ومن رحمته أنه يقول لا تؤلم أخاك فان أعطيت فى جهر من غير أذى فهو خير ، وان أعطيت فى سر كان الخير أكثر وأكثر . فصدق النية فى السرية أصدق خروج عن المال وهو شقيق الروح .

هذا أسمى أسلوب فى الانفاق ولكن هل يقف عند حد الاعطاء للانسان يد بيد ؟ لا انه تضييق لدائرة أرادها الله واسعة تشمل كل خير لبنى الانسان ببناء المدارس والمستشفيات وكل عون للدولة يفيد النفس والغير، وفى حرب بتقديم ما فى المستطاع ، بل وفوق المستطاع ، بالضغط على النفس والحد من الاستهلاك ، لكل ما يدعم ويقوي ويأخذ باليد لنصرة وطن الجميع ، فكل فرد فيه مسئول وهو قائد فى موقعة يخلص وينصح ويعمل ويقدم الروح رخيصة دفاعا عن الحمى والوطن، ففى قوة الجبهة الداخلية أمن للمواطنين وسند للساهرين على خطوط النار منتظرين متأهبين لا يفكرون فى عيد ، بل عيدهم الأكبر يوم أن يطهروا أرض الوطن من أقدام عدو دخيل .

فمن الانفاق فى سبيل الله ان يجند الانسان نفسه بروح من دينه ومن عمق حبه لوطنه ومن دفاع عن نفسه وأولاده ، ومن تأخر أو آثر الراحة أو لوى عنقه أو اكتفى بمعسول الكلام أو عمل ضد الوطن فهو غير انسان ومن لا انسانية له يجب ألا يرحم فهو آثم وله من التاريخ سؤد الصحائف وفى الآخرة خزى وخلود فى جهنم وبئس المصير .

فالانفاق فى سبيل الله يعم كل ما يعود على المجتمع بالقوة من تعليم وجيش وصناعة وزراعة وعلاج وكل ساكن فى الوطن عنه مسئول .

دراسات قرآنية

البيان في تشبيهات القرآن

الدكتور بدوي طبانة

لانستطيع فى هذه العجالةأن نحصى الآثارالف التى تجردت لخدمة الكتاب العزيز ، والفحص تضمنت آياته الكريمة من وجوه الابداع المتصـ بتأليف ألفاظه ونظم معانيه فانها تستعصى عـ الاحصاء ، وتعز على الاستقصاء

وفى كل يوم يقف الباحثون على أثر جديد مفيد فى ميدان الدراسات القرآنية ، تفتح المـ لفهم معانيه وادراك ما حوت أساليبه من مظاهـ الروعة والجمال ، وتوقفعلى ناحيةمن نواحى الا التى أنفرد بها القرآن ، ولم يبلغ شأوه فيها ما أثر عن فحول القول وارباب البيان .

وكان السبق الى تناول كلمات القـــرآن و بالدراسة الواعية ، والنظرة المتأملة هو الذى باب القول فى أصول الأدب وبين وجوه البلاغـ فيه ومن ثم أمكن القول أن البحث البـلاغى الـ اتسع وتعمق وأصبح فى طليعة الوان التفكير ا عند الأمة العربية مدين الى حد كبير فى نشـ وتطوره وتنوع مباحثه لتلك الدراسات التى شـ أعلام الفكر من المسلمين .

وفى طليعة تلك الآثار كتاب (مجاز القرآن) عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) الذى عالج كيفية التوصل الى فهم المعانى القرانية ، باحتـ أساليب العرب فى الكلام ، وسننهم فى وســ الابانة عن المعانى ، حين أحس بحاجة النـــاس وصل حاضر اللغة بسالفها بعد بعدهم عن موا الأولى ، ومواطن المعبرين بها . وبهذا الوصل يتـ لهم أن يصلوا الى حقائق المعانى الواردة فى الـ الكريم ، ولم يكن السلف من العرب والمسلمين حاجة الى جهد يبذل فى سبيل ادراك هذه المعـ لأنهم كانوا عربا وكان لسانهم عربيا ، فاستغـ بعلمهم ومعرفتهم عن السؤال عن معانيه وعما مما وجدوا مثله فى كلام العرب من وجوه البـ

وقد عنى بدراسة المجاز فى القرآن ـ وهو من المباحث البلاغية ـ ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) فى (تأويل مشكل القرآن) اذ كان أكثر غلط المتأ من جهتهفى التأويل ، وتشعبت بهمالطرق واختـ النحل ، فالنصارى تذهب فى قول المسيح عليـ السلام فى الانجيل (أدعو أبى) و (أذهب الى واشباه هذا الى أبوة الولادة مع سعة المجاز ، و قرءوا فى الزبور أن الله تبارك وتعالى قال لـ **عليه السلام (سيولد لك غلام يسمى لى ابنا وأ**

ه أبا) وفى التوراة أنه قال ليعقوب عليه السلام
انت بكرى)وتاويل هذا انه في رحمته وبره وعطفه
لى عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده وكذلك
ال المسيح للماء (هذا أبى) وللخبز (هذا أمى)لأن
رام الأبدان بهما ، وبقاء الروح عليهما ، فهمــا
الأبوين اللذين منهما النشأة وبحضانتهمـا النماء
كانت العرب تسمى الأرض أما لأنهـا مبتدأ الخلق
ليها مرجعهم ومنها أقواتهم .. ثم عرض ابن قتيبة
عد هذا الكثير من آيات القرآن الكريم ، وشرح ما
أوله المتأولون فيها ، وفساد ما ذهبوا اليه ويشرح
وجه الذى يرضاه من المجاز

وللشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) كتاب خاص فيما
رد فى القرآن الكريم من المجاز ، وقد سمى هــذا
كتاب (تلخيص البيان فى مجازات القــرآن)
الشريف يقصر الدراسة فى هذا الكتاب على البحث
ى مجازات القرآن اى فى الالفـــاظ والتراكيب
تى نقلت عن معانيها الأصلية ، وأكثر كلامه عن
استعارات الواردة فى القرآن ، فكأنه يقصـد من
جاز هذا اللون من ألوانه وهو (الاستعارة) وهى
ند البلاغيين ضرب من المجاز اللغوى علاقته المشابهة
كتابه كله فى هذا ، اذ انه كما يقــول لم يجـد
حدا ممن تقدم رمى الى هذا الغرض ، وأجرى الىهذا
أمد .

وذلك بعض ما قدمته الدراسات القرآنية لبحث
جاز ، وهى تختلف بحسب الغاية من كل دراسة
د كانت تلك الغاية فى بعضها كشفا لما أغمض من
انى القرآن الكريم ، وكانت فى بعضها مدافعـة
طاعنين على القرآن بما ورد فيه من المجاز ، ثم كانت
انا لما أسبغه المجاز على الآيات القرآنية من مظاهر
روعة والجمال .

ومن أهم كتب الدراسات القرآنية وأكثرهـــا
صالا بالبلاغة والبيان كتاب (النكت فى اعجـاز
قرآن) لأبى الحسن على بن عيسى الرمـانى (ت
٣٨ هـ) الذى يعد من أمهات كتب البلاغة واعجاز
قرآن الكريم بما حوى من هذه البلاغة ووجـوه
عجاز تظهر له من سبع جهات : ترك المعارضـة
ع توفر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة
لصرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور
ستقبلة ، ونقض العادة وقياسه بكل معجزة . ويحصر
رمانى البلاغة فى أقسام عشرة هى : الايجـاز ،
لتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم والفواصـــل
لتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ،

وحسن البيان ثم يفسرها بابا بابا التفسير المفهم الذى تتحدد به المعرفة .

ومن أجود هذه الآثار التى نشرت فى هذه الأيام كتاب (الجمان فى تشبيهات القرآن) الذى نخصه بالحديث فى هذه الكلمة .

واذا كان الشريف الرضى قد خصص دراســة عميقة لمجاز القرآن فى كتابه (تلخيص البيان فى مجازات القرآن) فان عالما كبيرا هو ابن ناقيــا البغدادى (ت ٤٨٥ هـ) قد خصص كتابا من انفع كتبه لدراسة التشبيهات التى وردت فى القــرآن الكريم وهو كتابه المسمى (الجمان فى تشبيهات القرآن) الذى تابع فيه الشريف الرضى فىدراسة المجازات من حيث استخراج تشبيهات القرآن من آياته وسوره بترتيب السور فى المصحف . وقـد تحدث فى أول كتابه عن فضل التشبيه فقــال ان التشبيهات نوع من مستحسن أنواع البلاغة ، وقـد ورد منه فى كتاب الله تعالى مانحن ذاكروه فى هذا الكتاب ، وذاهبون الى ايضاح معانيه ، والتنبيه عـلى مكان الفضيلة فيه . ثم قال فى كيفية التشبيــه أن الشىء يشبه بالشىء تارة فى صورته وشكـله ، وتارة فى حركته وفعله ، وتارة فى لونه ونجره ، وتارة فى سوسه وطبعه . وكل منهما متحد بذاته ، واقع من بعض جهاته .. وللتشبيه أدوات منهـا الكاف وكأن ومثل وشبيه ونحو ذلك .

ربما استغنى عن هذه الأدوات بالمصور نحو« خرج خروج القدح » و « طلع طلوع النجم »و «ومرق مروق السهم » . ولا يكثر مثل هذا فى التنزيل ، وانما عامة التشبيهات هناك مقرونة الأدوات .

وأشار ابن ناقيا الى أنه قد ورد فى القرآن لفظ التشبيه لغير تشبيه ، كما فى قوله تعالى « أو كالذى مر على قرية) فان ذلك معطوف على معنى الكلام الأول فى قوله تعالى « ألم ترى الى الذى حاج ابراهيم فى ربه .. » لأنه فى التقدير . أرأيت كالذى حاج ابراهيم فى ربه أو كالذى مر على قرية ... ويقول ابن ناقيا هذا ونحوه لم يقصـد ذكره فى هــذا الكتاب ..

وفى حديثنا عن كتاب الجمان لابد من الاشارة الى أن مؤلفه عاش فى القرن الخامس وان فن التشبيه

وغيره من فنون البلاغة سبقت دراستها والتعريف بها منذ القرن الثالث الهجرى ، وحظيت هذه لدراسة بكثير من التعمق والنضج فى القرن الرابع على يد كثير من علماء الأدب والبلاغة من أمثال ابن المعتز **وابن طباطبا وقدامة بن جعفر والامدى والقاضى الجرجانى وابى هلال العسكرى وغيرهم من الذين** سبقوه • ومعنى ذلك ان الدرس البلاغى لم يفد من هذا الكتاب كثيرا ، وانما جل مافى الأمر أنه أثار من آثار العناية بالقرآن الكريم الذى أخذت كثير من العقول والأذواق تديم النظر فيه ، وتستخرج منه آيات الروعة والجلال والجمال • ولا بد من اشارة أخرى الى أن كتاب(الجمان)وان كان موضوعه تشبيهات القرآن ، فان هذه التشبيهات ليست كل شىء فى الكتاب ، وانما هى نواة تفرعت منها كثير من الدراسات التى تدل على ثقافة واسعة ومعرفة عميقة باللغة والأدب ، ومادة غزيرة من الروائع **المنثورة • ولذلك يمكن عد هذا الكتاب كتاب أدب بالمعنى الواسع لهذا الأدب ، وهو الثقافة المتنوعة فى علوم اللغة والأدب •**

ولذلك فان هذا الكتاب يعد موسوعة ادبية رائعة بث فيهاالمؤلف آياتمعرفته العميقةبالقراءاتوالتاويل والنحو والاشتقاق والأدب والتاريخ والقصص •

وطريقته فى ذلك ايراد الموضوع الذى ورد فيه التشبيه ، ثم الاستطراد الى المعانى اللغوية

ووجوه القراءات والأحكام النحوية ، والاشارة الى مايشبه المعنى من كلام العرب ، أو ماأفاده المتأخرون من التشبيهات القرآنية ، مع ذكر القصص والأحداث التى تتصل بالآيات ،الى غير ذلك من المباحث النافعة ، والموازنات التى تدل على الثقافة الواسعة والذوق الفنى الأصيل •

ولولا حرصنا على ألا يكون كلامنا أشبه بالدعوى لاكتفينا بهذه الأحكام التى تبدو واضحة من غير جهد يبذل فى أستخراجها • ولكننا نجتزىء بمثل موجز من أقصر ماورد فى هذه الدراسة الفريدةالتى يبدو فى أكثرها السعة والشمول •

تشبيه من سورة الرحمن : قوله تعالى « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » الانشقاق : انفكاك ماكان على شدة الالتحام ، فالسماء تنشق ، وتصير حمراء كالوردة ، ثم تجرى كالدهان •

وقيل فى قوله « فكانت وردة كالدهان » أى
كلون فرس ورد ، والورد الكميت يتلون فيكون لـ
فى الشتاء خلاف لونه فى الصيف • والدهان جـ
دهن كقرط وقراط ، أى يتلون كما تتلون الدهـ
المختلفة • ودليل ذلك قوله تعالى « يوم تكون السـ
كالمهل » أى كالزيت الذى قد أغلى •

وهم يذكرون تغير السماء فىشدة الأمر وصعو
وما يعهدونه من أحوالهم مثل الجدب والحرب و
ذلك • ومثله قال الشاعر :

ومحمرة الأعطاف مغبرة الحشا
خفاف رواياها بطاء عهودها

يعنى سنة مجدبة أقطارالسماء بها محمرة ،والأ
مغبرة ، وروايتها ، يعنى سحابها ، والمهود
المطر • قال بعض العرب يصف سنة مجدبة :

وجاءتك بالهف لا أرى فيه
وقد سود الشمس فيه الق
كأن النجوم عيون الكلاب
تنهض فى الأفق او تنحـ

أى قد حال الغبار دونها ، وكمدت ألوانها ، كـ
قال ذو الرمة :

وحيران ملتج كأن نجومه
وراء القتان الأغبر الأعين الخزر
تعسفته بالركب حتى تكشفت
عن الصهب والفتيان اوراقه الخضر

وأما التقرير بالنعمةفىقوله تعالى« فبأى آلاء ربـ
تكذبان » وليس فى انشقاق السماء نعمة يقـ
التقرير بها ، فانما التقرير وقع من جهة الزجـ
والتخويف بانشقاق السماء فوقع بالسبب

وانما يجب الزجر بالضرر المحض ، لابما
فيه النفع ، ولكن بسبب النفع الذى هو الزجر
فى الحياة الدنيا •

وذلك المثال من أقصر ما يستدل به على طبيعة ذ
التأليف الذى حشدت فيه المعلومات الأدبية واللغـ
التى تنبىء عن ثقافة المؤلف وغزارة معرفته •

الاسلام دين الحياتين

الاستاذ
عبد الحكيم النجار

الاسلام دين اجتماعى خالد ، خلود الزمن الباقى من الزمن ، له صلته الوثيقة بالمجتمع .. لم ينعزل عن الحياة والناس ، بل جاء رائدا ومرشدا وهاديا يجابه مشاكل الطبقات والأفراد ، ويحلها بمناهج عملية مبسطة ، يسهل العمل بها واتباعها .. ولقد نظم الاسلام ألوان الحياة الاجتماعية والعقلية والاقتصادية والسياسية ، كما رسم طريق الحياة الروحية .. تنظيما كاملا شاملا له أثره الفعال ..

لقد استطاع المسلمون فى زمن لا يعد قرنا ونصف قرن ، التغلب على كثير من الامبراطوريات التى تفوقهم فى العلم والحضارة والثراء والعدة والعدد ، لا بحد السيف والقهر .. ولكن بمبادىء الاسلام السمحة ومثله الرائعة ومبادئه السامية ، وفضائله العالية ، وأحكامه العادلة .

ولقد عالج كثير من علماء الغرب وفلاسفتهم وشعرائهم وكبار كتابهم ، على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم ، فى نزاهة وصراحة الأسباب التى أدت الى سرعة انتشار الاسلام بشكل لم يتسن لأى دين من الأديان السماوية .. على اسس ثابتة من العلم والمعرفة والبحث .

وليس أدل على اهتمام القرآن الشريف بالعلم اكثر وضوحا من أول آياته ..

كانت دعوة واضحة صريحة الى العلم ، بل انها تأمر به كما تأمر الآيات بعبادة الرحيم الرحمن وأداء الصلاة والزكاة والصيام وغيرها من العبادات.. اذ يقول الله سبحانه :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق»

ثم نرى أن الآية الثانية فى ترتيب النزول توجه النظر الى دراسة خلق الانسان والبحث فى حقائق هذا العلم الخطير الذى يعتبر فى كل زمان ومكان أهم العلوم ..

فى علم الحياة

والبحث عن علم الحياة ، والكشف عن حقيقة هذا العلم من ناحية خلق الانسان ، تلك الحقيقة العلمية التى تقرر ان الانسان انما خلق من علق اذ يقول **الله ربنا تبارك وتعالى :**

« خلق الانسان من علق » .

لقد سبق الاسلام حضارات العالم فى تقدير وسائل الدراسة كما وصلت اليها أحدث أساليبها بعد اتساع آفاق الفكر فى العصر الحديث ..

فمنذ أربعة عشر قرنا من الزمان يقرر القرآن الكريم أن أهم أساليب الدراسة النظر ، والمشاهدة والتطبيق العلمى ، والكشف والتنقيب والرحلات الى الجماعات النائية لدراسة أصل الانسان ، حيث يقول القرآن الكريم :

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ..

أسرار الكون

وقد استطاع الاسلام أن يفتح للانسانية مجال العلم الواسع فوجه الىمعرفة الانسان لتاريخ العالم ليزيد من دائرة أفكاره عن هذا العالم وما فيه من أسرار— وما من انسان يمكنه أن يكون مواطنا صالحا قادرا على فهم الحياة الخاصة أوحياة أمته ومكانتها بين الدول الاخرى دون أن يكون لديه المام كاف عما قام به الناس فى الماضى •• وكيف كيف هؤلاء الناس أساليب حياتهم العلمية والاجتماعية •

ان التربية يجب أن تكون أداة فعالة لها أثرها المباشر فى حياتنا اليومية •• لذا يجب على كل انسان فى عهد النهضات والعلم أن يعيش ليعمل وأن يقوم بعمله بالطريقة التى تكفل له أقصى خير وأكبر سعادة ، وعلى هذا وجب أن تكون التربية حية •• تمثل القدوة والسلوك الحميد الواضح ••

بذلك نحيى بالمثل العليا أكثر مما نعيش بحقائق الحياة المادية ••

لذا كان من أعظم أهداف التربية •• تزويد الانسان بالأحلام الكبار •• والمثل العليا هى نتيجة منطقية لالوان الكفاح والنضال والآمال والأمانى •• لهذا وجب أن يكون هدف التربية الأول خلق المواطن الكفء فى عالم على جانب من الوعى الدينى والفكر الاسلامى والاجتماعى والسياسى •• والصناعى ••

دراسة تاريخ الاسلام

وقد قال رينيه ميليه الكاتب الفرنسى فى كتابه « الاسلام والحضارة الحديثة » ، **أذكر أنى أيام كنت أدرس تاريخ** الاسلام كان الأساتذة يقررون سرعة انتشاره دون ايقافنا على أسبابه •• وغاية ما كانوا يذكرونه هو أن طبيعة العرب حربية وأن خيولهم جيدة تكاد تسبق ظلالها — مع أن حقيقة الأمر أن الفتوحات العربية كانت على البغال — الا أن العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تثقل الجندى المجاهد » •

ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الانقلاب العظيم الذى أعطاهم ملك آسيا وافريقيا ، ونصف أسبانيا ••

ولم تقتصر مهمة الانسان العربى على هذا الفتح ، بل أنشأ الدولة العربية الكبرى ، وقد أسهمت هذه الدولة بأعظم نصيب فى تشييد الحضارة بما قدمته من العلوم الرياضية والطبيعية والكيمائية والطبية والفلكية والجغرافية على أيدى علماء الغرب فراحوا يطلقون على هذه الحادثة التاريخية اسم « المعجزة العربية » •

لقد أتى المسلمون بعقائد سهلة ملائمة للفطرة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فترقت العلوم والفنون والآداب باجتهادهم التى عجز عنه معاصروهم ••

وقد جاء المسلمون فى الوقت نفسه بمبدأ فى البحث جديد ؛ مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ « التأمل والبحث » •• كان اهتمامهم بكتاب « أرسطو » أكثر منه بخيالات أفلاطون ، ثم انهم مالوا الى الاشتغال بعلوم الطبيعة وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء •• وقد وجد فيهم كبار الأطباء ولفرط تقديرهم للحياة الدنيا فيهم الشعراء المجيدون •

انالاسلام والحضارة العربية قد بلغت شاوا عظيما فى بغداد وقرطبة •• وأعطى اشهى ثمرة لما سرت اليه المدنية القديمة خالصة من الشوائب •• ففى بغداد استعاد الاسلام قوته **السياسية من المدينة الفارسية** وفى أسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية ••

وشىء أخير •• ان الاسلام دين ودنيا •• ويجب علينا أن **نتمسك بالطرفين •• خلال دراسات جادة عميقة •• لا نتمسك بالقشور والسطحيات، فالاسلام دستور بهذا الطوق الالهى الحانى •• لنجعل من ايمان أفئدتنا •• سوارا حكيما محكما •• يتمسك بالحقيقة ليحميها •• ويدفع بالترهات الدخيلة التى قد تنفع أنصار المادية •• ولكنها توهن جنود الايمان •• والايمان أول مراتب النصر والله معنا •• وناصرنا •**

التيسير في الإسلام

سماحة الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

لقد كنا مع قراء (منبر الاسلام) فى صحبة منذ ثمانية شهر تحت عنوان :

(الاسلام ومقتضيات الفطرة)

وقد أثبتنا فيه أن الاسلام فى أصوله وفروعه « وعلى رأسها معرفة الخالق عزوجل والايمان به ، وتوحيده وعبادته » ينطبق على مقتضيات الفطرة ويتمشى مع العقل السليم والضمير والمنطق وهنا وفيما بعد نريد أن نصاحب القراء الأعزاء تحت عناوين مختلفة من تعاليم الاسلام العامة التى تثبت بكل وضوح ان الاسلام دين فطرى يلائم طبائع البشر على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم وقومياتهم وعنصرهم وانه دين يستحق فى الواقع ان يكون دينا عالميا ابديا خالدا .

من تعاليم الاسلام التيسير فى أمور الدين وتبعاته على المسلمين ، والأصل فيه ما نزل من الايات البينات فى القرآن المجيد ، وما ورد من الأحاديث الصحيحة فى هذا الباب .

أما الايات فمنها قول الله عز وجل (وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم) الاية .

وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) الاية ١٨٥ ـ البقرة .

وقوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) الاية ٢٨٦ ـ البقرة

وأما الأحاديث فمنها ما رواه الامام البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الدين يسر) أى مبنى على اليسر والسهولة . فلا تشددوا على أنفسكم كعادة الرهبانية ، (ولن يشاد الدين أحد) أى يقاومه بشدة (الا غلبه) أى أعجزه عن العمل به (فسددوا) أى الزموا الطريقة المستقيمة والقصد فى العبادة (وقاربوا) أى اطلبوا قربة الله سبحانه (وابشروا) أى بالجنة فان الله يعطى الجزيل عن العمل القليل . (واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة) أى خذوا الراحة والنوم فى هذه الاوقات .

ومنها ما رواه الامامان البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : قال رسول الله صلى الله وسلم (أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل)

ومنها : ما رواه الامامان أيضا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**خذوا من الأعمال ما تطيقون ـ فان الله لا يمل حتى تملوا**) .

أقول : هذه الأحاديث انما تريد التيسير فى غير الفرائض والواجبات وهو الأعمال النافلة أما الفرائض والواجبات فلا بد من تأديتها ، وليس فيها أى عسر أو تعب أو ملالة على الانسان المؤمن العاقل ، بل ان الفطرة البشرية ترغب اليها وتنشرح بها كما أشير اليه فيما سبق من بحثنا .

وأقول : هذا ما يتعلق من الأحاديث بالتيسير فى أمور الدين للمكلفين ، يختص بهم ويعود الى شئونهم الشخصية فى عبادة الله عز وجل .

أما ما يتعلق بالملوك والحكام أو الوعاظ من التيسير على خلق الله فقد ورد فيه أيضا أحاديث صحيحة نروى منها حديثين .

الأول : ما رواه الامامان البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه انه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث أحدا من أصحابه فى بعض أمر . قال (**بشروا**) أى الناس بالأجر والمثوبات (**ولا تنفروا**) أى بالمبالغة فى انذارهم (**ويسروا**) أى سهلوا عليهم الأمور فى أخذ الزكاة وغيره من شئون الرعية (**ولا تعسروا**) أى بالصعوبة

الثانى : ما رواه الامامان أيضا عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يسروا ولا تعسروا . وسكنوا) أى بالبشارة (ولا تنفروا) بالمبالغة فى الوعيد .

أقول : وفى هذا اليسير ما يغنى عن الكثير ، للذين يستمعون القول فيتبعون احسنه

الاسلام يدعو الى الدنيا والآخرة :

ومن تعاليم الاسلام انه يدعو البشرية الى سعادة الدنيا والاخرة . وهذه هى غاية الاسلام وغرضه السامى فى تشريعاته وتعاليمه التى يمثلها كتاب الله (القرآن) وسنة رسوله (الأحاديث النبوية) ذلك أن الاسلام دين لا يختص بقوم دون قوم . أو بزمان دون زمان . وانما هو دين عالمى يعم على كل قوم من الأقوام ، وعلى كل زمان من الازمان . نعم : ان الاسلام دين البشرية عامة . فان محمد بن عبد الله رسول الاسلام انما بعث بهذا الدين للناس كافة وللعالمين رحمة كما فى الايات والأحاديث دين يتناول شئون الحياة البشرية وأمور الانسانية عهده الأول الى دوام الحياة ولهذا فان هذا الدين العا المقدس لابد أن يقوم (بطبيعته وبوضعه السماوى) بالدعوة سعادة الدنيا والاخرة ، و يتناول الشئون الدنيوية والاخروية ، كلا فى حدودها .

اما دعوة الاسلام الى الآخرة فانها تتبين فى أنه يدعو البشرية الى الايمان بوحدانية الله وعبادته وحده لا شريك والى العقيدة بأن هناك يوم الدين يوم الجزاء على الاعمال يبعث فيه الانسان بعد موته حتى يرى جزاء عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر . كما ان الاسلام يفرض على اتباعه المسلمين الصلوات الخمس والزكاة لصالح الفقراء والمساكين ويفرض عليهم الصوم فى شهر رمضان للفوائد الحسية والروحية ، ويفرض عليهم الحج فى العمر مرة وذلك للرياضة البدنية والروحية وليشهدوا منافع لهم المضمرة فى تشريع هذه الفريضة العمرية .

كما يفرض عليهم سائر الأعمال من الجهاد فى سبيل الله عز وجل والدفاع عن الوطن الاسلامى والتضامن والتكتل فى تنفيذ هذه الفريضة

كما يدعو الى بذل الجهود فى القيام بأعمال صالحة تكون سببا للحصول على رضاء الله تعالى ، لينال الانسان به سعادة الآخرة .

واما دعوة الاسلام الى الدنيا فانها تتبين من تعاليمه التى تتعلق بشئون العالم الانسانى من اجتماعية وعرفانية وسياسية واقتصادية .

تلك التعاليم التى تكفلت سعادة اتباعها المسلمين فى هذه الحياة الدنيا ، حيث قادتهم نحو المجد والعزة والكرامة ، وساقتهم الى النجاح والتقدم ، ودعتهم الى ما فيه صلاح الفرد ومصلحة المجتمع ، وذلك منذ التاريخ الأول الى هذا التاريخ .

وبهذا وذلك أثبتت تعاليم الاسلام أن الاسلام دين المعرفة والحضارة والتمدن والرقى تلك التعاليم التى أصبحت مصادر قيمة لتقنين القوانين الوضعية فى دول العالم ولا سيما العرب .

وقد اعترف بفضل تعاليم الاسلام وحكمتها وفلسفتها وعموميتها فوائدها وخيرها العالمى ، نعم اعترف بها المؤرخون والأجانب المنصفون من العلماء الاجتماعيين والسياسيين والاقتصاديين . كل على قدر علمه وشعوره وانصافه فى سبيل الحق والخدمة للحقيقة والتاريخ .

نعم : ان الاسلام يدعو البشرية الى ما فيه سعادة الدنيا كما يدعو الى ما فيه سعادة الاخرة . فقد جاء فى نصوص القرآن المجيد (وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض . ان الله لا يحب المفسدين) الآية ٧٧ — القصص .

والى هذا أشار على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث قال فى أقواله الحكيمة :

(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) .

ومما يجب التنبيه هنا :

١ — ان الاسلام حينما أباح لأتباعه أن يأخذوا نصيبهم من الدنيا حذرهم عن الغرور بالمال واتخاذه وسيلة للفساد لشخصه أو لغيره أو مجتمعه كما هو المنصوص فى ختام الآية المذكورة بصورة النهى والانذار .

٢ — ومن نتائج تعاليم الاسلام فى هذا الباب وفوائد حكمة على بن أبى طالب ، ان المسلمين الأولين تركوا حضارة تاريخية فى كل بلد فتحوها ، لتكون أسوة حسنة للآخرين ، ودرسا وافادة للاجانب . فى قديم التاريخ وحديثه الى يومنا هذا .

ومن المعلوم انه لا يمكن انكار ما أثبته التاريخ والا لبطل العلم والمعرفة .

الإسلام علم وحضارة

الأستاذ أحمد وافي

تحدثنا – بالمقال السابق – عن الدور الهام الذى قام به العرب فى أنشاء أعظم الحضارات الانسانية على مسار التاريخ ، واحيائهم ما كان قد درس من تراث العلوم والمدنيات فى العصور السوالف ،وكيف توفروا عليها تعريبا وتمحيصا ، وأخذوامنهالدنياهم مالا يحتويه دينهم ..

وكنا بذلك ندفع مقولة خبيثة تشكك فى قدرتهم على أنشاء مثل هذه الحضارة المزدهرة ..

ونعتقد أن ما اوردناه من شواهد وأمثله ، كان كافيا للدلالة على أنهم انما يسروا لذلك بفضل « الاسلام » الذى جمعهم على الحق ، وهداهم الى الرشد ، واضاء بصائرهم وقلوبهم بالايمان ، فطوع لهم ما لم يكن مستطاعا ! .. فبهذا المدد العلوى الذى شرفوا به بين الامم ، وجاوز بهم المقاييس الطبيعية فى دنيا البشر ، جاهدواوانتصروا وشادوا وعمروا ، ورفعوا منارات العلم والحضارة على خير مثال ، ونشروا النور فى عالم الحيرة والضلال .

وما كان يسعهم بلوغ هذا ، أو بعض هذا ، قبل الاسلام ، فقد كانوا ضعافا بالتفرقة ، متنافرين بالعصبيه ، متخلفين بالامية ،قطعانا شاردة فى بيداء الوثنية ، حتى أن قريشا أكبر قبائلهم وأثراها رجالا ومالا ، واثبتها قرارا بمكة « **ام القرى ومجمع الآلهة وملتقى الحجيج ، ومركز التجارة** » . **لم يكن** فيها وقتذاك أكثر من سبعة عشر رجلا يكتبون على كثرة ما بين ايديهم من أموال وعروض ، وشتى أعمال ومعاملات

فلما ظهر الاسلام فيهم ، وأشربت به قلوبهم ، واستوثق به وجودهم الانسانى على التراحم والحب ووحدة الجماعة ، وادركوا ان الله قد اختارهم لدينه ينشرونه ويذودون عنه احسوا عندئد بحاجتهم الى العلم زادا وعدة ، ونورا يطلعون به على الدنيا ، فأقبلوا عليه بعقول متفتحة ، وقلوب واعية ،ووجدوا فى القرآن الكريم أعذب المناهل ، واصفى المشارع فنهلوا وارتووا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثهم على الاستزادة من العلم ، ومواصلة طلبه وتحصيله ، ويسن لهم فيه خيرالسنن ،ويقول زيد بن ثابت – على ماجاء بالبخارى – : « جئ بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمة المدينة ، فقيل هذا من بنى النجار ، وقدقرأعشرسور فقرأت عليه ، فأعجبه ذلك – فقال : « تعلم كتاب **يهود – أى كتابتهم – فأنى ما آمنهم على كتابى** » ففعلت ، فما مضى لى نصف شهر حتى حذقتها ، وكنت اكتب له اليهم واذا كتبوا اليه قرأت له ، .. ويقول أيضا « وقال لى النبى صلى الله عليه وسلم ، انى أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا ، فتعلم السريانية ، فتعلمتها فى سبعة عشر يوما » .. وهنا ظاهرة التفيير المعجز ، فذاك رجل قديم عهد بالأمية والكفر ، حديث عهدبالاسلام يتعلم كتابة اليهود – وهى بالعبرية التى لا يعرفها سوى اليهود انفسهم فى عزلة طائفية مستخفية ، ويحذقها فى نصف شهر ؟! ويأمره الرسول أنيتعلم السريانية ، وهى لغة أجنبية غريبة على العرب وليسوا منها فى شىء ، فيتعلمها فى سبعة عشر يوما .. ليس هذا قطعا من الامور العادية ، ولا هو مما يسهل نسبته الى درجة معينة من الذكاءوالفطنة، فبالغا ما بلغ ذكاء المرء وفطنته ، فلن يؤتى هذه القدرة العجيبة فى مثل حال زيد بن ثابت ، ووسطه وبيئته ، وان يكن زيد ممن عرفوا شيئا من الكتابة والقراءة حتى ادناه ذلك من رسول الله وجعله من كتاب رسائله ، فقد كان هذا باللغة العربية لم يزد عليها ، وفى مستوى امثاله القلائل من العرب فى غير تعمق ولا تجويد ، .. واذن فهو « الاسلام » ،

شيء غيره قد بدلهم ، وأنار سبيلهم ، وأوضح لهم
هج ، وعلمهم مالم يكونوا يعلمون ؟!

وحملوا معهم فى جهادهم وفتوحهم هذه البذور باركة ، فتفاعلت واينعت وسايرت تطورات الفتح، تساع الدولة ، وحاجات الناس ، وكان طبيعيا ، ينقبوا فى أعماق الماضى البعيد ليستخرجوا منه قد انطوى من صفحات العلوم ، وعلى هذا الطريق لاقوا بالتراث العلمى والحضارى لكل من كانت هم من قبل علوم وحضارات ! ..

وكانت الفلسفة والعلوم اليونانية أوفى حظا من ناية المسلمين ، لانها كانت جماع ما وصل اليه لعقل البشرى فى اطوار التاريخ المختلفة ، وقد ستبانوا ذلك بالاستقراء الدقيق ، اذ كانت حركة لترجمة عندهم شاملة ناشطة ، تناولوا فيها مخلفات لماضين جميعا ، وخلص لهم منها أن فلاسفة وعلماء اليونان ، كانوا قد طوفوا ، وارتحلوا ، وقبسوا الأفكار والعلوم ، من هنا وهناك ، فجاء ما خلفوه أمشاجا ، أو رشحا ، من هذا ومن ذاك ، وان فيه لما يغنى الباحث المستقصى ..

ويقول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « الله » : —

« أما مكان الفلسفة اليونانية فهو رقعة من الارض على اتصال بأبناء كل دين قديم ، من تخوم الهند الى ضفاف النيل ، وزاد اتصالها بتلك الامم زحوف الفاتحين ، وجموع المهاجرين ، تارة من المشرق الى المغرب ، وتارة من المغرب الى المشرق فكان اليونانيون فى آسيا الصغرى ، يعرفون عبادات المجوس ، والبابليين والمصريين واليهود ، وكان روادهم ورحالوهم يتنقلون بين الاقطار ، فيتعرفون فيها ما لايعرف فى بلادهم من الخفايا والاسرار » .

فمن هذه المنابع تشكلت الفلسفة والعلوم اليونانية ، والمعروف أنها بدأت عند اليونان حوارا ، ثم تجربة وتطبيقا ، من عهد طاليس الى عهد ارسطو، أى خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد المسيحى ، فهى قبل الاسلام . أحدث الفلسفات والعلوم وأعمها ، ولئن كانت قد لاحت ومضات منها فى بلاد الروم ، فانما كانت انعكاسا غير متكامل للفكر الاغريقى ، وقد تلاشت هذه وتلك فى غمار الغزو البربرى الذى سحق كل معلم من معالم المدنية والعمران ، فى كل من دولتى الاغريق والرومان ؟!

ونحسب اننا لا نقحم على الموضوع ماليس منه ، اذا قلنا أن هذه العلوم والمعارف التى انتظمها التراث الحضارى بجميع صوره وعصوره ، لم تكن الامخاض العقل الشرقى ومحض تفكيره ، فلا شيء منها للغرب قل أو كثر ، وفى ذلك دليل التكريم الذى آثر الله به الشرق ممثلا فى رسله ورسالاته ، وفلاسفته وحكمائه !

وفى تأكيد هذا المعنى يقول الاستاذ برستد :

« كان المظنون أن البحث العقلى ابتدأ فى بلاد اليونان ، والحقيقة انه ابتدأ من البلاد الشرقية ، قبلما كان لليونان شيء من الشأن فى المباحث العقلية بأزمان طويلة — ثم شرح ذلك شرحا وافيا — يراجع المقتطف عدد فبراير سنة ١٩٢٥ » .

وقد وقف المسلمون من هذا التراث الحاشد ، وقفة عاقلة مستبصرة ، أخذوا منه وتركوا ، ونقدوا وقوموا ولم ينحرفوا قط عن الجادة التى أقامهم عليها دينهم الحق ..

يقول المرحوم الاستاذ أحمد امين فى كتابه « ضحى الاسلام » :

« الكتب المترجمة من اليونانية الى العربية مقصورة على فروع العلوم الرياضية والطبية والفلسفية ، لأن هذه العلوم عالمية وتتصل بحياة الناس جميعا ، ولم ينقل المسلمون شيئا من المؤلفات اليونانية الأخرى الكثيرة فى الادب أو الالهيات ، لاشتمالها على الوثنية وتعدد الآلهة وعبادة الأبطال » ..

ويقول : « مما لا شك فيه أن العرب أو المسلمين استخدموا ما أخذوا من الثقافة اليونانية استخداما صالحا ، وكان كثير منهم ينظر باحدى عينيه الى الثقافة اليونانية ، وبالعين الاخرى الى التعاليم الاسلامية ، والثقافة العربية فيختار من الاولى ما يتفق والثانية » .

وكانت صناعة الطب من أظهر ما احتفل المسلمون به من علوم اليونان لانها اكثر « عالميه » واوثق « اتصالا بحياة الناس » وذات أثر بعيد فى صحتهم وعقولهم ، والمسلمون مدعوون اليها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعباد الله ، تداووا فان لكل داء دواء » والعقل السليم فى الجسم السليم ، وسلامة العقل مرقاة الى سلامة الرأى وصحة النظر وصدق العقيدة .•

ولم يكن المسلمون فى هذه الصناعة احداثا ، أو مجرد نقلة ومترجمين ، فقد كانت لهم تجاربهم الطويلة ، وخبراتهم المتوارثة ، مع اشعاعات من الطب اليونانى المدروس ، منقولة اليهم من مدرسة جنديسابور عن طريق نفر قليل من العرب تفرغوا لدراسته هناك ، أمثال الحارث بن كلدة وابنه النضر ، فأضافوا الى الصناعة وزادوا ، ومحضوها بالممارسة والتطبيق ، وكثيرا ما كان ينتهى بهم البحث الى تخطئة نظريات وآراء معتمدة فى المؤلفات التى ترجموها لاعلام « الاطباء اليونانيين ، كما حدث من مناقضة الرازى لجالينوس » وقد الف الرازى فى ذلك كتابا باسم « شكوك الرازى » على كلام جالينوس الخ » .•

وهنا ، فلنقض معا لحظات فى استعراض بعض - وليس كل - مظاهر النهضة الاسلامية الرائعة فى عالم الطب ، لنرى الى أى حد نبغ المسلمون فى هذه الصناعة الانسانية « العالمية » ، وكيف صيروها رحمة مطلقة ، وحقا مشاعا لسائر الناس ، من كل الطبقات والأجناس ، وكانت من قبل احتكارا للاغنياء والقادرين ، أما العامة فكانوا هملا محرومين ، وضحايا السحرة والمشعوذين ؟!

وكان سبيل المسلمين الى « تأميم الطب) وتعميمه أن يقربوه الى كل محتاجيه ، فى مراكز مفتحة الابواب ، فأقاموا لذلك البيمارستانات وهى التى تحمل اليوم اسم « المستشفيات ، وقد ظهر أول مستشفى على صورة مبسطة فى غزوة الخندق العام الخامس الهجرى » اذ كانت السيدة « رفيدة الاسلمية » مع بعض صويحباتها من نساء الانصار ، يقمن بأسو الجراح ، ونقل المصابين لعلاجهم فى خيمة نصبت غير بعيد لهذا الغرض ، وقد اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها اسم « خيمة رفيدة » وجعل مكانها بالمسجد النبوى اشهارا لفضلها . وتنويها بهذا الجهد المشكور فى مداواة الجرحى والمصابين بصورة غير مسبوقة .!

وتلك كانت - لا شك - البذرة الاولى لما نراه اليوم من مراكز الاسعاف فى مختلف الأقطار والدول وفى ميادين الحروب بخاصة ، كالهلال الاحمر ، والصليب الاحمر .

وقد تطورت هذه المستشفيات « الحربية » ذات الخيام الصغيرة ، والوسائل المحدودة الملازمة للمعارك والغزوات ، فصارت جهازا طبيا متكاملا يتنقل بين الناس حيث يقيمون ، فى المدن والقرى ، لمداواتهم فى أحوال السلم ، مقدما الى المرضى كل ما يحتاجون اليه من ادوات وادوية واطعمة وأشربة وملابس أطباء وصيادلة ، وكل ما يحقق الترفيه والعافية لهم جميعا وبلا استثناء .

ونستطيع أن نقول : أن المسلمين بهذا قد بدأوا من فراغ ، فما نعرف أمة قبلهم قد سبقت فى خدمة الناس - صحيا - على هذا النحو العظيم الشامل !•

وقد بلغ من تعميم هذا الحق واطلاقه فى الدولة الاسلامية أن « المسجونين) فى الجرائم والذنوب ، لم يحرموا منه فى سجونهم ؟!

يقول ابن أبى اصيبعة فى كتابه « طبقات الاطباء »:

أن الوزير على بن عيسى بن الجراح فى أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله . وتدبير المملكة فى أيام وزارة حامد بن ابى العباس ، وقع الى سنان بن ثابت فى سنة كثرت فيها الامراض ، وكان سنان يتقلد البيمار ستانات - المستشفيات - ببغداد وغيرها ، توقيعا جاء فيه :

« فكرت - مد الله فى عمرك - فى أمر من فى الحبوس - المساجين - وانهم لا يخلون مع كثرة عددهم ، وجفاء اماكنهم أن تنالهم الامراض ، وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ولقاء من يشاورونه من الاطباء فى أمراضهم فينبغى - اكرمك الله - أن تفرد لهم أطباء يدخلون اليهم فى كل يوم ويحملون

معهم الادوية والاشربة وما يحتاجون اليهمن المزورات حساء من الخضر – وتتقدم اليهم بأن يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ، ويريحوا عللهم فيما يصنعونه لهم ان شاء الله تعالى .. »
ونفذ سنان ما اشار به الوزير

وكذلك نفذ أمرا آخر للوزير نفسه قال له فيه كما ذكر ابن أبى أصيبعة أيضا :

« فكرت فيمن بالسواد من أهله – البعيدين عن المدن – وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لايشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الاطباء ، فتقدم – مد الله فى عمرك – بايفاد متطببين وخزانة من الادوية والاشربة يطوفون السواد ، ويقيمون فى كل صقع منه مدة ماتدعو الحاجة الى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينتقلون الى غيره .. »

فيالها من رحمة نادرة المثال ، فيما سلف من عصور واجيال ! ..

وقد كانت المدن الاسلامية ، وبخاصة العواصم الكبرى ، مراكز هامة للمستشفيات « الثابتة » ، وكانت بوجه عام مقسمة الى قسمين منفصلين ، احدهما للذكور ، والآخر للاناث ، وكل منهما مجهز أوفى تجهيز ، بما يحتاجه من آلات وعمال ، من النساء والرجال ، وفى كليهما قاعات مختلفة :قاعة للامراض الباطنية ، واخرى للجراحة ،وثالثة للكحالة « العيون » ورابعة للتجبير ، الى غير ذلك من قاعات وتخصصات !

وهذه الانواع مقسمة بدورها الى شعب وفروع ، كالفرع الخاص بالمحمومين والآخر الخاص بالممرورين – المجانين – والثالث الخاص بالأمراض العادية وغير ذلك ! ..

وكانوا يتحرون اقامة المستشفى فى المكان الصالح الطيب المناخ ، ومما يروى فى ترجمة حياة محمد بن زكريا الرازى انه عندما طلبوا اليه ان يختار مكانا لبناء مستشفى فى بغداد أمر أن يعلقوا قطعا من اللحم الغريض فى أماكن مختلفة من المدينة ، فلما عرضت عليه بعد ذلك اختار المكان الذى ظهر أن تعفن اللحم فيه وقع متأخرا عن مثله فى الأماكن الاخرى

ومنذ القرن الاول من الهجرة وضح اهتمام الدولة الاسلامية بانشاء المستشفيات العامة لخدمة المرضى بطريقة منظمة ومأمونة ، وعلى نطاق واسع ، فأول مستشفى مركزى « ثابت » اقامه الوليد بن عبد الملك الاموى فى دمشق سنة ٨٨هـ ، « وجعل فيه الأطباء واجرى لهم الارزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا ، واجرى الارزاق عليهم وعلى العميان الخ .. » كما جاء فى رواية المقريزى ..

ويقول المرحوم الدكتور أحمد عيسى « بك » فى كتابه « تاريخ البيمارستانات فى الاسلام » –

وكان فى البيمارستان – المستشفى – طريقتان للعلاج علاج خارجى ، أى أن المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه فى منزله ، وعلاج داخلى يقيم المريض فى اثنائه فى البيمارستان فى القسم والقاعة الخاصة بمرضه حتى يشفى ، ففى الطريقة الأولى كان الطبيب يجلس فى محل خاص ويعاين المرضى ويعطيهم العلاج اللازم ، وبما أن هذه المعاينة وهذا العلاج يتمان فى البيمارستان غالبا ، فقد كان يجتمع التلامذة بحضرة استاذهم يعاينون معه المرضى ويعرفون كيفية استدلاله على المرض من أعراضه وعلاماته ، وجملة ما يصف له ، والعلاج الذى يعالجه به ، ومقدار الادوية والعقاقير التى يوصى بها ، وطريقة استعمالها الخ .. »

ويروى ابن النديم – وكان معاصرا لمحمدبن زكريا الرازى : « ان الرازى – وكان شيخا كبيرا – كان يجلس فى مجلسه ، ودونه تلاميذه، ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أخر ، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاهم فان كان عندهم علم ، والا تعداهم الى غيرهم ، فان اصابوا والا تكلم الرازى فى ذلك .

وهكذا كانوا يدققون فى فحص المرض توصلا الى الرأى الصواب والتشخيص الصحيح وشطر كبير

وهام من كتاب الحاوى للرازى مخصص لهـذه الدراسات الطبية « الاكلنيكية » وبه فصل بعنوان : « أمثلة من قصص المرضى » يذكر فيه الحالات النادرة التى تردد فيها فى تشخيص المرض ، وفى كل حالة يذكر اسم المريض واعراض المرض وطريقة العلاج ونتيجتها .

وفى كتاب طبقات الأطباء تفصيلات وافية عن ذلك وهى فى مجموعها تعطى صورة جلية من عنـاية الاطباء المسلمين بدراسة أحوال المرضى وأعـراض أمراضهم درسا دقيقا ، وكذلك كان طـلاب الطب يتلقون من اساتذتهم دروسا عملية « تجريبية » فى تشخيص الامراض وعلاجها ! .

وكان الاطباء والصيادلة لا يمارسون صـناعتهم الا بشهادات تؤكد نجاحهم فى الامتحـان الذى يعقد لهم ، ثم تتابع الدولة تصرفاتهم ومراقبة أعمـالهم ، وكان ذلك مما يقع فى اختصاص « المحتسب » حاكم المدينة مطلق اليد « فى المراقبة والأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر » ..

جاء فى كتاب « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » لعبد الرحمن الشعرانى :

« وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط يقصد الأطباء — ويحلفهم أن لا يعطوا أحدا دواء مرا، ولا يركبوا له سما ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الاجنة ، ولا يفشوا الاسرار الخ » .

وأول من نظم صناعة الطب واخضعها للامتحان هو المقتدر الخليفة العباسى « ٢١٩هـ » وذلك لأنه ـ كما يقول ابن ابى اصيبعة ـ « اتصل به ان غلطا جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل فأمر الخليفة المحتسب بمنع سـائر المتطببين من التصرف الا من أمتحنه سنان بن ثابت بن قرة رئيس الاطباء وطبيب الخليفة الخاص » .

ومن طريف ما أورده ابن أبى اصيبعة فى ذكـر محترفى الصيدلة قبل ان تفرض عليهم الامتحانـات والرقابة : « أن يوسف لقوة الكيمائى قـال يوما للمأمون: انما آفة الكيمياء الصيادلة ، فان الصيدلانى لا يطلب انسان منه شيئا من الأشياء كان عنده أم لم يكن الا أخبره أنه عنده ، ودفـع اليه شـيئا من الأشـياء التى عنده وقال : هـذا الذى طلبت ؟! فان رأى امير المؤمنين أن يضـع اسـما لا يعرف ويوجه جماعة الى الصيادلة فى طلبه لتبتاعه فليفعل ! ..

فقال المأمون ، قد وضعت الاسم « شقطينـا » ، وهى ضيعة تقرب من مدينة السلام — ووجه المأمون جماعة من الرسل الى الصـيادلة يسـألهم عن « شقينا » فكلهم ذكـر أنه عنده واخذ الثمن من الرسل ، ودفع اليهم شيئا من حانوته ، فصاروا الى المأمون باشياء مختلفة فمنهم من اتى ببعض البذور ومنهم من اتى بقطعة من حجر ، ومنهم من اتى بوبر . واستحسن المأمون ما أشار به يوسف لقوة ، واهتم بأمر الصيادلة ومراقبتهم » .

وبعد :

فهذه ايها المسلمون أثارة من تـاريخكم العظيم ، وومضة من ماضيكم المشرق ، وهكذا كان أسلافكم زينة الدين والدنيا ، خيرا ورحمة ، وعلما وحضارة وقادة وسادة ، وانما كـانوا كذلك لأنهم التزمـوا الاسلام دينا وايمانا ، وشرعا متبعا ، مجتمعا متآخيا وعملا صالحا .

واذا كانت قوى الشر الباغية قد استطاعت فيما مضى ان تحتشد لهم ، وتأخذ الطريق عليهم ،وتطفىء المشعل فى ايديهم ، فلقد بقى الاسلام فى حصنه الحصين ، من قلوب المسلمين ، قوة لا تغلب ونورا لا ينطفىء ، وها قد دار الزمان وأعطانا وجهه معتذرا أو كالمعتذر ، ولسان حاله يقول : هلموا فقد جـاء دوركم ..

نعم ، جاء دوركم ايها المسـلمون ، وانه لأشرف دور اختارتكم الاقدار له .. دور الجهاد والتضحية والنصر أو الشهادة ، فى سبيل الله الوطن والحق والمثل الأعلى

بين جهاد النفس وجهاد الأعداء

فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى مرعى

X

تحمل كلمة الجهاد معنى الجهد والمشقة ذلك بأنه يأخذ النفس بما لاتحب ويحملها على ما تكره وطبيعته توحى بأن هناك معسكرين كلاهما يجذب الانسان اليه أحدهما خير والآخر شرير والانسان هو ميدان هذا الصراع بجرمه الصغير ويرحم الله القائل :

وتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

نعم انه لكذلك .. وهو فى الوجود ذروته وقمته . وبين الكائنات خليفة الله فى خليقته . أعلن شرفه فى الملأ الأعلى بين ملائكته فقال جل شأنه

((واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما انبأهم بأسمائهم قال الم أقل لكم انى اعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون »

كما أسجدهم له تكريما وتشريفا . **قال سبحانه : ((واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »**

وما استخلفه ربه ولا كرمه واسجد له ملائكته الا بما استودعه من سر هو هذه الطاقة الخيرة التى هى من الانسان جماله وكماله انها روحه التى هى مناط فضله وعظمته وهى اللغز الذى حارت الالباب فى ادراك كنهه وحقيقته قال سبحانه ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى)) وفى ذلك يقول القائل :

ياخادم الجسم كم تشقى لخدمته
اتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم انسان

وانه ليطيب لى وقد تردد ذكر النفس والعقل

والروح فى كثير من الاحاديث أنأعرض لمعانيها جملة لنرى أن الروح كما أنها سر استأثر الله بمعرفته هى كذلك جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى منتشر فى العروق المنبثة فى البدن .

وفيضا من أنوار الحياة والحس والسمع والبصر جميعها أثر هذا الجسم وثمرته فهو كالمصباح فى البيت واتصاله بأجزاء الجسم أشبه مما يكون بالنور المنبعث فى ارجاء الحجرة المتنقل بتنقل المصباح فى جوانبها المختلفة .

اما النفس : فقد أطلقها الصوفية على المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان وكأنهم يريدون بها الاصل الجامع للصفات المذمومة عن الانسان ، وأنه لابد من مجاهدتها واتهامها فى كل ماتشير به على نحو ماجاء فى قول البوصيرى :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وان هما محضاك النصح فاتهم

ورب العزة سبحانه يقول : « وما أبرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء »

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك »

كما تطلق بمعنى الروح وهى الانسان فى الحقيقة ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها : فاذا اطمأنت لأمر ربها فهى المطمئنة يقول تعالى : « ياايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » واذا عاشت فىصراع معالشهوات فهى النفس اللوامة قال تعالى « لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة » وان تركت الاعتراض واذعنت للشهواتفهى الامارة بالسوء . قال تعالى « أن النفس لأمارة بالسوء الاما رحم ربى »

أما العقل : فيطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور أو هو تلك اللطيفة التى يكون بها الادراك لهذه العلوم .

هذا استطراد أوحى به الكلام عن الخير والشر فى الانسان وعن الصراع بينهما وحاجة كل منهما الى أعوان وجنود .

فمعسكر الخير له جنود من تثبيت الله لاوليائه والتمكين لهم وامدادهم بملائكته وذلك قول الله سبحانه « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين امنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب » كما يقول « اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم منفورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين » وصدق الله اذ يقول « وما يعلم جنود ربك الا هو » .

ولقد أشار الحديث الشريف الى هاتين القوتين المتصارعتين فى الانسان فقال صلى الله عليه وسلم « فى القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وليحمد الله . ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب للحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم تلا قوله « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » .

وقال أيضا ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يارسول الله ، قال وانا الا ان الله أعاننى عليه فأسلم فلا يامر الا بخير . ورب العزة سبحانه يقول « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون » .

وأما معسكر الشر فى هذا الانسان فانه يتمثل فى الغرائز والشهوات والامعان فى تلبية رغائب هذا الجسم والعكوف على خدمته وتحقيق مطالبه ؛ وطائف الشيطان الذى اشارت اليه الآية السابقة والحديث قبلها وشياطين الانس الذين قال الله فيهم « يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » .

فمن استطاع أن يعيش بقلب المؤمن الصادق وبصيرة المخلص المستنير بنور القرآن وكان سلوكه الحق وقوله الصدق ووصل نفسه بربه ولم يره حيث نهاه ولم يفقده حيث أمره فانه بذلك يكون ممن أحبهم فكانوا منه السمع والبصر وكل شىء فى حياتهم وتولاهم بعين عنايته وايدهم بروح من عنده وصدقهم الله وعده لاوليائه فى قوله « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون .

وثم تستقيم به حياته ويعتدل ميزان أمره فى كل شأنه فلا اسراف ولا تقتير ولا بخل ولا تبذير ولا انحراف ولا تغيير ولا تبديل « فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم » .

والانسان متى كان قادرا على التحكم فى نفسه وتوجيهها وجهة الخير التى يحبها الله ورسوله وانتصر فى كيانه البشرى معسكر الخير على معسكر الشر فانه بغير شك سيكون القادر على قهر جميع خصومه والانتصار عليهم ، كما يحيا باخلاق المؤمنين الذين يعرفون لربهم حقه وللبشرية حقها ولنفسه حقها ولأهله وولده حقهم ويحقق أكرم قدوة واعظم أسوة .

ولقد كان ذلك نهج الانبياء والمرسلين وسبيل القادة والمصلحين حين أرادوا أن يصنعوا من الانسان طاقة خيرة لاتقهر . فكرسوا جهودهم فى اصلاح الفرد واقامة بنيانه على تقوى الله ورضوانه وربطه بأسباب البقاء الحقيقى . بالايمان ، والخلق الكريم ، والاستمساك بالفضيلة ، وترسيخ ذلك فيه بصورة لا توهنها الاحداث ولا تنال منها الكوارث ولا تهتز بالاعاصير والعواصف .

وحين نستعرض طرفا من حياة النبوة الشريفة وكيف صاغت من ابن الصحراء القاسى القلب الجامد العاطفة الذى امتزج بكيانه حب الوثن وآثر على التوحيد عبادته واتخذ الهه هواه وعاش سادرا فى ضلالته ــ كيف صاغت منه ــ الانسان الذى يمشى على الارض فى صورة بشر سوى ويحيا بروحه مع الانبياء والأخيار والملائكة الاطهار .

لقد صنعته على أساس من الايمان الوثيق الذى يصله بمصدر الخير ومعين القوة ونبع الكمال النقى الطاهر بالله رب العالمين وكان شاقا على قوم يعكفون على أصنام لهم صنعوها بأيديهم أن يروا الآلهة الها واحدا وان ينزل الذكر على محمد من بينهم فناصبوه العداء بغيا وعدوا وجحدوا بدعوته ظلما وعلوا وسفهوا انفسهم واستحبوا العمى على الهدى فكانت الحياة المتجهمة فى وجه الدعوة والداعية ونزل بمحمد وبمن معه من العذاب والاذى مالا قبل لاحد به ووضعت فى طريق الحق العقبات وبذلت الاموال وكان الوعد والوعيد والاغراء والتهديد فما لانت قناته وما كان لذلك كله من أثر على قلوب صنعها الحق على عين منه وارتضت الاسلام دينا ومحمد نبيا ورسولا **قال تعالى ((الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم** يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون))

ذلك هو الايمان بالله واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره، وشره ، وبالموت وانه حق وبان الحساب فى يوم الجزاء حق انه الأيمان بهذا النبى الذى أتم الله به صرح النبوات وأقام بدينه بنيان الفضائل والمكرمات قال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق وقال ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه واجمله الاموضع من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين رواه البخارى .

ان الايمان الذى يعرف للانسان حقه فى الحياة حرة عزيزة كريمة وانه لاسلطان عليه الا لله الواحد القهار المحيى المميت النافع الضار .

بهذا الايمان استطاع صلى الله عليه وسلم ان يسمو بالمؤمنين حتى انهم لم يروا الدنيا شيئا يستحق ان يشغلهم عن الله عز وجل وعن غرضهم الاسمى وهو عيش الأعزة الكرماء قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) لم تأسرهم غريزة ولم يخضعوا لسلطان هوى أو شهوة بل كانوا جميعا على غرار ذلك الصحابى الجليل الذى سأله أكرم الخلق صلى الله عليه وسلم قائلا كيف اصبحت ياحارثة . قال اصبحت مؤمنا حقا قال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك قال حارثه عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها وكأنى بالجنة والنار وكأنى بعرش ربى فقال عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان البزاد الطبرانى

على هذا صاغ صلى الله عليه وسلم المسلمين فخرج بهم من ظلم المادة الى نور المعرفة ومن أوضار الاثرة والانانية الى محامد الايثار والبذل والتضحية وثم استطاع ان ينطلق بهم الى المدينة مهاجرين الى الله ورسوله لا يلوون على شىء وراءهم من مال أو جاه أو أهل أو ولد وحين نزلوا باخوانهم من الأوس كانت المؤاخاه التى كانت صدى لهذا الايمان الذى فجر ينابيع الخير فى النفوس فانطلقت الأيدى سخاء وكرما للمهاجرين وقاسمهم الأنصار كل مايملكون وهنا وجدنا الاسلام قد حرص أولا على ربط الانسان بربه عن طريق الايمان ثم اقامة جبهة مؤمنة قوية بهذا اللون من التعاون عن طريق المؤاخاة

والمدينة فى هذه الوقت كان يسكنها مع المسلمين

اليهود الذين حقدوا على المسلمين من الأوس والخزرج ان جمع الله شملهم فاشعلوها فتنة بين الاوس والخزرج حين اثاروا الأحقاد القديمة باستذكار ماكان من اشعار قيلت فى مناسبات طمس معالمها الاسلام وسرعان ماتنادى الأوس والخزرج الى السلاح ويبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فيذهب مسرعا اليهم ويذكرهم الله ورسوله وينزل عليه قوله سبحانه ((يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله .. ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صرط مستقيم) فتنطفىء نار الفتنة ويعود الصفاء ويرأب الصدع الذى حدث فى جبهة المسلمين الداخلية ويعودون اخوانا متآلفين متحابين

بهذا الايمان القوى بالله رب العالمين وهذه الوحدة التى جمعت شمل المؤمنين لقى الرسول اعداءه فى بدر بقوى غير متكافئة لا فى عدد ولا فى عتاد فكان لهم النصر والغلب حين استجابوا لله والرسول وأعدوا ما استطاعوا من قوة دون ان يتكلفوا شططا وثوقا فى نصر لله لأوليائه المخلصين وكان ان صدقهم الله وعده على نحو ماجاء فى قوله سبحانه (أذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وقوله (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وفى النهاية يعلم حبيبه بان ما أحرز من نصر انما كان منه سبحانه حين قال ((وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)) وفى احد انتصر المسلمون وكانت زلة وقع فيها الرماة فخالفوا عن أمر رسول الله فأنزل الله بهم من الشدة ما اذهل الكثير ففروا وقتل منهم من قتل وجرح صلى الله عليه وسلم وهنا رأينا الايمان وبطولاته تحوط سيد الانبياء وقد كاد الكفار أن يخلصوا اليه فهذا ابو طلحة يرمى ويقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى انت وأمى لا تنظر يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك ووجهى لوجهك فداء .

وهذه أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية وكانت تسقى الناس يوم أحد لما رأت ما نزل بالرسول جعلت تقاتل أشد القتال حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا وقد سمع صلى الله عليه وسلم يقول (ما التفت يمينا ولا شمالا الا وأنا أراها تدافع دونى)

وهذا ابو دجانه يقاتل أشد القتال وانس بن النضر الذى ظل يقاتل حتى استشهد .

واذا كان ذلك مبلغ جودهم فى سبيل معتقدهم حين يقدمون الارواح رخيصة على هذا النحو فان ما دونه أيسر واهون (والجود بالنفس أقصى غاية الجود)

على هذا مضت الأمة الاسلامية تشق طريقها بالعرق والدم والبذل والفداء وهى مؤمنة بان فى الاعتصام بهذا الدين الملاذ فى الشدة والمفزع عند الكربة والمنجى بين يدى المحنة وطالما كانت وهذا سبيلها فقد أمسكت بزمام القوة وسجلت لنفسها على جبين الدهر السيادة والعزة .اما حين نأت واعرضت بما فيها عن ذكر ربها وجانبها التوفيق فلم تستمسك بهدى دينها فهناك جنود يؤدب الله بهم أمثال هؤلاء الخارجين والنبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لينتقم بالظالم من الظالم ثم ينتقم منه) وهكذا اصاب المسلمين وأصابهم على يد التتار وعلى يد الصليبيين يوم نسوا الله فانساهم انفسهم وسلط عليهم من لارحمهم،وحين فاءوا الى أمر الله كان النصر حليفهم على التتار فى عين جالوت بيد القائد المظفر (قطز) وفى حطين حيث دحروا جيوش الصليبيين على يد صلاح الدين

واليوم ونحن امام عدو غادر فاجر لايخشى الله فى أمر يأتيه ولا يؤمن بعدالة ولا بشىء الا بما يرضى حقده ويشبع فى نفسه الخبيثة جشعه وطمعه.نرى على هدى من كل ماذكرنا ان السبيل الى النصر واضح والطريق الى القضاء على هذا العدو ظاهر وهو طريق واحد هو الايمان الذى يجمع القلوب ويصلها بالله علام الغيوب مع الاعداد للقاء العدو بكل مانقدر وما نستطيع ولو كانت القوة بيننا وبين اعدائنا ومن وراءهم غير متكافئة فان الله سبحانه حين قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) لم يكلفنا الا بما نستطيع وذلك يستلزم الا ندخر وسعا فى الاعداد الذى يتطلب أولا تماسك الجبهة الداخلية ووحدتها ثم العدة واعدادها وماوراء ذلك فالى الله الذى يملك مقاليد الأمور كلها وهو وحده نعم المولى ونعم النصير ((ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

الصمود والثبات

من مقتضيات النصر

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

« يايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط »

الخطاب هنا موجه للمؤمنين — لأن الايمان يملأ قلوب المجاهدين أمنا وعزة واطمئنانا وقوة .

ومما لاريب فيه أن مراقبة الله تفرض على الضمير اليقظة التامة ليؤدب ويهذب ويحاسب ويعاتب ويراقب ويحذر وينذر وينهى النفس عن الهوى .

واذا تولى الايمان قيادة النفوس كان رقيبا فى السر والعلن فيصير السلوك علما وعملا يصل انسان الارض بنور السماء فتصبح القوة للعقل والسلطان للحق وبهذا يصبح المسلم شجاع القلب مطمئن النفس سمح التعامل واسع الأمل يحسن كما أحسن الله اليه فلا يقبل الخداع والتضليل ولا يرضى بالواقع الذليل . ! !

ان المؤمن الذى يراقب الله لا يذل لسواه ، ولا يعبد الا اياه .

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »

ان خشية الله تبرىء النفوس من آفاتها وترفعها الى أعلى الدرجات ، فاذا جاهدت صدقت فانتصرت ، لايمانها بأن الحق لا بد أن ينتصر مهما طال الزمن ومهما كان الثمن ، واذا لقيتها الشدائد والأحداث قابلتها بالصبر الجميل وبالثبات واليقين ، وهؤلاء هم الصابرون الصادقون .. المجاهدون الصامدون .

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

وفى قوله عز وجل « فاثبتوا » أمر تكليف .. صادر من رب العالمين . لأن الثبات عند لقاء الاعداء

من عوامل النصر ، والثبات قوة نفسية توحى بالشجاعة والصمود واليقين بنصر الله .

وقد انتصر أسلافنا بهذا اليقين النفسى والايمان القدسى على أعداء الله وخصوم الحياة .

لأن هؤلاء المجاهدين المناضلين كانوا يطلبون الموت لتوهب لهم الحياة . فلا تخدعهم الشهوات ولا تلهيهم النزوات .

وفى قوله تعالى : « واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » توجيه لتدريب النفس على ذكر الله كثيرا بكرة وأصيلا لان ذكر الله عند لقاء الاعداء يعلم المؤمن الثقة بذى الحول والطول ذى الجلال والاكرام ويذكره بالايمان باحدى الحسنيين ـ النصر أو الشهادة .

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ؟

واذا تصاعد الموقف الى اللقاء المسلح دارت الدائرة بحول الله وقوته على المعتدين وكسرت شوكة الطاغين ولا عدوان الا على الظالمين .

وان جهاد النفس المؤمنة لابد منه لجهاد العدو ولا يتم ذلك الا بذكر الله كثيرا وجهاد المتقين للأعداء الغادرين انما يقوم على أسس الحق والعدل والفدائية والشجاعة الفاضلة التى جعلت القائد المنتصر خالد بن الوليد رضى الله عنه يقول وهو فى فراش الموت :

« لقد شهدت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع شبر الا وفيه أثر من طعنة أو ضربة أو رمية وهانذا أموت على فراشى كما يموت البعير ـ لا نامت أعين الجبناء . »

ولا عجب فهو الذى كان يقول فيه ابو بكر رضى الله عنه :

والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد .

وهؤلاء قد منحهم الله طاقات من القوة وعاها التاريخ وحفظها الزمن وكانت قدرة الله تحرك الأيدى المقاتلة بالرمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ..

وهؤلاء المجاهدون المخلصون لم تهزمهم نفوسهم قط وما ضعفوا وما استكانوا .. ثم تأمرنا الآية التى بدأنا بها حديثنا هذا بطاعة الله ورسوله لانها صلة تربى الضمير وتقوى الارادة وتجعل المؤمن قدوة وقوة ليكون جادا فى جهاده أمينا فى عمله مخلصا لبلده وبذلك تقوى الروح المعنوية العالية المنتصرة والروح المعنوية أقوى الاسلحة لان النفس البشرية قد تكون أمارة بالسوء ولا يعصمها من الزلل الا أن تطيع الله ورسوله ليحيا فى النفس الوازع الدينى الكريم

« قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

ان تعبئة النفوس بطاعة الله ورسوله مع الثبات وصدق العزيمة والسير على المنهج القويم والصراط المستقيم كل أولئك من مقدمات النصر ، ثم يقول لنا ربنا :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين »

الأمة المحمدية أمة واحدة وان اختلفت الالسنة والاوطان .

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون »
« وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

ولقد طالبنا ربنا بالاتحاد بالتآلف وطرح الشقاق والنزاع .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

وبهذا التوجيه الكريم يجب أن تتحد القلوب المؤمنة وتتجه الى الله علام الغيوب، ولقد أوصاهم

ربهم ان يردوا الأمر الى الله والرسول اذا اختلف المؤمنون فى أمر ما :

«فان تنازعتم فى شيءفردوه الى الله والرسول»

لتظل الوحدة قائمة ودائمة مؤسسة على التوحيد الخالص الذى وحد العقيدة وأمر بعبادة اله واحد فى مجتمع فاضل متين الترابط قوى التآزر يتعاون على الخير والبر والتقوى .

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم »

وقد قضى الاسلام على الحواجز الجغرافية والعصبيات القبلية واقام الحياة على تقوى من الله ورضوان .

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

وهكذا توحى العقيدة المؤمنة بالوحدة وبالثبات وعدم الفرار يوم الزحف .

«يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير »

لأن الايمان يثبت الاقدام فى ميدان النضال ولكن الانسان اذا شرد من ربه وخالف هداه ، وعبد ماله واتبع هواه فقد خالف الفطرة الانسانية الى جهالة بهيمية واضحى ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

واذا دخل المسلمون المتقون المعارك الحربية المسلحة استعانوا بالله ووثقوا به وبنصره المبين لأن الله مع الذين اتقوا والله مع الصابرين الصامدين وهو الذى بيده النصر . وبيده الآجال وهو القائل فى كتابه الكريم :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

ولقد وضع الاسلام هذه الحقيقة أمام كل مجاهد مؤمن ، وهى أن الموت بقضاء الله وقدره **« قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » ـ « قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين »**

والصبر عند اللقاء قوة ايجابية يعالج بها الضعف النفسى وهو سلاح قوى يستعين به المجاهدون على عدوهم فيصبحوا ظاهرين .

« يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »

والمصابرة هى القدرة على مقابلة الشدائد

والمرابطة هى تجهيز النفس للقاء الأعداء ومواجهة الحروب بكل ما أعدت من قوة .

والتقوى هى مراقبة الله فى كل شأن من شئون الحياة وفى كل زمان ومكان ، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيثما كنت » .. وذلك لان المقاتل لابد أن يعتقد أن الدنيا بحذافيرها لا قيمة لها بجوار الدار الآخرة مع مرضاة الله .

هذا الاتجاه يعتبر حصنا منيعا يحمى من الزيغ والزلل ويبعد عن التقاعس والانحراف .. « وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ؟ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا .. أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله »

وأما الشهداء فهم أحياء عند ربهم يرزقون .

الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع

المستشار
فتحى عبد الصبور

- ٣ -

رأينا فى المقال السابق أن الشريعة الاسلامية الغراء شريعة عالمية عامة توجه بها الشارع الحكيم الى الناس كافة وان هذه « العالمية » قد اقتضت أن تكون الشريعة الاسلامية صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ومن اجل ذلك كان مسلك الشريعة فى تشريع الاحكام قائما على أسس منها مراعاة أحوال الزمان والمكان والبيئة والعادات والتقاليد تحقيقا لمصالح الناس وأقامة العدل بينهم .

(ب) مراعاة الشريعة التقاليد وأحوال الزمان والمكان

١٢ — لا مراء فى ان العدل المطلق أو العدالة نتيجة لازمة للفطرة الانسانية يحسها الانسان بمقتضى قواعد القانون الطبيعى وتشترك فيه كل الامم ، الا انه لكل أمة ظروفهـا وبيئتها ولذلك كان لزاما على كل مشرع فى أمة من الامم الا يغفل ظروفها الخاصة من جهة ادراكها وفهمها وتقاليدها فيلحظ عند التشريع أحوال الزمان والمكان والبيئة والعادات والتقاليد لدى المشرع لهم حتى يكتب للتشريع الثبات والاستقرار ذلك بان الله سبحانه وتعالى قد خلق الناس شعوبا وقبائل متباينة الالسن والالوان والزمان والمكان وقضت حكمته — جل وعلا — أن يكون لكل أمة حالة ولكل طور حكم قال تعالى « ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » بل ان المشرع — كى يكفل لتشريعه الصلاح والنمو — يجب أن يراعى أحوال الزمان والتطور المستمر فى الافكار العلمية والنظم الاجتماعية والاقتصادية وبذلك يكتسى التشريع فى كل دورة من دورات التطور ثوبا قشيبا يماشى به التطور الفكرى وتقدم النظم . أما اذا لم يراع المشرع هذين الامرين : العادات والتقاليد للمشرع لهم ، وأحوال الزمان والمكان ، فان التشريع يفقد صفة الثبات والاستقرار اذا فقد العنصر الاول ، أو صفة التجديد والاستمرار ان فقد العنصر الثانى وبدا تشريعا متخلفا عاجزا عن مسايرة التقدم وتحقيق الضرورات الاجتماعية وعلاج ما يجد من حوادث لا تتناهى .

١٣ — والشريعة الغراء لم تغفل عن الامرين معا فهى من جهة قد راعت ما كان صحيحا من عرف بلاد العرب ومن ذلك اشتراط الكفاءة فى الزواج وفرض الدية على العاقلة بها انها لجات الى التدرج فى التشريع لازالة الاعراف التى لاتتفق وأصول الدين . واذا كانت الشريعة قد ألغت النظام الطبقى الذى كان سائدا فى الجاهلية وساوت بين البشر ولم تفاضل بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » ، الا أن الشريعة الغراء — قد وجدت مع ذلك نظام الرق سائدا فى مجتمع الجاهلية . ولما كان هذا النظام يخالف أصول الشريعة الغراء التى أتت بالحرية والمساواة بين الناس جميعا أمام القانون فقد عملت على الغاء هذا النظام الاجتماعى فلم تضع له أحكاما دائمة ولم تلغه دفعة واحدة وانما وضعت له من الاحكام ما يكفل تصفيته والغائه فحصرت أحوال الرق فى أسرى الحرب التى تعلن فى سبيل الدفاع عن الاسلام وتامين الدعوة الاسلامية وهو ما لا يتحقق الا به ، كما أن الشريعة الاسلامية قد جعلت اعتاق الرقيق وتحرير رقبته من الرق كفارة كثير من الذنوب والآثام كالقتل الخطا والحنث فى اليمين والافطار عمدا فى نهار رمضان بغير عذر ثم جعل المشرع الاسلامى تحرير الرقاب من الرق مصرفا من مصارف الزكاة ، وعملا صالحا يثاب فاعله عليه . كما أقر المشرع الاسلامى « السلم » وقد تعارف عليه أهل المدينة

العرف كمصدر من مصادر التشريع :

١٤ — ويرى الاصوليون أن العرف مصدر من مصادر التشريع على المجتهد مراعاته متى كان عرفا مطردا صحيحا لا يصادم نصا شرعيا من الكتاب أو السنة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » كما قال العلماء « المعروف عرفا كالمشروط شرطا » والثابت بالعرف كالثابت بالنص وقد بنى الفقهاء كثيرا من أحكامهم على العرف فبنى الامام مالك كثيرا من فقهه على عمل أهل المدينة وما تعارفوا

عليه واختلف ابو حنيفة واصحابه بناء على اختلاف اعرافهم بل ان الشافعى لما هبط الى مصر غير بعض الاحكام التى كان قد ذهب اليها وهو فى بغداد لاختلاف عرف أهل مصر عن عرف أهل الحجاز والعراق ولهذا كان للشافعى مذهبان قديم وجديد . وقد ألف ابن عابدين رسالة فى أحكام العرف سماها « نشر العرف فى بناء بعض الاحكام على العرف » وفى فقه الحنفية احكام كثيرة مبنية على العرف منها أن الشرط فى العقد يصح اذا ورد به الشرع أو اقتضاه العقل أو جرى به العرف وانه اذا اختلف المتداعيان ولا بينة لاحدهما فالقول لمن يشهد له العرف .

تغير الاحكام بسبب العرف :

١٥ ـ ولما كان العرف متغيرا بحسب الزمان والمكان كان لزاما أن تتغير الاحكام ـ التى مصدرها العرف ـ بتغير الاعراف ولهذا قال الفقهاء ان هذا « الاختلاف المترتب على العرف ليس اختلاف حجة وبرهان وانما هو اختلاف عصر وزمان » و « العادة شريعة محكمة »

والعرف فى تغييره للاحكام ـ عند الحنفية ـ ودون أن يصادم نصا قد يخصص النص العام أو يقيد النص المطلق وقد يترك القياس بالعرف ـ كما يرى ابو يوسف ـ ولهذا صحح الفقهاء عقد الاستصناع لجريان العرف بهمع انه عقد على معدوم وكان مقتضى القياس أن يبطل ، وعلى ذلك فالعرف لا يؤثر فى تشريع الاحكام فحسب بل هو يؤثر فى تفسير النص التشريعى كذلك. ويغلب فى العرف انه من قبيل المصالح المرسلة التى يهدف تحقيقها الى جلب منفعة أو دفع مضرة قال تعالى « ما جعل عليكم فى الدين من حرج »

١٦ ـ ومن أمثلة تغير الاحكام بسبب العرف ما ساقه ابن عابدين فى رسالته السابق الاشارة اليها من امثلة فى المبايعات الربوية التى أجازها الفقهاء المتأخرون بحجة رفع الحرج عن الأمة. ومن ذلك أيضا اباحة استئجار الاجير بالطعام والكسوة مع ما فيه من جهالة ولم يجز فقهاء الحنفية الاستئجار على تلاوة القرآن لانها طاعة يثاب عليها فى الآخرة وعبادة يتقرب بها الى الله تعالى ولكن بسبب العرف وتغير الزمان استثنى المتأخرون من الحنفية تعليم القرآن والفقه والوعظ وكذلك الاذان من هذا الحظر حتى لا تتعطل هذه المصالح الدينية . ومن أمثلة تغير الاحكام بسبب العرف أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن بيع وشرط ومع ذلك رأى الفقهاء ان العرف قد خصص من عموم هذا النهى فأجازوا بيع الوفاء وهو الذى يتعهد به المشترى برد المبيع اذا رد البائع الثمن لحاجة الناس الى هذا العقد فى التعامل .

وقد كان الامام ابو حنيفة يرى أن من حلف الا يأكل رأسا يحنث بأكل « رأس الابل والبقر والغنم » ثم عدل عن هذا الرأى وخصه بمن يأكل رأس « البقر أو الغنم » تبعا لتغير العرف من البصره والكوفة فالاخيرة كانت تطلق لفظ « رأس » على رؤوس الابل والبقر والغنم أما البصرة فكانت تقصره على رؤوس البقر والغنم . ثم قصر الصاحبان ابو يوسف ومحمد اللفظ على « رأس الغنم » .

منزلة العرف فى القانون المصرى :

١٧ ـ وجدير بالذكر أن القانون الوضعى عندنا انما يجعل من العرف مصدرا يحكم بمقتضاه عند عدم النص كما أن المشرع الوضعى نفسه قد أقام كثيرا من الاحكام الوضعية على العرف سواء فى تكوين العقد أو ما يولده من آثار أو فى البيوع أو حقوق الارتفاق وسواء فى المعاملات التجارية أو المعاملات الاخرى التى تسرى عليها قواعد القانون المدنى وسائر فروع القانون الخاص والعام على السواء . وقد جاء فى المذكرة الايضاحية لمشروع القانون المدنى القائم ان « العرف هو المصدر الشعبى الاصيل الذى يتصل اتصالا مباشرا بالجماعة ويعتبر وسيلتها الفطرية لتنظيم تفاصيل المعاملات ومقومات المعايير التى يعجز التشريع عن تناولها بسبب تشعبها أواستئصالها على النص . ولذلك ظل هذا المصدر وسيظل الى جانب التشريع مصدرا تكميليا خصبا » .

١٨ ـ واذا كانت الشريعة الغراء نتيجة لصفتها العالمية وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان قد أتت فى نبعيها العظيمين : القرآن الكريم والسنة ، بالقواعد الكلية دون الفروع الجزئية ثم راعت أحوال الزمان والمكان والعادات بغية تحقيق صالح المجتمع من اقامة العدل وايصال الحقوق ورفع الحرج والمشقة ، فانها بذلك وسعت أمما كثيرة امتدت اليها رقعة الاسلام، كما سايرت حتى الان أزمانا طويلة تزايد فيها الفقه فى الفروع على اختلاف الاعراف والبيئات . واذا كان العالم يعانى حرجا شديدا من تنازع القوانين واختلاف أحكامها ويسعى بعقد المؤتمرات الدولية العالمية واللجان العلمية لتوحيد القوانين فان مسعاه ضبابه ويصيبه ـ فى كثير من الاحوال ـ الاخفاق وذلك بان قانون كل دولة لم يوضع الا ليكون خاصا بها وان هذه المؤتمرات لا يمكنها أن تتغلب على الخلافات بين القوانين اذا كانت ترجع الى اعتبارات البيئة والتقاليد والعوامل الفكرية والمذهبية والاجتماعية . ولكن الشريعة الغراء قد فطنت الى هذه العوامل والعادات فتركت الجزئيات التى تحتمل التغيير بحسب الزمان أو المكان الى الاجتهاد والاعراف ، ونصت فى القرآن والسنة على الكليات التى لا تحتمل تغييرا ولا تبديلا وبذلك تحققت للشريعة الغراء أسس البقاء وصلاحيتها للتقنين للناس كافة مصداق قوله عليه الصلاة والسلام « خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتى » .

المجتمع المتعاطف

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

اذا رجعنا الى الدعوة الاسلامية فى مبادئها ، وفى تطبيقاتها فى العصور التى فهمت هذه الدعوة فهما صحيحا نجدها ترسى الدعائم القوية للمجتمع **المتعاون المتحاب الذى تسوده علاقات اجتماعية قائمة على العدل والحرية والاخاء .. وحينما جاء** الاسلام كان هناك تفوت فى المجتمع العربى . حال دون أن تكون هناك أخوة ومساواة بين أفراده ،فقد كان الانسان يباع ويشترى ، ويمتهن فى كرامته الانسانية بالبيع والشراء والمساومة كأنه أحد الأمتعة التى تعرض فى الأسواق وانتشرت ظاهرة الرق انتشارا مزق كل ترابط بين ابناء المجتمع الواحد ، وبذر بذور الحقد والثأر والانتقام . **وجاء الاسلام كذلك فوجد أشرافا بالوراثة قد وضعوا لأنفسهم نمطا من الحياة . يرفعهم فوق مستوى اخوانهم فى الانسانية ، ويجعل لهم تمايزا** خاصا يهيء لهم وضعا طبقيا معينا فهم سادة .ومن سواهم أدنى منهم مستوى وأقل قيمة .. ومجتمع هذا شأنه لايمكن أن يكون مترابطا متآخيا ،ولايمكن أن تسود فى جنباته قيم العدالة والمساواة . **وجاء الاسلام فأعاد النظر فى مشكلة الرق وابتدأ** يوجه المسلمين الى طرق التخلص من الرقيق بعتقه ، وضيق المصادر التى تؤدى اليه ووسع منافذه ليقضى على ظاهرة التمايز الطبقى فى هذا الجانب . وأعاد كذلك تقويم جاه الشرف والمال ، وجعل الشرف ليس جوهرا يقوم به الانسان ، انما هو عرض من الأعراض ، وليست له قيمة أكثر من الأعراض التى تطرأ على الانسان ثم تزول وجعل **التمايز ناتجا عن معيار واحد أساسه الخلق الرفيع والسلوك السوى والالتزام بتعاليم هذا الدين .وجاء** القرآن الكريم يؤكد هذا المفهوم قال تعالى : (يأيها **الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ،ان الله عليم خبير**)

أما جانب المال فليس أصلا يفضل به الانسان انسانا آخر ولذلك جعل المال مال الله وجعل عباده مستخلفين فيه وحينما يقول القرآن الكريم **(آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**) يريد أن يشعر المسلم بانه لايملك المال أصلا ملكية فردية وانما هو فقط أمين عليه ومستخلف فيه .. ونراه يقول فى آية أخرى موجها الى حق المحتاج فى مال من يجده (**وفى أموالهم حق للسائل** والمحروم) ومعنى كلمة حق .. أى ان الانسان الذى اقعدته ظروف الحياة فلم يقدر على تحصيل المال له حق يجب أن يحصل عليه فى مال الأغنياء

ويكره الاسلام أن تكون فوارق الطبقات بين الأمة واضحة بحيث تعيش منها جماعة فى مستوى الترف وتعيش جماعة أخرى فى مستوى الشظف ،ثم تتجاوز هذا الحد الى الحرمان والجوع .. ولهذا ينفى رسول الله الايمان عمن يعيش لنفسه وحدها ويصم أذنيه عن حاجيات المجتمع ، وعن حقوق الضعفاء **فيقول : (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ويقول : (أيما أهل عرصة ـ أى محلة ـ أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله)**

ولكى يقرر عمليا مبدأ التعاطف فرض الزكاة ركنا بارزا من أركان الاسلام ، وجعلها حق المال ، فهى عبادة من ناحية وواجب اجتماعى من ناحية اخرى وهى واجب الجماعة فى عتق الفرد تحقيقا لقوله تعالى (كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم)وحدد مصارفها فى آية كريمة تجمع بين المصرف الخاص والمصرف العام فقال (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب ،** والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل (وكلمة

(فى سبيل الله) تعتبر مصرفا عاما تحدده الظروف والمناسبات فتجهيز الجيوش لدفع العدوان وردع المعتدى يعتبر الانفاق فيه فى سبيل الله وهذا هو الجهاد بالمال الذى يحث عليه الاسلام ويوجه المؤمنين اليه ولا يقل فى ضرورته لتحقيق عزة الدين وكرامة الوطن عن الجهاد بالنفس ولهذا يقول تعالى (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)

والتبرع لضحايا العدوان بما يستطيعه الانسان يعتبر ذلك فى سبيل الله وكذلك قوله تعالى (وابن السبيل) تتسع لتشمل المنقطع عن ماله الذى لايجد ما ينفق كالمهاجرين الذين خلفوا أموالهم وراءهم وتركوا دورهم ومتاجرهم أو مصانعهم . هؤلاء من ابناء السبيل الذين أوجب لهم الاسلام شرعا الانفاق من أجل اصلاح شأنهم وتهيئة الحياة الكريمة لهم ، والمسلمون من قديم فهموا قضية التعاطف بين ابناء مجتمعهم الواحد فهما واعيا ، وطبقوه تطبيقا عمليا فى واقع حياتهم .. وتوالت توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم تهديهم الى طريق الخير وتحقيق هذا التآخى فهذا أبو ذر الغفارى رضى الله عنه يروى عن رسول الله فيقول : خرج رسول **الله صلى عليه وسلم يوما نحو أحد وانا معه فقال : يأبا ذر فقلت : لبيك يارسول الله فقال ، الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة الا من قال كذا وكذا — عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه ـ وقليل ماهم ثم قال: يأبا ذر فقلت : نعم يارسول الله بأبى أنت وامى قال ما يسرنى أن لى مثل أحد أنفقه فى سبيل الله» أموت واترك منه قراطين ، قلت : أو قنطارين يارسول الله ؟ قال : بل قراطين ثم قال : يأبا ذر انت تريد الأكثر وانا أريد الأقل) ويوجهنا الرسول مرة ثانية** الى ان المال فى يد صاحبه يجب ان يوجه الى المحتاجين **تحقيقا لمعنى التكافل الاجتماعى فاذا انحرف انسان فى فكره واعتقد ان المال له وحده ولم يستجب لدعوة التراحم كان عرضة لأن يسلب الله منه هذا المال وان يجعله فى يد غيره ممن يرعاه حق رعايته فيقول (ان لله عند قوم نعما اقرها عندهم مــاكانوا فى** حوائج الناس مالم يملوهم فان ملوهم نقلها الى غيرهم

ويذكر تاريخنا الصادق ما حـــدث عند التجهيز لغزوة العسرة ودعا رسول الله الى الاتفاق فى سبيل الله ، فسارع أبو بكر ونزل عن ماله كله وقال له الرسول الرحيم : وماذا تركت لأهلك يأبا بكر ؟ قال **تركت لهم الله ورسوله .. واخرج عثمان صرة من المال كادت كفه تعجز عن حملها فتهلل لها وجه الرسول وأخذ يقلبها بين يديه وهو يقول اللهـم أنى قد رضيت عن عثمان فارض عنه .. وهنـاك** من أخرج ماهو محتاج اليه عن طيب خاطر لأنه يؤمن بان البذل اذا كان محمودا فى جميع الأوقات فـان فضله يكون آكد عند الشدائد والملمات وعندمـا تتعرض الجماعة الاسلامية لعدوان المعتدين الغادرين حينئذ يكون الانفاق واجبا ، ويصبح التبرع فريضة وهناك قوم يحسبون البذل فى سبيل الله مغرمـا يستحق الرثاء ان هؤلاء ليسوا من الدين فى شىء وليسوا من الدنيا وحق عليهم أن يموتــوا لا لكى يستريحوا ولكن لتستجاب فيهم مثل دعوة خالد التى دعا بها على الجبناء ، وكأنه يقول : فلا نامت أعين البخلاء .

وأمتنا العربية قد تعرضت لهجوم غادر شنه الاستعمار العالمى من خلف اسرائيل ولنا اخوة فى الاسلام والعروبة والوطن وهناك من أطاح العدوان بكل ما كان يملك وواجبنا شرعا أن نسـارع الى نجدتهم ومعاونتهم ولنذكر قول رسول الله صـلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف (من نفس عن **مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه)**

وبذلك يسهم كل مواطن فى معركة التحـرير . ويحقق عمليا المجتمع المتعاطف المتآخى الذى يحس فيه كل واحد باحساس أخيه ويعيش معه بقلبه ووجدانه والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضـه بعضا .. حتى نواجه الأعداء فى صف واحد قوى **التزاما بقول الله تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)**

فضائل الادخار

الأستاذ
محمود السعيد الطنطاوى

الشريعة الاسلامية مقصودها ارشاد العباد وهدايتهم الى مصالحهم فى الدنيا والآخرة ، وحين تدعو الى الادخار فانما تقرر منزلة العقل وفضله ، وتبين شرفه فى ادارة الامور وتحرير الاعمال وتصريف الاموال فى وجوهها الصحيحة - تدعو لكى يعيش الانسان ويحيا فى ضوء عقله ، لان العقل هو مناط الحكمة - .

واذا اراد الله بامة خيرا جعل اموالها فى ايدى حكمائها - وليس ادل على فضل الادخار وبيان فائدته من قول الله عز وجل وهو الخبير العليم بمصالح البشر - (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) - آية ٢٩ سورة الاسراء - فهذه الآية الشريفة ، بيان لشرف الادخار ، ودستور سماوى يوضح للانسانية مافيه من منافع جليلة ، وامر الهى يحث الخلائق على الادخار ويعلمهم كيفية الانفاق وان خير الامور الوسط . اى لاتمسك يدك عن النفقة وتجعلها مغلولة عن فعل الخير ، لان المغلولة يده هو من لايستطيع مدها . وكذلك البخيل يمنعه بخله من فعل الخير ومد يد المساعدة للمساكين - ومعنى - ولا تبسطها كل البسط - ضرب الله تعالى بسط اليد مثلا لذهاب المال فان قبض الكف يحبس مافيها ، وبسطها يذهب مافيها - يعنى لاتخرج جميع ماعندك وتنفق مالك كله فتصبح محتاجا . فتلوم نفسك على مافعلت وتتحسر وتندم على ماكان منك - ولا مكان للاسراف والتبذير وتضييع الاموال مع وجود العقل . لان الاسراف ينافى التفكير السليم - وكما يستر الثوب الجسد. ويقيه برد الشتاء . ويمنع عنه وهج الشمس ، كذلك المال المدخر . يعين على نوائب الدهر ويدفع شر الفقر ويستر صاحبه عند الحاجة ويقيه مهانة التسول وذل المسالة . ويكسبه ثوب العز . ويضفى عليه الاحترام ويكسبه المهابة فى اعين الناس - ولله در القائل .

يغطى عيوب المرء كثرة ماله
يصدق فيما قال وهو كذوب
ويزرى بعقل المرء قلة ماله
ويحمقه الاقوام وهو لبيب

وقال آخر .

فالمال فيه تجله ومهابة ... والفقر فيه مذلة وقبوح . والادخار يبعث راحة البال والطمانينة فى النفس . والمدخر يحفظ ماله ليربى به عياله ويستعين به على أمور دينه ودنياه . فيحج ويتصدق وينفق منه فى سبيل الله . واذا مات وترك ورثته صغارا حفظ بادخاره لهم حياءهم وكرامتهم وعزهم ومجدهم . ومنعهم المسالة - قال صلى الله عليه وسلم - (لان تدع ورثتك أغنياء خير من ان تدعهم فقراء يتكففون الناس - واوصى لقمان الحكيم ابنه فقال - يابنى احفظ دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك - .

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى الخلائق بالاعتدال والاقتصاد فى معيشتهم - فقال عز وجل - (والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين) - آية ١٤١ سورة الانعام - اعلام للناس بان يلتزموا الطريق الوسط فى تصريف نعمه التى انعمها سبحانه وتعالى عليهم ناهيا لهم عن الاسراف الذى فيه ضياع للاموال وخراب للبيوت وهدم للمجتمعات وقد ذكر الله حد الاعتدال ، واعلن بغضه وكرهه للمسرفين فقال تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين) آية ٣١ سورة الاعراف - والاسراف هو مجاوزة الحد فى الانفاق حتى يدخل فى حد التبذير ، والتقتير هو البخل والتقصير عما لابد منه من ضرورات الحياة .

والادخار عرفته البشرية فى عصورها الاولى منذ ان وجد نظام الحياة وتكونت الاسر وتأسست المجتمعات . لانه قوام الحياة المستقرة - واول من عرف الادخار بحساب دقيق ونظام مدروس من البشر المصريين ، فى عهد نبى الله يوسف عليه السلام . الذى وضع اول نظام للادخار واساس للاقتصاد بتخطيط سليم . ولقد سجل الله تعالى ذلك فى قرآنه الكريم وقصة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى - على لسان رسول ملك مصر فى ذلك الزمان (يوسف ايها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون ، قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تاكلون ، ثم ياتى من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ماقدمتم لهن الا قليلا مماتحصنون، ثم ياتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون - آية ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ سورة يوسف -

بالهام من الله ونور النبوة وهدى التوحيد . فسر يوسف عليه السلام رؤيا الملك . وبتفسيرها وتاويلها . وضع اول منهاج للادخار وتخطيط للاقتصاد عرفته الناس . بنظام سليم وحساب دقيق . ليكون دستورا ومنهاجا يمشى عليه نظام الحياة والاحياء . وتسير به دنيا الناس وحياتهم ،

فيسعدون لحاضرهم ويطمئنون لمستقبلهم في زمن اليسر ووقت العسر – ولقد مدح الله تبارك وتعالى عباده الذين يحكمون عقولهم في امور حياتهم ويسيرون في معيشتهم بنظام وحساب ، فقال تعالى – والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما – آية ٦٧ سورة الفرقان –

قالت العلماء – هذه الآية في صفة اصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام – كانوا لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون الثياب للجمال ، ولكن كانوا يريدون من الطعام مايسد عنهم الجوع ويقويهم على العمل والعبادة .

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوا اصحابه الى حد الاعتدال في حياتهم . فكان يقول لهم–من فقه الرجل قصده في معيشته – وقالت الحكماء – من حفظ دنياه . حفظ الاكرمين دينه وعرضه – وقال الشاعر :

لاتلمني اذا وقيت الاواقي
بالاواقي لماء وجهي واقي

والله عز وجل بين للخلائق ان التبذير واضاعة المال . سفه وخفة عقل وعمى في القلب وضلال وغي وميل عن طريق الحق والصواب – فقال تعالى

(ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) – آية ٢٧ سورة الاسراء . وصف الله المبذرين بانهم اولياء للشياطين . وامثالهم في الشر والسعي في الارض بالفساد . والعمل على خراب المجتمعات ، والشيطان كافر جاحد لانعم الله . فما ينبغي للمؤمن عاقل ان يكون مثله في شيء – وقال عز وجل ، محقرا شان المسرفين مبينا سوء التبذير – (والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم) آية ١٢ سورة محمد فهذا الصنف من الناس الذى يسرف في ماكله ومشربه . مذموم مغضوب عليه من الله ورسوله والمسلمين .

فلا استقرار لمبذر – عن الامام علي كرم الله وجهه – الفقر الموت الاكبر – وجاء في سيرة العرب ان العباس رضي الله عنه كان يقول – الناس لصاحب المال الزم من الشعاع للشمس – خطؤه صواب . وسيأته حسنات قوله مقبول . يرفع مجلسه ولا يمل حديثه ، والمفلس عند الناس اكذب من لمعان السراب . واثقل من الرصاص ، لايسلم عليه ان قدم ولا يسال عنه ان غاب – والشاعر يقول :

وكل مقل حين يغدو لحاجة
الى كل مايلقى من الناس مذنب

وكان بنو عمي يقولون مرحبا
فلما راوني معدما مات مرحب

وقالت الحكماء – ليس من خلة يمدح بها الغني الا ذم بها الفقير . فان كان شجاعا قيل اهوج وان كان وقورا قيل بليد . وان كان لسنا قيل مهزار .

والمال محبوب وصاحبه مرغوب . ومدخره مرموق من الناس–فان استعمله في الوجهة التى امر الله ان ينفق فيها ويدخر لها . فهو مرضى عنه من الله – والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا خير فيمن لايحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به امانته ويستغني به عن خلق ربه) .

والفقر راس كل بلاء – والمال زينة الحياة وراس النعمة والجاه في الدنيا – ولله در القائل :

الناس اتباع من دانت له نعم
والويل للمرء ان زلت به قدم

المال زين ومن قلت دراهمه
حي كمن مات الا انه صنم
لما رايت اخلائي وخالصتي
والكل مستتر عني ومحتشم
ابدوا جفاء واعراضا فقلت لهم
اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

ولان في المال جمالا ونفعا وسرورا . قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) – آية ٤٦ سورة الكهف

فقدم المال على (البنون) لانه باعث النهوض وباني البيوت ومؤسس المصانع ومعمر الخراب واذا فقد المال فقد معه كل شيء . واذا وجد المال وجد به كل شيء – لذا حث الرسول البشر على عدم الاسراف وامرهم بالاعتدال فقال صلى الله عليه وسلم (ان من السرف ان تاكل كل ما اشتهيت) .

وقديما قيل – من لامال له لاشيء له – لان الفقر مجمع للبلايا – وقال ارسطاليس – الغنى في الغربة وطن ، والفقير في وسط اهله غريب .

وقال احد الحكماء لابنه – (يابني عليك بطلب المال ، فلو لم يكن فيه الا انه عز في قلبك ، وذل في قلب عدوك لكفى .

والادخار يحفظ المال الذى تبنى عليه الآمال وتتحسن به الاحوال وتنال به المطالب .

والله تبارك وتعالى شرف الادخار بذكره في كتابه الكريم فقال تعالى – على لسان نبيه عيسى عليه السلام – (وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم) آية ٤٩ سورة آل عمران – فالادخار مكرمة ونعمة وفضيلة ، فيه عز الحياة وبه يكون الامان والاستقرار والاطمئنان ضد عاديات الزمان ونوائب الدهر وشرور الفقر .

المسلمون غداة النصر الأكبر في غزوة بدر

للأستاذ

أحمد عبد الرحمن خليل

كان لانتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى أثره البالغ في تثبيت دعائم الاسلام وتحطيم كبرياء قريش وخزى اليهود والمنافقين ، وكان فاتحة النصر الرائع الذى حققه المسلمون ابتداء من بدر حتى تم لهم توحيد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الاسلام وفى ظل حضارة اسلامية رائعة دانت لها البشرية قاطبة واخذت عنها أروع ماجاء به الاسلام السمح من تعاليم ومثل واخلاقيات وقبل أن تصل أخبار المعركة الى المدينة التى حملها اليهم عبد الله بن رواحه وزيد بن حارثة اللذان بعثهما الرسول لأهل المدينة يبشرانهم بالنصر ، كان اليهود والمنافقون قد أرجفوا بالرسول عليه السلام والمسلمين على عادة الأعداء فى اذاعة الأنباء الكاذبة بقصد اشاعة الفتنة واحداث الفرقة والبلبلة بين الصفوف ، ولكن سرعان ماجاء البشيران بما قطع ألسنة المرجفين وبما بعث الطمأنينة فى قلوب أهل المدينة ولم لا .. فقد نصر الله المسلمين — وهم قلة — يومئذ على المشركين مع ماكانوا عليه من كثرة وقوة نصرا عزيزا فريدا جعل المسلمين يشيدون بذكره على غير مافعلوا فى كل ماجاء بعده من غزوات

اليهود وموقفهم بعد بدر

ترك انتصار المسلمين فى بدر آثارا عميقة فى اليهود والمنافقين بالمدينة ، وفى القبائل الضاربة حولها ، وتعرض المسلمون لمحاولات عدة من جانب اليهود لطردهم من المدينة أو اضعاف مركزهم على الأقل ومضايقتهم ، باءت كلها بالفشل الذريع ورد الله كيدهم فى نحورهم فلم ينالوا من المسلمين شيئا وأبرز المحاولات التى تعرض لها المسلمون من قبل اليهود انحصرت فى كثير من مظاهر التحريض والاغراء بمحمد عليه السلام والتشبيب بنساء المسلمين ، وصبر الرسول على أذاهم ومازال حتى تعدى احد اليهود على احدى نساء الانصار بسوق الصاغة مما جعلها تستنجد بأحد المسلمين الذى وثب على اليهودى فقتله ، ثم شدت اليهود على المسلم فقتلوه وهنا استصرخ أهل المسلم بالمسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع وطلب الرسول الى هؤلاء أن يكفوا عن اذى المسلمين ويحفظوا عهد الموادعة بينهم أو ينزل بهم ماأنزله بقريش من عقاب فاستخف اليهود بوعيده قائلين: انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

واتبعوا هذا التحدى بالتحصن فى حصونهم والتأهب لملاقاة المسلمين فلم يكن أمام الرسول الا أن يحاصرهم فى دورهم خمسة عشر يوما متوالية لم يجرؤ أحدهم خلالها على الخروج من بيته حتى اضطروا للتسليم والجلاء الى حدود الشام ، واستولى المسلمون على أموالهم وحصونهم وديارهم دون أن تراق قطرة دماء وكانت تلك الغزوة فى منتصف شهر شوال من السنة الثانية للهجرة أثر جلاء بنى قينقاع عن المدينة فى موقف اليهود وأضعفهم ، كما جعل المنافقين والمشركين ينكمشون ، فهدأت الحالة بالمدينة — وان كان ذلك لم يزد عن شهر — الى أن حاول أبو سفيان بن حرب القيام

بجولة اخرى ضد المسلمين يسترد فيها مكانة قريش ويمحو عار الهزيمة عنها ، ولكن هيهات

محاولة يائسة

كان أبو سفيان قد حلف الايمس رأسه الماء حتى يغزو محمدا ويمحو عن قومه مالحقهم من العار والخزى لهزيمتهم فى بدر . فخرج فى مائتين من أصحابه قاصدا المدينة ، ولما قاربها أرسل فى طلب زعماء اليهود من بنى النضير ليستشيرهم ويعرف منهم أخبار المسلمين ، وبعد ذلك أرسل رجالا من قريش الى المدينة - وقت السحر - فأتوا ناحية تسمى « العريض » فوجدوا رجلا من الأنصار يدعى معبد بن عمرو وحليفا له فى حرث لهما فقتلوهما وحرقوا بيتين وبعض النخيل وعادوا بسرعة الى أبى سفيان الذى هرول بهم هاربا خائفا من المسلمين ، وأدعى أنه قد بر بقسمه ومحا عار الهزيمة عن قومه بهذه الحملة التى تشبه أعمال قطاع الطرق .

ولما علم الرسول بذلك خرج مسرعا فى مائتين من أصحابه مقتفين أثر أبى سفيان ورفاقه فلم يلحقوا بهم لامعانهم فى الفرار خوفا من المسلمين لدرجة أنهم ألقوا بزادهم - وهو السويق - للتخفف منه ولذلك سميت هذه الغارة الليلية لأبى سفيان بغزوة السويق ، وبها انتهت السنة الهامة فى تاريخ الاسلام وهى السنة الثانية من الهجرة .

المسلمون يؤمنون حدود المدينة

ومع بداية السنة الثالثة للهجرة قام المسلمون ببضع غزوات لمحاربة القبائل الساكنة شرق المدينة ذلك أن الرسول العظيم كان قد عاهد كثيرا من هذه القبائل القاطنة بين المدينة وشاطىء البحر « مثل جهنيه وبنى ضمرة الخ فأمسى الطريق التجارى مغلقا فى وجه تجارة مكة لوقوعه فى أرض تلك القبائل المحالفة للمسلمين

لكن كان هناك طريق آخر يبدأ من مكة الى نجد ومنها الى العراق فالشام أو الخليج الفارسى « العربى كان المكيون يستخدمونه فى نقل متاجرهم الى العراق وكان على ذلك الطريق قبيلتان هما بنو سليم وغطفان وهما من حلفاء مكة من القدم ، فلما أحكم المسلمون غلق الطريق التجارى المار بالمدينة الى الشام فى وجه تجارة قريش ، اتجهوا الى ذلك الطريق الثانى وزاد اهتمامهم به وتحالفهم مع « بنى سليم وغطفان » لدرجة أن حرضوهما على القيام بغزو المدينة فجمعوا جموعهم عند مكان يسمى قرقرة الكدر ، وبلغ الرسول الكريم ذلك فعقد النية على السير اليهم ومفاجاتهم ، وأعد مائتين من رجاله خرج بهم الى قرقرة الكدر ، فوجد أن المشركين قد نزحوا عنها تاركين خمسمائة بعير فاستولى عليها وعاد الى المدينة ، وفى الشهر التالى لغزوة الكدر علم الرسول أن بنى ثعلبة ومحارب من غطفان قد تجمعوا بذى امر بقيادة رئيس منهم يدعى « دعثور » يريدون الاغارة على المدينة فخرج اليهم الرسول الكريم فى أربعمائة وخمسين رجلا من المسلمين ، وما أن صاروا بذى القصة حتى علموا ان المشركين قد فروا الى رؤوس الجبال عندما أتاهم نبأ خروج المسلمين اليهم **وواصل رسول الله سيره** حتى وصل ماء يسمى (ذا أمر) فعسكر به ليعرف الأعداء قوة المسلمين .. ثم رجع الى المدينة وبقى بها حتى جمادى الأولى عندما بلغه أن بنى سليم تجمع رجالها تهيؤا لقتاله وشن غارة على المدينة ، فصمم الرسول الكريم على افساد خطتهم بالخروج اليهم فى ثلاثمائة من المسلمين ومفاجاتهم من حيث لايحتسبون وما كاد المشركون يعلمون بخروج الرسول حتى تفرقوا وعادوا أدراجهم مسرعين

وهكذا كانت خطة الرسول وحزمه ومبادرته للخروج لتاديب القبائل المغيرة فى شجاعة نادرة مما أفسد كيدهم وأفزعهم ، وكانوا كلما جمعوا جموعهم للاقاته تنخلع قلوبهم لمجرد

سماعهم بخروجه لملاقاتهم ، وكانت النتيجة هى فشل قريش فى تحريضها للقبائل ضد المسلمين • ولما لم تجد وسيلة من ذلك اتجهت مرغمة بتجارتها الى طريق وعر قليل الماء محفوف بالمكاره لاعتقادها أن المسلمين لايعرفونه ،وأرسلت عيرا كان دليلها فرات بن حيان من بنى بكر بن وائل ، وخرج فيه جمع من قريش منهم أبو سفيان وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزيز فلما بلغ رسول الله هذا النبأ أرسل زيد بن حارثة فى مائة راكب اختارهم عليه الصلاة والسلام ، وخرجت سرية المسلمين بقيادة زيد وسارت حتى لقيت العير على ماء القردة بناحية نجد ، وكانت المفاجأة التى أذهلت قريشا ودفعتها الى الهرب ، ومن ثبت تغلب عليه المسلمون واخذوا العير ومافيها وعادوا بها الى المدينة وقد قدرت غنيمتهم بمائة ألف دينار ، وكانت أول غنيمة ذات قيمة غنمها المسلمون

بوادر غزوة أحد

من كل ماسبق يتضح جليا أن القبائل العربيه قد رنبها الرعب من قوة المسلمين خصوصا وهى ترى قريشا قد استنفدت جميع الوسائل لفتح طريق تجارى الى الشام ، ومالحقها من اذلال ومهانة لاستيلاء المسلمين على قافلة صفوان بن أمية مما جعلها تفكر جديا فى الأخذ بالثأر من المسلمين

وما كان ذلك ليغيب عن ذهن الرسول الكريم الذى أعد لكل احتمال عدته ، وأخذ يعمل على المزيد من ارتباط المسلمين وتعلقهم به — فوق علاقة الاسلام التى جعلتهم أولا وأخيرا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا — وذلك بحسن الرعاية التى تقوى العزائم وتوثق التضامن بينهم ، وزاد من ارتباطه بأربعة من أقوى المسلمين الذين كانوا معه وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، اذ تزوج بحفصة بنت عمر كما تزوج بعائشة بنت أبى بكر من قبل — فى السنة الأولى من الهجرة — وزوج عثمان بأم كلثوم بعد وفاة رقية ، وزوج على بفاطمة الزهراء بهذا ازداد الرسول عليه السلام ارتباطا بأقوى أربعة من كبار المسلمين ، وكفل للمسلمين مزيدا من القوة بما غنموا فى غزواتهم وحروبهم التى يجمع فيها الرجل بين الجهاد فى سبيل الله والمغنم من المشركين

وكان الرسول يتتبع أخبار قريش بكل دقة وماتعده للثأر

من المسلمين ولفتح الطريق التجارى الى الشام للابقاء على مكانة مكة التجارية والدينية التى لم تقم لها قائمة بعد هزيمتهم فى بدر وبعد فشلهم فى كل محاولاتهم اليائسة لاستقطاب القبائل المحيطة بالمدينة ومحالفتهم للعمل ضد المسلمين

وكما كانت غزوة بدر الكبرى بداية النصر للمسلمين ، كانت كل الغزوات التى تلتها دلالات أكيدة على ثبات قدم المسلمين وتقدمهم نحو أهدافهم لتحقيق النصر النهائى على المشركين واسترداد مابأيديهم من مواقع حتى تهاوت كلها تحت أقدام المسلمين • ودانت لهم شبه الجزيرة العربية فى وحدة كاملة وحضارة اسلامية عريقة سرعان ما انطلقت بظلالها ونورها وعراقتها لتغزو وتنتشر وتبسط أصالتها وقيمها خارج شبه الجزيرة فى مشارق الارض ومغاربها وسبحان محق الحق ومزهق الباطل ولو كره الكافرون

أهداف الإسلام

الإسلام دين الجميع

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

ان الاسلام دين الله العام وقد جاء لكل عصر ، ولكل أمة فهو لايضيق عن نهج علمى أو غرض عملى أو فلسفة عقلية صحيحة .

وقد تطورت به الأزمان لسائر الشعوب والامم فلماذا أصبح من أبنائنا وأهلينا ابناء الأمة الاسلامية العربية وقد صبغت الروح العلمية الأوربية بصبغتها عقول اكثرهم وخصوصا المثقفين منهم .

هذه العقول الجديدة النزعة والثقافة لاتقبل على الدين الا اذا كان مواتيا لمراميها العقلية والنفسية ، ومسعفا لها بحاجتها الروحية .

والاسلام وهو الدين العام قد جاء كما قدمنا لكل عصر بما يناسبه وفيه لكل عقل سليم أمنيته وفيه لكل مفكر مطلبه ووجدانه وروحانيته .

على أن الوقوف بالاسلام وهو دين الله المطلق ، ودعوته الى أهل الأرض جميعا . الوقوف بهفى شكل خاص مما تفرع عنه من مباحث منطقية وكلامية ،ثم دعوة الناس اليه على شكله المفرع هذا الى عدة نحل وفرق ، كانت سببا فى النزاع أو الجمود الحادث بين بعض ابنائه فاذا دعونا الناس الى دين الله الاسلام الخالص فى تلك الدوائر المحدودة والقابلة للتشكك ولاسيما من طريق تلك الفروع كنا من المسيئين الى ذلك الدين العام مالم نرجع به الى أصله السوى السليم . فطرة الله التى فطر الناس عليها الا لله الدين الخالص وله الحكم واليه ترجعون .

واذن فمن الخير للاسلام وللمسلمين الرجوع بالاسلام الى أصله الأول ومصدره من الكتاب والسنة وتطويع العقل لأحكام الشرع لتصويره أمام الانسان العصرى فى صورته السليمة الأصيلة .

وأول ما ننظر فيه من ذلك مسالة العقيدة وهى نظام الاسلام ومدار الصحة فى عمليات الانسان الدينية ومعاملاته الاجتماعية

فالعقيدة بالله اليوم وعلى ضوء العلوم الكونية والمستحدثات العلمية تشعر الانسان المتنور بجهله المطلق أمام هذا الوجود العظيم وعوالمه المتعددة ونواميسه الخفية .

فهو من هذه الناحية يشعر بضعفه امام مطلق الوجود ولكنه فى الوقت نفسه يريد تمحيص كل شىء يراه بحسه أو بعقله ، ولما كان الدين الاسلامى مستوفيا لكل مقتضيات الازمان ومطالب العقول والارواح كان من أخص خصائص ما ينبغى انيعرفه الانسان العصرى فى شئونه الروحية والعلمية

جميعا ولاسيما فيما يختص بالعقيدة فى وجود الخالق .

ولبيان ذلك نقول : يشعر الانسان العصرى بتكاليف الحياة ولواعجها وتهاجمه ضرورات الحياة من كل مكان وفى كل مفاوز الحياة واتجاهاتها وقد علمه النظر فى الكون ومافيه من معلولات وأسباب خفية وعلل الشعور بنقصه وضعفه ويرى أنه محتاج لان يترامى ساجدا بين يدى قيوم الوجود وموجده تراميا هو العبادة الصحيحة بأخص معانيها فاذا احتاج دليلا على وجود هذا الخالق ليتخذه معينا يستند على اعانته وتدبيره والتمس الادلة عند علماء الكلام وغيرهم من أهل الفرق وجد أدلتهم جميعا ادلة معلولة وهو يطلب دليلا بديهيا فطريا كاف لقلبه وعقله وحسه من جميع تلك النواحى وما حولها فلا يجد أمامه هذا الدليل الا فى قول الله تعالى

(أفى الله شك فاطر السماوات والأرض) ويرى أن هذا الدليل القرآنى قد أغناه عن كل تلك الصروح المنطقية التى كونها السابقون له والذين كانوا لايعلمون من المعارف الكونية مثل ما يعلم هو لدرجة انه قد لمس ضعفه بجانب تلك العوامل الكثيرة وملايين النجوم والكواكب والسدم والذرات والعناصر ما يدهشه ويذكره بضآلة شأنه على علمه **بجانب ما أبدعه قيوم السماوات والأرض من قوانين ونظم .**

فلئن سألت هذا الانسان العصرى عن شئون الله وصفاته وعرضت عليه تلك المقولات الطويلة العريضة من منطق القوم السابقين من المعتزلة والخوارج والشيعة والأشاعرة مما يسمى فى مجموعه بعلم اللاهوت أو علم الكلام أو التوحيد قال لك كلا ثم كلا ليس هذا الشأن فى عصرنا الحاضر من شئون العقل لأن العقل الانسانى معترف بقصوره ازاء معجزات الوجود وهو يقرر انه غير مستطيع تحديد شئون الطبيعة ونواميسها فلا يؤمن بتلك العلوم الظنية التى تريد أن تدلل على وجود الخالق وتوحيده وهو الواحد الذى لاتناله القوة العقلية ولا تقع الأوهام منه على أى صورة ذهنية كيف ؟ وهو فاطر السماوات والأرض الذى لايشك فى وجوده من حيث أن لابد لكل موجود من علة ولكل سبب من مسبب ، ولكل كائن من طريق محدد بالميزان والقسط وكيف يسلك علم الكلام أو اللاهوت اليوم أى مسلك مع ناموس الترقى العام الذى شأن الكون بأسره مما يدل على أن كل علم قابل للترقى ولو كان هذا العلم فيما يختص بالالوهية التى تتكشف تكشفا صريحا أو خفيا مع ترقى تلك الموجودات .

فالعلوم الكلامية لاتجدى اليوم فى هذا المجال قاطبة ولو رضخنا لتلك العلوم التى كانت لبعدنا عن درك الحقيقة بعدا عظيما ولا يكون هذا من حقيقة الدين فى شىء وانا ليكفينا مع تقدم العلوم الآن أن نرقى الى منشىء الكائنات بأرواحنا لابعقولنا استجلاء لأسراره فى الوجود بعد العلم برؤية آثاره الكونية وعجائبها الكثيرة ، بل ويجب أن يكون هذا الاتصال بالخالق وبواسطة القلب والوجدان فقط على أكمل ما يكون من ألوان اتصال العارف بمعروفه هذا ولو اشتغلنا عنه بمعقولاتنا المفروضة عن وجوده

وكيفية ذلك الوجود لابتعدنا عن معرفته كثيرا فى الوقت الذى نظن أننا مشتغلون به الا ترى معنا ان من بعض خصال المشتغلين باللاهوت المنطقى التردد والشك بل والسفسطة لاقحام الغير ولايكون هذا فى تأويل عصرنا الحاضر سوى اشتغال عن الله بما يزعم أهل تلك العلوم والبراهين انها اشتغال بالله

وتكون النتيجة أن الاشتغال بتلك العلوم المنطقية التى سموها لاهوتية أو كلامية قاطعا عن الله ومبعدا عنه

فان قلت لهذا الانسان العصرى المشبعة نفسه بالعلوم والمعارف الجديدة

الا تود أن تعرف عدد اسماء الله وصفاته وما يجب له وما يجوز عليه وما يستحيل .

قال لك •

ان الله لانهاية له فبأى حق نحصر اسماءه وصفاته فى عدد محدود وهو الكائن المطلق كلا فان الاشتغال بمثل هذه التفريعات قد يخرج العقيدة الصحيحة عن صبغتها الفطرية ويكسبها شكلا كلاميا فتعتريها الشكوك التى قد تعترى سائر العلوم الظنية وبمثل هذا وذاك يدخل فيها القيل والقال ككل صنائع البشر وبه أيضا تفقد تلك المعرفة حرارتها المحببة للارواح وسلطانها القامع للشهوات وحسب الانسان من العلم بالله أن يعلم انه أعظم من أن يتناوله العقل واسمى وأعلى من أن يدركه الحس لانه مبدع كل شىء وحكمته ظاهرة فى كل شىء فلاتحد أوصافه ولا تحصر اسماؤه الا ظنا وتخمينا أو اعتبارا وتقديرا

وهذا العلم الفطرى العام والنظر الصحيح فى سعة مجد الله وسلطانه هو العلم الذى لايعتريه نقض ولا ابرام ولا ينفيه منطق ولا يقره كلام •

وهذا اجمالا هو وجدان الانسان العصرى من جهة العقيدة بالخالق ، وقد رأيت انه يريد ان يعتقد ولكن لا عن طريق الجدل والألمعية وانما عن طريق العقيدة الفطرية التى يقف العقل حيالها متأدبا ولا يرى فى خالقه تنزيها مطلقا •

ومثل هذا الانسان الميال للمعتقد الفطرى والتنزيه المطلق لما أدبه به الموجود من النظر فى حقائقه ونواميسه وما وراء تلك النواميس من أسباب خفية أصبح لايقنعه فى الله الا مايوجبه الاسلام ويقتضيه القرآن من مثل قول الله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ومن اخواتها مثل (والله يعلم وانتم لاتعلمون) ومثل قوله تعالى (وقل رب زدنى علما)

هذا واما تعالى ذلك الانسان العصرى ان يحصر كمالات الله أو يعدد اسماءه وصفاته أو يتناول شئون الله العليا بعقله القاصر فلا نراه فى هذا الرأى مخالفا لما كان عليه سلف هذه الامة اى فى زمن رسول الله وأصحابه حيث لم يكن علم الكلام موجودا أو معروفا وقد عاش الصحابة بعده عليه الصلاة والسلام على اكمل ما يكون من ضروب التوحيد والتنزيه فى المعتقد ، وهكذا كان حال الصحابة والتابعين أفلا يعد ذلك الانسان العصرى الذى يريد أن يؤمن بالله على طريقتهم ويعتقد فى ربه مايماثل معتقدهم •

طبعا يكون مثل هذ الرجل المتنور مؤمنا معتقدا بالله صحيح المعتقد والايمان اذا رده علمه الى ماكان عليه الرسول وأصحابه من الاكتفاء بما ورد بخصوص ذلك فى القرآن لفظا ومعنى •

ويستحيل طبعا على الرجل العصرى المثقف ان يعصى دستوره العلمى المكتسب فيحصر عقيدته بالله فى شكل عقلى أو ظنى لانه قد قام له على قصور العقل الانسانى وحسبه ايضا الف دليل من العلم ومن المعرفة التى كل يوم تتجدد بالمدهشات المعجبات من شئون الكون وخالقه ومبدعه الأعظم ، ويرى ذلك الرجل العصرى فى نفسه اذا اعتقد بالله بمجرد الظن أو التلقين أو الاقناع بالحجج المنطقية لا ريب أنه يرى فى ذلك خروجا عن دستوره العلمى الذى هو آخذ مع كل يوم جديد فى الارتقاء) وليس هذا فقط بل يرى انه مخرج عن العقيدة الصحيحة فى جلالها الالهى الذى لايبلغ مداه العقل وان ادمن التفكير ويعرض أيضا تلك العقيدة للمطاعن الفلسفية من كل لون ومذهب ومنهج لان هذه المسألة : مسألة العقيدة بالخالق فوق متناول التفلسف العقلى أو التجربة الحسية وانما موطنها العظيم ومحلها اللائق بها هدى الوجدان وصميم الشعور القلبى الملاصق لسويداء الفؤاد ، فلا يصح أن تهبط العقيدة من مركزها الروحى المتسامى الى مجالات الظن والتخمين وجعلها علما من العلوم التى تتوارد عليها الشكوك وتحتاج لأن تحفظ بالبلاغة والمنطق ومالى ذلك من الصناعة البشرية كالجدل والبراهين المنطقية والفلسفية ، وانما لايكون للعقيدة السليمة بناء على ذلك سوى الاستدلال بالنظر فى الكائنات على موجدها من طريق القلب الطاهر والوجدان السليم وهو الطريق الفطرى الذى كان عليه رسول الله واصحابه واتباعهم من المسلمين والمؤمنين والمحسنين [1]

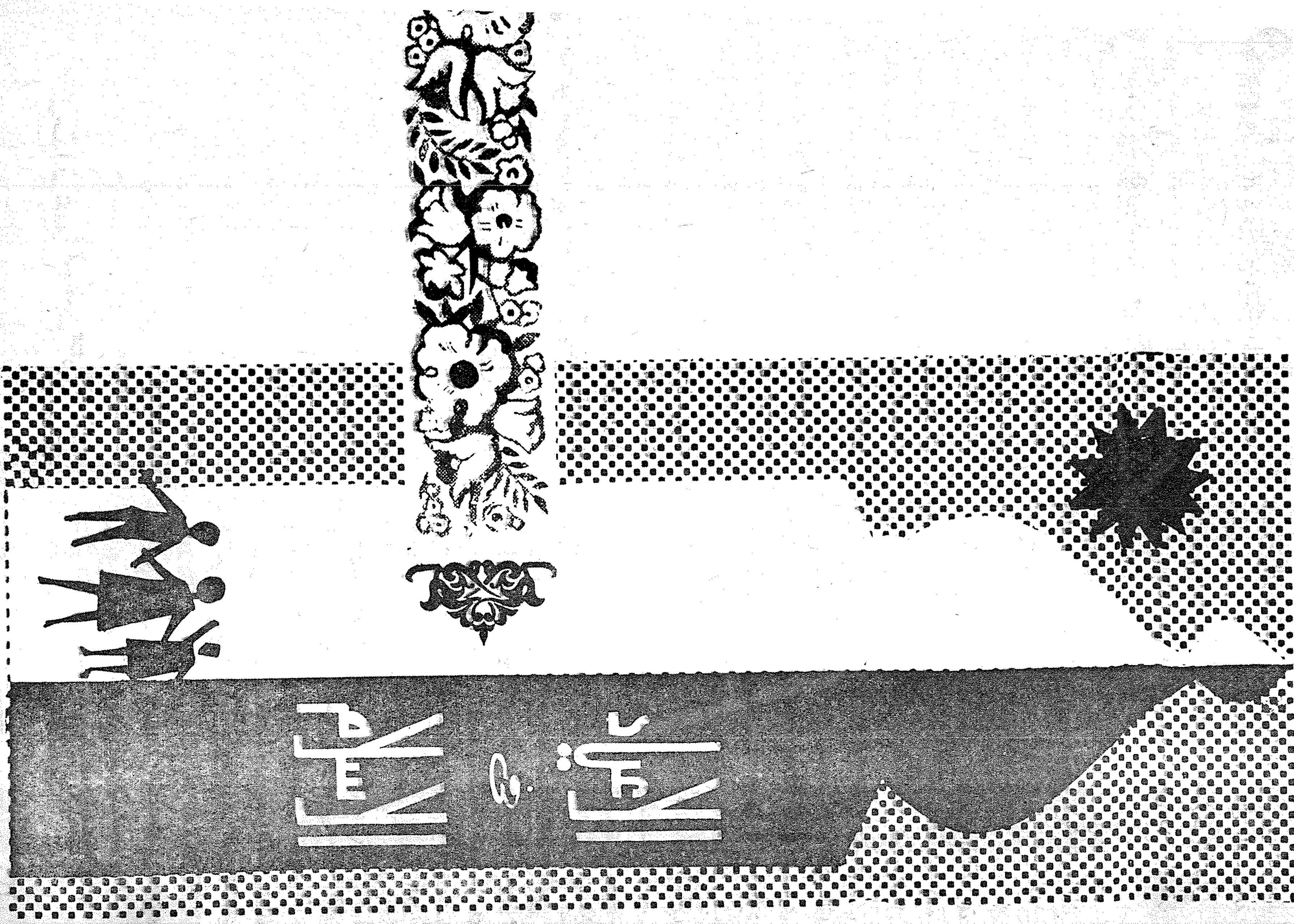
الأعياد في الإسلام

ما بعد رمضان

خلق الله الانسان وأراد له الكمال ليكون جديرا بالمكانة الرفيعة التى كتبها له سبحانه وتعالى وهى خلافته على هذه الارض مصــداقا لقوله عز وجل **((واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقــدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون))**

وليس من شك في ان الانسان الذى خلقه الله من طين ، ثم جعله نطفة في قرار مكين ثم خلق النطفــة علقة ، فخلق العلقة مضغة ، فخلق المضغة عظاما ، فكساها لحما ثم أنشأها خلقا آخر .. ليس من شك فى أن الانسان ــ وهذه حاله فى نشأته وتكوينه ــ لم يكن ، ولن يكون فى استطاعته ان يكون قريبا من الكمال الذى يريده الله له فى تكوينه ، وفى خلقه ، وفى تصرفاته وأعماله .. ولم يكن ، ولن يكون فى استطاعته ان يصل الى الصفات الخلقية الطيبة ، ويهتدى الى طريق الحق والصواب ، وان يصل الى الصفــات الخلقية الطيبة ، ويبلغ درجة الاتقان فى العمل ، قبل ان يميز الفضيلة من الرذيلة ، والخير من الشر ، والحسن من القبيح .. وليس من شك فى ان هذا الانســان ، كان لابد له ، وهذه حاله من الضــعف والجهل من قوة تعينه وتبصره فى كل أموره ، وتمكنه من الالمام بعظمة الكون ، واسرار الحياة .

وأغلب الظن ان الانسان ترك على سجيته فترة من الزمن لايعلم غير الله مداها ، فلما أراد الله سبحانه وتعالى ان يلقنه العلم والمعرفة ، وان يبصره فى أموره ، وان يهذب خلقه ويقترب به شيئا فشيئا نحو الكمال المنشود ، وان بعث اليه الرسل على فترات ليكونوا بما يحملونه من دين الله وأوامــره انوار الهداية ، وينابيع الحكمة ، ومعلمى الاجيال واجبات الانسان نحو خالقه ، وواجباته نحو نفسه ، ثم نحو من يحيط به من الناس لتشتد وتقوى الصلة التى تربط بعضهم ببعض ، ويتم بها عمار الكون وتقدمه .

ولقد ارادت حكمة الخالق عز وجل ان يبعث الرسل على فترات متباعدة أو متقاربة بحسب حاجة الانســانية الى الهداية والارشــاد وامتلاء النفوس

بالضيق والحرج وبحسب ما يسود من الفوضى والفساد وتغير النفوس ، وانقلاب الأوضاع ..

الاستاذ عبد المنعم حمادة

واذا كان الانسان قد اعتاد ان يعيش على فطرته اذا تألم من شيء تركه ، واذا أحس الدافع الى عمل قام به ، واذا احتاج الى امر سعى اليه ، الا انه كثيرا ما كان يحس فى نفسه الحاجة الى شيء مبهم غامض لم يكن عقله القاصر ليدركه ، فلما كان الرسل وما جاءوا به من شرعة لله ، وما بعثوا به للبشرية من تعاليم تنفيذا للارادة الالهية المدبرة المسيطرة ، أدرك الانسان ان هؤلاء الرسل الاعلام انما ارسلوا لهدايته وتنويرعقله ، وان ماجاءوا به من شرعة ودين وما بعثوا به من تعاليم كان طلبته الغامضة ، وحاجته المبهمة .

وأما وظيفة هؤلاء الرسل ـ والله اعلم حيث يجعل رسالته ـ فيكون حصرها فى أمرين .

*** أمر خاص بارشاد العقل الى معرفة الله وما يجب ان يقف عليه من صفاته ، والحد الذى يجب ان ينتهى العقل عنده من هذه المعرفة ، ثم تعليم الانسان الواجب المفروض عليه نحو خالقه ، وطرق عبادته سبحانه ، وكيفية التقرب اليه عز وجل.**

*** وأمر خاص بتوضيح ما اختلف فى توضيحه عقول الناس ، واندفعت اليهم شهواتهم ، وتنازعته** مصالحهم ، وبذلك يفصلون فيما اختلف فيه الناس بأمر الله، ويؤيدون مايوحى اليهم بما تقوم به المصالح ولا تفوت به المنافع الخاصة .. والغاية من ذلك ان لايكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وان تطمئن النفوس ، وتثبت القلوب ، وينتشر الأمن ، ويعرف كل ماله وما عليه ، ويتعاون الجميع لما فيه الصالح العام والخير الوفير .

واذا نحن أدركنا هذا كله ، **استطعنا ان ندرك بالتالى مقدار الفائدة التى ادتها الاديان للبشرية عامة ، ثم جاء الاسلام بعد ذلك فنسخ ما قبله ، واحتوى خير ما فيها جميعا للدنيا والآخرة ..** واذا نحن استطعنا أن ندرك هذا على شكل أوضح، لامكننا أن نعرف العوامل التى تبعث الطمأنينة فى النفوس ، وتوفر الثقة بين الافراد ، وتدعو الى التقدم والرقى ، وهى عوامل كثيرة أهمها وأساسها العامل الادبى أو الاخلاقى الذى تحث عليه الاديان، وسبق أن قال الامام الغزالى : الخلق نصف الدين. ولقد كانت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام فاتحة الخير والسلام ، والينبوع الذى يستقى منه الناس الهداية والرشاد . وكانت دعوة الاسلام الكاملة الشاملة مبعثا للسعادة والرخاء للبشرية كلها ، فهو رسالة الله للناس جميعا لا فرق بين عربى وأعجمى أى لا فرق بين فرد وفرد ، جاء ليهدى البشرية الى الطريق التى يصل بها الى تحقيق معنى الانسانية فى حياة الانسان .

(فاذا كان معنى الانسانية هو لقاء الانسان بالانسان ، ومودة الانسان للانسان ، وأخوة الانسان للانسان ، وتعاون الانسان مع الانسان ، ومحبة الانسان للانسان ، فالاسلام جاء ليوقظ فى الانسان هذه المعانى وينميها فيه ، ويحثه على رعايتها ، وعلى أن يتمثلها فى سلوكه وتصرفاته) .

وليس من شك فى ان شهر رمضان الذى لم نكد نفرغ من توديعه بعد ، هو خير الشهور الذى تتمثل فيه هذه المعانى كلها بما فضله الله ، فهو الشهر الذى يلتزم فيه المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها بتصرفات يشترك فيها الاغنياء والفقراء ، الاقوياء والضعفاء ، البيض والسود ،ساكنو القصور وساكنو الكهوف الرجال والنساء اللاتى لاتحول بينهن وبين الفريضة موانع شرعية بنص قرآنى او حديث شريف .. وليس من شك فى ان شهر رمضان الذى تتحقق فيه رسالة السماء وتعاليم الاسلام بشكل عملى واضح ، لايهمل فيها او يتغافل عنها الا وانحرف بذلك عن جادة الحق

واذا كان الاسلام قد جاء ليهدى البشرية الى الطريق التى تصل بها الى تحقيق معنى الانسانية فى حياة الانسان كما يقول الدكتور محمد البهى ، فاننا نستشعر ذلك من القرآن نفسه ، ومما تميزبه شهر الصيام الذى هو شهر البر والاحسان ..وليس المقصود من البر مجرد انفاق المال ، وانما يتعدى المعنى الى ماهو اشمل واعمق ، والله تعالى يقول :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى

---

١ ـ الدين والحضارة الانسانية : للدكتور محمد البهى ـ صفحة ٣٧ .

واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون.

ولقد مضت ايام رمضان سريعة الخطو ، خفيفة الظل ، كأنها نسمة من نسمات الربيع هبت فى ليلة لافحة الحر فأنعشت النفوس ، وأحيت القلوب، وبعثت الآمال لفترة من الزمن ، وهانحن نتلفت حولنا فنجد ان رمضان قد ولى وانتهت أيامه .. وهكذا كانت ايام رمضان فى طريق الحياة وكأنها الواحة المورقة الشجر فى قلب الصحراء القاحلة الجرداء.. راحة عليلة الهواء ، وارفة الظل ، عذبة الماء ، يجد فيها المسافر الذى طال به الطريق الغذاء بعد الجوع ، وطمأنينة النفس بعد الخوف والقلق، والرى للفؤاد بعد العطش الشديد ، والظمأ البالغ ..

والطاقات القليله المنظمه تنقلب دائما على الطاقات وهكذا مضت أيام رمضان التى نترقبها مرة فى كل عام بلهفة بالغة ، وشوق عظيم ، ورجاء كبير فى ان نجد فيها الدواء الذى نغسل به الادران التى قد تعلق بالنفوس وتزيل به الصدأ الذى قد يعلق بالقلوب ونجدد به الشباب الذى قد تتعبه وتضنيه مشاكل الحياة .. وليس من شك فى أننا واجدون مانبحث عنه من حكمة الصوم فى قوله تبارك وتعالى « ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .. وهنا اخبار من الله القوى العزيز بأن الصيام لم يفرض لمجرد الجوع والعطش وحرمان النفوس من طيبات ما احل الله ، وانما كان لغرض اسمى من ذلك ،واجل قدرا ،واعظم فائدة .. فقد فرض الله عز وجل الصيام تهذيبا للنفوس ، وتقويما للشهوات وتفضيلا للانسان على الحيوان الاعجم الذى ينقاد لشهواته ، ويجرى وراء غرائزه، وكانت فرضيته أساسا لتربية روح التقوى وتقوية الوجدان حتى تتحقق السعادة والطمأنينة التى يريدها الله للناس أجمعين .

لقد كان فى رمضان درس عظيم النفع،درس بالغ الاهمية لأناس يريدون الوصول الى تحقيق مايرجون من خير ، وما يأملون من نجاح .. لقد كان رمضان شهر القرآن وتلاوته ، ولقد روى الترمذى من حديث ابن مسعود : **من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر امثالها .. وحكى يزيد** ابن حيان التيمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوما خطيبا بماء يدعى حما بين مكة والمدينة ، فحمد الله واثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : **(اما بعد .. الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى عز وجل ، فأجيب ، وانى تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عز وجل ، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به .. فحث على كتاب الله ورغب فيه..ثم قال:وأهل بيتى .. اذكركم الله فى اهل بيتى .. اذكركم الله فى اهل بيتى .. اذكركم الله فى اهل بيتى) ..**
وماكانت وصية محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن والتمسك به ، والترغيب فيه ، الا لانه يقود الى تقوى الله ، والايمان به سبحانه ، وحبه وخشيته فى الوقت نفسه .. والذين يحبون الله ويخشونه هم الذين يعملون ما أمر به ، ويبتعدون عما نهى عنه وهم الذين يوصفون بانهم متقون يحافظون على فطرهم التى خلقهم الله عليها فاتقوا ما يفسدها ويحول بينها وبين اشراق الحق .. فلم تعبث مظاهر المادة باستعدادهم لادراك ماغاب عن ابصارهم وحواسهم من الحق الثابت فى نشأة العالم وابداعه ، وتدبيره ، ولا بما يجب عليهم من وصل قلوبهم وأرواحهم بالله الذى خلقهم وانعم عليهم بالمحافظة على وسائل المراقبة واستشعار العظمة الدائمة على الوجه الذى ينمى الصلة بين العبد ..ه ، ولا بما ينبغى من معونة الانسان لاخيه الانسان **والجواد يقسط من المال فى سبيل تخفيف اعباء الحياة** ه (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما **رزقناهم ينفقون)**

وكما لم تعبث مظاهر المادة باستعدادهم لهذا الادراك ولم تمنعهم العصبية الفاسدة لما ورثوا أو عرفوا من قبل ، أن يتقبلوا الحق الذى يصدق ما عندهم وان بزغت شمسه من غير سمائهم (والذين **يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)**

(من سلمت فطرته من هاتين العلتين : تسلط **المادة والعصبية الفاسدة هم المتقون ، وهم الذين ينتفعون بالكتاب ، وهم الذين يهتدون به** ، ويصلون الى أقصى درجات الفلاح والفوز فى الدنيا والآخرة ، وفيهم يقول الله عز وجل فى سورة البقرة : أولئك **على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ويقول فى**

غيرها : (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون)

وهكذا بين الله فى كثير من آيات القرآن خلال الطائفة التى تنتفع بالقرآن ، وتنتظر الخير والفلاح بهدى القرآن

والآن — وقد مضت ايام رمضان سريعة الخطو كما قلنا — نريد ان نطمئن الى فائدة الدرس الذى تعلمناه **فى هذا الشهر الكريم ، والى المدى الذى استطعنا** ان نحققه من هذا الدرس .. والى ان تلاوتنا للقرآن كانت خشوعا لله وطلبا لهدايته وتوفيقه ورغبة فى معرفة أوامره ونواهيه وتدبرا لآياته .. والى أن صيامنا كان صادقا خالصا لوجه الله والى اننا لم نقم به رياء ولا تظاهرا ، وانما فعلنا تقربا الى القوى العزيز وابتغاء مرضاته مصداقا للحديث **القدسى : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا اجزى به ..**

ونريد أن نطمئن الى أن صيامنا كان عن اللغو ، وعن فحش القول وعن النميمة والوقيعة وعن الخوض فى اعراض الناس ، وعن كل مالايرضى عنه الخلق الكريم الذى يدعو اليه الدين ويحث عليه .. نريد ان نطمئن الى اننا صمنا عن هذا كله كما صمنا عن الطعام والشراب ، والى اننا ادينا الصلاة التى تنهانا عن الفحشاء والمنكر والبغى ، والتى نتوجه بها الى الله بقلوب مؤمنة خاشعة تبتغى عفوه ورضاه ، وتلتمس مغفرته واحسانه ، والى اننا بذلنا المال فى الزكاة الواجبة عن رغبة وطيب خاطر للفقراء والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، والى اننا اخلصنا العمل وراقبنا الله فيه ، والى اننا لم نهمل فى واجب ، أو نقصر فى حق .

اننا نريد — وقد مضت ايام رمضان — ان نحقق الغاية السامية من صيام هذا الشهر العظيم ، وان نطبق الدرس الذى تعلمناه خلال ايامه على جميع الشهور وأيامها لنكون بذلك من المتقين الذين عناهم الله فى قوله (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فرضى عنهم ورضوا عنه ، وان لاننسى بعد رمضان، عبادته سبحانه حتى لاينسانا باحسانه وفضله ورحمته التى وسعت كل شىء

ذلك درس واحد من دروس ايام رمضان ، وهناك دروس أخرى كثيرة منها انها تعلمنا التحرر من سلطان العادة بالتحلل من تلك العادات المتسلطة على النفوس ، المهيمنة على القلوب ، والتى تتركز فى الانسان فتصبح كأنها طبيعة من طبائعه ، لا يستطيع التخلص منها ، ولا يقدر على مفارقتها الا بشق النفس والجهد الشديد .. وليس من شك فى ان الانسان اذا اطمأن الى ذلك فى شهر الصوم ومرن عليه مرانا عمليا كسب خلقا جديدا هو خلق العزم الصادق على التخلص من كل ما يضره ولا ينفعه ، فينتقل من محاربة هذه العادات المتصلة بحياته فى طعامه وشرابه ، الى محاربة عادات متصلة بحياته وحياة الامة من ناحية أخرى ، عادات لها مضارها ومآثمها ولن يكون شهر رمضان شهر تقرب وعبادة وتقوى، ولن يكون شهر خير وبركة تنفع أى فرد فى حياته الحاضرة والمستقبلة ، وتنفعه فى اخراه ، مالم يكن فيه انسانا طائعا لامر الله فى رمضان وغير رمضان حتى يستحق وصفه بانه من المتقين الذين يخشونه فى كل يوم من ايام الحياة التى يحياها لا فى ايام رمضان وحدها .

ومن دروس رمضان تعويد الصبر الذى هو خلق الاخلاق وروح الفضائل الانسانية (فالصوم تعويد على الصبر وتمرين عليه ، يدع الصائم طعامه وشرابه وكل ما تشتهيه نفسه ، ويرى بعينيه أطايب ما ترك فيكبح جماح نفسه امتثالا لامر الله .. يصبر الصائم المحتسب اذا أوذى أو شتم فلا يغضب أو يقابل الاساءة بمثلها ولاتضطرب لنخسه كانه يقول لمن أساء اليه : افعل ما شئت فقد عاهدت الله بصومى على أن احفظ لسانى وجراحى فكيف أحنث بالعهد فأجيبك أو أسىء اليك كما اسأت الى (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى لأقتلك انى اخاف الله رب العالمين) .. الصائم المحتسب يعلم ان الصوم أمانة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته) .. وان عليه أن يصبر على هذه الامانة ويحفظها : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) .

وكلنا يعلم ان البلاد تمر بمرحلة دقيقة تقاسي منها آلاما نفسية وآلاما عاطفية وآلاما وطنية ·· فهناك على خط القتال عدو قذر نريد ان نطهر الارض من قذارته ، ولابد لنا لتحقيق ذلك ان نعتصم بالصبر الذى عودنا عليه الصيام فى رمضان وعلينا ان نكبح جماح انفسنا وعواطفنا حتى نعد العدة فنقاتله بقلوب من حديد ، وعزم اكيد ، ورجل واحد ، وصف واحد ، فنضربه الضربة التى لاتقوم له بعدها قائمة ·

وهناك درس أخير من دروس رمضان اريد ان اختتم به هذا الحديث وهوالجهاد · فقد علمنارمضان بصيامه جهاد النفس ضد شهواتها ونزواتها ونريد أن يكون رمضان الذى مضت ايامه قد بث فينا روح الجهاد من اجل الوطن وعزته وكرامته ولنا فىرسول صلوات الله وسلامه عليه اسوة حسنة ، فقد ضرب لنا المثل الأعلى حينما رفع مشاعل الهداية بيد وحمل بالأخرى سلاحه للذود عن تلك المبادىء التى بعثه بها ربه ورب الوجود كله ، ولتحرير المستضعفين وقهر الظالمين وكذلك ضرب اصحابه واتباعه على مر الأزمنة وفى كثير من المواقف المختلفة الاسباب والدوافع والامكانيات والظروف امثلة رائعة ،ورسموا صفحات لامعة من التضحية والفداء والشجاعة والاقدام لقد جاهدوا فى الله بانفسهم واموالهم وأعمالهم ولم يخشوا فى ذلك لومة لائم ولم يرهبوا بطش قوى ، ولم يخافوا مكر غادر خسيس ، ولم يفت فى عضدهم أو يوهن من قوتهم تجمع الاعداء وتربص الجموع ولم يكن قولهم الا ما حكاه الله عنهم : **(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبناالله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ·**

(أولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم الذين استضاءوا بالقرآن ، ووثقوا بوعد الله فى النصر ، وايقنوا بما اعده للمجاهدين من جميل الثواب وجزيل الاجر . واتبعوا الرسول وبايعوه على الفداء بالنفس والمال وبالمتاع وبالرجال ، حتى لقد أصبحوا فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ، والى مكانتهم يتسامى الرجال والولدان والنساء والشباب

لقد أدينا الواجب المقدس فى رمضان ، ونريد ان نؤديه فى كل شهر غير رمضان وفى كل يوم غير ايام رمضان ·· ونريد ان يكون ما تعلمناه زادا لنا فى كل ايامنا المقبلة ، فنعزم على الجهاد عزما صادقا حتى نطهر كل شبر من أرضنا المقدسه من اعداء الله والاسلام ، واعداء العرب والعروبة ·

علينا ان نعد العدة للجهاد ، مضحين بانفسنا فى سبيل الله مصداقا لقوله : **(فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما**

واذا كنا قد عبأنا قوانا الروحية فى رمضان ،فلابد ن يكون ذلك مدخلا وسبيلا لتعبئة قوانا العامة خاصة كما فى قوله تعالى : **(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين· واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين))**

ولا بد ان يكون ذلك مدخلا وسبيلا الى تعبئة قوانا المادية مصداقا لقوله عز وجل : واعدوا لهمماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللهوعدوكم **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون**

وليس هناك شىء فى الدنيا يجعلنا نخاف ونجزع من الشهادة فى سبيل الله فالذين باعوا انفسهم وأموالهم فى سبيله لهم أجر عظيم مصداقا لقوله تعالى **(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين))**

اللهم نسألك أن تكون كتبتنا من الذين قبلوا فى رمضان ، وان تكون قلوبنا ونفوسنا قد طهرت وصفت بدروس رمضان حتى نستطيع ان نكون فى ايامنا الباقيه من الذين يسيرون بنور هدايتك ، مترسمين خطوات نبيك المصطفى ومن تبعه ماحسان الى يوم الدين ·

شوال ..

فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم

اذا أهل هلال شوال المبارك وأتم الله على المسلمين نعمة توفيقه لهم بصيام رمضان الكريم وقيام لياليه البيضاء – شاعت الفرحة فى نفس المؤمن ، واستبشر بنعمة الله وفضله ، انها الفرحة العظيمة لتمام عبادته وسلامتها من المفسدات .

وهذه فرحته الأولى فى الدنيا تتحرك بها ذاته وروحه عند غروب كل يوم من أيام الشهر العظيم .

وحيث تلم الشمس خيوطها الذهبية من آفاق الدنيا البعيدة والقريبة وتؤذن ساعة غروبها من آخر يوم من رمضان ، ويحين الافطار تعاود الصائم الفرحة المتكررة عند كل غروب شمس .. فقد أتم الله عليه نعمة صيام الشهر كاملا فيحمد الله ويكبره على ما هداه ، فما كان ليهتدى لولا أن هداه الله .

وحين يلقى ربه – سبحانه وتعالى – ويرى جزيل العطاء ووافر المثوبة ويرى ربه سبحانه وتعالى ، وقد تكفل بجزائه العظيم ، يفرح الفرحة العظمى ، الفرحة التى لا تعادلها فرحة ، كما أخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

« للصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » ..

وتنهل فرحة الصائم المخلص على صفحة الوجود فينطلق مكبرا ربه – سبحانه وتعالى – على ما هداه :

« الله أكبر الله أكبر ولله الحمد » ..

الله أكبر من كل شىء ، ولله الحمد على نعمه الجزيلة ..

الله أكبر من كل شىء فى الوجود ، فهو وحده الملك المعبود ..

« الله أكبر ولله الحمد » شعار فرحة المؤمن ، ووسام شرفه العظيم . فقد عاش فى سعادة ونال الحسنى وزيادة ، وصارت حياته فى عيد .

انه بهذا التكبير يزين أعياده مستجيبا لله وللرسول اذا دعاه لما يحييه .

روى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

« زينوا أعيادكم بالتكبير »

ها هو ذا يوم العيد ، يوم الجائزة العظيمة .

فالملائكة على أبواب الطرق تنادى المسلمين أن يهرولوا الى الله الكريم والى فيضه العظيم فيستشعر المسلم راحة فى قلبه ، وطمأنينة فى روحه ، واقبالا خالصا على الله رب العالمين

عن سعيد بن أوس

شهر تحقيق الآمال

الأنصارى عن أبيه رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا كان يوم عيد الفطروقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا اغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فاذا صلوا نادى مناد الا ان ربكم قدغفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة ٠٠ رواه الطبرانى

ولعظمة هذا اليوم ومكانته عند الله سبحانه وتعالى أمر الله بقيام ليلة العيد واحيائها ، وأوجب لمن احياها الجنة

روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من احيا الليالى الخمس وجبت له الجنة ٠ ليلة التروية « وهى الليلة الثامنة من ذى الحجة سميت بذلك لانهم كانوا يرتوون يومها من الماء » وليلة عرفة ، وليلة النحر ، وليلة الفطر ، وليلة النصف من شعبان » رواه الاصبهانى

بل ان قلب المسلم هذا يحيا حياة سعيدة آمنة يوم لقاء الله يوم الهول والفزع الاكبر ، لايخاف اذا خاف الناس ولا يحزن اذا حزن الناس ، وانما يحيى الله قلبه وتتداركه رحمة الله وأمنه لاخوف عليه لانه من الآمنين

فيوم تخشع الأصوات ، وتموت القلوب لم يمت قلبه عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

« من قام ليلتى العيدين محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » رواه ابن ماجة٠

ولقد كان عيد الفطر عقب فريضة الصوم يحمل البشرى ألاقة بالهدى ، وفاقة بالولاء لله الذى أتم على الصائم نعمته الكريمة كما كان عيد الاضحى أيضا بعد فريضة الحج شكرا وحمدا على التوفيق الى العبادة العظيمة حج بيت الله الحرام ٠

وقد كان للجاهليين يومان فى كل عام يلعبون فيهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« ان الله أبدلكم خيرا منهما عيد الفطر وعيد الأضحى » ،

وفى هذا الشهر المبارك « شوال » معان رائدة استقاها المسلمون من مشاهد شاهقة حفل بها تاريخ الاسلام فى هذا الشهر الطاهر المبرور ٠٠ ذلك

أنه كان فيه القضاء على التطير والوهن ، والضعف والخور ، وكان فيه التحفز الجاد للنصر على أعداء كلمة الحق الذين يتربصون الدوائر بأرباب الهدى والنور

فلقد كان العرب يتطيرون من الزواج فى هذا الشهر حتى قضى الرسول صلى الله عليه وسلم على تلك العادة السيئة فتزوج « بعائشة » رضى الله عنها

تقول السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها مفتخرة بذلك :

« تزوجنى رسول الله فى (شوال) وبنى بى فى شوال فأى نسائه كان أحظى عنده منى ؟

وكانت غزوة أحد فى شوال فى السنة الثانية ..

وتلاها غزوة الخندق فى السنة الخامسة التى اضطر المسلمون فيها الى حفر خندق بينهم وبين أعدائهم ولكن تألب عليهم اليهود من خارج المدينة وقبائل العدوان والخطر من هنا وهناك ، وتجمعت عليهم الالاف وتحزب الأحزاب .. وتحرك بنو قريظة من الداخل ، ويومها زلزل المؤمنون زلزالا شديدا ، ولكن الله لايخلف وعده لعباده الصادقين فقد سلط على أعدائهم ريحا أفضت حياتهم وكفأت قدورهم وأمد المسلمين بجنوده وأيدهم بنصره قال تعالى :

« يايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »

ويوقفنا القرآن الكريم على خاتمة هذا المشهد الرائع ونتيجته الحاسمة :

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شىء قديرا »

كانت هذه الغزوة ، وهذا الانتصار الباهر ، والفوز الزاهر فى شهر شوال مما بين لنا أن شهر شوال شهر تحققت فيه كثير من الامال ، فلا بد أن تكون له مكانته فى النفوس المؤمنة والقلوب الصافية الصادقة تلك النفوس التى أصقلها الصوم بروحانيته ، وجعلها شفافة ، فلا بد وان تدرك فى الشهر مزاياه والطافه

واذا كان شهر رمضان قد فارقنا بخيراته وعباداته المتنوعة فليس معنى هذا أن نتكاسل أو نتهاون فى العبادات بل الواجب على المؤمنين الصادقين أن يستمروا فى عباداتهم ان لم يضاعفوها بعد ما استفادوا من دروسه النافعة ، وبعد ماحصنوا أنفسهم بأسلحته الدافعة التى دفعت عنهم الشيطان طوال هذا الشهر المبارك العظيم

لقد كان رمضان يحثنا على كثير من النواحى الانسانية كالعطف على الفقير والمسكين ، والرحمة بالمعوزين ، والتزاور فى الله والمراقبة التامة فى كل الأعمال

وان كنا نقوم بهذه الانسانيات فى شهر رمضان فحرى بنا أن نواظب عليها بعد رمضان ، وبعد ماتذوقناها وطعمنا حلاوتها ، وجنينا ثمرتها

فاذا ماوجد الانسان نفسه مندفعا الى هذه الأعمال الصالحات عرف أن الله سبحانه وتعالى قد قبل صيامه ،وقيامه

فليشكر الله على أن وفقه وهداه ، وان وجد نفسه متكاسلة خاملة فليعرف أن

الشيطان حاول ان يفسد عليه عبادته السابقة ، وحاول ان يثقل كاهله بذنوب متلاحقة فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، وليسر فى « شوال » وغيره كما كان فى رمضان ليكون من حزب الرحمن لامن حزب الشيطان

ومما يتعلق بنفس الصائم من الواجبات فى مستهل هذا الشهر « زكاة الفطر » فهى طهرة للصائم من اللغو والعبث ومشاركة ايجابية صادقة للنفس المؤمنة التى تعنى بالانفاق والجود، فى هذا اليوم المشهود .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث » ومقدارها عن كل فرد « صاع » وهو بمكيالنا المصرى (قدحان وثلث) وليكن هذا من غالب قوت أهل البلد

ويمكن أن يخرج المسلم زكاة فطره « نقدا » بعد أن يقدر ثمن الصاع الذى وجب عليه اخراجه ويدخل وقت وجوبها بثبوت رؤية هلال (شوال) حيث يكون الفطر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما »

فوقت الافطار يدخل برؤية هلال شوال ، وبذلك يدخل وقت وجوب زكاة الفطر التى سميت به وأضيفت اليه ... ويجوز أن يخرجها المسلم قبل الفطر بيوم أو يومين روى البخارى عن ابن عمر قال : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا .. (الى ان يقول) وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين »

وينتهى وقتها بخروج الناس الى صلاة العيد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بأن تؤدى زكاة الفطر قبل خروج الناس الى الصلاة .

قال ابن عباس رضى الله عنه

(فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات) .

فزكاة الفطر صورة صادقة لشكر الله تعالى وما أروعه من مظهر اسلامى كريم حين يتسابق المسلمون الى اخوانهم الفقراء مستجيبين لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم :

أغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم

هذا هو شهر شوال الذى انطوى على خير وافر ، وبر عظيم ، وجعل الله لمن صام منه ستا كان كصيام الدهر فضلا منه واحسانا ، وبرا وامتنانا .

عن أيوب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » فواجبنا ازاء أيام الله هذه ان نعيشها بايمان ويقين

طاهرة قلوبنا متآلفة أرواحنا ، متماسكين كالبنيان المرصوص نذود عن حياضنا ونذافع عن ذمارنا لننصر راية الله ودينه حتى نستأهل نصره القريب الذى وعده المؤمنين قال تعالى: « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز »

العيد

الأستاذ حسن الشيخة

العيد ما يعاود مرة بعد أخرى فهو دائم التسلسل فى المعاودة، وقد خص فى الشريعة الاسلامية بيومين ، هما يوم الفطر ، ويوم النحـــر ، أما من حيث الدلالة اللغوية فهو أوســع من ذلك ، هو كل يوم فيه مسرة وفرح ، وهذا المعنى مأخوذ من قـــوله تعـالى : « قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينـا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنـا وآخرنا » ، ومعنى كلمة العيد فى الآية هو الفرح والسرور .

وانى أعفى نفسى اليوم من اعادة وتكرار فقهيات زكاة عيد الفطر ، من وجوبها أو غير وجوبهـــا ، ووقت اخراجها .. أهو قبل صلاة العيد ، أو بعـدها .. ومن تقديرها نقودا أو كيلا فيما يكال ممـــا تخرج الأرض من قمحها ، أو شعيرها ، أو درتها وانها طهرة للصائم مما عسى أن يكون قد وقع منه من اللغـــو والرفث ، فمبلغ علمى أن هـذه أشياء صارت معلومة عنـــد الناس ، لكثرة تكرارها قـــولا وكتـابة ، فى كتب الفقـــه ، والمجلات الدينية ومجالس الوعظ والارشاد ، والتوارث العمـــلى الذى يرثه الصـــغير عن أبويه فى اخراج صدقة الفطر ، دون بحث أو سؤال .

الصوم والعيد متجانسان فى أصول أغراضهما ، فشهر الصيام اذا كان قد أدى على وجهـــه الصحيح ، كما رسمت الشريعة الغراء .. فيه حياة روحية ، يحس بها الصائمون الذين أدوا

شهر الصيام فى صدق واخلاص ومن مقتضيات الحياة الروحية والاحسان الى الفقراء ، الشيء الذى يندفع اليه الصائم من تلقاء نفسه فى غبطة وسرور ، اما باطعام من تمكنه مقدرته من اطعامه وقت الافطار فى رمضان .. واما بتصدقه الصدقة الجارية ، التى يوصى بها اليه الصوم .

أما العيد فهو يوم اخراج الصدقة الواجبة شرعا على أغلب المذاهب الفقهية، وهذا هو وجه الشبه بينها وبين الصدقة الجارية فى رمضان ، وهذا أيضا هو وجه اتحادهما فى الخير وعمل البر والاحسان ، وقد شرعتهما الشريعة الاسلامية متجاورين ، لا يعتريهما انفصام ولا يفصل اتصالهما حجاب .

ان الناحية الاجتماعية فى أداء الصدقات هى الأساس الأول فى شرعيتها ، فهى تجعل طبقات المساكين فى غبطة بأخذها ، واذا كانت كل قرية فى الريف المصرى وغير المصرى تقصر صدقتها على مستحقيها من أهلها ، لخرج الفقير والمسكين بحصيلة زكوية، ترفع عنه الضر والمسكنة الرحيمة ، وهذا هو التراحم والتعاطف ، والاشتراكية ولو كانت فى أضيق حدودها .

وعندى أن العيد بعد أن اتسعت آفاق الحياة ، وتفتحت عيونها على معان جديدة — لاينقصر العمل فيه على ما أسلفت من حديث الصدقات ، وانما هو يتسع أيضا الى ما يلائم الظروف من قول وعمل ، مثل اشعار الأبان فى الوطن العربى الكبير قلوبا تغير وجه الأيام ، وتقلب المعايير من نكسة — لا ردها الله — الى نصر وفوز مبين .

السعيد يعلم من يستظلون برايته ، كيف يتسع روح الجوار ويمتد ، حتى يصير كأنه لأهله دار واحدة ، يتحقق فيها الاخاء بمعناه العملى ، فتظهر فضيلة الاخلاص للجميع ، ويهدى القوم بعضهم الى بعض هدايا القلوب المتحابة الصافية المخلصة واظهار الشخصية القوية ، والذاتية الوثابة ، لأن الأمم الضعيفة لا شخصية لها ولا ذاتية ، والنفوس الهامدة لا بقاء لها ، اذن العيد حقا هو صوت القوة ، تهتف بالأمة أن عيدك وأفراحك هو يوم النصر المبين .

العيد ميراث حولى ، يجب أن نوزعه كل عام توزيعا جديدا بما يقع فى العام من مستحدثات لم تكن من قبل ، وبما يطرأ علينا من أحوال زمننا ، والزمن دائرة تدور أبدا ، فان كانت تدور على أمة ضعيفة فهى دورته بالنحس ! لا تغير لها ولا تبديل ، وان كانت تدور على أمة حية فانها متنقلة من حسن الى أحسن ، كلما تقدمت بها الأيام .

اذا كان العيد لهوا ولعبا للصغار ، ولمن لا يحسون بالمسئولية من كبار السن ، فانه للكبار أصحاب التبصر السليم ، والرأى الناضج هو الذى عنيته فيما أسلفت من قول .

العيد فيه فسحة من الوقت وفيه تعطيل أعمال رسمية ، وقد ولى الزمن الذى كنا فيه جميعا من صغار وكبار ، ورجال ونساء ، مثل أطفالنا ، نلهو ونلعب ونقضى هذا الفراغ كله فى لبس الجديد من الثياب وفى الأسفار التى يقصد بها قطع الأوقات فى غير عمل، وفى غير طائل .

* *

وبعد فأنا الآن فى صدد الكلام عن صدقة الفطر بالاصالة والذى حدا بى الى التحدث عن غيرها هو الاستطراد الواجب ، على كل شاعر أو كاتب ، وقد قالوا قديما : لكل مقام مقال ، ولكل وقت أذان .. والآن أتمم ما عن لى من القول عن صدقة الفطر .

هى صدقة كما عبر الامام الغزالى اما الزكاة فهى زكاة المال التى هى من أركان الاسلام على أن القرآن الكريم قد عبر عن زكاة المال بالصدقة ، حيث قال تعالى «انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، الخ الآية » ، واذن الصدقة والزكاة شيء واحد ، لا تمييز بينهما الا بالاضافة ، فيقال

صدقة المال ، وصدقة الفطر، ويقال زكاة المال، وزكاة الفطر.

لفظ الصدقة ، والصدقات والمصدقين ، جاءت فى القرآن الكريم بكثرة ، مثل :

« ففدية من صيام أو صدقة أو نسك »

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى »

« ان تبدوا الصدقات فنعما هى »

ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم .

ان الله يجزى المتصدقين

اما الأحاديث فكثيرة أيضا ، اثبت منها :

ـ ردوا صدقة البلاء ولو بمثل جناح الطائر من طعام .

تداركوا الهموم والغموم بالصدقات .

هذه الآيات، وهذه الأحاديث هى قطرة من البحر الذى جاءت به الشريعة المحمدية فى الحث على التراحم والتناصف ، وأولها صدقة الفطر الذى أجرى عليها بعض أئمة الاسلام حكم الوجوب لاظهار فضلها ، وللعناية بشأنها

الأعياد

للامة الاسلامية أعيادها ، وهى مواسيمها لاعلان السرور والابتهاج وتبادل العواطف والمشاعر ، وأشعار النفوس برابطة الاخوة التى تجمع بين المسلمين ، أفرادا وجماعات وأمما وشعوبا فى مشارق الارض ومغاربها

وفى هذه الاعياد تتجلى الروح الاسلامية وماتمليه من فضائل انسانية وماتسبغه على المجتمع الاسلامى من معان تتمثل فيها خلال الخير والبروالتراحم والترابط والتماسك والتعاضد.

ولكل أمة أعيادها التى تمثل اخلاقها وعاداتها ونظرتها للحياة وأعياد المسلمين هى التى تتجلى فيها المعانى الانسانية أكثر من غيرها .

والأعياد فى كثير من الأمم عبارة عن معارض للهو والسرور ومقاصف للمتعة واللذة (المباهاة بالغنى والثروة) و (والتفانى فى حب المادة ومظاهرها) مما يثير حفيظة الفقراء . ويوسع الهوة بين الطبقات . ويمزق روح التضامن (الانسانى والوطنى) . بينما

عند المسلمين

الأستاذ محي الدين اللبان

أعيادنا الاسلامية بما أسبغته عليها شرائعنا وعقائدنا الدينية من معان خلقية واجتماعية قوامها البر والمحبة ومظاهرها تبادل التهنئة و (وبذل الصدقات) و (اظهار البشاشة) تأخذ طابعا انسانيا ومعنى اجتماعيا يذكر الانسان بواجب نحو مجتمعه ونحوخالقه ويفيض على الارواح من معانى الاخوة الانسانية مايبعدها عن شرورالاشرة وحب الذات ويجنبها أخطار التمزق والانقسام . ويحفظ على المجتمع قوته وحصانته ولكى يتضح هذا المعنى نستعرض أعيادنا واحدا واحدا لنرى مافيها من ملامح البر والخير التي ظلت على الزمن من مميزات حياتنا الاسلامية .

فعيد الفطر : هوأحد العيدين الاسلاميين فيه يصلى المسلمون صلاة عيد الفطر شكرا لله الذى وفقهم فى عبادته . فصاموا شهر رمضان وتعبدوا فى لياليه المباركة بالصلوات والدعوات ونضجت فيه أرواحهم بذكر الله وبأحياء شعائره وعاشوا أيامه ولياليه ذاكرين الله مستشعرين رحمته بعطف كبيرهم على صغيرهم وبر غنيهم فقيرهم حتى انه أمضى الشهر المبارك أدوا مما وجب عليهم من صدقة الفطر ثم أموا (مساجد الله) لكى يؤدوا صلاة العيد مكبرين مهللين حتى اذا ماقاموا بهاأقبل بعضهم على بعض بالتهنئة والزيارة وعم المجتمع سرور عامر ونعم الناس بالخير وأطعموا الطعام وأفشوا البر والسلام بين ذويهم وجيرانهم وتبادلوا المنافع والبيع والشراء والسعى والحركة فكان عيدا ينعم فيه لارواح بالمحبة والاخاء وتسعد

فيه النفوس بآثار الحركة والسعى والعمل ·

* أما ثانى العيدين فهو عيد الاضحى المبارك :

الذى تجىء فى أيام الحج الى بيت الله الحرام وفيه يتذكر المسلمون قصة ابراهيم عليه السلام حيث رأى فى منامه ان الله يأمره بذبح أبنه اسماعيل ولما أخبر ابنه بهذه الرؤيا قال له اسماعيل (ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » ·

هذه الروحية العظيمة التى تتجلى فى موقف ابراهيم وابنه اسماعيل والتى يقصها الله علينا فى القرآن الكريم تعليما وتأديبا والتى تتضمن فى مغزاها السامى (أمرا) من الخالق الكريم ببذل النفس فى طاعة الله و(ايذانا لنا) ببذل الارواح فى سبيل العقيدة طلبا لرضا الله وحبا لطاعته اذا وجب الجهاد وحق الفداء والامم لاتحيا الا بشيئين (روح التضامن بالمحبة بين أفرادها) و (روح البسالة والتضحية) فى محاربة عدوها وهذا مانستشعره ونحن نستقبل أعيادنا عيد الفطر حيث أهل هلاله بعد شهر الصوم ومجاهدة النفس · وعيد الاضحى الذى تطلع شمسه تمجيدا لمعنى التضحية والفداء ·

وفى كلا العيدين يتبادل المسلمون الزيارة والتهنئة لافرق بين صغير وكبير وغنى وفقير ويسعد الناس بجو من المساواة يؤكد معنى التضامن بين الطبقات وازالة الفوارق واشعار بمعانى الاخوة الاسلامية ·

أين هذا من الاعياد عند سوانا من الشعوب · وهى لاتكاد تخرج عن كونها معارض للهو والبذخ ومباذل للقصف والرقص ، واظهار الفنى والثروة ، والجاه والسلطان ·

أعيادنا اسلامية مواسيم للاخوه الانسانية تبدأ بالصلاة والتكبير وتنتهى بتبادل الزيارة والتهنئة وصلة الرحم ومودة الجار والمواطن فهى أعياد انسانية يشيع فيها تمنى الخير وتذكر بالوفاء ·· والسمو بالعلاقات الانسانية الى الآفاق الروحية وتبتعد بها عن كل الاطماع والشهوات ومثار المنافسات والحزازات

* وعيد الهجرة :

ونحن حين نستعرض الأعياد الاسلامية بنظرة أوسع واشمل وعلى مستوى أعلى وأرفع نجد (عيد الهجرة النبوية) وهو عيد الانسانية كلها اذ فيه يتمثل أعلى مستوى الكفاح من أجل الحق والخير ورفعة البشرية وانتشالها من ظلمة العصور القديمة حيث هاجر النبى وصاحبه الى (يثرب) وبدأت قوة الاسلام تكتمل ونوره يتألق

* وعيد ميلاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم :

ولنذكر عيد الاعياد ومجد الامجاد وهو ميلاد صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام ·

* وبقية الاعياد الاسلامية :

كما نذكر أعياد الاسراء والمعراج وهلال رمضان المعظم وليلة القدر ونصف شعبان لكل من هذه الاعياد مكانة فى وجدان المسلم ولكل منها نصيبه من أحياء المشاعر الاسلامية وامداد المسلمين بالقوة المعنوية والروحية وجمع كلمة الاسلام فى المشارق والمغارب ورفع الراية الاسلامية خفاقة عالية

مغزى العيد في الإسلام

فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت

سمى العيد عيدا لأن لله تعالى فيه عوائد الاحسان الى العباد التى منها مشروعية زكاة الفطر لاغناء الفقير فى ذلك اليوم ، ضيافة الله رب العالمين ·· واجتماع المسلمين مصلين مهللين مكبرين ·· وزيارة بعضهم لبعض وفطرهم بعد المنع والحرمان ·· وغفران الذنوب ·

أو لأن السرور يعود بعوده والنشاط والحبور يسود المسلمين بحاوله ·· ولأن الناس يعودون فيه الى الأكل مرارا ·

أو تفاؤلا بعوده مرة أخرى كما سميت القافلة قافلة تفاؤلا بقفولها ، أى رجوعها ، وقيل لشرفه من العيد وهو محل كريم مشهور فى العرب تنسب اليه الابل العيدية ·

وفكرة الأعياد قديمة بقدم الانسان ، عرفها الناس منذ أن عرفوا الاجتماع والتقاليد ·· والذكريات ·· وكانت لمجرد الترفيه عن النفس بعد الجهد الجاهد والمشقة المضنية ·· أو للتذكير بحادث محبب الى النفوس كعيد الحرية والاستقلال وغيرهما من الأعياد المعروفة ·

وكانت الأعياد فى الأمم الماضية لهوا ولعبا وشرابا وطربا وجلبة وصخبا ·· بل ان بعض الأديان القديمة كانت تتخذها سبيلا للاباحة المستهترة والفوضى الخلقية السافرة ·· كأعياد « باكوس » عند قدماء اليونان ثم عند الرومان وهى أعياد كانت تكرر أكثر من مرة كل عام وكان يفرض فيها على الرجال والنساء أن يطلقوا لغرائزهم الحيوانية العنان لتقضى لبانتها علنا جهارا ارضاء لآلهتهم فيما يزعمون: ومن يعف عن المشاركة حكم عليه رؤساء الدين أن يدفن حيا فى مغارات بعيدة وسراديب مجهولة الى أن يأتيه الموت أو يقضى الله قضاءه فيه ·

ويقابل هذه المادية الماجنة روحية زاهدة منطوية منزوية تكتفى بالتعبير عن ذكرياتها بترديدها فى داخل النفس أو بالتعبير الخافت عنها فى زوايا المعابد فقط ترتيلا لبعض الدعوات أو أداء لبعض المراسيم والاشارات ·

ولكن الاسلام حينما جاء ألقى على فكرة الأعياد ضوءا جديدا يبعد بها عن انحلال المادية وفجورها وعن تزمت الروحية وجمع ما فى النزعتين من خير وسداد وأضاف اليها عناصر

صالحة فكون من الجميع صورة حية كلها طهر وكرامة وصون وعفاف ..

فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة فوجد للانصار يومين يلعبون فيهما ، فقال ما هذان اليومان قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطرويوم الأضحى » .

ذلك لأن يوم الفطر يأتى عقب عبادة من أجل العبادات الفردية والاجتماعية ، وهى صيام رمضان ، فهو عيد يقف فيه المسلمون وقفة يهنئون بها أنفسهم بهذه التزكية الروحية التى كانت أثرا من آثارصومهم وجهادهم لأنفسهم بتوفيق الله وهدايته .. قال تعالى :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون » ..

أى لتمكلوا عدة رمضان ، ولتكبروا اللهعند اكمالهلهدايتكم وتوفيقكم لصونه .. وهو يوم تعود فيه الى المؤمن حريته بعد أن كانت مقيدة بأمر الله له بالصيام، انه يوم يذكرالمسلمين بهذه النعمة العظمى ، نعمة الانتصار على قوى الشر والبغى والعدوان فى غزوة بدر الكبرى مما كان سببا فى بناء الدولة الاسلامية دولة الحق والعدل والهدى والرشاد والصفاء الروحى والاستقامة .. والأمم لا تعرف فىتاريخها أعز من يوم البناء والاستقرار .. انه اليوم الذى يشعر فيه المؤمن بفرحتين لهما الأثرالقوى فىحياته وقوتها فرحة القيام بالواجب ، وفرحة الثقة بحسن الجزاء .. وفيهما يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« للصائم فرحتان .. فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه » ..

حيث أدرك أنه صام بأمر الله وأفطر امتثالا لأمر الله ، وانه بهذا يستحق ثواب الله الذى أعده للصائمين المخلصين .

وبهذا الشعورالروحى يجتمع المسلمون فى صلاة العيد ، شاكرين الله تعالى، معلنينبشائر الفرح والابتهاج ، متبادلين آيات التهانى ، مؤكدين مواثيق الوحدة والاخوة فى سبيل الله ونيل رضاه ، ومن أجل هذا الشعور أقر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكرة العيد ، وألغى يومى الجاهلية لما كان فيهما من لهو وفجور .

أما عيد الأضحى ، فهو عيد يأتى بعد عبادة من أجلالعبادات وهى فريضة الحج ، فيذكرنا بيوم الانتصار والفتح الأكبر فى غزوة الفتح على المشركين ودخول الناس فى دين الله أفواجا ونزول قول الله تعالى **« اليوم أكملتلكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .**

وليس أعز بعد يوم البناء من يوم الاتمام والاكمال .. فضلا عما شرع فيه من الأضحية للتوسعة على العيال وعلىالفقراء فى ذلك اليوم .. قال تعالى : **« فصل لربك وانحر » .**

ان فى العيد معنى اجتماعيا هو جعل الأمة الاسلامية كلها جسدا واحدا بنظام المشاركة التى شرعها الله ترفيها عن المعوزين واغناءلهمعن ذلالسؤال بنظام الزكاة فى عيد الفطر ، والأضحية فى عيد الأضحى : وتلك المساواة التى تتجلى فى الوقوف أمام الله فى الصلاة ان المظهر الروحى فى العيد يطالبنا بأن نبرز جوهره فى مظهر الزينة والجمال وفى جو من المتعة والرفاهية البدنية من غير اسراف يشوه جماله ويقلبه الى ضده ، فليأخذ كل منا زينته ، وليظهر أثر نعمة الله عليه ، فهذا يوم اظهار النعم .

واللعب المباح واللهو البرىء والغناء الحسن الخالى عن التكسر والغزل ونحوه مما يثير

النفوس ، من شعائر ذلك الدين فى يوم العيد رياضة للبدن وترويحا للنفس .. فقد روى أن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت :

« **دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال مزمارة الشيطان عند النبى - صلى الله عليه وسلم - ؟ فأقبل عليه النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا.. وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فاما سألت النبى - صلى الله عليه وسلم - واما قال تشتهين تنظرين ؟ فقلت نعم .. فأقامنى وراءه خدى على خده وهو يقول « دونكم يا بنى أرفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبى** » ..

وعنها أيضا أنه - صلى الله عليه وسلم - قال يومئذ : « ليعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحة انى بعثت بحنيفة سمحة » .

فأعياد المسلمين هى أعياد مواسم الحق والايمان والفضائل الاجتماعية التى قوامها الأخلاق والمكرمات والتى تعتز بها الأمم وتتماجد يوم تنتسب كل أمة الى طبيعة أخلاقها والى مارسمته من هذه المعالم الخلقية فى تاريخ الانسانية .

يجب أن نفهم المقاصد التى كان يتوخاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يحث الناس على البر والصدقة والاحسان ، فى الاعياد خصوصا ويعظهم ويحثهم على تقوى الله وطاعته ويذكرهم بأيام الله ، فعن جابر - رضى الله عنه - قال :

« **شهدت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله تعالى وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن .. وقال : يا معشر النساء تصدقن فانكن أكثر حطب جهنم فقامت امرأة من سفلة النساء - من أراذلهن - سعفاء الخدين - أى فيهما تغير وسواد - فقالت لم يا رسول الله ؟ فقال لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير .. قال فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين فى ثوب بلال من أقراطهن وخواتيمهن** » .

وقد كان صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفهمون مقاصد هذه الأعياد فيعملون على تحقيقها ليحصلوا على خيرها وينعموا بفضلها وثمارها فى أنفسهم مظهرين تمجيد الله وتكبيره وتحميده ظهورا يغيظ الكفار والمشركين .. شاكرين الله تعالى على ما هداهم ووفقهم اليه ولذلك كان عمر - رضى الله عنه - يكبر فى قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد ومن فى السوق فيكبرون حتى يرتج منى تكبيرا .

وبهذا نفهم أن أعياد المسلمين ليست أعياد فرح ولهو ولعب تقتحم فيها الحرمات ، وتنتهك الأعراض وتشرد العقول وتسلب وانما هى أعياد فرح وسرور وعبادة وزينة ، تجمع حظى النفس والروح ويبقى فيها المؤمن على الأخلاق الفاضلة التى اكتسبها فى رمضان ، فهو يوم الزينة التى لايراد منها الا اظهار أثرها على النفس .. ما أحوجنا الى ملاحظة هذه المعانى وتفهمها حتى يكون العيد كما أراده الله عيدا ينشط فيه المؤمن لعبادة ربه لكنه أصبح فينا عنوانا على وجودنا الحيوانى تشبع فيه الشهوات ، وتحقق الرغبات لأن كثيرا منا لا يفهم من العيد سوى كثرة الأكل والشرب مما لذ وطاب .. والجرى وراء المحرمات ، وهذا تصور مادى يأباه الاسلام .. ومن هنا نرى أن كثيرا من الصائمين لم يغرس الصوم فى نفوسهم خلق الصبر والمراقبة وقوة الارادة والاحتمال .. وكثيرا من المصلين لا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ، وكثيرا من الحجاج لم يحفظهم

حجهم من اللغو والرفث والجدل .. وهذا هو الذى حال بين المسلمين وبين العـزة التى لا تعرف الذل والفلاح الذى لا يعرف الخسران والقوة التى لا تعرف الضعف •

يجب علينا ان نتنبه لتلك المعانى والمقاصد التى من أجلها شرع الله العيدين لنظفر بالمجد والعزة والكرامة فى دنيانا .. وأخرانا .. ان سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ حينما دعا ربه بقوله :

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقموا الصلاه فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » •

لم يرد الأشباح وانما أراد الأفئدة والقلوب والأرواح التى تقدر وتعرف ما يجب ان يكون لهذا الاجتماع الحاشد فى أمكنة الذكريات فى ظل عبادة الله من أهداف تجمع قلوب الموحدين على خطط الحياة العزيزة كما جمعت أشباحهم فى أماكن العبادة والذكريات، بهذا تصلح قلوبنا ونصبح جميعا اخوانا فى الله متحابين متعاونين على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، وعندئذ ننتصر على أعدائنا ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .. قال تعالى :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العده ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون » •

وفقنا الله الى العمل لما يرضيه وهدانا سواء السبيل •

فلسفة الاعياد

فضيلة الشيخ موسى مخلوف

منذ الوجود ، والأعياد تقام تعبيرا عن مناسبات غيرت من مجرى المسيرة الانسانية الى افضل مناسبات فى مضمونها تدل على ايماء الى مكاسب وانتصارات حققها الخالدون أو احداث توحى بالدفع الى تملك المكاسب والانتصارات ، اقامها انسان الغاب فى كهفه وغاباته واحراشه ، وانسان الحضارة فى بيته ومدينته •

والأعياد أول من أطل علينا بها الجد آدم عليه السلام بعد أن استقبل العفو القادم من السماء عن زلته التى انتهت به الى أرض المتاعب والاهوال •

أقامها فى ذاته بصلاة شكر ، وفى بيته مع الجدة حواء بموجة سرور طافت بارجائه •

وهى فى ثوبها الدينى وطابعها الوطنى تحمل معنى بيلاومغزى ساميا يظهر أثرها على الانسان فى شتى تصرفاته

فالأعياد الوطنية كأعياد الاستقلال ذكرى عطرة لابطال انتزعوا حرية أوطانهم .ماء حارة فائرة سالت على التربة

تنبت الغرسة الكريمة وتمـد
لشجرة بالنبض الحى، وتغذيها
تى تتسلمها ايد باسلة امانة
صونة •

تقبل فيفوح منها عبير النضال
خلق القيمة الحقيقية للوجـود
الانسانى وتضمخ الجو بذكرى
الذين قدموا حياتهم ايثـارا
وتضحية فداء المبـدأ
والعقيدة وخرجوا من دنيـا
أعمارهم قبل خريفهـا الطبيعى
وكانت دماؤهم وقودا لمشاعل
الحرية التى ارتفعت فوق تراب
مولدهم • فأضاءت الطـريق
وانارت الدرب امام الاجيـال
الصاعدة ، الأمناء على الأمة فى
المستقبل من أيامها تقام هـذه
الأعياد حتى لاينسى الأبنـاء
والاحفاد الطريق الذى مر منه
الاجـداد والآباء حتى لاينسى
الأحفاد الكرم الانسـانى فى
أوقات العسرة والسـخاء
البشرى فى اللحظات الحـرجة
من حياة الأمة محنة خاضـها
الاجداد والآباء فكانت منحة ينعم
فى ظلها الابناء والاحفـاد •
والأعياد الدينية فى مظهرها المادى
تكشف عن منابع الخير المستكنة
عند البشر وتحـرك الدفين من
نوازع الكرم وتهز المشـاعر
والأحاسيس بالدعوة الى البـذل
وتحدد الاتجاه لمن يصـب له
العطاء وتزف اليه المنح وترفـع
اليه الهدايا ، وتسلط الأضواء
على الذين دق باب حياتهم العوز
وحلت عندهم الحاجـة واقبلت
طفيلية واطالت المقام •

تاتى الشخصية الباذلة بدافع
الدين والانسانية وقد مـلات
قبضتها بالعون المادى تلقى فى
القلوب المالومة بارقة امل تزيل
بها العسرة وتمحو الشـدة
فتلفها اشراقات السعادة ويعم
كيانها جمال العيد وجلاله

تروى حفصة بنت سـيرين
ان امرأة قالت : يارسول الله هل
على احدانا بأس اذا لم تخـرج
لانها لاتجد جلبابا ؟ فقـال :
لتلبسها صاحبتها من جلبابهـا
فليشهدن الخير ودعوة المؤمنين

واذا كانت الاعياد الدينيـة
نلمس فيها التكافل الاجتماعى
والتعاونية المادية فى قمتهافانها
كالأعياد التى استحدثها البشر
كالربيع والحصاد تتمتع بطابع
الترفيه عن النفس من عنـاء
السفر عبر الحياة

فالانسان مع سعيه الى الغد
وزحفه نحو المستقبل ليحقق
الفكرة ويبرز الحلم مجسـما
وضربه أكباد عقله وغوصـه
بزنده واظافره ليبنى ويشـيد
ويعمر أثناء مسيرته ليقرر مصيره
بالسهر والعرق والدموع • تكاد
أن تأخذ عليه الحياة بضراوتهـا
السبيل وتقطع عليـه الدرب
لتطويه تحت عجلاتها وتطحنـه
تروسها وتلتهمه شراستها • فى
حاجة الى لحظات هـدوء
وسويعات راحة يلتقطها من بين
حبات العرق فياخـذ النفس
الطويل ليدفعه عـلى المضى فى
المسيرة ، وينفض عن نفسه غبار
الاجهاد النازل به ويجفف عرق
الأعياء ويستجمع قـواه التى
تبددت ويرد الى ماكينته البشرية
مانفذ منها من نشاط حتى اذا
ماضم الشتات وجمع الشـمل
عاود الزحف بقوة من جديد

وفى الأعياد تظهر البشرية
على طبيعتها القابعة فى شعور
طبيعة الطفولة تظهر مع وقار
الكبار منطقة فى مجـال المرح
المضبط بنظم الدين وقيمـه
وتعاليمه والترفيه المعتدل سرور
رشيد لهو متزن انطلاقة مباحة
بريئة : نظيفـة بعيدة عن
مرتبة الشراهة والنهـم ••
والعب من الحياة بلا رقيب أو
وازع أو حساب

يقول تبارك وتعالى (قـل من
حرم زينة الله التى أخرج لعباده
والطيبـات من الرزق) ويقول
سيد الخلق صلى الله عليه وسلم
روحوا القلوب ساعة بعد ساعة
فان القلوب اذ أكلت عميت)

وحين أنكر ابو بكر رضى الله
عنه على عائشة رضى الله عنهـا
غناء جاريتين كانتا تغنيان عندها
فى يوم عيد قال عليه السـلام
ياأبا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا
عيدنا وعن أنس رضى الله عنـه

قال (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد للانصار يومين يلعبون فيهما فقال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما .. يوم الاضحى ويوم الفطر)

ولاتبلغ الأعياد مداها المشرق الا بالسمو عن هواتف الجانب الصدىء المنطبع فى القلب من تلاحق تصرفات البشر المنحرفة فيعبق الجو بأريج التسامح وترفع القطيعة المفتعلة وتتعانق القلوب والارواح معلنة العفو عند القدرة التى رفعت السماء صاحبه الى مرتبة الرضا عنه (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)

ونال منها لقب المحسن عن جدارة واستحقاق ووضع اسمه فى سجل الذين يقفون من الاساءة التى تصايحت حولهم وتضاربت معتركة وكادت أن تحدث ربكة فى مجرى حياتهم ونكسة فى سلوكهم النظيف بعقل منضبط ويسكبون ماء الاتزان لازالة اثار النكسة ليمضى الركب الانسانى معافى من التعثر والالتواء

وعيد الاضحى رمز للفدائية المتأصلة فى أسرة ابراهيم عليه السلام وذكرى لافتتاح اكاديمية التضحية من أجل المبدأ والفكرة والعقيدة والتربة

ففى بحار الرمال والوحدة والاغتراب بمكة أقامت هاجر على وليدها تطاردها تسلطات سارة وشبح الرق القادمة به من أرض مصر بعد أن انتصرت على الصعاب وتفوقت على المتاعب وتصعدت قوة ارادتها فكسبت الجولة على الاهوال التى تصدت لها تحميه وتربيه تظللهما رعاية السماء

(ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

ولما علت القامة ، نضج العقل كان الاختبار بعد الانتصار على الصحراء لمعرفة مدى تغلغل الفدائية فى نفوس أفراد الاسرة

صدر الأمر الى ابراهيم بذبح ولده ... وبيده قربانا فكان التسليم من كل الأسرة .

عرض الأمر على ولده (يابنى انى ارى فى المنام أنى اذبحك فانظر ماذا ترى

انصاع اسماعيل للأمر **(ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين)** يروى التاريخ لما هم ابراهيم بالذبح التقت عيناهما قال الذبيح : ياأبت اتخذ موضعا لاترى فيه وجهى حتى لاتصاب بالضعف والدوار .

(قال تعالى حكاية عن ذلك)

فلما أسلما وتله للجبين وناديناه **أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين ـ وفديناه بذبح عظيم .**

وهاجر كأم ـ أدت الأمانة التى تسلقت على كتفيها بجدارة وكان صبرها ملحمة رائعة ومنطلقا لان ينبت الله من الشجرة رسولا ونبيا بدل من طبعة التناقض البشرى وأقام على الأرض دينا أساسه الحرية والعدالة والمساواة

وبعد :

ونحن على مشارف الأعياد نقف بانتباه نتذاكر ملاحم الابطال وسير الخالدين ونغذى بها بشر الغد وطلائع المستقبل نقف بتيقظ نأخذ منها العبر لتكون عونا لنا على المضى فى المسيرة ، وتقدم الذات وجهدها والوليد ورعايته فداء الوطن وسلامته وتقرر المصير العربى فوق تربته بنصر يمحى النكسات التى طافت بنا ويتحدث عنه عظماء العالم وصانعو التاريخ

فرحة العيد

الأستاذ توفيق على وهبة

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر

لا اله الا الله

الله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة وأصيلا
لا اله الا الله
وحده
صدق وعده
ونصر عبده
وأعز جنده
وهزم الاحزاب وحده

هكذا يستقبل المسلمون عيد الفطر المبارك مكبرين مهللين ، فرحين مستبشرين ، بعد أن جاهدوا أنفسهم فى شهر رمضان وانتصروا عليها فصاموا نهاره ، وقاموا ليله ، يعمرون بيوت الله التى أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، طائعين خاشعين عابدين متقربين الى مولاهم بالصلاة وتلاوة القرآن الكريم

لقد كان شهر رمضان مناسبة طيبة لأن يعود كل مسلم منا الى نفسه يحاسبها عما ارتكبت من المعاصى من قبل حتى يتجنبها مرضاة لله سبحانه وتعالى وتنفيذا لأمره ورمضان هو شهر العبادة والخير ففيه يمد الصائمون ايديهم الى اخوانهم الفقراء والمساكين ، ويصلون اقاربهم وذويهم وأصدقاءهم وجيرانهم

أيها القارىء العزيز ..

اليوم وقد انتهى شهر الصوم المبارك ، وانتهت أيامه ، وقد أدينا مافرض علينا فيه وانتصرنا اعلاء لكلمة الله ولدينه فما أحرانا اليوم أن نسير على نفس الهدى ، ونسلك نفس الطريق ، ونستمر بعد رمضان كما كنا فى رمضان ، فنعمر بيوت الله ، ونتدبر القرآن الكريم ، ونعطف على المحتاجين ونصل الأقارب ، ونعمل كل ماهو خير لنا ولبلادنا

واليوم يبتهج المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها باستقبال هذا العيد فرحين برضوان الله عليهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا كانت ليلة الفطر ارتجت الملائكة وتجلى الجبار سبحانه وتعالى بنوره الذى لايصفه الواصفون فيقول للملائكة وهم فى عيدهم : يامعشر الملائكة ماجزاء الأجير اذا وفى عمله ؟ فتقول الملائكة يوفى أجره فيقول الله تعالى : اشهدكم أنى غفرت لهم »

ويقول عليه الصلاة والسلام

« اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا أغدوا يامعشر المسلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم واطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فاذا صلوا نادى مناد الا ان ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم ، فهو يوم الجائزة يوم البراءة من الذنوب والطهارة من العيوب والنقاء من الأدناس والكروب »

وللناس فى رمضان عادات توارثوها على مر الأجيال ، فيلبسون فاخر الثياب،ويطهون أشهى المأكولات ، ومنهم من يسرف فى ذلك ، ومنهم من يقتر ، وقد نسى هؤلاء وأولئك أن بينهم الجائع والعريان ، والمسكين والفقير ، واليتيم والمحتاج • وقد أمرنا أن نكفى هؤلاء حاجتهم حتى يستقبلوا العيد فرحين مستبشرين كما يستقبله أخوانهم الميسورون وحتى نمنعهم حاجة السؤال فى يوم العيد ففرض الله سبحانه وتعالى على الصائمين أن يخرجوا زكاة فطرهم فى صباح يوم العيد أو فى أواخر شهر رمضان المعظم ليساعدوا أخوانهم الفقراء والله سبحانه لايقبل الصوم من الانسان الا اذا أخرج زكاة الفطر فبعد انتهاء رمضان يبقى الصوم معلقا بين السماء والأرض لايرتفع الا بدفع الزكاة

أخى القارىء ••

فى هذه المناسبة يجب ألا تغمرنا فرحة العيد فننسى ما نواجهه من ظروف عصيبة ، فلا يزال العدو يحتل جزءا من أرضنا ، ولازلنا نعد العدة لقهره وواجبنا الا نسرف فنكلف الدولة أعباء فوق طاقتها ، بل علينا ان نتدبر أمورنا وأن ننفق فيما هو ضرورى وأن ندخر ليوم سنواجه فيه عدونا المتربص بنا وألا ننسى التبرع لاخواننا ضحايا العدوان الغادر ، فواجبنا أن نكفل لهم الحياة الحرة الكريمة وأن نتكافل جميعا فى اشعارهم بأننا نحس بأحساساتهم وأننا نقف بجانبهم أيدينا فى أيديهم ، لنتعاون جميعا على ازالة آثار العدوان يجب ألا ننسى قواتنا المسلحة ، فاخواننا وابناؤ البواسل الرابضين على خط النار لن يستطيعوا أن يتركو واجبهم النبيل ليقضوا معنا أيا العيد ، ولذلك يجب ان نذهب نحن اليهم حيث هم وأنها للفتا كريمة من الاتحاد الاشتراكى العربى ، فاليوم يقوم رجال التنظيم الشعبى بزيارة جنودن فى الجبهة ليقدموا لهم تهنئة الشعب بالعيد ، وليقدموا لهم الهدايا الرمزية تأكيدا لوقوف الشعب بأسره خلفهم ،ولتماسك جبهته الداخلية واستعدادها لتقديم كل ماتحتاجه قواتها المسلحة من دعم مادى ومعنوى

وأننا لننتهز هذا اليوم المبارك **الميمون فندعو الله جلت قدرته أن ينصرنا على أعدائنا وان يكون دائما عونا ونصيرا لنا ، لتبقى كلمته هى العليا ابدا •• كما ندعوه سبحانه وتعالى ان يوفق قائد هذه الأمة وزعيمها المناضل جمال عبد الناصر ليسير بها من نصر الى نصر •• والله سبحانه الناصر لعباده القاهر لاعدائه انه نعم المولى ونعم النصير**

من صور الابتهاج بالعيد في تعاليم الاسلام وسنن التقاليد

الدكتور علي صافي حسين

لقد فكرت وأطلت التفكير فيما ينبغى أن أتحدث فيه الى قراء (منبر الاسلام) الغراء ، بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك .. فهدانى الله - سبحانه - الى تحليل السلوك الاجتماعى لأبناء الأمة والشعوب الاسلامية ، وما يأتونه من أعمال أيام العيد .. وذلك من الوجهتين الدينية .. والتقليدية فأقول :

لما كان الانسان فى حقيقته وكنه ذاته مركبا من عنصرين متقابلين متغايرين متباينين .. لايكادان يجتمعان فى شيء بعينه لولا أن اقتضت ذلك المشيئة الالهية وجرت به القدرة الربانية التى لايعزب عنها شيء فى الأرض ولا فى السماء .

وذلك العنصران هما : الروح والجسد ، وجه التباين بينهما كون أحدهما من المادة التى تحمل فى مفهومها الذاتى ، وتنطوى فى تكوينها الجوهرى على كل معانى الشر والظلام .. والثانى من النور المحض الذى لا يفيض الا بالخير والرشاد .

أقول لما كان الانسان فى حقيقته مزاجا من المادة والروح كان من الطبيعى أن يجيء سلوكه الظاهرى والباطنى ، أو النفسى والجسدى على ثلاثة أنماط :

الأول - يمثل الجانب المادى وحده .

الثانى - يمثل الجانب الروحى المحض .

الثالث - يصور لنا امتزاج العنصرين .

فمن قبيل الأول على سبيل المثال ما يأتيه بنو الانسان من المأكل والمشرب وقربان النساء

ومثال الثانى: ما يعمل الفرد فيه عقله من التأمل فى الكائنات وتدبر صور الموجودات والتفكر فى خلق الأرض والسموات .

أما الثالث : فيتمثل فى مختلف صور الحياة الاجتماعية وشتى مظاهرها ، فمن ذلك على سبيل التحديد ما نشاهده من الفرح والمرح وكل ما يتسم به سلوك الجماهير من ألوان البهجة ومظاهر المسرة فى أيام العيد . اذ أن البهجة والجذل والسرور كلها أمور معنوية تنفعل بها النفس الانسانية وينبض بها الفؤاد ، ثم تبدو صورة ذلك كله على عضلات الوجه وقسمات المحيا ، وفى حركات مختلف أعضاء الأجساد ، ومن ثم ساغ لنا أن نقول ان جل مظاهر الحياة الاجتماعية تطابق فى تحققها ماهية الانسان وكنهه الذاتى الذى هو مزاج من العنصرين الروحى والمادى ، أو هو على حد تعبير الفلاسفة والمفكرين .. **كل تألف من جزأين هما الحيوانية والناطقية .**

والقصد من كل ما تقدم ان اقول ان الأمم على اختلافها فى الألسنة وتباينها فى الألوان ، وتباعدها فى البقاع ، وتعددها

فى الاصقاع ، قد جرت فى تقاليدها .. وسنن حياتها الاجتماعية منذ أقدم الأزمان على أن يتخذوا أياما معينة يحتفلون فيها كل عام بأنواع من السلوك الاجتماعى الذى يمثل فى وجوده الخارجى حقيقة الانسان بجانبيها الظاهرى والباطنى أو قل الروحى والمادى .

وقد اصطلحت الجماعات البشرية على أن تسمى تلك الأيام أعيادا ، كما تواطأوا فيما بينهم كذلك على أن يعبروا عن كثرة السرور وفرط البهجة عند حلول الأعياد بمختلف أنواع السلوك البشرى سواء فيه ما كان صورة لأحد عنصرى حقيقة الانسان أو صورة لامتزاجهما فى الحقيقة الجزئية التى يقوم بها الشخص ويتراءى فى ظلها كنه كل فرد على حدة من أفراد بنى الانسان .

فمن قبيل الأول ما يطعمه الناس فى يوم العيد من مختلف أنواع المأكل والمشرب اذ اعتادت الجماعات البشرية فى مختلف الأقاليم والأقطار أن يطهوا فى يوم العيد أطعمة معينة لايطهونها فى الأيام العادية — فمن ذلك على سبيل المثال (كعك العيد) .

وأما ما يأتيه الناس فى يوم العيد من السلوك الاجتماعى والفردى الذى يعبر فى مظهره الخارجى عن امتزاج العنصر المادى فانه متعدد كثير ، لا نستطيع أن تحصيه فى مثل هذا المقال ، ولكننا نذكر منه هنا على سبيل المثال ما اعتاد الناس فعله من صلة الرحم ، وتبادل الزيارات والخروج الى الحدائق والمتنزهات، ومن اقامة حفلات الرقص واللهو والغناء وهى فى جملتها أفعال وأعمال تخضع للحكم الشرعى من حيث أنها حلال أو حرام ، وقبل أن نتبين أى حكم من أحكام تلك الأفعال وهاتيك الأعمال نقول ان الاسلام قد شرع لنا عيدين فى العام وسن الاحتفال بهما .. وذلك بعد أن هاجر النبى — صلى الله عليه وسلم — من مكة الى المدينة المنورة اذ لم يكن المسلمون فى مكة من كثرة العدد بحيث يكونون مجتمعا يتأتى معه مثل هذا التشريع .

فقد روى ابن حيان والنسائى بالسند الصحيح عن أنس بن مالك أنه قال :

« قدم النبى — صلى الله عليه وسلم — المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال .. قد أبدلكم الله تعالى خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى . »

ومعنى هذا الحديث كما هو مفهوم من منطوق لفظه أن اللعب مباح فى أيام العيد سواء كان لعبا بالخيول أو بالسيوف أو بغير ذلك مما يعبر به عن البهجة والسرور .

اذ أن قول أنس — يلعبون فيهما — لفظ عام مطلق لم يرد ما يخصصه أو يقيده بل أقول انه ورد فى الصحيحين ما يدل فى صراحة ووضوح على أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان قد أذن للحبش أن يلعبوا فى مسجده الشريف ، كما أذن كذلك لزوجته عائشة أم المؤمنين أن تنظر اليهم وانه كان يقول لهم — على سبيل التشجيع — « **دونكم يا بنى أرفده » وهى كنية ينادى بها أبناء الحبشة عند العرب .**

ويبدو أن ذلك لم يرق عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — لما عرف به من شدة العريكة ، وصرامة الطبع ، اذ أراد أن يمنعهم ، فنهاه عن ذلك النبى — عليه الصلاة والسلام — فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة — رضى الله عنه — انه قال ..

« بينما الحبش يلعبون عند النبى — صلى الله عليه وسلم — بحرابهم دخل عمر فأهوى الى الحصباء فحصبهم بها ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دعهم يا عمر » .

وقالت عائشة زوج النبى — صلى الله عليه وسلم — « **لقد رأيت النبى — صلى الله عليه**

وسلم ـ يسترنى بردائه وأنا انظر الى الحبش يلعبون فى المسجد » .

فمما ذكرت ومما لم أذكر من الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا المقام أستطيع القول بأن الدين الحنيف قد شرع لنا الاحتفال فى يومى الفطر والنحر وفى أيام التشريق بشتى مظاهر الفرح والبهجة وبمختلف وسائل التعبير عن معانى الجذل والحبور ، ولكن فى غير ما اقتراف اثم ولا اجتراح سيئة ولا قربان أمر ورد بتحريمه نص غير محتمل التأويل فى السنة الصحيحة أو الكتاب أو اجتمع فقهاء المسلمين عليه فى أى عصر من العصور .

والقصد من كل ما تقدم أن أقول اذا كانت الأمم المتحضرة ، والشعوب المتمدينة تتخذ لها أياما معينة تحتفل فيها كل عام بما تدعيه لنفسها من المآثر والأمجاد بقصد المضى فى الرقى الاجتماعى والتطور الفكرى ، والتفوق على الغير فى شتى مرافق الحياة .

أقول اذا كان مثل هذا قد حدث ، **ويحدث لدى الأمم ذات الوعى الاجتماعى والنضوج العقلى ، فان الأحرى بالشعوب الاسلامية والأمة العربية ، أن يتخذوا من يوم العيد مناسبة مباركة يتأملون فيها واقع حياتهم الدينية والاجتماعية فما وجدوه منها حسنا نموه وطوروه ، وما وجدوه قبيحا نبذوه وغيروه .**

فالمحبة والوئام والاتفاق والانسجام والتضامن والتكاتف والتآزر والاتحاد فى سبيل الغاية الشريفة والهدف النبيل ، كلها أمور تمر بخاطر كل ذى ضمير حى وعقل مستنير من أبناء العروبة والاسلام اذ أن يوم العيد يذكر بلا ريب جميع المسلمين بماكان عليه المهاجرون والأنصار والمسلمون الاولون من القوة والمنعة والشوكة والسلطان بفضل ما من الله عليهم به من التآلف والتحاب والتضامن والاتحاد .

أما الفساد الاجتماعى ، والانحلال الخلقى ، والفرقة فى الصف ، والاختلاف فى الرأى والتباغض والتشاحن والانقياد الى الرغائب الشخصية والأهواء الفردية ، فانها أمور ممقوتة يحرمها الدين ويأباها المجتمع السليم . وبالتالى فانالمسلمين الصادقين يستشعرون وهم يحتفلون بحلول العيد المبارك أن تلك الأحوال هى العوامل والأسباب فى كل ما انتهىاليه حال العرب والمسلمين من قلة الحيلة وضعف الوسيلة والهوان على الغير .

وأما ما يأتيه بعض الناس من شرب الخمور وفعل الفجور ، واقامة الحفلات الحمراء التى ترتكب فيها المعاصى والآثام بحجة الابتهاج بالعيد السعيد ، فانه أمر غير سديد لا يبيحه الدين ولا تقره التقاليد . اذ أن الأوساط الاسلامية خاصة ، والبيئة الشرقية بوجه عام ، تأبى الرذيلة ولا تستسيغ غير الفضيلة .

هذا على أنعلماء المسلمينقد اختلفوا ـ منذ صدر الاسلام حتى الآن ـ فى الحكم على الرقص والغناء والضرب بالدف والعزف بالمزمار ، فبعض أباحه وبعض كرهه ، والبعض الآخر قال انه حرام .

والذى أميل اليه او أرتئيه هو أن نخصص ولا نعمم ، وأن نقيد الأحكام بأن نفرق فىالحكم الشرعى بين الرقصة الشعبية والرقصة الغربية التى يعدها البعض من قبيل الفن الرفيع فالأولى مباحة لا اثم فيها لانها تعبر فقط عن الفرحة والبهجة أما الثانية فانها حرام لأنها مثارة للشهوة ومدعاة للفساد .

وكذلك الحال فى استعمال المزمار والضرب بالدف ورفع الصوت بالغناء ، فان ذلك كله مباح ما دام خلوا من الفتنة غير مثير للدافع الجنسى .

ولست أقول هذا عن هوى نفسى أو رغبة شخصية ، انما قلت ما قلت بناء على ما يعطيه الحديث الصحيح :

فقد روى البخارى ومسلم عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت : ان أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى ـ فى عيد الأضحى ـ تغنيان وتضربان والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ متغش بثوبه . فانتهرهما ابو بكر فكشفالنبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: دعهما ياابا بكر فانها ايام عيد

وقصارى القول فى هذا المقام ان يقال ان الابتهاج بالعيد أمر حميد اباحه الدين واقرته التقاليد ، ولكن فى غير ما ارتكاب لمعصية ولا انتهاك لحرمة ولا مخالفة لامر حظره الدين .

واجبنا بعد شهر رمضان

الأستاذ
عبد العال السيد شعيب

تمر بنا المناسبات الدينية المختلفة . بعد أن نتزود من معينها الذى لاينضب، بفيض من الهدى والنور الذى ينفعنا فى دنيانا ، ونرجو أن يكون خير زاد لنا ننتفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وقد عشنا شهر رمضان ، فى اشراقه وتجلياته ، عشناه شهرا كاملا بعد زمن قضاه الانسان فى جهاد العيش : وقدم ليوقظ فينا روافد الخير ، ويثير فينا كوامن البر ، ويحفزنا الى فعل المعروف ، ويدفعنا الى حياه كلها جهد وعمل وكفاح .. عشنا هذا الشهرالكريم نصوم نهاره ونقوم لياليه ، والصوم تطهير وتهذيب ، تطهير لقلوبنا ،وتطهير لحواسنا ، فالقلب يطهر من الغش والحسد ، والحقد والضغينة ، اذ لا يجتمع صوم مع ظلمة قلب ، والحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فيس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه » .

ومعنى ذلك أن الصيام ينبغى انيكون ضابطا للانسان ، فلا ينحرف بقلب أو بلسان ، والمجتمع كالافراد ، كما أنه فى حاجة الى حوافز ، هو فى حاجة الى ضوابط ، تقف بين المرء وبين فعل السوء » حتى يحصل التقوى الذى جعلها المولى تبارك وتعالى ثمرة الصيام فى قوله تعالى فى محكم كتابه : (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فالتقوى هى جماع الامر كله ، فمن حصلها كان صومه مقبولا عند الله ، ومن لم يحصلها فقد خسر كل شىء . ولم يحصل الا على جوع أو ظما أو تعب .. وشهر رمضان تطهير للحواس ، فهو يطهر اللسان فلا ينطق فحشاء ، ولا ينشر شائعة ضارة ، لان هذا اللسان مضبوط فى شهر رمضان بذكر الله وقراءه القرآن ، فمن اطلق بالكلام فيما لا يعنى كان خائضا فى الباطل ، وكان مضيعا لنتيجة صومه ، والقرآن الكريم يحذر من الاستماع الى الباطل ، وينفر من الجلوس فى مجلس تستبيح فيه الالسنة فيما يضر بالفرد أو الامة قال تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) ويجعل القرآن الكريم كذلك الانسان الذى يخوض فيما لاينفع، ويطلق لسانه فيما يؤذى يجعله من الذين يساقون الى النار يوم القيامة مع مرتكبى الذنوب الكبيرة . قال تعالى : (ما سلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) .. وحرصا من القرآن الكريم على سلامه المجتمعات من نشر الشائعات ، وافشاء الاسرار يجعل التناجى بين اثنين امرا غير مرغوب فيه ، لأنه مظنة اختلاق الأنباء الكاذبه ، والاستماع الى الوشايات المغرضة ، اللهم الا فى ثلاثه مواضع يكون فيها النجوى مطلوبة ، وهى أن يأمر الانسان بالبذل والعطاء ، تدعيما لمبدأ التكافل الاجتماعى ، أو يأمر بالمعروف أو يصلح بين الناس .. قال تعالى : (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) .. وشهر رمضان يطهر العين فلا تبصر الا ما ينفع ، ولا يترك لهاالعنان لتحدق فى استار البيوت تتطلع الى ما فيها ، أو الى ما حرم الله ، ويطهر الاذن فلا تسمع الى الوشايات ولا الى الغيبة والنميمة ، ولا تتجسس على الأبرياء لأن الله تعالى يقول : (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، انبعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم) . وماأجمل قول القائل :

اذا لم يكن فى السمع منى تصاون
وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى اذا من صومى الجوع والظمأ
فان قلت انى صمت يومى فما صمت

هذا الانسان الذى يربى تلكالتربية عن طريق الصوم يكون لبنة طيبة فى المجتمع ، والمجتمع الذى تسوده هذه الأخلاق الكريمة ، وهذا السلوك الرشيد يكون مجتمعا قويا موحدا فى فكره وفى ارادته وفى عمله ، حتى اذا ما دعا الداعى الى موقف من مواقف النضال ، نهض ابناؤه سراعا يحملون ارواحهم على أكفهم ، ولا يبالون أوقعوا علىالموت أم وقع الموت عليهم .. وشعارهم قوله تعالى : (وعجلت اليك ربى لترضى) ومن ايماءات شهر رمضان أن اشهر المواقع الحاسمة فى تاريخنا الاسلامى وقعت فيه ، فغزوة بدر الكبرى التى فرقت بين الحق والباطل كانت فى السابع عشر منه من السنة الثانية للهجرة ، وقد سمى القرآن الكريم يومها بيوم الفرقان (وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقىالجمعان) ووقع فيه فتح مكة الذى كان ثمرة كفاح موصول من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه » ودخلها الرسول والمؤمنون معه ، وهو يردد قوله تعالى : (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) .

وفيه ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، وتذكرنا بنزول القرآن هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين (انهذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحاتانلهم أجرا كبيرا ، وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) .

وها قد مضى شهر رمضان .. فما هىالدروس المستفادة التى حصلناهامنه ان تطهير القلب والجوارح ليس مسالة عرضية تحدث مع رمضان ثم تزول ، كلا ، بل انها من الصفات التى اذا اخذ بها المرء نفسه كانت صفة ملازمة له ، فيحيا دائما نظيف القلب طاهراللسان ، نقى السريرة ، ولهذا ينبغى أن يكون سلوكنا بعد رمضان فى اطار هذا الطهر الذى حصلناه بالصيام .

وفى شهر رمضان جاهدنا انفسنا لنتهيأ الى جهاد الأعداء ، فلنحافظ على هذا الشرف : شرف جهاد النفس ، وشرف اعداد العدة للمعركة الحاسمة المصيرية ، جهاد الصهاينة الغادرين الذين اعتدوا على مقدساتنا وارضنا العزيزة ، والدم لا يغسله الا الدم » .

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

فلنكن جميعا مستعدين للمعركة ، كل فى الموقع الذى يعمل فيه ، سواء فى خط المواجهة للعدو أو فى الجبهة الداخلية ، والجهاد اليوم فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، ولنتذكر ان الاقدام لا ينقص من عمر الانسان لحظة ، كما أن الاحجام لا يزيد فى عمره لحظة ، (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه كثيرا ما يوصى سيدنا خالد بن الوليد بقوله : يا خالد فر من الجاه يتبعك الجاه ، واحرص على الموت توهب لك الحياة .. وفعلا نفذ سيدنا خالد هذه التعليمات الهادية ، واشترك فى معارك طاحنة جهادا فى سبيل الله حتى حضرته الوفاة وهو على فراشه ، حينئذ تذكر وصية صاحبه أبى بكر فكشف عن جسده . وقال والدموع تنثال من عينيه : لقد خضت كذا وكذا زحفا ، ولم يبق فى جسدى موضع الا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم ، وهاأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء»

ونستفيد من رمضان وجوب المحافظة على كتاب ربنا تبارك وتعالى ، بان نجعله حكم ما بيننا ، وان ننزل على هداه ، وان نحافظ عليه من كيد الأعداء الذين يحاولون تحريفه ابتغاء فتنة المسلمين» واعداء القرآن اليوم يمثلون جبهة متحالفة من الصهيونية والاستعمار العالمى ، « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا يتم نوره ولو كره الكافرون » فلنأخذ انفسنا بهدى هذا القرآن الكريم ، ولنجعل قيم رمضان ومثله الرفيعة حية بيننا دائما نستضىء بهديها ،ونستظل بلوائها، ونعقد العزم المصمم على أن نحرر ارضنا من عدوان المعتدين ، وأن نعيد أيام بدر والفتح ، حيث اتم الله نعمته على المؤمنين » بالنصر المبين وقد كتب الله النصر للمؤمنين به المستمسكين بتعاليمه، فى كل زمان ومكان حيث قال (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) .

نحن و الأعياد

فضيلة الشيخ
محمد المبارك عبد الله

الأعياد فى الاسلام من التشريع الاجتماعى الذى يبدو فيه التمدن الاسلامى ، ونرى فيها كيف كان المسلمون يعملون للدين والدنيا ، وللحياة الطيبة الكريمة والمعاد السعيد ونلمح كيف كانت آثار العقائد الاسلامية ، والعبادات الاسلامية والآداب والمعاملات الاسلامية ؟ تنعكس على واقع حياة المسلمين فتصلها وتحيلها الى حياة طيبة كريمة تزخر بالرضا والأمل وتشرق بالبهجة والسعادة ، **وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتفل بالعيدين — عيد الفطر وعيد الأضحى . فيخرج للناس فى أجمل ثيابه وكانت له ثياب خاصة يلبسها فى العيدين والجمعة وكان يلبس تارة بردين أخضرين ، وتارة كان يلبس بردا أحمر فيجمع الناس فى صعيد واحد ويصلى بهم ركعتين ، ويتضرع الى الله أن يحفظ عليهم وحدتهم وألا يفصم عرى جماعتهم وان ينصرهم على أعدائهم ثم ينصرف الى الخطبة فيقوم تجاه الناس والناس جلوس على صفوفهم**

فيعظهم ويأمرهم حاثاعلى الائتلاف والتعاون ، ومذكرا بما يجب عليهم لأنفسهم ودينهم ، وكان يغتنم صلى الله عليه وسلم يوم العيد فرصة لاصلاح ذات البين وتسوية الخلافات واستعراض شئون المسلمين ، ومعالجة مشاكلهم ، وكان يقبل على النساء ـ شطر الأمة الثانى فيعظهن ويذكرهن بالصدقة ، فكن يتأثرن بذلك وينافسن الرجال فى هذا الفضل العظيم ، ويتنافسن فيه فيلقين بحليهن فى ثوب بلال استجابة لدعوته صلى الله عليه وسلم ثم ينصرف

وكذلك كانت مظاهر الاسلام بعد عهد النبى تتجلى فى الاحتفال بالعيدين فى الأمصار الاسلامية وعلى الأخص فى بغداد ودمشق وفى مصر وبيت المقدس ، تسطع فى أرجائها الأنوار فى ليالى العيد ، وتتجاوب أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير ، وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بابهى الزينات وتتلألأ الأنوار الباهرة من قناديل المآذن وقصور الخلافة ، وكانت تبلغ هذه الاحتفالات منتهى الروعة فى البلاد الاسلامية التى تقرب من الثغور وتخوم الاعداء التى يرابط عندها الجنود وتقيم بها قوات الدفاع عن الحدود ، ويكون فيها الشعور الاسلامى قويا ، والحماس للدين فى أعلى درجاته مثل (طرسوس) على حدود الروم وغيرها من القواعد الحربية ، حيث يتوافد اليها فى الأعياد غزاة المسلمين من أنحاء الامبراطورية الاسلامية وتستعرض الجيوش ، وتمتحن الذخائر والعدد وترد اليها الأعطيات من بيت المال ، ومن صلات أهل البر من المسلمين الذين لايستطيعون الخروج للجهاد بأنفسهم ، ترفيها على عساكر الاسلام ومشاركة فى دعم القوى الحربية وتنمية الجيوش الاسلامية

هذه أيها القارىء الواعى ـ حكمة العيد فى التشريع الاسلامى وهذا شأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى العيد ، وشأن سلف الامة الصالح من بعده ، وقد سعدوا فى ظلال هذا التشريع الحكيم ، وجنوا ثمراته حين أخذوا أنفسهم به ووقفوا عند حدوده ، فكانوا المثل الأعلى للجماعة الفاضلة المتكافلة التى يحس كل عضو منها بما يحس به الاخر ، ويسودها العدل والمحبة التضامن والتناصر ، وتحوطها العزة والمنعة ويتوجها المجد والفخار

ان التاريخ الاسلامى زاخر بالأسى والعبر ، وما فرط المسلمون فى حضارتهم ولا فى جهادهم من شىء وما علينا الا أن نفهم ـ ونحن فى هذه المحنة المتحنة ـ العيد وغيره من التشريع الاسلامى كما فهموا ونعيش فى التعاليم الاسلامية كما عاشوا فيها ، ونسير سيرتهم فى الأخذ بها ونسأل الله أن يصلح حالنا ، وينصرنا على أعدائنا ، ويبارك نهضتنا ، ويبلغنا الكمال *الذى بلغوا فى العزة والمنعة* والتفوق فى الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية

ان الاسلام بحق دين التمدن والحضارة الفاضلة ، دين العزة والقوة البانية ، دين الأمن والسلام والعدالة . شرع لصلاح الدنيا وصلاح الاخرة ، وخطط لسعادة الدنيا والاخرة ووجه الى التوفيق بين مطالب الجسد ومطالب الروح ، ونأى عن غلو الغالين ، وكبت المتزمتين ، كما نعى على انطلاق الفجار ، واستهتار المستهترين ، وكان بين ذلك قواما ويتجلى هذا السمو وتتضح هذه السماحة فيما شرع للافراد ، وفيما شرع للجماعة قال تعالى : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين» وقال **سبحانه (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار .**

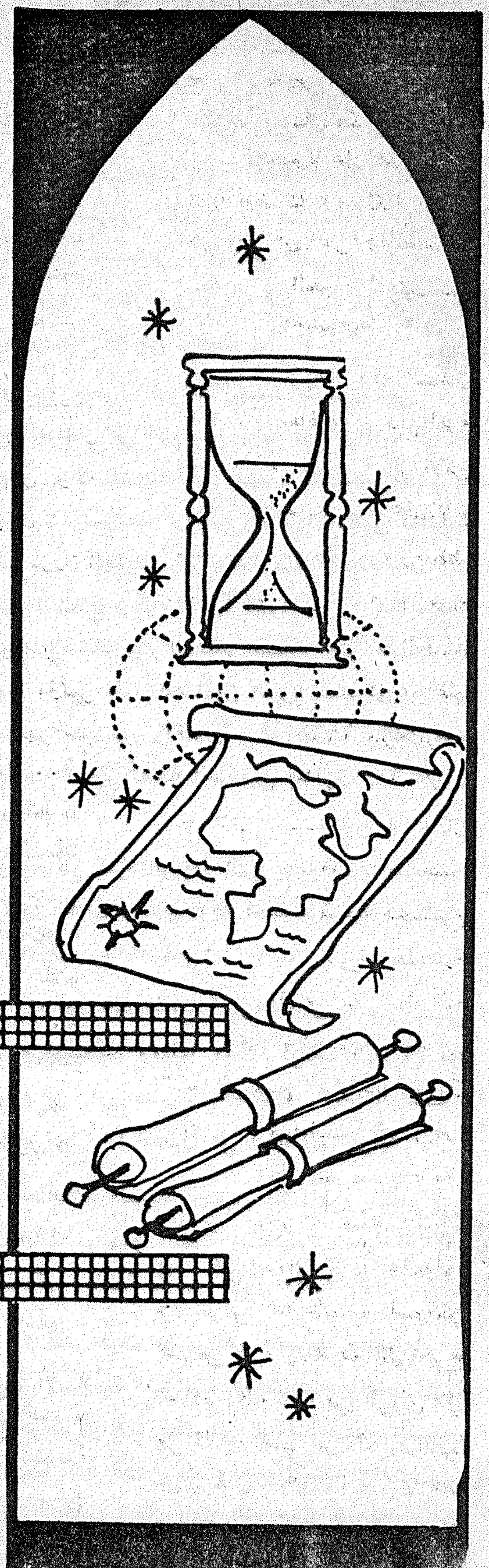

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى
دوله وشعوبه

الدكتورة عنايات الطحاوى

انه نظرا لعقد مؤتمرات المسلمين فى كل من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة السعودية فى هذه الظروف التى تمر بها الأمة الاسلامية العربية له مغزى كبير حيث يتقابل علماء الأقطار الاسلامية ليرسموا الطريق الذى يجب ان يسيروا عليه لاستخلاص فلسطين والأراضى العربية المحتلة من يد اسرائيل السارقة والتى عرفت منذ تاريخ وجودها باللصوصية والبغى والغدر .

ومهمة هذه المؤتمرات ليست مقصورة على اذكاء روح الحماس فى المواطنين وتعريفهم بواجب الجهاد المقدس والاستشهاد فى سبيل قضيتهم المصيرية الكبرى . ليس هذا واجب العالم الاسلامى فحسب وانما دوره الطليعى أن يتقدم صفوف المقاتلين وان يحمل السلاح ويكون قدوة للمواطنين . هذا ماقاله فضيلة الاستاذ عبد الستار السيد مفتى سوريا وعضو مؤتمر علماء المسلمين الذىاجتمع فى القاهرة فى شهر سبتمبر واكتوبر سنة ١٩٦٨ والذى ضم حوالى ٣٠٠ من العلماء المسلمين يمثلون ٦٠٠ مليون مسلم .

وهذه هى المرة الرابعة التى يلتقون فيها ليبحثوا فى أمور الدين والدنيا وقد احتلت قضية فلسطين المقام الأول من الاهتمام .

ولهذا أعد العلماء المسلمون ١٧ بحثا عن القدس وقضية فلسطين ومثلما بحثوا موقف اليهود من الاسلام فى كل عصوره فقد قلبوا كتب اليهود واستخرجوا منها الدليل على نوايا الصهيونية .

وقد افتتح السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى جلسة المؤتمر الاولى بكلمة قال فيها

(لقد عنيت مؤتمراتكم السابقة بجوانب من الحياة الاسلامية تشريعية واجتماعية واقتصادية ولكن مؤتمركم هذا يعقد فى ظروف امتداد العدوان الصهيونى على أرض العروبة والاسلام وانتزاع المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله من ايد مؤمنة أمينة . المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين

ومسرى النبى عليه الصلاة والسلام • من أجل ذلك خصصتم مؤتمركم هذا للقضية المصيرية الكبرى وأنتم فى هذا تستجيبون للمرحلة التى تمر بها أمتنا دفاعا عن مقدساتنا وارضنا السليبة)

وهكذا اجتمعت كلمة علماء المسلمين فى جميع انحاء العالم على اعلان الجهاد المقدس وتجنيد الجنود وخوض المعركة •

وعلى المسلمين جميعا أن تتضافر جهودهم ويتساندوا للانتصار على الصهيونية والأستعمار

وقد اعقب مؤتمر القاهرة مؤتمر المملكة العربية السعودية ومثل القاهرة فيه وفد اسلامى برئاسة السيد سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وتدارسوا فى هذا المؤتمر قضية فلسطين والعدوان الأسرائيلى الغاشم على الدول العربية الاسلامية

وقد اتفقت آراء علماء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها على الوقوف صفا واحدا أمام هذا العدو الاستعمارى البغيض •

واذا كان العالم الاسلامى قد اتحدت كلمته وجهاده اليوم أمام هدا العدو المغتصب فان اصول وحدته قائمة منذ الأزل وسنوضحها فيما يلى :

معالم الوحدة الاسلامية الكبرى

تكون دول العالم الاسلامى وحدة جغرافية واقتصادية طبيعية تامة ففيها المناطق الحارة والمناطق المعتدلة والباردة وفيها السهول الخصبة الواسعة وفيها الأنهار العظمى والغابات العظيمة الشأن والجبال التى يرتفع بعضها الى أكثر من ٣٠٠٠ متر وتكسو ذراها الثلوج كما توجد فيها المنخفضات والأغوار • ونجد بها أيضا الصحارى الشاسعة التى تتخللها الواحات وتنفجر فيها الينابيع وفيها الخلجان الكبيرة والصغيرة التى يصلح بعضها لأقامة أعظم المرافىء والقواعد التجارية والعسكرية وفيها العديد من البحيرات الحلوة والمالحة ومغاصات اللؤلؤ والمرجان ومصايد الأسماك •

وفى مختلف أقاليم هذا الوطن الكبير معادن كثيرة منها ما اكتشف واستغل منذ القديم ومنها ما اكتشف واستغل حديثا • وأهم أنواع الثروة المعدنية النفط والغاز الطبيعى فقد اكتشفت منه مقادير عظيمة يعود منها مورد ضخم والدراسات الفنية تدل على وجوده فى مناطق عديدة اخرى

وفى العالم الاسلامى مساحات واسعة تصلح لمختلف انواع الزراعات الحارة والمعتدلة والباردة والموسمية ومنها المستغل استغلالا جيدا ومنها مايزال استغلاله يقوم على الأساليب البدائية

وفى العالم الاسلامى حركة صناعية غير يسيرة يتسع نطاقها يوما بعد يوم والدراسات الفنية تقرر أن هناك امكانيات عظمى طبيعية وجغرافية فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى للتوسع فى هذا المجال حتى يمكن تحقيق الأكتفاء الذاتى والأفاضة منه على الخارج •

ومركز العالم الاسلامى الممتاز وثرواته وكنوزه العظيمة قد جعله منذ أقدم الأزمنة الى الآن ذا خطورة كبيرة جدا فى عالم الحرب والسياسة والحضارة والمواصلات •

وللعالم الاسلامى مميزاته الكبرى التى ينفرد بها عن غيره فهو منشأ الحضارة الانسانية ومهدها حيث شعت فيه أنوارها الأولى وخطا فى مضمارها خطوات واسعة بينما كان العالم غارقا فى ظلمات الجهل سواء من ناحية العمران الذى تشهده آثاره العظمى قائمة الى الآن فى وادى النيل أو من ناحية الثقافة التى كان أبرز مظاهرها اختراع الكتابة والقراءة ثم العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والزراعية • أو من ناحية التشريع والحكمة

ثم من ناحية الفنون الأخرى من موسيقى ونحت وتصوير ونقش وشعر وأدب وكذلك من ناحية التنظيم الأدارى والعسكرى مما كان وما يزال من الأسس التى قامت عليها حضارة العالم منذ القديم الى الآن •

ومن مميزاته الكبرى أنه مهبط وحى الأنبياء الذين دعوا الى التوحيد فتلقوا كتب الله وشرائعه

المقدسة وانتشرت منه حتى شملت المعمورة واشرق بها الكون واهتدى ·

وقد نشأت فيه امبراطوريات عظمى قبل الاسلام وبعده منها ماكان مركزه مصر ومنها ماكان مركزه العراق أو الشام وشمل قسما كبيرا من اسبانيا وهو الأندلس كما شمل جميع البلاد الايرانية واقطار الترك والسند والأفغان والبلوج حتى الصين والهند وجزر الهند الشرقية كذلك نجده قد امتد من آسيا الصغرى الى بلاد الخزر والقوقاز والأرمن شمالا ·

وأركان الوحدة تتوافر فى العالم الاسلامى وأهم هذه الاركان ما يلى

١ – الوحدة الروحية الدينية

ان توفر الوحدة الدينية والروحية فى وطن ما يجعل قيام الوحدة بين أبنائه وأجزائه أيسر تحقيقا وأدعى الى التواثق والترابط بين أبناء الوطن واجزائه والوحدة الدينية أو الروحية متوفرة فى الوطن الأسلامى اليوم بأقوى مظهرها وأوسع مداها · وقد كانت هذه الوحدة وما تزال من أهم مظاهر حياة سكان هذا الوطن فى مختلف أجزائه منذ قرون عديدة ترجع فى بعضها الى اربعة عشر قرنا وفى بعضها الى أثنى عشر قرنا وفى بعضها الى عشرة قرون وهكذا دخل الاسلام الى جميع اجزاء هذا الوطن بعد قليل من ظهوره ثم أخذ ينتشر حتى تم له الشمول الذى يتمثل فى الوقت الحاضر

ومن الجدير بالذكر أن جميع المسلمين يتحدون فى العقائد والأركان الرئيسية للاسلام

وفى العالم الأسلامى تعيش نسبة بسيطة من النصارى وهى موزعة ما بين مصر والشام والعراق والمغرب العربى وليس بين الاسلام والنصرانية تناقض فى الأهداف والدعوة بالنسبة للحياة ومثلها فكلاهما نابعان من نبع واحد فالاسلام يعترف بقداسة السيد المسيح وبنبوته وانجيله وليس هناك أى تباين بين النصارى والمسلمين سواء فى مجال السياسة والحكم والتنظيم والتشريع أو فى مجال الحقوق والواجبات أم فى مجال الاقتصاد والاجتماع والدين الاسلامى يضمن كل الضمان حقوق المواطنين من غير المسلمين وحرياتهم والمسيحية النقية تبشر بالمحبة والسلام وتحارب الأحقاد والمآرب الشخصية ·

كذلك يوجد فى الوطن الاسلامى الكبير قلة ضئيلة جدا من اليهود معظمها يعيش فى العالم العربى وايران ونسبتهم الى سكان الوطن العربى لاتكاد تزيد على ثلاثة فى الألف معظمهم فى بلاد المغرب والشام والعراق واليمن وقد غدت هذه القلة الضئيلة مشكلة بعد اغتصابها فلسطين وجرائمها التى اقترفتها ومازالت تقترفها ضد العرب والاسلام ·

فيما عدا ما تقدم يضم العالم الاسلامى بعض الوثنيين وخاصة فى القارة الأفريقية ووثنيتهم هذه ترجع الى ماكان يقيمه الاستعمار من عقبات وعثرات فى سبيل نشاط الدعوة الاسلامية وهذه القلة الوثنية فى سبيلها الى الزوال خاصة بعد نيل معظم الدول الافريقية استقلالها وتمكنت الدعوة الاسلامية من الانتشار وتمكن الأفريقيون من الاتصال بعضهم ببعض لتدارس شئونهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما يبشر بزوال العقائد الوثنية ونشر العقيدة الاسلامية فى ذلك العهد الجديد عهد استقلال القارة الافريقية

٢ – الوحدة التشريعية والثقافية والاجتماعية

من حيث التشريع فانه منذ أربعةعشر قرنا ومايزال واحدا فى أصوله وفروعه لأنه مستمد من أصول الشريعة الاسلامية وهى الكتاب والسنة وقد يتضح هذا جميعه فى علم الفقه الذى اتسع نطاقه حتى غدا كافلا لجميع حاجات المجتمع الاسلامى القضائية وغير القضائية ·

وسكان العالم الاسلامى يتشاركون منذ آماد طويلة والى درجة كبيرة فى معظم عادات الزواج والأعراس والمعاشرة والتعامل والبيع والشراء ومعظم طرق الحياة والمعيشة فى القرية وفى المدينة

ومن الجدير بالذكر أن بعض انماط الحياة التى يحياها المسلمون اليوم يمتد الى ماكان جاريا من عادات وتقاليد وأساليب قبل الاسلام أيضا لأن اسبابه قائمة فيما اجتمع فيه أبناء العالم الاسلامى من وحدة تاريخية ووحدة جنسية ووحدة لغوية أيضا فى جزء كبير من العالم الاسلامى الا وهو العالم العربى

ولقد كان لوسائل المواصلات الحديثة السريعة أثر كبير فى تيسير أسباب التواصل والامتزاج بين سكان العالم الاسلامى بمقياس أوسع بكثير مما كان •

أما بالنسبة للوحدة الثقافية والفنية وخاصة بعد الاسلام فانها حقيقة قائمة وخاصة فى الجزء الأكبر من العالم الاسلامى هو العالم العربى فمناهج الدراسة الدينية والعلمانية وأساليبها ووسائلها واحدة وأساليب النظم والنثر وفنون الكتابة أيضا واحدة وطرز البناء والعمارة والفنون الجميلة تشترك فى جميع انحاء العالم الاسلامى لحد كبير

ولما كانت لغة القرآن الكريم هى اللغة العربية فان كل مسلم فى انحاء الوطن الاسلامى الكبير يقرأ العربية وعليه فأنى أهيب بكل مسلم ان يبذل قصارى جهده العقلى والمادى فى سبيل نشر اللغة العربية فى جميع انحاء الوطن الاسلامى الكبير وجعلها اللغة ذات الأهمية الأولى فى مناهج التعليم بعد اللغة الوطنية ذلك لأنها لغة القرآن الكريم وبتعلمها وتعلم أصولها سيقترب ابناء العالم الاسلامى بعضهم الى بعض وسيكونون قوة هائلة يحسب حسابها الشرق والغرب

٣ — الوحدة الأقتصادية

العالم الاسلامى وحدة جغرافية طبيعية متكاملة بغلاتها الزراعية والحيوانية والمعدنيةووجوه نشاطها الحيوى ومن ثم فهو وحدة اقتصادية يكمل بعضها بعضها •

ولو صحت العزيمة بين سكان هذا العالم على استغلال موارده الطبيعية المتنوعة وزالت الحواجز فيما بينهم لحقق المسلمون اكتفاء ذاتيا لا يحتاجون فيه الى غيرهم • ولو جد المسلمون فى استنباط مكونات أرضهم بالطرق العلمية الحديثة لما أمكن أن يفرض عليهم حصار اقتصادى •

هذا ويغلب الطابع الزراعى على دول العالم الاسلامى قاطبة اذ يعيش حوالى ٦٠٪ من السكان على الزراعة ينتجون فيها جميع الغلات الزراعية التى تغطى احتياجاتهم دون الحاجة الى أى مصدر خارجى •

وهكذا يمكن تبادل الغلات الزراعية والحيوانية بين الدول الاسلامية بعضها وبعض وهذا يؤدى الى تحسن مستوى المعيشة فيها وعدم خروج أى ربح منها للخارج وتنمية مواردها ومحاولة التوسع فى أراضيها الزراعيةوالاهتمام بمشروعاتالرى الحديثة التى تخدم الانتاج الزراعى خاصة وان الاراضى الغير مستغلة فى الزراعة حاليا ويمكن تحويلها الى أرض زراعية يمكن أن تزيد المساحة المزروعة فعلا فى الوقت الحاضر الى أضعاف أمثالها

كذلك يمكن لدول العالم الاسلامى أن تنمى الصناعات التى تقوم على ما تنتج من خامات زراعية متوفرة فيها بحيث تكفى نفسها بنفسها الى حد كبير ولن يحتاج الأمر الا الى سياسة منسقة تعاونية فيما بينها •

أما من حيث الثروة المعدنية فان دول العالم الاسلامى تستخرج من أرضها الكثير من المعادن كالفحم والحديد والفوسفات والرصاص هذا علما بان مساحات كبيرة لم يتم كشفها بعد

وبالأضافة الى ذلك فهناك البترول وهو الوقود الاساسى للصناعات الحديثة والذى يوجد بكميات كبيرة فى العالم العربى الذى يعتبر جزءا اساسيا هاما من دول العالم الاسلامى •

ولو أن بترول البلاد العربية أحسن استغلاله فيها لنمت مواردها ومن الغريب اننا نلاحظ انالبلاد المنتجة للبترول هى التى تشكو التخلف الاقتصادى وليس هذا بغريب اذا ما عرفنا ان ٦١٪ منانتاج البترول العربى من نصيب شركات امريكية ٣٢٪ من نصيب شركات بريطانية وهولندية • وجزء بسيط جدا تشترك فيهبعض حكوماتالدولالعربية فلو أمكن زيادة نصيبها من بترولها لصنعت البلاد ولما بقيت بنا حاجة الى الغرب •

وقد بدأت الجمهورية العربية المتحدة حركة التصنيع ونجحت فيها نجاحا ملحوظا ولهاصناعات محلية متقدمة وانتاجها من هذه الصناعات يفيض

عن حاجة الاستهلاك المحلى ويغذى حركة التصدير الى دول العالم الاسلامى .

واذا كانت الوحدة الاقتصاديه بين أجزاء العالم الاسلامى لم تتحقق بعد لاعتبارات سياسية فان المصالح الاقتصادية المشتركة قائمة بالفعل لأنها جزء أساسى من التكامل الطبيعى للاقليم أما أولئك الدين أقاموا الموانع والسدود الاقتصادية بين اجزاء هذا العالم فهم أولئك الاستعماريون لتحقيق مطامعهم فى أن تبقى دولة ودويلاته مرتبطة بحركة الاقتصاد الأوربى والأمريكى .

هذا وقد كافح المسلمون الاستعمار فى شتى صوره وتخلصت غالبية دول العالم الاسلامى من ذلك الكابوس الذى ظل يجثم على صدور المسلمين سنين طويلة .

وعليه فان قيام الوحدة بين أبناء العالم الاسلامى ليس أمرا طبيعيا فحسب بعد أن توفرت لديهم كل مقومات الوحدة وأركانها بل هو ضرورى ايضا من الوجهات السياسية والعسكرية خاصة وان العالم اليوم تتنازعه قوتان كبيرتان احدهما شرقية والأخرى غربية

٤ ـ الوحدة ضرورة سياسية

يتجه العالم اليوم الى التكتل وقيام الوحدة بين شعوب لايجمع بينها الا الجوار أو المصلحة السياسية والدفاعية وفى ثنايا التاريخ كثير من الاحداث التى تدل على أنه لم يصب شعبا ما وهن الا حينما كانت وحدته منفصمة ودوله واماراته متنابذه وقواه منقسمة موزعة بينما نجد ان الشعوب القوية المزدهرة الحضارة والعلم والعمران نافذة السلطان مرهوبة الجانب هى تلك الشعوب المتحدة فى نظمها واقتصادياتها وفى سياساتها وأهدافها وليس أقرب الى الوحدة السياسية من دول العالم الاسلامى التى تشترك فى وحدة دينية وروحية ووحدة اجتماعية وثقافية ووحدة اقتصادية جامعة وقد ذاق العالم الاسلامى مرارة الاستعمار سنين طويلة وكافح المسلمون هذا الكابوس البغيض فى شتى صوره وتخلصت غالبية دول العالم الاسلامى من ذلك الكابوس فقد كافح العرب الاستعمار الفرنسى فى بداية القرن التاسع عشر وكافحوا الاستعمار البريطانى منذ ذلك الحين كما كافحوا الاستعمارين معا فى جنوب شبه الجزيرة العربية وبقية الدول الافريقية التى استقلت حديثا

أما القرن العشرين فهو القرن الذى تخلصت فيه اندونيسيا من الاستعمار الهولندى كما تخلصت الباكستان من الاستعمار البريطانى .

وعلى الرغم من استقلال معظم دول العالم الاسلامى الا أنه لاتزال بعض الصور الاستعمارية باقية كالمعاهدات السياسية والاقتصادية والشركات الاحتكارية .

هذا فضلا عن الاستعمار الصهيونى الاثيم والعدو الأكبر للاسلام والمسلمين فبين الاستعمار والصهيونية تحالف قديم .

وليس هناك شك فى أن اقامة اسرائيل فى هذا المكان العربى (فلسطين) ليس فقط لاستعمار بقعة عربية وانما للتواجد فى بقعة استراتيجية لها اهمية كبيرة جدا وجدت لكى تكون قاعدة بحرية على البحر المتوسط تمنع اتصال العالم العربى الى حد ما بالبحار الخارجية . وأصبحت اسرائيل مركزا استراتيجيا للاستعمار تنطلق منه خططه مقنعة أو سافره وشوكه فى جنب العالم العربى خاصة والعالم الاسلامى عامة .

وهكذا يتضح لنا عداء الغرب للعالم الاسلامى وهو عداء دينى ما فى ذلك شك وعليه فمن الضرورى ان يحس العالم الاسلامى بهذا الخطر وأن يجمع شمله فيرد الاعتداء ويقاوم الاستعمار ويحقق قوله تعالى .

(ان هذه امتكم أمة واحدة ..

(انما المؤمنون اخوة) (سورة الحجرات الاية العاشرة)

واذا كانت الوحدة السياسية ضرورة من أهم الضرورات فى الوقت الحاضر فان .

٥ ـ الوحدة العسكرية .

هى واجب كل مسلم ليدفع عن فلسطين البلاء وليبعد عن أرضه وشعوبه اطماع الطامعين فى خيراته وابتزازها لمصلحتهم دون مصلحة أصحابها وأهلها الأصليين

والعالم الاسلامى ازدادت اهميته اليوم كثيرا عن ذى قبل بسبب ما طرأ على التفكير الاستراتيجى والسياسى من تغيير وتطور ثم بسبب ما اكتشف

فى باطن الارض الاسلامية من كنوز هائلة ومخازن النفط التى تعد اليوم من أعظم وسائل الحرب والصناعة ٠

ولقد كان ذلك المركز الممتاز سببا فى جعل انجلترا وفرنسا تتنافسان على استعمار أجزاء من هذا الوطن الكبير منذ القرن السادس عشر وقد تمكنتا من ذلك فى القرنين التاسع عشر والعشرين فكان ذلك البلاء الاستعمارى الانجليزى الفرنسى فى معظم دول العالم الاسلامى فى افريقيا وآسيا ٠

وقد كان لثروات العالم الاسلامى اثره فى جلب انظار الولايات المتحدة أيضا قبل الحرب العالمية الثانية فأخذت تلف وتدور حوله أيضا وتمكنت من وضع قدمها فى بلاد العرب عن طريق الحصول على امتيازات استخراج النفط وانشأت القواعد الجوية والقواعد العسكرية هذا الى جانب الاتفاقات الاقتصادية والفنية وبذلك صارت صاحبة مصالح كبرى فى كثير من أماكن العالم الاسلامى ٠ ولم تتوقف أطماعها عند هذا الحد بل زادت الطين بلة بمساعداتها السافرة لاسرائيل وتمكينها من الاعتداء على ارض فلسطين والاراضى العربية الاسلامية الأخرى دون استحياء

كل هذا يبرز ضرورة توحيد الجهود العسكرية لصد هذا العدوان الاثيم الخطر ٠

فان العالم الاسلامى سيتعرض للتدميروالكوارث فى حالة وقوع الاصطدام بين المتصارعين فيه مادام المسلمون غير مجتمعين فى نطاق وحدةفعلية نافذة فاذا ما اتحدوا فى هذا النطاق

وغدت قواتهم الحربية واقتصادياتهم موحدة وتضافرت جهودهم فى مختلف المجالات لأمكنهم أن يدرأوا عن بلادهم الكوارث والتدمير ويحفظوا التوازن بين قوى العالم ويخدموا أمنه وسلامته ٠ وينتفعوا بمزايا المركز الذى تنفرد به بلادهم وبالثروة الطائلة التى تزخر بها لصالحهم دون غيرهم

وبذلك تتهيأ لهم الأسباب التى تساعدهم على اعادة أمجادهم التى تلألأت فى أيام وحدتهم الكبرى فى ظل الخلفاء الراشدين حينما كانوا أعظم أمم الأرض سلطانا وقوة .. نسأله تعالى أن يوحد صفوفنا ويمدنا بقوته ٠

وينصرنا على الأعداء الظالمين — آمين

التآلف والاخاء

اعلم ان المودة والأخوة والزيارة سبب التآلف ،والتآلف سبب القوة ،والقوة سبب التقوى ،والتقوى حصن منيع ، وركن شديد ، بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد) وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء ، وردها بعد الفرقة الى الألفة والاخاء فقال تعالى : (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لأوليائه من الكرامة اذ جعلهم أخوانا على سرر متقابلين)

وقد سن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة اجمعين ٠

وقد ذكر الله سبحانه أهل جهنم وما يلقون فيهامن الالم اذ يقولون : فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

وقال الامام على (كرم الله وجهه) : رجل بلا اخ كشمال بلايمين ، ومما نسب اليه (رضى الله عنه) قوله :

عليك باخوان الصفاء فانهم
عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا الف خل لواحد
وان عدوا واحدا لكثير

وقال زياد : خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان ، وعون فى السراء والضراء

وقال عبد الله بن طاهر : المال غاد ورائح ،والسلطان ظل زائل والأخوان كنوز وافرة

قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها

الاستاذ عثمان عبد السميع العدل

* الامم المتحدة تقر بحق اللاجئين فى العودة الى فلسطين وتعويضهم .

* التناقض الذى جعل مشكلة اللاجئين تتفاقم

* لماذا فشلت لجنة التوفيق الدولية فى عملها .

* عالم « تسوده القيم المادية .. وليست القيم الروحية »

* اعتبارات المصلحة واعتبارات الاخلاق

* نموذج لمؤامرات تستهدف تصفية اللاجئين لصالح اسرائيل

فى الحلقة السابقة من هذا البحث تطرقنا الى مشكلة كبرى من مشكلات القضية الفلسطينية ، بل هى أضخم المشكلات جميعا : مشكلة اللاجئين . وعرضنا للاسلوب الوحشى الذى اتبعته اسرائيل حال قيامها فى عمليات القتل الجماعى والارهاب فى حق المواطنين الامنين فى فلسطين . وذكرنا ان الامم المتحدة قررت فى دورتها الثالثة للجمعية العامة يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ان لكل لاجىء الحق - اذا اراد - فى ان يعود الى وطنه وان يتلقى تعويضا عن ممتلكاته ، كما قررت الجمعية العامة تكليف لجنة توفيق دولية بالعمل على تنفيذ هذا القرار ، و « تسهيل عودة اللاجئين الى وطنهم »

الا انه رغم اجماع هيئة الامم المتحدة - تقريبا - على حل هذه المشكلة حلا عمليا عادلا ومنصفا فان المشكلة لم تحل بل ازدادت مع الوقت تفاقما وحدة ، وكانت طوال عشرين عاما من اكثر أسباب التوتر فى العالم أجمع ، وليس فى الشرق الاوسط فحسب

فأى « تناقض » هذا الذى « جعل مشكلة اللاجئين تتفاقم وتستفحل رغم أن غالبية دول العالم قد اقرت لها حلا عمليا عادلا ؟ » ..

ذلكم هو السؤال الذى طرحناه من قبل ونحاول الان الاجابة عليه :

لعل من بديهيات الامور فى مجال التحليل السياسى فى عصرنا هذا ان يؤخذ فى الاعتبار ما للعلاقات الدولية من تأثير مباشر وغير مباشر فى عملية اتخاذ الدولة أو الدول « موقفا معينا » من « مشكلة معينة » .

كذلك فان التجارب قد اثبتت ان عالما تسوده « القيم المادية » وليست « القيم الروحيه » .. توزن فيه « الحقيقة » « بمعيار المصلحة » اكثر مما توزن « بمعيار الاخلاق » ..

نقطتان هامتان اصبحتا من بديهيات العصر - فيما يبدو - وليست الاشارة اليهما هنا خارجة عن صلب المشكلة بل هى فى الصميم !

فلقد كانت اعتبارات « المصلحة » هى التى حسمت معظم المواقف للدول الاعضاء فى الامم المتحدة بازاء قضية اللاجئين العرب بعد عام ١٩٤٨ ..

وصميم التناقض بين « الحق » و « المصلحة » او « اعتبارات الاخلاق » « واعتبارات المصلحة » ، هو فى الواقع نتيجة لطبيعة العلاقات غير المتوازنة فى المجال الدولى .. علاقات جاءت بسبب الهوة السحيقة والفوارق الشاسعة بين الغنى والفقر فى العالم .. فهناك دول واسعة الثراء ، عريضة الجاه ، ودول أخرى - هى معظم العالم - تحاول جاهدة ان تسد الاحتياجات الاساسية - غذاء وكساء - لشعوب تتزايد بسرعة تكاد ان تصل الى نقطة الانفجار السكانى ..

ولنعد الى عرض سريع لتطور مشكلة اللاجئين فى هيئة الامم المتحدة لتتضح لنا نتائج التناقض فى العلاقات الدولية وانعكاساتها فى مشكلة من أعظم المشكلات حساسية وخطورة ..

حتى تستطيع لجنة التوفيق ان تنفذ قرار هيئة الامم المتحدة الذى اشرنا اليه بادرت الى عقد ثلاثة مؤتمرات أولها فى « بيروت » والثانى فى «لوزان» والثالث فى « باريس » وكلها فى الفترة ما بين ٢١ مارس سنة ١٩٤٩ و ١٥ سبتمبر ١٩٤٩ ..

وكانت أهم المسائل التى طرحت للبحث فى هذه المؤتمرات الثلاثة هى :

١ - ضرورة عودة اللاجئين والعمل على تعويض من لا يرغب منهم فى العودة

٢ - مشكلة الحدود ، والعمل على الوصول الى حدود ثابتة بين الطرفين المتنازعين

٣ – بحث مشكلة تدويل القدس وضمان حماية الاماكن المقدسه

٤ – العمل على تنمية الحياة الاقتصادية بالمنطقة

ومن هذه الصورة العامة للمسائل التى بحثتها مؤتمرات لجنة التوفيق الثلاثة يتضح ان اللجنة – بوصفها تمثل الامم المتحدة – كانت تنظر لمشكلة اللاجئين على انها :

اولا : اهم مشكلة نجمت عن قيام اسرائيل

ثانيا : ان مشكلة اللاجئين جزء لا يتجزا من قضية فلسطين ، بمعنى ان بحثها يستلزم بالضرورة بحث المشكلات الاخرى المتصلة بالقضية الكبرى

ومن هذه الملاحظة ننطلق الى نقطة هامة اخرى ، فقد اثبتت المناقشات حقيقة سياسة اسرائيل وتتلخص فيما يلى :

ا – لقد انكرت اسرائيل منذ البداية انكارا تاما مسئوليتها عن ايجاد مشكلة اللاجئين العرب ، وحاولت القاء اللائمة على الدول العربية

ب – كذلك رفضت اسرائيل رفضا قاطعا اعادة اى لاجىء الى ارضه وطالبت بان يكون حل مشكلة اللاجئين على اساس اسكانهم فى اى مكان غير ما يسمى الان باسرائيل

ج – ذكرت اسرائيل انها على استعداد لتعويض اللاجئين على الا يعود احد منهم

وتمسك العرب منذ البدايه بوجهة نظر ثابتة وهى وجهة نظر هيئة الامم المتحدة التى تعتبر مشكلة اللاجئين نقطة الارتكاز التى تدور حولها القضية الفلسطينية برمتها . كما رفض العرب منذ اللحظة الاولى اى صلح مع اليهود الا اذا حددت اسرائيل موقفها من قرارات هيئة الامم المتحده السابق اصدارها بشان فلسطين والتى تمثل فى نظرهم طريق اعادة الحق المغتصب الى اصحابه

وازاء تنكر اسرائيل لهذه القرارات ورفض العرب اى صلح يؤدى الى تماديها فى مطامعها الصهيونية وضياع حقوق شعب فلسطين الى الابد وجدت الامم المتحدة نفسها عاجزة عن القيام بحل سليم للمشكلة .

وبمرور الوقت وجدت لجنة التوفيق الدوليه نفسها تتخبط فى مسالك صعبه لا مخرج منها ، وتقدمت فى النهاية ببعض التوصيات لتسهيل عودة اللاجئين وتوطينهم ، واستردادهم لمركزهم الاقتصادى والاجتماعى . الا ان التوصيات فى صميمها استهدفت ادماج اللاجئين العرب فى اقتصاديات الدول العربية بان عمدت الى ايجاد عمل لالوف اللاجئين فى المشروعات الكبيرة فى الدول العربية

وذكر تقرير اللجنة : « ان النزاع العربى اليهودى يحول دون الوصول الى حل سريع لمشكلة اللاجئين عن طريق العودة او الاسكان ، وان اغاثة الامم قد حمت اللاجئين من ماساة رهيبة غير ان الاستمرار فى هذا الغوث دون اجراءات اخرى قد يخلق عراقيل يصعب التغلب عليها ، ولذلك فان من اللازم الشروع فى الانتقال من مرحلة الاغاثة الى مرحلة تشغيل اللاجئين وتوفير فرص العمل لهم فى البلاد التى يقيمون فيها »

وتبين العرب ان الضغوط الرهيبة التى مارستها الولايات المتحدة الامريكية ودول الغرب فى الامم المتحدة وفى مؤتمرات لجنة التوفيق قد انعكست بصورة واضحة ، بل صارخة – فى تقرير لجنة التوفيق الدولية . ذلك ان الاتجاه الى سياسة تاهيل اللاجئين وادماجهم فى اقتصاديات الدول العربية من شانه ان يؤدى اخر الامر الى ضياع حقوق اللاجئين التى اقرتها هيئة الامم المتحدة نفسها

وقد انعكست هذه الضغوط بشكل صريح ايضا فى كل اعمال وكالة الغوث الدولية وفى الاجراءات التى اتخذتها هيئة الامم المتحدة ، لتصفية اللاجئين العرب ، ومن ثم تصفية المشكلة الفلسطينية

ونشات عن هذا الاسلوب الذى يوحى ظاهريا بالحدب على مشكلة اللاجئين ويخفى شرا مستطيرا لشعب فلسطين نشات عنه مشاعر الشك وعدم الثقة لدى العرب ازاء كل ما تصدره هيئة الامم المتحدة من قرارات فى شان هذه المشكلة

كذلك فقد تبين انه حتى على افتراض الموافقة على مشروعات التاهيل والتشغيل للاجئين فان كل ما يحتمل ان تستوعبه هذه المشروعات منهم لن يزيد عن ٢٠٪ من عددهم ، وبالتالى يظل منهم السواد الاعظم على حالهم بل ستزداد حالتهم سوءا وتفاقما بعد الغاء العون الدولى عن طريق وكالة الغوث

ومن ناحية اخرى ايدت الولايات المتحدة كل التاييد اجراءات تصفية اللاجئين بان عمدت من جانبها الى قبول هجرة الفلسطينيين اليها وساعدت وكالة الغوث على عقد اتفاقيات مع حكومات استراليا وكندا والبرازيل لقبول اعداد من اللاجئين العرب

والى هنا فان موقف الولايات المتحدة ودول الاستعمار الاخرى الضالعة معها موقف طبيعي يتمشى مع « اعتبارات المصلحة » المشار اليها فى صدر هذه الحلقة من البحث .. ولكن صميم التناقض هو التظاهر بالسعى لايجاد حل سليم للمشكلة .. وهذا التناقض هو العمل ضد « اعتبارات الاخلاق » وهى اعتبارات اكدها « الاعلان العالمى لحقوق الانسان » الذى اعلن فى مقر الامم المتحدة فى دورتها الثالثة عام ١٩٤٨ فى قصر شايو بباريس وكان ذلك يوم العاشر من ديسمبر . اى قبل اربع وعشرين ساعة فقط من القرار الذى اتخذته الجمعية العامة لهذه المنظمة الدولية وقررت فيه ان لكل لاجىء عربى فلسطينى العودة الى ارضه وان يتلقى تعويضا عن ممتلكاته ..!!

وذروة التناقض مع ابسط مبادىء الاخلاق ان دول الاستعمار التى تسند اسرائيل وتعمل على تصفية اللاجئين وبالتالى تصفية القضية برمتها – هذه الدول وعلى راسها امريكا وقعت على الاعلان العالمى لحقوق الانسان ووافقت على قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الذى اعقبه باربع وعشرين ساعة – لكن مجموعة التناقضات فى هذه المشكلة الحساسة لم تنته بعد . فان اسرائيل تعالج من جانبها مشكلة اللاجئين العرب باسلوب لم يعرف التاريخ مثيلا لوحشيته ولها من وراء ذلك اهداف قريبة واهداف بعيدة ، اى اهداف تكتيكية واخرى استراتيجية خطط مرسومة تعمل على تنفيذها مرحلة مرحلة

« للبحث بقية »

أضواء على التاريخ الإسلامي

محنة فلسطين في العالم الإسلامي

الاستاذ محي الدين الألواني

ادركت الصهيونية منذ مطلع القرن الحالى أن افضل وسيلة الى أهدافها، وأقصر طريق اليها ، هى التسرب الى الضمائر والقلوب . ولتحقيق هذا الهدف المنشود دبرت الصهيونية مؤامرة شنيعة ومؤلمة حيث لا يوجد لها مثيل فى تاريخ المؤامرات فى الوجود ، فقد ساهمت الصهيونية بنفسها وبأساليب ملتوية وخفية فى دفع الحزب النازى فى المانيا نحو اضطهاد اليهود ، وذلك قبل الحرب العالمية الاخيرة وتعريضهم للقتل الجماعى زمن الحرب . وكانت الصهيونية على ثقة بأن الطريق ستكون معبدة أمامها بعد الحرب للتسرب الى ضمائر الاوروبيين بطريق شحن عواطفهم بالاحساس بالذنب والخجل بما ارتكبه الاوربيون فى حق اليهود . ثم تستطيع وسائل الاعلام الصهيوسية أن تستمر فى بذل الجهود المتواصلة بدون تردد وبدون رحمة لتصعيد آثار هذا الاضطهاد الاوربى فى حق اليهود حتى اذا ما استسلمت العواطف لهذه الدعاية أخذت تتسرب تدريجيا الى الضمائر والعقول .

وان هدف الصهيونية الاوحد منذ نشأتها كحركة سياسية وفكرية هو استدرار الشفقة على اليهود باصرار وتهالك بغية حشد يهود العالم فى الارض التى اغتصبوها من أهل فلسطين العربية وتوسيع رقعة تلك الارض بعد التخلص تماما من سكانها الاصليين ثم القاء صفة القومية الواحدة على فئات من البشر تبعثرت منذ الفى سنة فى أوطان كثيرة وعاشت دائما فى عزلة تامة متمسكة بتقاليدها الدينية والثقافية والاجتماعية التى تبعدها عن الاندماج فى الشعوب الاخرى الا لاجل التضليل أو الخداع !

ومنذ انتهاء الحرب الاخيرة بدأت الصهيونية حملاتها الفكرية والنفسية بتخطيط مدروس فانزلت الى الاسواق كمية ضخمة من الافلام التى التقطتها الايادى الخفية التى كانت تعمل على حساب الصهاينة ، من صحفيين وسينمائيين، زمن الحرب عن حملات النازية على اليهود ، وهذه الافلام لا تزال الى يومنا هذا الوسيلة الرئيسية للضغط على على عواطف الناس فى أوربا ، فهذه الافلام التى تصور تعذيب اليهود واضطهادهم ، لها مكان واسع النطاق فى شاشات السينما والتليفزيون فى البلاد الاوربية . وكل هدفهم من هذه المؤامرة تبرير رحيلهم الى فلسطين ومغادرتهم أوروبا ، وكذلك للترسيخ فى ضمير الانسان الاوربى حق اليهود فى الاستقرار والطمأنينة فى دولة اسرائيل المزعومة ، كأنها هى العوض عما ارتكبه الاوربيون فى حق الشعب اليهودى من اضطهاد وعذاب .

والجديد فى الوسائل الصهيونية للوصول الى أهدافها ، هو السعى للمحو من الاذهان تماما أى تساؤل عن مصير الشعب العربى الفلسطينى الاصلى الذى أقيمت دولة اسرائيل على أرضه بعد أن شرد منها بالخداع والاضطهاد والظلم . وتلتجىء الحملات الصهيونية لازالة هذا التساؤل من الاذهان الى طريقتين رئيسيتين ، فأولاهما ، الادعاء بأن العرب الفلسطينيين الذين نزحوا عن أرضهم انما يقيمون الآن بين اخوانهم وفى الجو المناسب لهم حيث يلقون أحسن المعاملة !

وثانيتهما ، الادعاء بأن البلاد صغيرة وامكانياتها محدودة . وان

الذين شردتهم الحرب الاوربية ما زالوا يحلمون بالذهاب الى اسرائيل ، فلا يمكن أن يتحقق هذا الهدف بدون خروج العرب منها ، وان المطالبة بعودة اللاجئين العرب ، انما هى نوع من الظلم يفرض على تلك الدولة التى استعادها أهلها بعد تشرد مئات السنين وعذاب واضطهاد لم يسبق له مثيل . وهذا هو الخط العريض لاساليب دعاية الصهيونية ونشاطها فى المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية فى جميع اقطار الدنيا . وتقف الامم والشعوب التى لم تدرس ملابسات هذه القضية ولم تصل الى عقولها الحملات المضادة بطريقة معقولة ومقبولة ، تقف من هذه الدعايات الصهيونية موقف المقتنع بسلامتها والمحبذ لها غير مكلف نفسه تفحص مدى عدالة هذه القضية والاخطار الانسانية والاستهتارات القانونية المحيطة بها .

وهكذا تسعى الصهيونية لاضفاء صفة الانسانية على مذهبيتها العنصرية والعدوانية والاستعمارية ، ولازالة أشباح مأساة العرب الفلسطينيين من ذاكرة الناس ، ومن ناحية اخرى تنظم الصهيونية العالمية بواسطة صحفها ووسائل اعلامها الكثيرة حملات لحث اليهود على الرجوع الى الوطن الام ! والتبرع له بالمال والبنين بسخاء وجود . وأما السؤال الذى يجب أن يكون ماثلا فى أذهان العرب والمسلمين ، بل وكل حر نزيه ، فهو متى وكيف نحارب هذه الجرثومة التى تبثها الصهيونية العالمية فى الاذهان والعقول البشرية ، فى الاقطار المختلفة ؟ ومتى يكون دورنا على المستوى المطلوب فى مواجهة الخطر الصهيونى ؟

وان الجدير بالذكر هو أن العدل لا يتحقق تلقائيا ، فانه يتحقق بالعمل له والسعى اليه بمثابرة ومواظبة . وقبل أن نتحرك فى اى اتجاه لمواجهة وسائل الصهيونية العالمية ينبغى لنا ان نتنبه الى حقيقتين هامتين ، لهما أثر كبير فى جعل دورنا على مستوى تلك الوسائل (١) أن الحركة الصهيونية فى حد ذاتها انشأها ونظمها الصحفى النمساوى البارع « تيودور هرتزل » فكان للصحافة والوسائل الاعلامية المقروءة والمرئية دور واضح فى تدعيم الصهيونية وترويج أهدافها .

(٢) أن الصهيونية كانت فى المقام الاول حركة الاكاديميين والمثقفين الذين يلاحقون عجلة التطور فى مجالات الفكر والسياسة والاقتصاد ، من يهود العالم الغربى . فهاتان الحقيقتان تدلان على أن قيادة الحركة الصهيونية العالمية كانت ولا تزال فى أيدى عناصر نشيطة ومثقفة تستطيع أن تتغلغل الى العقول والقلوب بطريقة خبيثة .

وفى ضوء هذا الواقع القائم يجب أن نضع فى الاعتبار — أولا وقبل كل شىء — فى مجال محاربة أو مواجهة الصهيونية والرد عليها الملاحظات الآتية : (١) العناية الواعية بالبعثات الدبلوماسية العربية والاسلامية فى الاقطار الغربية لكى تصبح هذه البعثات اقدر على مواجهة تيار الدعايات المعاكسة الصادر عن الصهيونية والصحف المرتبطة بها مباشرة أو غير مباشرة ، بالرد على تلك الدعايات فورا بأساليب مؤثرة . (٢) دراسة المفاهيم المغلوطة التى رسختها الصهيونية فى الاذهان وتصحيحها بأسلوب مثقف وجرىء بطريق شتى وسائل الاعلام التى ينفذ أثرها الى الاقطار التى تتحرك فيها الصهيونية بحرية مطلقة . (٣) الاستفادة من الصحف والعناصر السياسية والمثقفة المستقلة ، فى تلك الاقطار والشرح لها مشكلة فلسطين بنهج المنطق والموضوعية والانسانية ، بعيدة عن أية شائبة من شوائب العواطف أو التهريج ، فهذا المنهج ضرورى جدا فى نظر هؤلاء المحايدين المستقلين . (٤) ايفاد شخصيات اكفاء من الصحفيين والمحاضرين والسياسيين الذين يستطيعون الاتصال والحديث بزملائهم فى تلك البلاد بنفس اللغة التى يتحدثون بها والاسلوب الذى يفضلونه ، حتى تكون مناقشاتهم ومحادثاتهم عونا على توثيق العلاقات الشخصية ، وتفهيم شتى نواحى القضية التى يطرقونها . (٥) أن يكون الطلاب المبعوثون من البلدان العربية والاسلامية الى الاقطار التى فيها نفوذ للصهيونية أو أعوانها ، على قدر كاف من الفهم لهذه القضية الحساسة وعلى قدر كبير من الثقافة العامة ومهارة لمباشرة الناس والاختلاط بهم والتأثير فيهم قولا وعملا وخلقا . (٦) وقد بدأت الصهيونية فى الايام الاخيرة بحملة واسعة النطاق فى جميع الدوائر العالمية للتقليل من أهمية التهديدات العربية وعدم جدية مطالبات العرب وقراراتهم وبياناتهم . وتعتمد الدوائر الصهيونية فى هذه الدعاية على واقعين قائمين ، أولا : ان الدول العربية لم تتخذ بعد موقفا موحدا تجاه الدول التى تقف الى جانب اسرائيل عن باطل . وثانيا : ان الدول العربية لم تستعمل بعد السلاح الاقتصادى فى مواجهة كل معتد على حرمة الحق العربى . فان سلاح الاجماع اليهودى وسلاح الاقتصاد اليهودى يلعبان دورا هاما فى تحقيق أهداف الصهيونية فى الوطن العربى ، فلابد للعرب من استخدام نفس السلاح الذى يستخدمه العدو — سلاح الاجماع وسلاح الاقتصاد — لردع هذا الخطر المحدق بالعالم العربى والاسلامى ، « فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »

« يتبع »

الحركة الثقافية في الأندلس

على عهد يوسف الأول بن الأحمر

٧٣٣ - ٧٥٥ هـ
١٣٣٣ - ١٣٥٤ م

الفن النصرى وخصائصه :

نتحدث عن الفن فى عهد الاوائل من ملوك بنى الاحمر ، وخاصةعصر السلطان يوسف الاول ، لابراز فكرة عامة عن خصائص هذا الفن النصرى ، الذى خلفه أولئك السلاطين من اثار ومنشئات لاتزال آية فى الروعة والجمال ..

ونظرا لتلك الحروب الاهلية ، التى كانت تنشب أحيانا حول عرش غرناطة فان الفنون الاندلسية لم تتطور بالسرعة التى كانت عليها الفنون المسيحية للمالك المجاورة ، كما أن حركة التطور هذه لم تكن بالتالى مستقرة ، هذا الى ان الصبغة الاقليمية لتلك الفنون لم تكن واضحة المعالم ، نتيجة لعدة عوامل سياسية ، خلافا لما كان عليه الحال ابان فترتى حكم الموحدين ثم ملوك الطوائف ، التى كانت من بينها مملكة غرناطة .

وبهذا الاعتبار فان الفن النصرى يعتبر امتدادا للفن الاسلامى منذ عرفته اسبانيا ، الذى ينتظم على الخصوص العصر الموحدى ، ذلك العصر ذو التأثير المباشر عامة على البلاد الاندلسية لقرب عهد بنى نصر به ، فالفن الغرناطى متأثر بالفن الاسلامى السابق ، الذى حمل لواءه مسلمو افريقيا قبل نزوحهم الى الاندلس ، فتشرب مبادئه الفرناطيون المواطنون ، بحكم الاختلاط والامتزاج .

فمن النماذج الهامة للفنون ذات الطابع الاسلامى الاصيل ((برج قارش)) ((باب الشريعة)) ، فناء البركة)) ، ((فناء الاسود)) فى قصر الحمراء التى تتسم فى جملتها بفن استطال قرونا طويلة فى تطور ، حتى استكمل الفن الاسبانى الاسلامى ازدهاره ، وبالاخلاص فى جنوب الاندلس حيث طوائف البربر ، وفى الشمال حيث النصارى ، متصلا حتى لحق بفن المدجنين ، وهم الاقلية المسلمة تحت المسيحية المتقلبة مؤخرا على المدن الاسلامية . فقد لوحظ على سبيل - المثال - أن المساجد بمملكة غرناطة جاءت عمارتها على نسق خاص ، وهو مزيج من الفن الاسلامى الشرقى ، والفن الاسلامى الموحدى . أما المبانى الاندلسية فى العصر النصرى هذا فقد اقتبست الطابع السابق ، مضافا اليه المميزات الاقليمية ، سواء فى هذا المنازل المعدة للسكنى ، أو المبانى المعدة للمرافق العامة ، ويعتبر قصر الحمراء نموذجا مثاليا لهذا الطابع الفنى النصرى روعة وسحرا ، كما تشتمل المبانى الاندلسية عامة على أفنية ونافورات وبرك صناعية ، تزدان الحوائط فيهما بالفسيفساء مع زخرف جصية بديعة ، وأسقف خشبية رائعة النقش ، بحيث لم تكن توجد مدينة غربية - فى العصور الوسطى ذات منشئات تقارب الهندسة الفنية التى لمبانى غرناطة ، تلك الهندسة المعمارية التى كانت تهتم بالزخرف الكوفى الثمين ، وخاصة داخل الابنية ، أما الحوائط الخارجية فكانت عارية فى الغالب من هذا الزخرف .

هذا ، ولم يقتصر ازدهار الفن فى عصر يوسف الاول على المعمار فحسب ، بل شمل أيضا الصناعات المحلية والتقليدية ، شأنه فى ذلك شأن عصور من سبق من ملوك غرناطة ، مما يمكن معه القول بأن هذا الازدهار فى الصناعات يرجع الى أصالة الفن الاندلسى ذاته ، كما كان للفن الموحدى مثلا خصائصه التى أبقت على مميزاته من بين فنون الدول المعاصرة .

ولقد بقيت غرناطة العاصمة مركزا للاشعاع الفنى للصناعات التقليدية والاندلسية ، وبالرغم من مرور فترة على استرداد الاسبان لها فيما بعد ، الا أنه لوحظ أن مواطنيها قد احتفظوا بكثير من مقومات تلك الفنون الصناعة ، ثم أخذت هذه الخصائص الفنية تضؤل شيئا فشيئا ، تبعا لموجات هجرة المسلمين الاندلسيين منها الى الشمال الافريقى وخاصة الى المغرب ، نتيجة السياسة الاسبانية تجاه الاقلية المسلمة ، سياسة الارهاق والاضطهاد والتنصير ، حيث برزت الفنون الاندلسية فى المغرب واضحة المعالم ، وخاصة فى مدينتى فاس وتطوان ، حيث زخرتا بالجم الغفير من المهاجرين الاندلسيين .

لقد انتشرت فى الاندلس خلال عهد يوسف الاول عموما صناعات كثيرة ، كالملابس بانواعها والفخار بألوانه ، والسلاح بأشكاله ، وفى كل هذا أبدع الاندلسيون أيما ابداع ، وخاصة أهل المدن التى اشتهرت بنوع خاص من الصناعة .

وكانت المنطقة الشرقية من الاندلس ذات انتا ج كثير من هذه الصناعات ، وكانت المنطقة الشرقية من الاندلس ذات فضل عظيم فى ذيوع كثير من هذه الصناعات وعلى الاخص صناعة الفخار ومشتقاته بمدينة مالقة ، التى اتخذت لها طابعا محليا مميزا ، فدرت على المنطقة الثراء الواسع حتى قيل أن الجزية التى كانت تدفع سنويا للوك النصارى — فى أواخر العهد الاسلامى — من عائد هذه الصناعة المالقية .

وسنعرض هنا بايجاز لاهم هذه الصناعات ، التى كانت سائدة وزاهرة على عهد السلطان يوسف الاول فىمملكة غرناطة الاسلامية :

الملابس :

تبرز صناعة نسج الحرير فىالاندلس بين سائر الفنون الاخرى ، وقد طارت فيها لمدينة المرية شهرة واسعة ، الى جانب مدن أخرى أساسية قاسمتها هذه الشهرة كمرسية ، ومالقةوغرناطة العاصمة ، حيث يعكف المتخصصون فى هذه الصناعة على حياكة الاقمشة الحريرية ذات الالوان المختلفة ، كما يطرزون نوعا خاصا منها يسمى ب « الوشى » ، وفى مالقة بالذات الوان منها ، كانت تباع بثمن باهظ ، وتعرف بـ « الحلل الموشية » .

هذا ، وكان أعيان برجة وغرناطة ، وبسطة خصوصا ، يلبسون نوعا من الملابس الحريرية قد عرف فى الاندلس باسم « الملبد المختم » ، يمتاز بخيوطه المتعددة الالوان ، وقد تحدث الينا المؤرخ المعاصر ابن الخطيب عن جمال الحرير الفائق فى مدينة وادى آش ، ودلاية ، وسهيل ، وفى الاخيرة بالذات كان يصنع نوع خاص من الحرير للنساء ، تفضله أميرات غرناطة وحريمها ، وكذا نساء الطبقة الراقية فيها .

وتتميز الملابس الغرناطية بتصميم خاص ، وهى ذات الوان رائعة ، أهمها والاساسى المستعملمنها الاصفر الذهبى والازرق والاسود والاحمر والابيض ، وتوجد بقايا من هذه الملابس الاندلسية التاريخية حتى الان وذلك فى كل من معبد مدينة بزغز وكنيسة سان بيسيشان بانتقيرة ، ومتحف الفن بقطلونية ،ومعهد « دون خوان دى مدريد » بمدينة بلنسية .

ولقد بقيت تلك الملابس الاندلسية مستعملة فى أسبانيا بعد خروج العرب منها ، حيث كانت هناك شخصيات تنتمى الى الاسرة الملكية ، وأخرى من طبقات شهيرة عادت تفضل هذه الازياء المصنوعة بأيد اندلسية مسلمة ، كما كانت هناك كثرة تميل الى الملابس ذات التصميم الغرناطى الاسلامى ، مفضلة منه — على الخصوص — ما كان منسوجا فى العاصمة غرناطة . وقد بلغ فن التطريز شأوا عظيما عند نساء غرناطة بالذات ، أولئك اللائى شغفن بهذه الصناعة ، يستخدمن فيها الات يدوية معينة ، وامتزن فى الوشى بالخيوط الذهبية والفضية ، ونقش الصور الملونة على النسيج بواسطتها ، كما كان هناك نموذج ذو تصميم خاص مطرز الاطراف بتلك الخيوط الثمينة ، بالاضافة الى الصور الملونة بهذه الاطراف ، وقد استمرت هذه الصناعة لدى هؤلاء عدة قرون .

البسط :

تمتاز الدول العربية بالاسطة ، تلك التى لا يقتصر استعمالها على فرش أرض الحجرات ، وانما يتعداها ايضا الى تزيين الحوائط ، فقد وجدت هذه البسط معلقة فى ابهاء قصر الحمراء ، وكانت من نوع يبقى طويلا ، كذلك يستعمل السجاد فى فرش المساجد الكبرى ، حيث تبقى بعضها بصفة دائمة ، أو فى ايام الجمع والاعياد فى بعضها الاخر ، وتطوى فىالاوقات العادية وهناك نوع خاص صغير من السجاد يتأبطه المصلى ليستخدمه حيث أدركته الصلاة خارج المسجد .

وقد اشتهرت بالاندلس كل من غرناطة فى صناعة البسط ، الا أن صناعة هذه الاخيرة لم تكن ذات سوق نافقة ، ويوجد بالمتحف «الاركيولوجى» بغرناطة نموذج متآكل لنوع من هذه البسط ، يرجع تاريخ استعماله الىمنتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، وهى من الصوف المزخرف بالنجوم والصور ، ذات الوان خضراء وصفراء وزرقاء ، يعرف فن صنعها بالفن الايرانى ، ولعل هذه التسمية تشير الى ما بلغته هذه البلاد من تبريز فى هذه الصناعة حتى يومنا هذا .

الجلود

عندما قامت غرناطة فى القرن الثالث عشر الميلادى ، كان فن الصناعة الجلدية بالاندلس مزدهرة منذ قرون عدة سلفت ووجد بالمتحف الفنى الوطنى بمدريد نموذج لهذه الصناعة التى كانت تسود مملكة غرناطة ، يرجع تاريخها الى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، والذى ينتظم عصر السلطان يوسف الاول والنموذج هذا عبارة عن رداء تقليدى ، مما يرتديه المشتغلون بصيد البر ، ويعتبر رمزا للفن الغرناطى الاصيل ، كما عثر على كثير من المخطوطاتالعربية ذات الغلاف الجلدى ، ومنها ما بلغ فيه التغليف درجة فائقة فى الزركشة والزخرفة ، وخاصة المصاحف ونسخ الكتب المهداة للملوك وذوى السلطان والجاه ، وتعمر مكتبة الاسكوريال — خصوصا — بمدريد بنماذج لمثل هذا

الفخار :

يبدو أن الصناعة الخزفية كانت تختص بها بعض المدن الاندلسية الرئيسية ، كمالقة والمرية واندرش ، فقد كانت تصنع بها انواع لطيفة رائجة من المنتجات الهامة الضرورية والاساسية كأوانى المطبخ التى كانت مستعملة وقتئذ ، وكانت برجة وانتقيرة تنتج ايضا مثل هذه الصناعات ، والتى لم تكن فى مجموعها من الفخار البحت ، هذا الى انها كانت ذات زخارف بديعة ، يغلب فيها اللون الاسود

وقد واصلت هذه الصناعة خطوات التقدم فى العصر الغرناطى ، وكان لها تصميم فريد فى قوالب خاصة ، ومنها — على سبيل المثال — بعض الانية التى تمثل بعض الحيوانات كالزرافة والقرد ، كما كان البعض منها ايضا ذا صور اخرى ملونة ، وذلك بخلاف الاوانى الاخرى ذات الاشكال المختلفة ، مما كان يصنع من الطفل الابيض الرقيق المزدان باللون الاخضر

وكانت دوارق المياه الخزفية المستعملة يومئذ ذات نماذج متعددة ، منها ما كان ذا رقبة ، لها فتحة خاصة تسمح بنزول الماء ، ومنها نموذج اخر كان أكثر استعمالا ، لونه اخضر قاتم ، يوضع فى طبق مناسب ، وفى متحف قصر

الحمراء بغرناطة نماذج من كل هذا ، ولها أحزمة وشرائط تلتف حولها ، قد صنعت بمدينة مالقة ، ويرجع تاريخهـــا الى أواخر أيام غرناطة الاسلامية

وتجدر الاشارة الى ان الفخار المالقى كان واسع الانتشار ، كثير الاستعمال خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى ،حيث ازدهرت صناعته فى هذه المدينة ، وهذا هو المؤرخ الرحالة المغربى ابن بطوطة ، الذى زار الاندلس فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى خلال عهد السلطان يوسف الأول يقص علينا انه شاهد عن قرب جمال تلك الصناعة الخزفية بمالقة ، ولمس بنفسه مقدار ماكانت تتمتع به من شهرة فى الداخل والخارج ، فقد كانت تصدر ما يفيض منها من هذه المنتجات الى الاقطار البعيدة خلال ذلك العصر ، وكانت تحمل هذه الصناعة طابعها العربى ، مسجلة على قطعها كلمة « مليكة » ، كعلامة مسجلة ، كذلك حكى المؤرخ الوزير المعاصر ابن الخطيب فى كتابه « معيار الاختيار » ، ان فخار مالقة كانت له شهرة فاقت شهرة مثيله فى أى مكان ، حتى تسامعت به مدينة تبريز ، بل ان ايطاليا نفسها كان لها ولع بهذه الصناعة المالقية ، فكانت تستوردها للاقتناء والنسج على منوالها ومن ايطاليا ذاع صيت هذه التحف الفنية ، حتى عم معظم دول أوربا . هذا وفى خلال القرن الرابع عشر الميلادى كان الفرسان المدجنون ـ على عهد الانفانت النصرانى ـ فى شمال اسبانيا يشتغلون بصناعة الفخار ، بيد أنه لم يعرف على التحقيق ما اذا كان هؤلاء بلنسيو الأصل من سلالات مسلمة ، أم من أصل وسلالة اخرى .

وتوجد بعض القطع الخزفية ذات التصميم الفريد بالمتاحف الاسبانية ، وهى لون أبيض مذهب ، كانت منتشرة فى غرناطة العاصمة بالذات ، وهى مستوردة من مدينة مالقة ، وحتى ما وجد منها بقصر الحمراء يعتقد أنه كان مجلوبا من هذه المدينة ، صاحبة الامتياز فى انتاجه ، ومن خصائص هذه النماذج الخزفية أنها تبقى طول الابد ، فمنها الدوارق التى نشاهدها فى معهد السيد خوان بلنسيه ، حيث نلاحظ تصميمها الخاص ذى اللون الازرق والذهبى ، قد وشى بحروف خطية تشكل فى مجموعها كلمتى « سعادة وسلام » ، ومنها نماذج أخرى لاطباق وأوانى شراب بالاضافة الى دوارق قصر الحمراء ونافوراته التى طبقت شهرتها الافاق

العاج :

يستفاد من تطور صناعة العاج انه استخدم بغرناطة فى القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى ، وذلك فى تزيين السيوف والعصى ، وكان الجزء الرئيسى العاجى من السيف هو مقبضه غالبا ، وأحيانا جرابه ، وهذا كان الجانب الاكبر من هذه المقابض الغرناطية من العاج ، كما كانت هذه الصناعة تدخل فى منتجات غرناطية قد اشتهرت بها هذه المدينة وذلك كالعلب ذات الزخارف الجميلة ، تتخللها صور زهور وحيوانات أو كتابات خطية ، أما أقفالها فكانت فى القالب من النحاس .

المصدفات :

اشتهرت الاندلس منذ العصر الاموى بصناعة التطعيم بالاصداف وسن الفيل ويعتبر منبر مسجد قرطبة الأعظم أكبر شاهد على ما بلغته هذه الصناعة منذ ذلك العهد ، من دقة بالغة ، وروعة ساحرة ، كما يوجد بغرناطة بقايا من منابر مساجدها ، يتضح لنا منها مقدار ما بلغه فن المصدفات فى عهد بنى نصر، فمن هذا عون باب خزانة مطعمة موجودة بمتحف الحمراء ، وكذا نماذج العصا الملكية لعصور غرناطة المتأخرة ، والتى منها عصا « الكردينال كيسنيروس » فقد كانت أيدى هذه العصى تصنع من الفضة والعظم . هذا ، وقد كانت تصنع فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى العصى الصغيرة المطعمة المصدفة ، وهى صناعة غرناطية صميمة ، عرفت بها المدينة « غرناطة » حتى يومنا هذا ، قد أضاف اليها صناعها اليوم زخارف خطية من الاثار الاندلسية ، وبخاصة من نقوش الحمراء الخطية ، مثل شعار بنى نصر « ولا غالب الا الله » .

المعادن :

لقد تحدث المؤرخ العميرى عن صناعة الحديد فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، والتى كانت منها السكاكين والمفاتيح والمقصات ، كمنتجات اختصت بها مدينة مالقة ، كما تحدث نفس المؤرخ عن صناعة الة خاصة من النحاس ، تقذف المياه ، وتشبه الى حد كبير النافورة التى كانت بفناء مسجد الكتبية بمدينة مراكش بالمغرب . ومن الاشياء التى كانت تدخل فى الصناعة الحديدية المبرد ، وكان يصنع غالبا من النحاس وأحيانا من البرونز كذلك كان يصنع من الحديد الحلقات التى ترتكز عليها الابواب ، فتعين على فتحها وغلقها ، وقد وجد باحدى بوابات فناء من قمارش ـ من منشئات يوسف الاول ـ حلقة حديدية مماثلة لما ذكرنا ، بالاضافة الى حزام برنزى مذهب فى نفس هذه البوابة .

الحلى :

عرف عن نساء غرناطة أنهن كن يتفنن فى اقتناء الجواهر والتحالى بها ، استنادا الى ما رواه فى هذا لشأن المؤرخ المعاصر ابن الخطيب ، فكانت الاميرات ونساء الطبقة الراقية يتخذن من الجواهر النفيس منها ، لا سيما ما كان مرصعا بالزمرد والياقوت كالقلائد والاقراط والخواتم ، ذهبا وفضة

لقد كانت مهارة الغرناطيين فى صناعة الحلى عظيمة ، ولكن يبدو أنها خبت قليلا فى عهد بنى نصر عموما ، وربما كان ذلك راجعا الى حرص الشعب الاندلسى على توفير قيمة هذه الجواهر لتأمين سلامة الدولة الناشئة ، وخاصة وان عواصف حرب الاسترداد الاسبانية قد أخذت بمخانق المملكة فى أواخر عهدها كما هو معلوم .

الاسلحة

تحتل هذه الصناعة فى الاندلس مركزا مرموقا بين الصناعات الاخرى ، ومنها على ـ سبيل المثال ـ صناعة السيوف التى كانت ذادت قيمة فنية عظيمة على مر العصور الغرناطية ، فقد كانت هذه السيوف المنسوبة الى هذه المدينة تعرف أيضا بالسيوف الموريسكية ، وهى غاية فى الرقة والقصر ، وأكثر شيوعا واستعمالا .

هذا ، وقد اشتهرت غرناطة أيضا بصناعة أنواع أخرى من الاسلحة غير السيف ، وذلك كالخناجر التى ذاعت شهرتها فى كل من فرنسا وايطاليا على الخصوص ، حيث كانت ذات تصميم معين معروف ..

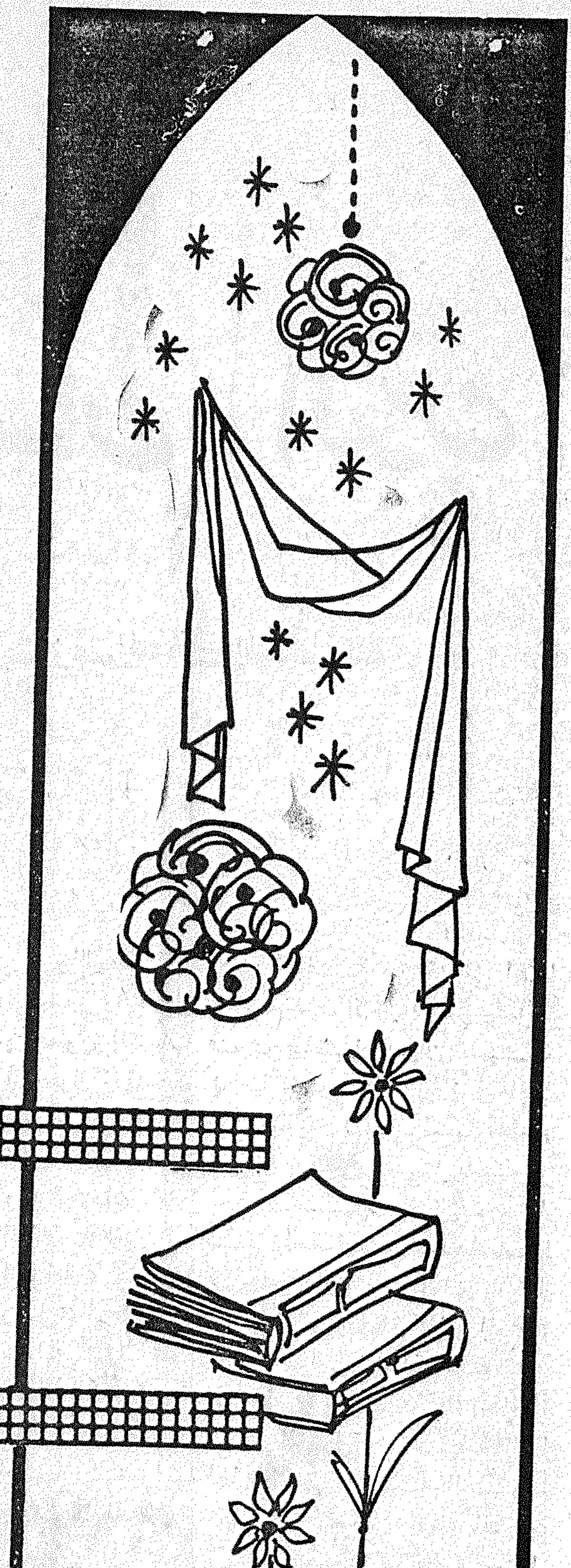

فكر وفن..

أدب • شعر • قصة

مسرحية • فن إسلامي

الإنسان والدين

الأستاذ عبد المغنى المنشاوى

قضية صادقة ناطقة ، لا يعوزها الدليل على صدقها ، ولا تنكر الاسماع جرس نطقها ، وما ظنك ايها القارىء الكريم بقضية ، تطالع عينيك عناصر صدقها من آفاق كلماتها ، ويشنف أذنيك ساحر نبراتها ، وهل يدور فى خاطر الظن ، أن يرتاب من له مسكة من عقل ، أو اثارة من علم ، أن انسانا بلا دين لا يفضل في مستواه – ان صح ان له مستوى – حيوانا بغير تكريم .

يقول الشاعر العربى :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى الى شرف من الانسان

وانى لأرسلها صيحة عالية مدوية ، أن العقل وحده لا يضمن وصولا الى هداية ، ولا عزوفا عن غواية ، الا يكن فما حكمة الحكيم فى ارسال الرسل، وما الهدف السماوى الكريم من تتابع انزال الكتب ان كان فى العقل وحده غناء ، وفى عناصر تفكيره وتدبيره شفاء عن كل داء .

والعجب أن تذهب طائفة من قدامى أهل التفسير والتأويل ،ممن يسمون الاشياء بغير سماتها، ويحملون الكلمات فوق طاقاتها الى أن كلمة : الرسول : قد يقصد بها العقل ، كما ورد فى النظم القرآنى من قول المولى سبحانه (**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) يعنى عقلا ، كما يدعون ، ويقولون ان العقل وحده مناط التكليف ، وان العقلاء مكلفون أن يسلكوا بعقولهم وحدها سبل الهداية ، وليسوا فى حاجة بعد هديها الى ارسال رسل ، أو انزال كتب ، وكأنى بهؤلاء الفلاة المعتزين بهداية العقل قد التاثت عقولهم بعد اذ مستها لوثة الحمق ، فأنكروا فى مكابرة ومجاهرة ، حاجة الناس الماسة الى ارسال الرسل ، وتتابع انزال الكتب ، يتنور بها أهل الارض توجيه السماء وأهدافها السامية ، التى انتظمتها هذه الكتب السماوية فى دستور يستوعب عناصرها ، ويتولى ايضاحها والتطبيق عليها رسل الله المصطفون الأخيار من عباده الممتازين ، اذ لو فطن هؤلاء المكابرون الى أن رحمة الله بالناس لا تبخل عليهم باستيعاب وسائل هدايتهم ، وانتشالهم من

ضلالتهم ، لما ترددوا في ايمانهم بضرورة ارسال الرسل وانزال الكتب ، هذا الى جانب ايمانهم ، فان العقل لا يستطيع أن يستقل وحده بتحقيق هداية ، أو شجب ضلالة ، ولا تستقطب له عناصر الخير المحض الا على ضوء رسالات سماوية ، وكتب ربانية .

ولو فطن هؤلاء المكابرون كذلك الى أنه مع استقطاب وسائل الهداية السماوية متعاونة مع العقول البشرية ، ظل كثير من الناس عن هذه وهذه معرضين ، وهذا كتاب الله يقول :

ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها ، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين)) ويقول :

(ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب) .

فاذا ظلت هذه الكثرة الكاثرة من الناس غارقة فى أوحال ضلالها ، على الرغم من تضافر وسائل **الهداية والارشاد ، سماويها وارضيها ، فماذا عسى أن تبلغ هذه الكثرة الكاثرة لو نيطت أساليب الهداية بعقول البشر القاصرة الحائرة وحدها ، بعد اذ تخلت عنها** رسالات السماء ــ ان العقل والعلم وحدهما لا يحققان هداية ، ما لم تصحبهما رعاية السماء ، فكثيرا ما تخدع العقول العقلاء ، ويجنى العلم على العلماء ، وهذا كتاب الله يقول :

(أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)

من أجل ذلك تتابعت رسالات الرسل بدين التوحيد ، فى اطار من تعاليم جديدة ، تحملها كل رسالة جديدة ، متساوقة مع ألوان الحياة التى يعيشها من أرسلت اليهم ، متوائمة مع مستوى حالهم الفكرى والاجتماعى ، بدئت هذه الرسالات بآدم أبى البشر ، وتدافعت موجات أنوارها فى الصفوة المختارة من أبنائه عبر القرون ، حتى بلغت ذروة كمالها فى رسالة محمد سيد الرسل ، وهذا كتاب الله يقول :

(ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) ويقول :

(وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ، بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)

وما حرصت رحمة السماء أن تتخول عباد الله برسالات الله ، الا لما سبق فى علمه العليم ، أن الدين فى تنظيم حياة الانسان ، لا تقل الحاجة اليه عن حاجته الى الماء والغذاء والهواء ، ولما شارفت الانسانية أن تبلغ كمالها ، وأفادها دين الاسلام ، فكان خير الأديان وخاتم الاديان ــ ولا عجب بعد أن يسميه رسول الله عليه صلوات الله دين الفطرة ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ــ وان يقول فى حديثه النبوى الشريف :

كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، ان هدف الاديان كلها من لدن آدم الى محمد عليهما السلام ، الدعوة الحق الى كلمة التوحيد ، وشجب كل مظهر من مظاهر الشرك بخالق الخلق ، والحرص الحريص على النهوض بعبادة المعبود ، والاستمساك المتين بعروة كل خلق كريم .

فاذا هيأ الله لعبده أسباب الهداية ، وتخوله بوسائل الرعاية ، حتى يصل به اليه ولا يعفر وجهه بالسجود الا لديه ، وجه نظره وعقله ، أن يجولا فيما حوله وفيمن حوله ، حتى يجتليا فى صفحات هذا الكون العظيم آيات البديع الحكيم ، ويؤمنا عن بصيرة ويقين بوحدانية الواحد وقدرة القادر .

وما أجدر الانسان أن يحاول معرفة ربه عن طريق معرفة نفسه ، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه ، واذا تمت المعرفة ، وجبت العبادة ، بل وجب قصر العبادة على المعبود فى القيام والقعود والركوع والسجود ، وكتاب الله يقول :

(قل أفغير الله تأمرونى أعبد ايها الجاهلون ؟ ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) ويقول :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)

ان الايمان بوحدانية الله ، هو أساس العبادة ، واقنوم السعادة ، فمن هدى الى الايمان بوحدانية ربه ، تداعت له صوادق اليقين بما أنزل من كتب وأرسل من رسل ، وبما احتوت الكتب وجرى على السنة الرسل من آيات ايمان بالملائكة واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

واذا ما أخذ المؤمن نفسه بالتزام ما احتوت كتب السماء من شرع كريم ودستور حكيم ، وبما قعدته قواعد السنة النبوية الحكيمة ،، بتفصيلها ما أجمل فى كتب السماء ، من ألوان شتى فى أصول العبادات والمعاملات ، ومكارم الاخلاق ، تخلص من نزوات شهواته وهمزات شيطانه ، ورفع عن عاتقه نير غرائزه ،، ونفض عن جوهر نفسه صدأ طبائعه ، فقد قلنا مسبقا ان العقل لا يستطيع وحده أن يوفر لصاحبه ما يوفره الدين من تخطيط سليم وهدى كريم ، يتحامى بهما غزو الغرائز ، وفساد الطبائع ، فهو من تعاليم دينه فى حشد حاشد يصون فيه مبادىء الانسانية ، ويقتل فيه نزوات الحيوانية ، ويجليه على أعين الناس فى ثوب المسلم الامثل ، والانسان الافضل ، وبهذا يتحقق ما أراده له دين الله ، انسانا يلحق فى آخر المطاف بركب الملائكة ، لا حيوانا يتدلى بغرائزه وطبائعه الى دركات الشياطين .

وبهذا تصدق القولة القائلة : **انسان بلا دين ، حيوان بغير تكريم .**

الا وان الايمان بالله منحة يودعها الله قلب عبده المؤمن ، فالايمان أول أمره منحة رب ، لا ثمرة جهاد عبد ، يتضافر على صيانها عقل يفكر فيها ، وقلب يتفانى فى حبها ويحميها ، ثم تتجاوب الجوارح مع دعوات القلب والعقل ، ويتظاهر هذا الجمع الخير فى ميادين العمل الصالح ، جاهدا ان ينفذ ما شرع الله ، لتحقيق صوالح عباد الله ـ وهذا هو الاسلام ــ الذى هو ثمرة الايمان ــ وفيها يقول كتاب الله :

(يمنون عليك أن اسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين)

وبهذا نخلص بأن الاسلام احدى ثمرات الايمان ، وأن الايمان ، منحة من منح الرحمن . يتحدث الينا الحديث القدسى ، فيما يروى عن رب العزة : **كنت كنزا مخفيا ، فاردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فبى عرفونى .**

اذن والله لولا الله ، ما عرفنا الله ، ولا عبدنا الله ، ولا فطنا لهدف رسالتنا فى هذه الحياة .

ان العبادة المثالية هى العبادة التى علمنا اياها رسول الله عليه صلوات الله بقوله : **الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن أراه فانه يراك .**

فياله من درس سماوى عجب ، يلقيه علينا رسول الرحمن فى مدرسة السنة كما كان يلقى فى مدرسة القرآن ، فبدون العبادة لا يقوم للايمان بنيان ، وبالعبادة الناقصة يظل بنيان الايمان مزعزع الاركان ، والمؤمن الكيس من لم يقصر عبادته على الصوم والصلاة ، والحج والزكاة ، بل ينتظم بعبادته كل ألوان الخير فى هذه الحياة ، ليظل عابدا فى متجره ومصنعه ، بل فى أثناء فراغه ونزهته ، وطعامه وشرابه ، كما يعبده سبحانه فى مسجده ومحرابه ، أما أولئك الذين يظنون أن عبادة الله ومراقبة الله ، مقصورة على أوقات يؤدون فيها الشعائر ، ثم يباح لهم بعدها أن يعيشوا بالفكر الساهى ، والقلب اللاهى ، فقد عجزت عبادتهم الكسيحة العرجاء ، أن تطير بأجنحة من الضياء ، الى أبواب السماء ..

فما أجدر العبد الكيس أن يأخذ نفسه فوق عبادة مولاه بالصوم والصلاة والحج والزكاة بعبادة أخرى موصولة الحلقات ، من الفكر الدارس ، والذكر الواعى ، والمراقبة والمحاسبة ، ليظل بها عابدا الله فى كل لحظاته ، فى أنفاسه وخطراته ، فى الخلوة والجلوة ، والفراغ والعمل ، بل فى النوم واليقظة ، ولا عجب ، فقد يعبد الصدر عند النوم صانعه البديع ، باطراد أنفاسه ، كما يعبد القلب الخفاق مبدعه بانتظام دقاته .

وان من مظاهر رحمة الله بنا جماهير المسلمين أن يمن علينا — ولله المن والفضل — أن هدانا للايمان ، كما هدانا للايمان بقضائه وقدره ، ايمانا لا تتزعزع أركانه ، ولا تنقض جدرانه .

ان الايمان المكين بقضاء الله وقدره ، يعصم المؤمنين به من الغرور اذا حالفهم الظفر ، كما يعصمهم من الضعف واليأس والخور ، أن كرثتهم كارثة أو مسهم ضرر ، كما يبعث هذا الايمان بقضاء الله فى قلوب المؤمنين الوانا شتى من الفضائل والمحامد ، كالشجاعة وعزة النفس ، والتعالى عن دنيا الدنايا ، لاعتقادهم أن النفع والضرر بيد الله وحده ، لا بيد أحد سواه — فلو اجتمع الانس والجن على أن ينفعوا انسانا أو يضروه ، ما استطاعوا أن يجاوزوا فى سبيل ذلك ما كان مسبقا فى كتاب علم الله وقضاء الله فالمؤمن بقضاء الله باسم الثغر ، دائم البشر ، حليف التفاؤل ، فى جميع حالاته ، لانه مطمئن الى رحمة الله ولطفه وعدله .

فما أحوج الانسان الى دين سماوى يطمئن اليه قلبه ، وترتاح له نفسه ، فى دنيا صراع وكفاح ، تنتاشه رماح مشاكلها ومفاتنها فى كل مساء وصباح ، ولعله اذا حزبته شرورها ، واشتد عليه حرورها ، أن يجد من دينه جنة خضراء ، يستجم فى ظلها ويستعصم ، ثم يعود سيرته الاولى ، قادرا أن يستأنف معها الكفاح فى ثقة بالنجاح . كل هذا ما دام مستمسكا بعروة دينه ، محتويا مبادئه السامية فى ثنايا يقينه ، وفى هذا المعنى يقول ابن حزم : **ثق بالمتدين ولو على غير دينك ، ولا تثق بغير المتدين ولو على دينك .**

وانا لنكررها فى غير سأم أو ملل ، ان الدين ضرورة روحية اجتماعية ، لازمة للانسان لزوم الهواء والماء لحياة الاحياء ، ولعلنا أن نفطن الى ما احتوته رسالات السماء من رحمة واسعة وهدى كريم ، اذ نسمع كتاب الله يخاطب رسول الله **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين .**

وما أروع أن نصغى الى فقرات قصار من ميثاقنا الوطنى ، الذى وضعه زعيمنا الشعبى ، وهى تهتف بالاديان السماوية جميعا ، وتشيد بآثارها الخالدة فى تربية الضمير ، وتقوية العزيمة وسمو الاخلاق .

ان القيم الروحية الخالدة ، النابعة من الاديان ، قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة .

ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحرية والحياة ، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين ، هو فرصة متكافئة لكل انسان .

يتعين علينا أن نذكر دائما أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب ، من مثلها العليا ، النابعة من أديانها السماوية ، أو من تراثها الحضارى ، قادرة على صنع المعجزات .

نسأل الله عونا سماويا لجماهير المسلمين ، حتى يستمسكوا بمبادىء دينهم ، ويهتدوا بهدى رسولهم ، فان هذا وحده طريق النصر المؤزر على ضراوة أعدائهم الفاشمة ، وعنصريتهم الظالمة ، التى دفعتهم أن يكونوا أعداء لجميع الاوطان والاديان ، فانحطوا بذلك من صفوف الانسان الى دركات الحيوان — وها نحن أولاء جميعا نستعين من بيده مقاليد الفتح والنصر ، أن يمنحنا الغلبة عليهم وربنا الرحمن المستعان .

كلمات حول التصوف

فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى

لم يتعرض علم من العلوم الاسلامية لمثل ماتعرض له التصوف الاسلامى من جدل وخلاف . ولم يقع الخلاف فيه بين علماء المسلمين فحسب بل كان مجال الخلاف فيه فسيحا بين الباحثين والمؤرخين من المستشرقين ولئن حاول هؤلاء المستشرقون ان يربطوا بين نشأة كثير من العلوم الاسلامية وبين غيرها من علوم اليونان وفارس ويلحوا فى اثبات الصلة بينها بما بدا من ملامح واشباه ليسلبوا العرب فضل ابتكار تلك العلوم وتشييد قواعدها فقد وجدوا فى علم التصوف الميدان الذى يتنافسون فيه ويجرون اقلامهم وعقولهم للتشابه الواضح بين بعض مظاهر التصوف الاسلامى ومظاهر التصوفات السابقة عليه لدى بعض الطوائف والامم .

كثر الجدل والخلاف حول جوانب التصوف ، حول اسمه ، وحول حقيقته ، وحول نشاته واختلفت وجهات النظر فى هذه الجوانب الى مايقارب التناقض .

اختلفوا فى ماخذ كلمة التصوف وما تفرع منها وفى أصلها فقال بعضهم انها من الصوف ، لان شعار المتصوفين فى الغالب لبس الصوف . وقال آخرون انها من الصفه وهى الدكة التى كان يجلس عليها بعض فقراء الصحابة فى المسجد النبوى ، وقالت جماعة : انها من الفعل صوفى مطاوع صافى أو من الفعل تصوف اى لبس الصوف ، قبل ذلك كله وقيل غيره واختار بعض العلماء ان يكون التصوف من الفعل تصوف . ورفض القشيرى أن تكون كلمة المتصوفة مشتقة من ذلك كله وقال : الظاهر انه لقب اطلق على الجماعة المعروفة ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه لقب . ومن قال : اشتقاقه من الصفاء او صفة فبعيد من جهة القياس اللغوى ، وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه .

واختلفوا فى حده على أقوال لاتكاد تحصر . فقيل : انه صفاء المعاملة مع الله تعالى ، واصله العزوف عن الدنيا وقيل : انه ترك كل حظ للنفس . وقيل : انه التبرى عمن دونه والتخلى عمن سواه . وقيل انه رؤية الكون بعين النقص بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص وقيل : انه ضبط حواسك ومراعاة انفاسك . وقيل : انه الصبر تحت الامر والنهى . وقيل : انه تصفية القلب عن موافقة البشرية ، ومفارقة اخلاق الطبيعة واخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسية ، ومنازلة صفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ماهو اولى على السرمدية ، والنصح لجميع الامة ، والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشريعة

هذه جملة من حدود التصوف وله حدود اخرى غيرها وما ذلك الا لان مفهومه غير واضح وحقيقته غير محددة وكل من العلماء او المتصوفة يعرفه من وجهة نظره الخاص وباحساسه النفسى ، وكلها تعاريف بالخواص او اللوازم القريبة أو البعيدة فهى كما يقول المناطقة رسوم لا حدود .

ولقد احس المستشرق (نيكلسون) بقصور ماورد فى تعريف التصوف عن كشف حقيقته وتحديد هويته فقال : والتعاريف المتعددة للصوفية التى وردت فى الكتب العربية والفارسية وان كانت ذات فائدة تاريخية فان اهميتها الرئيسية فى انها تعرض الصوفية على انها غير ممكن تحديدها وقد قص جلال الدين الرومى فى كتاب المثنوى قصة عن فيل عرضه بعض الهندوسيين فى حجرة مظلمة فتجمع الناس ليروه ، ولكن ظلام المكان منعهم ان يبصروه فلمسوه بايديهم ليعلموا على اى مثال هو فلمس بعضهم خرطومه فقال : انه يشبه انبوبة الماء ، وبعضهم اذنه فقال : لابد ان يكون كمروحة كبيرة ، وآخر رجله فحسب انه كالسارية ، ولمس بعضهم ظهره فاعلن ان الحيوان لابد ان يشبه العرش العظيم ، وكذلك حال الذين يعرضون للتصوف بالتعريف لايستطيعون الا ان يحاولوا التعبير عما احسته نفوسهم ولن يكون تعريف يضم كل خفية من الشعور الدينى المستكن لكل فرد ، ومن قبل ذلك قال الغزالى : التصوف امر باطن لايطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف فى اطلاق اسم الصوفى وقال بعض المنصفين فى التصوف : وقديما حار الناس فى تعريف التصوف وتشعبوا فيه الى مائة راى بل زادت اقوالهم فى ماهيته على الف قول .

ولقد كان العلامة ابن خلدون حصيفا دقيقا كعادته حين تعرض لتعريف التصوف فلم يسلك فيه مسلك المناطقة الذى سلكه فى تحديد العلوم الاخرى حيث حدها بحدودها المنطقية بل عرفه بجملة من خواصه فقال واصلها (الطريقة) العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف فلما نشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده

وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية .

واما اختلاف العلماء فى نشاة التصوف فهو ايضا اختلاف بعيد المدى خاصة بين المستشرقين، واننا لنلمح فى احاديثهم عن التصوف الاسلامى روح الشعوبية المتحاملة واثر التعصب البغيض ونحس ذلك فى اضطرابهم فى نسبة التصوف الاسلامى فقد نسبوه الى البوذية مرة والى المانوية مرة اخرى والى اليهودية مرة ثالثة والى المسيحية مرة رابعة والى غير هؤلاء مما راق لهم ان ينسبوه اليه

ولو انصف هؤلاء لاراحوا انفسهم من هذا العناء فليس الامر بمشكل فى نظرنا ، وبدراسة منصفة مجردة عن الهوى لمفهوم التصوف تستقيم الافهام وتنصف الاقلام ويوضع الحق فى نصابه ويرجع الامر الى اهله .

ان التصوف حقائق ومفاهيم ومظاهر ورسوم والحقيقة الكبرى فى التصوف وهى اساسه وعماده معرفة الله ومحبته والقرب منه وتذوق اللذة والاطمئنان فى حماه وما عدا ذلك فتوابع له او رسوم ووسائل تنير الطريق وتعين على بلوغ الغاية ونعنى بالمعرفة معرفة حضرة الربوبية المحيطة بكل الموجودات اذ ليس شىء سوى الله تعالى والكون كله من افعاله .

ومعرفة الله ومحبته كانت ومازالت موضع البحث ومثار الشوق ومنتهى آمال اصحاب النفوس الصافية من كل امة زمن اتباع كل دين منذ خلق الله الانسان ومنذ عرفت البشرية الاديان وفى فترة مابين الاديان واذا كانت هذه القضية مسلمة وما اظن الا انها مسلمة ، فدعوى انتساب التصوف الاسلامى الى غير المسلمين دعوى يعوزها الدليل ، لان المسلمين وبخاصة الصحابة الاولين كانت اشواقهم الى معرفة الله شديدة وتطلعهم الى اجتلاء انواره وتعرف اسراره غير محدودة ومعرفة الله جزء من الايمان بل هو اهم جزء فيه لايتم الايمان الا به وآيات القرآن فى وجوب معرفة الله وحبه وحث المسلمين اليها كثيرة منها قوله تعالى :

(قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره ان الله لايهدى القوم الفاسقين) .

فمعرفة الله وهى الفكرة الاساسية فى التصوف والتطلع اليها قدر مشترك بين المؤمنين جميعا لاتصح فيها دعوى الاقتباس والاخذ وما بعد هذه الفكرة من مسائل علم التصوف رسوم ووسائل اليها يختلف فيها المجتهدون من كل امة ، كل حسب اجتهاده وتوهج شوقه وكثير من رسوم التصوف منذ وجد الاسلام ورحلات النبى صلى الله عليه وسلم الى غار حراء للخلوة والتامل والتفكر والمناجاة قبل ان يبعث بالرسالة معروفة وقد عرف كثير من الصحابة بحب الخلوة والذكر والزهد فى زخارف الدنيا وايثار الخشن من الثياب استصفاء لنفوسهم وشوقا الى القرب من ربهم وتهيؤا لاستقبال المعارف الالهية والاسرار الربانية قبل ان يختلط المسلمون بغيرهم من الامم وقبل ان يقفوا على ماعند غيرهم من العلوم .

ان الحقائق الصوفية الاسلامية الهامة والرسوم الصوفية الهامة نتاج اسلامى خالص كانت لابد ان توجد بين المسلمين كما وجدت بين غيرهم ولو لم يختلطوا بامة من الامم او جماعة من الجماعات .

قال بعض المستشرقين فى دائرة المعارف الاسلامية : ان منشأ النزوع الى التصوف هو ثورة الضمير على مايصيب الانسان من مظالم لاتقتصر على مايصدر عن الاخرين وانما تنصب أولا وقبل كل شىء على ظلم الانسان نفسه وتقترن هذه الثورة برغبة فى الكشف عن الله باول وسيلة يقويها تصفية القلب من كل شىء وهذا الذى نلمسه فى سيرة الحسن البصرى وفى غيره ، على ان النزوع الى التصوف ـ وما خلا منه قطر من الاقطار أو امة من الامم لم يكن يعوز البلاد العربية الاسلامية فى القرنين الاولين للهجرة ، وقد اضطر نيلكسون وهو من اشهر من كتبوا من المستشرقين فى التصوف الى ان يعترف بالعجز عن بيان علاقات محددة واضحة بين التصوف الاسلامى ، وغيره من تصوفات الامم وان يعترف ايضا بانه كان من المحتم ان يقوم فى الاسلام لون من التصوف ولو لم يختلط المسلمون بغيرهم

أصالة العروبة فى فلسطين عبر التاريخ

فضيلة الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب

أسلم عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – عن برهان ، بقلبه ولسانه ، وصحب النبى – صلى الله عليه وسلم – طيلة حياته ، ولم يفارقه فى حضر ولا سفر ، بل قل لم يترك مبادىء الاسلام التقدمية حتى فارق الحياة ، ولذلك كان عمر – رضى الله عنه – متشبعا ومنفعلا بتعاليم القرآن ، فلما تولى الخلافة بعد أبى بكر – رضى الله عنه – الصديق الاول لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – حقق الحلم ، الذى كان يراه من اقامة دولة اسلامية عادلة ، تحكم الدنيا حكما عربيا خالصا ، تحقيقا لقول الله تعالى فى سورة الرعد آية ٣٧ ((وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق)).

دخل عمر القدس فاتحا ، فأمن أهلها وأقر المساواة على طقوس أديانهم ، وضمن لهم الحفاظ على دور عبادتهم وأحكامهم وتعاليمهم ، وحررهم من الحكم الرومانى ، وأصدر عهدا لجميع أهالى القدس على اختلاف مللهم وأجناسهم بضمان حرياتهم والمحافظة على ممتلكاتهم واعلان شعائرهم الدينية وعدم التعرض لهم وصيانة كنائسهم ومعابدهم ، لان الاسلام دين مسامحة ويراعى حسن الجوار ، ولذلك سعد الجميع بحكم الاسلام ورضوا عن حكومة المسلمين ، فازدهرت القدس بالمسلمين، وازدحمت فلسطين بالعرب وتدفق نحوها سيول من القبائل العربية وازدادت عروبتها بوفرة من النازحين اليها من أطراف الجزيرة العربية ودخل فى الاسلام كثير من الناس ، بفتح العرب للقدس ، ودخولها تحت حكم الاسلام ، وزوال حكم الرومان ، وتجلى فى أيام عمر العنصر العربى وعلا نجمه ، وارتفع شأنه ، وتلاشت بجانبه الاجناس الاخرى وأمحت بعض العناصر الغريبة والاجنبية عن العرب ، وخصوصا العنصر اليهودى ، الذى انماع أمام الحكم العربى ، كما ينماع الثلج تحت أشعة الشمس ، ولا غرو ، فان كثيرا من العناصر الاجنبية والأجناس ، نزحت الى فلسطين العربية وأقامت بها مئات من السنين ولم يتأثر الجنس العربى ، ولم يتغير عن قوميته ، بل بقى ثابتا فى دياره ، مقيما فى ساحاته ، طاغيا على كل عنصر ظهر أو سيظهر فى تلك البقاع العربية الخالصة ، فقد دخلت القدس الى تلك البلاد العربية واحتلتها مئات من السنين ومع ذلك لم يذب العنصر العربى ، ودخلت الرومان وعاشت فى مدنه وقراه ، بحكمها وسيطرتها ولم يتحول العرب الى الجنس الرومانى ، وبقى متمسكا بعروبته وقوميته ، وكذلك بنو اسرائيل قد سكنوا قبل ميلاد السيد المسيح تلك البلاد العربية وأقاموا بفلسطين مددا متصلة ومنفصلة، فى سنوات عديدة ، فى أيام موسى ، وداود ، وسليمان – عليهم أزكى الصلوات والتسليم – ومع ذلك لم تزل الروح العربية مسيطرة على هذه البلاد ولم تمح الأصول الكنعانية والقحطانية ، ولم تتغير قومياتهم او تتبدل عاداتهم ولم تذهب عروبتهم ، بل

بقيت سائرة فى موكبها العربى ، منذ ظهرت العرب العاربة من ايام الكنعانيين الى أن ظهرت العرب المستعربة من ذرية اسماعيل بن ابراهيم – عليه السلام – والجزيرة العربية من المحيط الهندى الى البحر الابيض المتوسط لا تزال كما هى ، عروبة واحدة ولغة واحدة وقومية واحدة ، وستظل كذلك الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، العربى له صفات طبيعية متوارثة لا يتخلى عنها ، وصفات معروفة فيه ، فالعربى معروف باعتدال قامته وكبر رأسه ، وحسن وجهه ، وسعة عينيه ، ومشهور بطلاقة اللسان ، وحدة الذكاء وقوة الجنان ، ولديه ثروة وافرة من الشهامة والجراة والصراحة وحسن الطوية ، وتجد تلك الصفات مطبوعة فى سائر الجنس العربى ، من الحجاز الى العراق ، الى الاردن الى سوريا الى فلسطين الى لبنان ، فالعربى هو فى فلسطين كما هو فى الحجاز ، أما اليهودى فله سحنة خاصة ، ورطانة فى لسانه ، ورداءة فى منطقه ، وصغر فى رأسه وخنافة فى صوته ، فوق ما توافر لديه من ثروة المكر والدهاء ، وحب الشر والعدوان ، واذا اختلط يهودى بين أجناس من الناس ، استطعت أن تميز وأن تبرزه من سحنته ولهجته وطرق معاملته ، فدعوى اسرائيل أن فلسطين بيئتهم وانها موطن أجدادهم ، دعوى لا تقوم على أساس من الواقع الملموس ولا من التاريخ الصحيح ، وقولهم أن فلسطين ملك لنا توارثناه عن آبائنا واجدادنا ، قول زائف تتهاوى قواعده ، أمام ما ثبت عن العروبة القائمة فى فلسطين ، من قبل الوجود الاسرائيلى ، وكما تبين للقارىء الكريم، من تتبع المسيرة العربية فى المقالات التى نشرتها مجلة «منبر الاسلام» من حقيقة اسرائيل ، وحقيقة الوجود العربى ، الذى تمثل وتجسد فى القبائل الكنعانية والقحطانية ، والمناذرة والغساسنة الذين كانوا يسكنون فلسطين ، وسوريا ولبنان، وشرق الاردن، ولا تزال ذرياتهم قائمة وعائشة فى فلسطين ، ولا تزال باقية بنسلها العربى الاصيل الى اليوم ، وكل من اختلط بهم تلاشى ، أو سمح له بالاقامة بينهم ، انماع وهلك،

وكما تلاشت كذلك ذرية يعقوب (المسمى باسرائيل) والذى تنسب اليه الصهاينة ، كما تتلاشى حثالات الحشائش تحت اقدام السائرين فى البستان ، وذابوا فى بوتقة العروبة القاهرة ، التى تهضم كل ما ألقى فيها ، بل ان بنى اسرائيل فى مصر لم يظهروا بالتعالى على المصريين ، فى أيام موسى ويوسف ، ولم يظهروا فوق نهر العروبة الجارف بفلسطين أيام سيدنا داود وسليمان ، ولكنهم كانوا أوزاعا وخفافيش يفزعون من الخوف ، كما يفزعون اليوم من فدائيى العرب الامجاد ولم يكن لهم صف بين الخطوط العربية ، بل ذابوا كما تذوب الحفنة من التراب تحت وابل المطر ، ولما ظهر بنو اسرائيل فى أيام عيسى وزكريا ويحيى مرة اخرى ، لم يقفوا جنبا الى جنب بجوار العرب ولم يجسروا أن يواجهوا العرب بملكيتهم لبلاد فلسطين ، وانما عاشوا بجوار العرب كما يعيش الضيف، فى منزل كريم معطاء ولا بد للضيف أن يرحل ، وكانت العرب مشهورة بايواء الضيف ، وحسن الجوار ، واعطاء الامان لكل من احتمى فيهم ، أو ركن اليهم ، الى أن ظهر الاسلام فى سنة ٦١٠ م وهاجر الرسول – صلى الله عليه وسلم – الى المدينة فى سنة ٦٢٣م وجد اليهود يسكنون المدينة وما حولها ولهم فيها مزارع ، فعاهدهم على الامن على أموالهم وأرواحهم ولم يكرههم على اتباع دينه وكل ما طلبه أن يسالموه ولكنهم نكثوا فى عهدهم ، ولم يمض على العهد أكثر من اربعة أعوام ، فاجلاهم الرسول من المدينة وما حولها ، وقال لا يجاورنى يهودى بعد اليوم ، ونزحوا الى أذرعات واللد وأريحا ، وفى زمن عمر سنة ٦٣٦ م استولى على الشام جميعها بما فيها فلسطين وبيت المقدس، وارتفع صوت العرب ولم يكن وقتئذ صوت أعلا من صوت العرب ولا سيف يسبق سيف العرب ، فلذلك ارتفع اسم الاسلام عاليا وخفقت أعلامه فى مشارق الارض ومغاربها ، وكان الجيش العربى يسير والنصر أمامه ، والبلاد تفتح من غير معارك ، والناس يستقبلون الجيوش الاسلامية بالترحيب والتهليل والتكبير ، وكان اسم المسلم اذا ذكر

فى بلد من البلاد، أو مجلس من المجالس فزعوا واخذهم الرعب منه ، وحسبوا ألف حساب للمسلم اذا نزل بواديهم ، لما يعلمون عن قوة المسلمين وشدة بأسهم ، ولذلك تشتت اليهود وتفرقوا وتشردوا فى آفاق العالم ، واتخذوا لهم مواطن غير البلاد الاسلامية ، أو كما يقال « دخلوا الشقوق ولم يظهروا فى النور » فى أيام حكومات الخلافة الراشدة ، وفى أيام خلافة بنى أمية ، وفى أيام خلافة العباسيين ، ولم يظهر لليهود وجود ، حتى نشأ المسلم عارفا بانه ليس لليهود دولة وليس لهم وطن ، وانهم يعيشون أفاقين مشردين منبوذين ، كما قال الله تعالى فى سورة آل عمران ، آية ١١٢ « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفو الا بحبل من الله وحبل من الناس، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

وفى هذه الايام السوداء ظهر الوجود الاسرائيلى ، بمساندة الاستعمار البغيض وبمعاونة امريكا اليوم ، والانجليز من قبل ، « وقد اختلسوا النصر الزائف عن طريق هذه الامبريالية ، التى اشار الله اليها بقوله فى الآية السابقة « وحبل من الناس فالحبل الذى طوقوا به بلاد فلسطين هو امريكا تلك الدولة الطاغية المستبدة بالانسانية التى نزعت منها الرحمة على خلق الله ، واعتدت على أهالى « فيتنام » حتى كادت ان تبيدهم ، كما أمدت اسرائيل بالاسلحة الفتاكة والقنابل المحرقة ، والطائرات التى تسبق الضوء فى الانقضاض على البشر المساكين ، والتى تستعملها فى حروب الشعوب التى تريد أن تتحرر وتتخلص من طغيان المستبدين ، واستغلال الظالمين ، والتى نواجهنا بها فى هذه الأيام على ضفاف القنال ، وعلى الاهالى والسكان فى مدن الاسماعيلية والسويس وبورسعيد ، فقتلوا الاهالى بقنابلهم وهدموا المنازل بصواريخهم ، وهدموا المساجد والمدارس والمستشفيات ولكننا لن نصبر على

عدوانهم ، ولن يرسلوا أسلحتهم للحصاد بعد اليوم ، فسنكيل الصاع صاعين ، فقد استعددنا لهم بكل امكانياتنا واعددنا السلاح بكل انواعه وسنبذل الارواح في سبيل النصر ونموت وتحيا بلاد العرب ، ويعيش الاسلام، وسنرسل من يخرج اكبادهم ويمزق اجسادهم من الفدائيين العرب الذين باعوا انفسهم واموالهم لله تعالى ، وبايعوا الله على الموت وطلب الشهادة واقسموا الا يعودوا الى اوطانهم وأولادهم واموالهم حتى يطهروا بلاد العرب من رجس الصهيونية ، وتعاهدوا مع الله على الموت في سبيله لينالوا ميراث جنة عرضها السموات والأرض اعدت للشهداء ، شباب فدائي ، مؤمن باشر الاسلام قلبه ، فانسابت روحانيته في الجهاد ، فوهب نفسه للجهاد في سبيل الله ، لا يسأل من الدنيا شيئا وانما يسأل لقاء الله والدار الآخرة ، جاء شاب يريد الاسلام ، يدعى شداد ابن اوس ، فقال يا رسول الله اريد الاسلام على أن تختارني جنديا محاربا وفدائيا مخلصا لاني اريد الشهادة ، وأن اقتل هكذا واشار الى رقبته ، فلما جاءت الغزوة دعاه الرسول للغزو ، فذهب مع الجيش ولكنه عاد سالما منتصرا ، فاعطاه الرسول — صلى الله عليه وسلم — نصيبه من الغنائم فردها على رسول الله وقال ما خرجت لطلب المال والدنيا ، وانما خرجت لانال الشهادة ولاجل ان اذبح هكذا واشار الى نحره ، فلما كانت الغزوة التالية دعاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فخرج مع الجيش ودعا ربه ، أن يستشهد وان يقتل في تلك المعركة ، فلما كانت المعركة تفانى في القتال ، واندمج في صفوف المقاتلين حتى قتل واستشهد ، واستجاب الله دعوته ، فعلم الرسول باستشهاده فوقف على جسده الطاهر ، وقال اللهم ان عبدك هذا قد عاهدك على الموت في سبيلك وقد صدق في عهده ، واني على ذلك لمن الشاهدين ، وهذا عميرو بن الحمام ، لما وجد المسلمين قد اصطفوا للقتال ، أخذته روحانية الشهادة وكان يوم صوم فرمي بالتمرات التي في يده ، وقال انها لحياة عريضة لو تأخرت لآكل تلك التمرات فرمى بها، وتناول السيف واخذ يضرب الرقاب ويفلق الهام حتى خر شهيدا ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لقد رايت عميرا في الجنة بين قصورها يخب في اثوابه خبا ، وهذا جابر بن عبد الله قتل يوم احد فحزن عليه ولده عبد الله بن جابر ، وقال يارسول الله اين ابي ، فقال يا عبيد الله في الجنة وما من شهيد الا كلمه الله من وراء حجاب ، اما ابوك فقد كلمه الله كفاحا ، وقال له تمن ياجابر ، فقال يارب اريد ان احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ، فقال لقد مضى قولي انهم الينا لا يرجعون ، فقال يارب اخبر من ورائي بما اعددت للشهداء في الجنة ، من نعيم مقيم ، فنزل قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وها هم فدائيو العرب ، تسرى في جوانبهم روح آبائهم الاولين . الذين حملوا راية الاسلام وطافوا بها في الآفاق يقومون بنفس الروح الوثابة ، يقضون مضاجع اسرائيل ويقلقون نفوسهم وينزلون بهم أروع الفزع حتى يرحلوا من بلاد العرب ، ولا بد ان يرحلوا لانهم غرباء مستجلبون من بلدان اخرى ، واذا عاشوا فسيعيشون غرباء، والغريب لا يطمئن قلبه في غير داره ، وسيبقى بين فزع وقلق الى ان تنتهي حياته ، وان فدائيي العرب يحملون في نفوسهم ايمانا قويا وقلبا فتيا ، وشجاعة خارقة ، لا يقبلون الضيم ويأبون المهانة ، وقد تعاقدوا مع الله على الموت والفداء في سبيل تحرير الوطن العربي وطرد الصهاينة الاغرار ، حتى تكتب شهادتهم عند الله ويحفظ لهم التاريخ هذا الجهاد المشرف العظيم، واذا كان هذا هو دور الفدائيين في فلسطين اليوم ، فمن ورائهم الشعوب العربية وخصوصا الجمهورية العربية المتحدة ، فانهم جميعا مستعدون للمعركة وينتظرون يوم الاذن بحمل السلاح ، واعلان صوت الجهاد ، وسترى اسرائيل من هم العرب الامجاد ، ومن هم اولاد عدنان ؟ فسيجدون ان شاء الله ، فتياننا اشداء، وجنودا اقوياء وشبابا قد تفانى في الدفاع عن الاوطان ، وسنصليهم نارا حامية ونقلب ساحة معاركهم سعيرا ، ولن يجدوا امام سيوف العرب وأسلحتهم سوى الانتحار او الفرار ، وطلب الخلاص ، وان الشعوب العربية قد تعاهدت مع الله على بذل المال والنفس والالتحام مع الجيوش العربية المحاربة حتى يظفروا بالنصر والغلبة ، وان النصر قريب ، ودنا ظهور نوره ان شاء الله ، يقول تعالى في كتابه من سورة الحج « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » وان هذه الآية نزلت على رسول الله قبل فرض الجهاد ، وتنادى الى حمل السلاح لقتال من قاتلهم والدفاع عن اوطانهم برماحهم ، لانهم ظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق ، وان اسرائيل الغادرة قد فعلت ذلك مع عرب فلسطين ، فقد قاتلتهم وهدمت دورهم ومعابدهم واخرجتهم من ديارهم عراة مشردين في الآفاق ، لا يرحمون امراة ولا طفلا ولا شيخا ، بل ولا انسانية عندهم ففي الآية ما يبشر بالنصر والفوز ، ويحقق الآمال ولذلك خرج المسلمون بعد سماع هذه الآية ، الى لقاء العدو وقتاله ، والنحر في صدره ، مع انهم كانوا في قلة والعدو في كثرة ، ولكن كان عند المسلمين شغف الى الدماء وطلب الموت ، فقاتلوا وعندهم عقيدة حب الموت ، وطلب لقاء الله ، لانهم اذا قاتلوا وقتلوا فسيدخلون جنة عرضها السموات والارض، ويرثون نعيما مقيما، ولذلك نصرهم الله في غزوة بدر على قلة عددهم ، لثقتهم بالنصر ، قال تعالى في كتابه الكريم « ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون »

واننا نثق بوعد الله لنا نحن المسلمين ، بالنصر والفوز على اعدائنا، والغلبة عليهم ان شاء الله ، لما يأتي :

اولا ـ كتب الله النصر لمن آمن بالله، ونفذ تعاليمه واطـاع أمره ، وانتهى بنهيه ، وصدق في عقيدته ، وقاتل عن ايمان واخلاص ، يقول تعالى في سورة محمد آية رقم ٧ « يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركـم ويثبت اقدامكم » وقال تعالى في سورة الحج « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

ثانيا ـ كتب الله الخـذلان على العدو ، والخسران على المعتـدي ، واسرائيـل معروفة منذ وجودها بحب الاعتداء على غيرها ، وقد سجل الله ذلك في كتبه المنزلة ، وقد كرر القرآن امر اعتـدائهم على اوامر الله وعلى الناس ، وعلى الأنبياء ، والمصلحين ، في آيات كثيرة من سورة البقـرة آية ٦١ ومن سورة آل عمران آية ١١٢ وفي المائدة آية ٧٨ يقول الله تعـالى « لعن الذين كفروا من بني اسرائيـل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

ثالثا ـ أمرنا الله بقتال المعتـدى وكفاحه ، ودفعه حتى الموت ، يقول الله تعالى في سورة البقرة آية ١٩٠ ، ١٩١ « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجـوكم الخ الاية » . وقال تعالى عقب الايات السابقة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » ويقول صلى الله عليه وسلم « من قاتل دون نفسه فهو شهيد ، ومن قاتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قاتل دون عرضه فهو شهيد ، ومن قاتل في سبيل الله فهو شهيد »

رابعا ـ دون كبـار المؤرخين في موسوعاتهم وسجلوا عن اليهود ، انهم كلما سمح لهم بالاقامة بين العـرب والسكن بديارهم ، احدثوا فتنـا ومؤامرات ، فيسـلط الله عليهم من يطردهم نهائيا من البلاد العربية ويحرم عليهم الاقامة بها ، ففي عام ٥٨٦ ق.م سلط الله عليهم «بختنصر» ملك بابل فهدم مساكنهم واسرهم في سجن بابل، ودمر معبدهم في القـدس ، وازال الوجود الاسرائيلي ، من القدس ومن فلسطين ، وبذلك زالت دولة اليهـود من فلسطين ، بسبب فسـادهم ومؤامراتهم ، بعد أن عاشت اربعـة قرون من « ١٠٠٠ ـ ٥٨٦ » ق.م وفي سنة ٧٠ م. في أيام الرومان ثاروا على دولتهم واحدثوا شغبا في البلاد العربية فانتقل منهم الحاكم « تيتوس » ونكـل بهم شر تنكيل ، بالقتل والتمثيل ، وقد فر كثير منهم متنكرا الى سوريا ومصر والبلاد العربية الاخرى ، وخلت منهم فلسطين ، واستراحت القـدس من شرهم ، وفي سنة ١٣٥ م حاول اليهود الثورة على الرومان مرة أخرى في زمن الحاكم الروماني « هيرودوت » فاحتل منطقتهم في فلسطين والقدس ودمـر مساكنهم ، واحرق مزارعهم ، وقتـل أهلها ، وهدم الهيكل ، وحرث أرضه ، وبنى مدينة جديدة للقدس ، وحـرم على اليهود السكن بالقدس ، وبذلك لم تقم لليهود قائمة بعد تلك المحاولة وزال وجودهم من القدس وفلسطين ، ولم يظهروا فيها بمظهر سياسي أو قومي أو اجتماعي حتى ابتداء القرن العشرين وصدق الله اذ يقول تعالى في سـورة الاعراف رقم ١٦٧ « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم » .

خامسا ـ ان الاسرائيليين مطبوعون على الجبن والخوف بطبيعتهم ، وانهم يفرون من ميدان القتال ، ولا يحبون أن يقفوا أمام عدوهم وجها لوجه ، قـال تعالى : في سورة آل عمـران آية ١١١ « لن يضروكم الا أذى وان يقـاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » وقال تعالى في سورة الحشر المسماة بسورة بني النضير ، « طائفة اليهـود » . مسجلا تجسد جبنهم وخوفهم وفزعهم من العرب المسلمين « لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعـا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قـوم لا يعقلون » وجنودنا البواسل قد لمست هذا الجبن والخوف والفرار في المعارك الحالية التي تدور بيننا وبينهم الان ، وعرفت عنهم مدى نذالتهم ومـكرهم وهول جبنهم وفزعهم .

وقد شاء الله تعالى ان تعـود اسرائيل ، الصهيونية الى الوجود وان يصعد صوتها في بلاد العرب بمساعدة دول الاستعمار القـديم ، في شخص الانجليز ، وتحت سلطان الاستـعمار الجديد في شخص أمريكا ، فقد ساندتهم الاولى في ايجاد وطن لهـم ، وسلمت اليهم فلسطين فعلا عقب انتهاء الانتداب الانجليزي ، في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، ومن يومئذ ونحن في نضال مع الاستعمار وفي قتال مع الصهاينة ، ونقاومهم بـكل وسائلنا . لتثبيت الوجـود العربي ، ونحفظ لفلسطين عروبتها الممتـدة من أصول التاريخ القديم ، وقد تصاعد استعدادنا لهم اليوم واعددنا لهـم أقوى الاسلحة وأفتـك الصواريخ ، واستعد العرب جميعا مع الجمهـورية العربية المتحدة ، بكل امكانياتهـم من رجال وأموال واسلحة وايمان ، وان المحنة الاخيرة التي اصابت العرب ، لم تهزها ، ولم تزحزحها ، عن مقاتلة اسرائيل حتى النفس الاخيـر ، وكان اختبارا من الله جمع الشمل وضـم الصف وخلق فينا روحا عالية صامدة ثابتة لا تريم عن حقها قيد انملة ، ولا يهمنا مساعدة أمريكا ، لاسرائيـل ، ومساعدتهم لهم بالسلاح وتسـليم الطائرات السريعة ، التي تسبق الصوت والضوء ، فاننا مع الله والحق واصحاب بلد ، فقد ظهرت بوادر النصر في واقعة يوم ٢٣ اكتوبر سنه ١٩٦٨ على شاطيء القنال ، وفيها واقعة الطائرات في جو بورسـعيد ، ولمسـت اسرائيل قواتنا واستعدادنا العلمي والفني والعسكري ، ولن نجلس معهم على مائدة للصلح ولا بـد من جلائهم ، فالجـلاء عن الارض العربية ، هو أول شرط ينفـذ وأن يعودوا الى حـدودهم الاولى في سنة ١٩٤٨ م ـ والا فسنناجزهم القتال وجها لوجه ، ولن نرجع عن عزمنا على النصر باذن الله ولن نخلـد الى الاستسلام أبدا ، فاما أن نموت كراما أو نعيش احرارا ، وسـيهزم جمـع الاستعمار ويولون الدبر ، ونحن ان شاء الله سننتصر ، وساعة المعركة القادمة آتية ونستعد لها وساعة المعركة ادهى وأمر ، والنصر ان شاء الله مقرون بها لنا ، وما ذلك على الله بعزيز ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ـ اللهم آمين .

على أطلال البرامكة

الدكتور محمد نبيه حجاب

قضى البرامكة فى خدمة الرشيد ، سبعة عشر عاما أو يزيد ، كانت - كما يقولون - غرة فى جبين الدهر ، ودرة فى عقد الدولة ، فقد ساسوا له البلاد بحكمة ، ودبروا له الامور تدبير الخبير .. فازدهرت بهم الحضارة ، واستبحر العمران وبلغت الدولة فى عهدهم أقصى مجدها وأزهى عصورها .

على أن صلة الرشيد بالبرامكة لم تكن وليدة الحكم ولا بنت الساعة ، بل كانت وثيقة الحلقات قبل أن يعتلى عرش الخلافة ، فقد كان أخا من الرضاع للفضل بن يحيى ، ولدا « بالرى » فى خلافة المنصور ، وارتضع كل منهما من زبيدة والخيزران ، وشبا معا فى رعاية هذه وتلك ، بل فى رعاية يحيى البرمكى الذى اختاره المهدى مربيا لولده هرون .

ولما شب الفتى عن الطوق ، والتمس له الخليفة من يدبر شئونه لم يجد أمامه الا يحيى ، فجعله كاتبه ونائبه والقائم بأمر عسكره فى غزواته ورحلاته ، وقد تجلى اخلاصه لهرون ، فى ذلك الموقف التاريخى الذى وقفه من أخيه الهادى حينما أراد أن يخلعه من ولاية العهد ، ويجعلها فى ابنه جعفر ، فقد وقف صامدا مستمسكا بحق الرشيد فى الخلافة ، متحملا فى ذلك ما تحمل من غضب الخليفة ، وكيد الحاشية .

فلما آلت الخلافة الى الرشيد ، كان طبيعيا أن يقلده الوزارة ، وأن يطلق يده فى مختلف الشئون وهذا ما حدث منذ أول لحظة ، فقد قال له : « قد قلدتك أمر الرعية ، وأخرجته من عنقى اليك ، فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب ، واستعمل من رأيت ، واعزل من رأيت ، وامض الأمور على ما ترى » ودفع اليه خاتمه ، فكان يحيى بذلك ذا الوزارتين . وكان عند حسن الظن ، فقد أملت عليه سياسته الحكيمة أن يتألف القلوب بالبذل ، ويستميل الشعراء بالعطاء ، ويعطف على البائسين ، ويجبر عثرات الكرام ..

هكـــذا كان البرامكة ، وهكـــذا كان عهدهم « العصر الذهبى » للدولة ، يقـول ابن الطقطقى ·

« اعلم أن هذه الدولة كانت غرة فى جبهة الدهر وتاجا على مفرق العصر ، ضربت بمكارمها الامثال، وشدت اليها الرحال ، ونيطت بها الآمال ، وبذلت لها الدنيا أفلاذ أكبادها ، ومنحتها أوفر اسعادها فكان .. يحيى وبنوه كالنجوم زاهـرة ، والبحور زاخرة ، والغيوث ماطرة ، أسواق الادب عندهم نافقة ، والدنيا فى أيامهم عامرة .. » وفى عهدهم امتلأت خزائن الرشيد بما كان يجيىء اليهـا من مشارق الارض ومغاربهـا ، فحق له أن يستلقى على ظهره ، وينظر الى السحابة المارة ، ويقول : « اذهبى حيث شئت يأتنى خراجك »

ترى ماذا بدر منهم حتى غدر بهـم الزمان ، وتنكر لهم الاخوان ، وعصف بهم الرشيد .. ؟

مصرع البرامكة :

لأمر ما ضاق الرشيد بالبرامكة ، ولامر ما جرد عليهم سيفه وكانوا أحب النـاس اليه ، وتلفت التاريخ فلم يعرف لذلك سـببا مباشرا ، وذهب المؤرخون فى ذلك مذاهب شـتى ، فمن قائل : بتزايد النفـوذ حتى تضـاءل بجوارهم نفوذ الخليفة . ومن قائل بميلهم الى العلويين الثائرين، أعداء الدولة ، ومنهـم من يرجع السـبب الى الزندقة والشـعوبية ، وميولهم الفارسـية الى الكسروية .

لقـد أفاضـوا وأكثروا الا أن أحدا منهم لم يجزم بما قال ، وانما هى ظنون وأراجيف ، وأنى لهم ذلك ، والرشيد نفسه يهدد كل من أراد أن يستشف منه بواطن الامور .

الا تراه يقول لمحدثه فى شـأن جعفـر وهو مصلوب على الأعواد : من أراد فهم ذنبه ، يوشك أن يقوم على راحلته .

استمع اليه يقول لأخته « علية » حينما قالت له : ما رأيت لك يوم سرور منذ قتلت جعفـرا ، فلأى شىء قتلته ؟ فقال : والله لو علمـت ان قميصى يعلم السـبب الذى قتلت له جعفــرا لأحرقته .

والواقع أن ماذكره المؤرخون من أسباب كفيل بأن يغير عليهم قلب الرشيد ، ومن ثم أخذ يتحين الفرصة للايقاع بهم · فلما سنحت بطش بهم بين عشية وضحاها ، واستيقظ الناس فى صـباح اليوم الثانى من صفر سنة ١٨٧ هـ فاذا جعفـر قائم على الأعواد ببغداد ، مصلوب فى الجذوع على ثلاثة جسور .

قولا لمن يرتجى الحيــــاة أما
فى « جعفر » عبرة و « يحيـاه »
فذاكمـو جعفــر برمتـــه
فى حالق : رأســـه ، ونصـــفاه

مقتل جعفر :

كان جعفر اقرب البرامكة الى قلب الرشـيد ، لسماحته وفصاحته وظرفه ، اتخذه سـميرا ونديما ، فلا يطيق فراقه ولا يفارقه الا ريثما يعود اليه وكان جعفر له نعم الجليس ونعم الأنيس ،غير ان الزمان لايدوم على حال ، ولكل شىء اذا ما تم نقصان . فما كاد جعفر يعود من حرب الشـام مظفرا سنة ١٨٠ حتى شعر بانقباض الخليفة عنه وتغيره عليه .. وأيما كان السبب فقد أخذ نجمه منذ ذلك فى الأفول ..

يقول المسعودى :

« فلما كان اليوم الذى عزم فيه الرشيد على قتل جعفر دعا « بالسـندى بن شاهك » فامره بالمضى الى مدينة السلام للتوكيل بدور البرامكة ، وأن يجعل ذلك سرا لا يعلم به أحد حتى يصل .

وجلس الرشيد يومه بأطيب عيش ومعـــه جعفر ، فلما حان وقت الانصراف شـيعه حتى ركب كأنه لايضمر له شرا.وما ان وصل جعفر الى منزله حتى كان مسرور خادم الرشيد . فى أعقابه وقد جاءه لأمر جلل .

يشير الرواة الى أن الرشيد استدعى خادمـه وقـال له يا مسرور . انى ندبتك لأمر ، لم أن

محمدا ولا القاسم أهلا له ؟ ورأيتك به مستقلا ناهضا . فحقق ظنى ، واحذر أن تخالفنى . اذهب الساعة الى جعفر وجئنى برأسه . فارتج على الخادم ، ووقف ما يحير جوابا .

فقال الرشيد : يامسرور الم اتقدم اليك بترك الخلاف على ؟

فقال مسرور : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن الخطب أجل من ذلك ، والامر الذى ندبتنى له وددت لو انى مت قبل أن يجرى على يدى شيء منه .

فقال الرشيد : دع عنك هذا ، وامض لما أمرتك .

فمضى مسرور حتى دخل على جعفر ، وهو على حال لهوه ، فأخبره بأمر أمير المؤمنين

فقال جعفر - وقد ثاب اليه رشده - : ان امير المؤمنين يمازحنى باصناف من المزاح ، فاحسب أن هذا جنس منه .

فقال مسرور : والله ما افتقدت من عقله شيئا ولا ظننته شرب خمرا فى يومه

قال جعفر : فان لى عليك حقوقا لاتجد لها مكافاة فى وقت الا هذا

فقال مسرور : ستجدنى الى ذلك سريعا الا فيما خالف أمر أمير المؤمنين

قال جعفر : فارجع اليه فاعلمه أنك قد نفذت ما أمرت به ، فان أصبح نادما كانت حياتى على يديك جارية ، وكانت لك عندى نعمة مجددة ، وان أصبح على مثل هذا الرأى ، نفذت أمره فى الغد .

فقال مسرور : ليس الى ذلك من سبيل

قال : فاصير معك الى مضرب أمير المؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه ، ومراجعته اياك ، فاذا ابديت عذرا ولم يقنع الا بمصيرك اليه برامى ، خرجت فاخذت راسى من قرب

فقال مسرور : أما هذه فنعم . ودخل على الرشيد وقال له قد ضربت عنقه يا امير المؤمنين

فقال الرشيد : وأين الرأس ؟ ائتنى به والا والله ضربت عنقك

فخرج مسرور وقال أسمعت قوله ؟ فقال جعفر : شأنك وما أمرت به ، وأخرج من كمه منديلا صغيرا عصب به عينيه ومد رقبته فضربها ودخل برأسه الى الرشيد ، فلما رأى ذلك اقبل عليه يذكره بذنوبه .. وتذهب الرواية الى ان الرشيد ندب بعض أصحابه وقال له اضرب رأس مسرور فانى والله لا أقدر أن أرى قاتل جعفر

ثم ماذا ؟ ثم أمر الرشيد قائده « هرثمة بن اعين » فحمل جثة جعفر الى بغداد وشطرها شطرين ، وصلبها فى ثلاثة جذوع ، ولما رجع الرشيد الى بغداد ورأى ما شطر من جثمانه أغض بصره . فقال له أحد الحاضرين : لقد عظم ذنب من لم يسعفه عفو أمير المؤمنين »

فقال الرشيد ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع : « من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه ، ومن اراد فهم ذنبه يوشك أن يقوم على راحلته » . وفى ذلك من التهديد ما لا يخص لكل من حدثته نفسه أن يعرف لمقتله سببا . ومن ثم كانت حيرة المؤرخين ..

ذكر الأصمعى أن الرشيد استدعاه فى نفس الليلة التى قتل فيها جعفرا . فلما دخل اليه قال: يا أصمعى ، قلت شعرا فاسمعه ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فأنشد :

لو أن جعفر هاب أسباب الردى
لنجا بمهجة طمر ملجم
ولكان من حذر المنون بحيث لا
يسمو اليه به الغراب القشعم
لكنه لما تقرب وقته
لم يدفع الحدثان عنه منجم

قال الأصمعى : فلم أصر الى بيتى حتى سمعت الناس يتحدثون بمقتل جعفر

وعلى كل فان البرامكة فى أيامهم الاخيرة كانوا يحسون غضب الرشيد عليهم ، ويتوقون الغدر بهم ، ولكن ما حدث كان أبشع من الوهم وأسرع من الخيال .

ذكروا ان الرشيد قام عن مجلسه ذات يوم ، وتهيأ للدخول الى بعض غرف القصر ، فأسرع جعفر ، ورفع له الستر ، وتلفت جعفر فاذا الرشيد يتفرس ، ويطيل التأمل الى عنقه . فقال : ما متأمل أمير المؤمنين ؟ قال : حسن عنقك وحسن موقع الجريان منه ،

فقال جعفر : لا والله ما تأملت الا موضع السيف منه

قال الرشيد : أعيذك بالله من هذا القول ، واعتنقه وقبله . فلما انصرف جعفر قال لحاجبه « الفضل بن ربيع » . وكان عدوا للبرامكة ، قاتل الله جعفرا . والله ما تأملت عنقه الا لموضع السيف منه . وقد تبدو هذه القصة مصنوعة ، ولكنها على أية حال تشير الى أن البرامكة كانوا يدركون تغير الرشيد ، وبدأ القلق يساورهم ، وحرص كل منهم على ألا ينفرد به الرشيد ، أما يحيى بن خالد – رأس الاسرة اذ ذاك – فقد سيطر عليه الوهم ، واستولى على تفكيره غدر الرشيد ، وشغل بذلك عقله الباطنى ، وكم رأى فى منامه ما يقض مضجعه

حدث سهل بن هرون قال : انى لمحصل أرزاق العامة بين يدى يحيى بن خالد ، فى داخل سرادقه ، وهو مع الرشيد بالرقة اذ غشيته سآمة ، وأخذته سنة ، فغلبته عيناه . فقال : ويحك يا سهل !! طرق النوم عينى ، وأظلت السنة خواطرى . فما ذاك ؟

قلت : طيف كريم ، أن اقصيته أدركك ، وان غالبته غلبك ، وان طاردته طلبك فنام لحظة ، ثم انتبه مذعورا . فقال : يا سهل . لأمر ما ذهب – والله – ملكنا ، وذل عزنا ، وانقطعت أيام دولتنا

قلت : وما ذاك أصلح الله الوزير . ؟ !

قال : كان منشدا ينشدنى

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ، ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته من غير روية ، ولا اجالة فكر

بلى . نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

فوالله ما زلت اعرفها فيه ، واراها ظاهرة منه الى الثالث من يومه ، وانى لفى مقعدى ذلك بين يديه اكتب – توقيعات – فى اسفل كتبه لطلاب الحوائج اليه . قد كلفنى اكمال معانيها باقامة الوزن فيها – اذ وجدت رجلا ساعيا اليه حتى اومأ مكبا عليه فرفع رأسه وقال : مهلا . ويحك ! ! ما اكتم سرا ، ولا استر شرا . فقال له ، قتل امير المؤمنين الساعة جعفرا !.

قال : أو قد فعل ؟

قال : نعم

فما زاد ان رمى القلم من يده وقال : **هكذا تقوم** الساعة بغتة ..

ولم يصبح صباح هذا اليوم حتى كان الرشيد قد أمر بالقبض على يحيى واولاده ، وزج بهم فى غياهب السجون ويقول :

من لم يؤدبه الجميـ
ـل ففى عقوبته صلاحه

الرشيد وأم جعفر

هكذا قتل الرشيد جعفرا ، وهكذا اوقع بالبرامكةوكانوا يتربعون على عرش القلوب ، وكان لمصرعهم رنة أسى ولوعة فى نفوس الكثيرين،وعبثا حاولوا أن يستشفعوا ليحيى ، فما قبل فيه ولا فى غيره شفاعة ، بل لم يقبل الشفاعة من ظئره ومرضعته « أم جعفر » ، وكان الرشيد قد ربى فى حجرها وغذى برسلها ، وكثيرا ما كان يشاورها اظهارا لبره بها والتبرك برايها ، وكان قد آلى على نفسه – وهو فى كفالتها – الا يحجبها،والا تستشفعه لاحد الا شفعها ، وآلت عليه أم جعفر ان لا دخلت عليه الا مأذونا لها ، ولا تشفعت لاحد لغرض دنيا .. فكم من أسير فكت ، وكربة فرجت ، ومظلوم أنصفت .

يقول الرواة : واحتجب الرشيد بعد قدومه ، وطلبت الاذن عليه من دار اخته ، ومتت بوسائلها اليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لثامها ،

محتفية فى مشيتها حتى صارت بباب قصر الرشيد . فدخل عبد الملك بن الفضل ، الحاجب ، فقال : ظئر امير المؤمنين بالباب ، فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى حنين الوالد ، وشفقة أم الواحد فقال له الرشيد : ويحك يا بن الفضل !! أو ساعية فقال : نعم : أصلح الله أمير المؤمنين وحافية . فقال : ادخلها يا عبد الملك ، فرب كبد كريم غذتها ، وكربة كشفتها ، فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية ، قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس، فاكب على تقبيل رأسها ، ومواضع ثدييها . ثم أجلسها معه . فقالت : يا أمير المؤمنين . أيعدو علينا الزمان ، ويجفونا خوفا لك الاعوان ، ويحردل بنا البهتان ، ويوسوس لك بايذائنا الشيطان ؟ وقد ربيتك وأخذت برضاعى لك الامان من دهرى ، فقال لها : وما ذاك يا أم الرشيد ؟ قالت له : ظئرك يحيى ، وأبوك بعد أبيك ، ولا أرشجه باكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته له ، واشفاقه عليه ، وتعرضه للحتف فى شأن موسى أخيه .. فقال : يا أم الرشيد . قدر سبق وقضاء حل ، وغضب من الله نزل ، قالت : يا أمير المؤمنين . يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . فقال الرشيد : صدقت فهذا مما لا يمحوه الله . فقالت الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ، فاطرق الرشيد يسيرا ثم قال :

واذا المنيـة أنشبت أظفارهـا
ألفيت كل تميمـة لا تنفـع

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين ، وقد قيل :

واذا افتقدت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الاعمـال

هذا بعد قول الله : ((والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين)) ، فاطرق هرون قليلا ثم قال :

اذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد
اليـه بوجـه آخر الدهـر تقبل

فقالت : يا أمير المؤمنين ، وهو يقول :

ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى
يمينك . فانظر أى كف تبـدل

قال الرشيد : رضيت . فقالت يا أمير المؤمنين . فهبه لله تعالى . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من ترك شيئا لله لم يوجده الله)) ، فاكب الرشيد مليا ثم رفع رأسه وهو يقول : لله الامر . من قبل ومن بعد . قالت : يا أمير المؤمنين ، ((ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)) ثم قالت : أذكرك يا أمير المـؤمنين بأليتك أن لا استشفعتك الا شفعتنى . فقال : وانا اذكرك يا ام الرشيد باليتك أن لا شفعت لاحد تعرض للدنيا . فلما رأته صرح بمنعها وما ذعن لمطلبها أخرجت له حقا من زمردة خضراء ، فوضعته بين يديه . فقال الرشيد : وما هذا ؟ ففتحت عنه تقفلا من ذهب ، وأخرجت منه حذاءه ، وحفضه ، وذؤابته ، وثناياه . وقد غمس ذلك بمسك نثير فى الحق . فقالت : يا أمير المؤمنين . استشفع اليك واستعين بالله وبما صار معى من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ((ليحيى)) عبدك وظئرك . فأخذ الرشيد جميع ذلك ، فلثمه . ثم استعبر وبكى بكاء شديدا ، وبكى أهل المجلس ، ومضى البشير الى يحيى ، فلم يظن الا أن البكاء رحمة عليه ، ورجوع الرشيد عنه ، فلما افاق من بكائه رد جميع ذلك فى الحق ، وقال لها ((لحسن ما حفظت الوديعة . فقالت : فاهل للمكافاة انت يا أمير المؤمنين . فسكت وضم الحق ، ودفعه اليها ، وقال : ((أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها)) . قالت : وقال عز وجل : ((واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) . وقال تعالى : ((وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم)) . فقال لها : وما ذاك يا أم الرشيد فقالت ما أقسمت لى به يا أمير المؤمنين الا يحجبك عنى حاجب فقال : لها يا أم الرشيد أحب أن أشتريه ، محكمة فيه . قالت : انصفت يا أمير المؤمنين ، وقد فعلت غير مستقيلة لك ، ولا راجعة عنه . قال : بكم . قالت برضاك عمن لم يسخطك . قال : يا أم الرشيد . أما لى عليك من الحق مثل الذى لهم ؟. قالت : بلى يا أمير المؤمنين . انك لاعز على ، وهم أحب الى . قال لها : فتحكمى فى ثمنه بغيرهم . قالت : بلى . قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه ، وقامت عنه . فبقى الرشيد مكبوتا ما يحير لفظة . وخرجت عنه فلم تعد ..

وهكذا دالت دولة البرامكة ، وولت أيامها المجيدة ، والايام دول .

الثروة البشرية بين الثروات

فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى

لا يشك عاقل فى أن الشباب هو زهرة الحياة ، ووسط عقدها ، ومعقد آمالها ، وسلم نهضتها ، فان أحسنا توجيهه سعدت به أمته ، وان أهملناه ، فياطول شقائها .

ولا يشك عاقل أيضا ، أن الشباب ، بما يملكه من حيوية وطاقات وتفتح وطموح ، هو أغلى ثروة بشرية ، يجب على المصلحين ، والمربين ، وناشدى الخير لأممهم ، أن يستغلوها ، فيما يرجونه من اصلاح ، وما يقومون به من مشروعات .

ومن المسلم به أن عهد الطفولة ، وعهد الشيخوخة ، لا يصلحان لمهام الأمور ، ولا يستطيعان النهوض بعظائم المطالب ، فلم يبق لدينا اذن الا الشباب الغض النابض ، فيه نأمل ، وبسواعده نعمل ، وبجهاده ننتصر ، وبعقله نبنى . ولكن هل مجرد وجود الشباب كقوة وطاقة ، كفيل بتحقيق ما نصبو اليه ؟

ان الواقع يرد على هذا السؤال ، بالنفى القاطع ، فكم من شباب جلب المتاعب والمصاعب لنفسه ولأهله ولأمته ، ولقد رأينا ولا نزال نرى ، وسمعنا ولا نزال نسمع من هذا ، العجب العجاب ، فالشباب سلاح ذو حدين ، من الممكن أن ينفع ويقدم اذا اتجه ذات اليمين ، ومن الممكن أن يهلك الحرث والنسل ، اذا اتجه ذات اليسار .

ولقد أثبتت التجارب ، أن محاولة اصلاح الشباب ، لن تؤتى ثمرتها الا اذا بدأت مبكرة تستقبل الطفل فى مهده ، وتهيمن على حواسه ، فيما يرى

ويسمع ويحس ويقرأ ، حتى تتعمق القيم فى ذات نفسه ، وتتغلغل فى شغاف قلبه ، وتجرى منه مجرى الدم فى العروق، حتى اذا بلغ أشده واستوى ، كان السبيل ممهدا أمامه لكل ما هو جميل طيب ، فيدركُ الخير ويعمل به ويدعو اليه، ويضحى فى سبيله، ويميز الشر ويتجنبه وينفر الناس منه ، ويحذر من مغبته .

ولقد كانت هذه النظرة الى الشباب التى تتفق مع الفطرة، ومع الخطة الرشيدة ، هى الملحظ الاسلامى ، الذى بنى عليه معاملته للشباب ، وتعهده اياه ، واشرافه على توجيهه منذ نعومة أظفاره، الى أن ينضج عوده ، ويصلب عزمه ، على أساس من تقوى الله ورضوانه ، فكان يأمره بالبر ، وينهاه عن الاثم ، ويبصره مواطن الزلل ، ويوقفه عند الحدود وهو لايزال فى ميعة الصبا ، كما قال — صلى الله عليه وسلم — : **« مروا الصبى بالصلاة لسبع ، واضربوه عليها لعشر »** ذلك ان الشباب يكون دائما نسخة من عهد الطفولة وعلى حسب اتجاه الخط فيها ، ثم يشيب بعد ذلك على ما شب عليه .

وينشأ ناشىء الفتيان فينا
على ما كان عوده أبوه

وقد أخبر الاسلام أن فطرة الوليد السليمة الساذجة « الخام » انما تتكيف حسب ما يفيض عليها من تربيتها وبيئتها ، فقال صلوات الله وسلامه عليه وآله :

« كل مولود يولد على الفطرة — أى على الطبع القابل لأى تشكيل ، فأبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه »

وهذا التقرير الاسلامى ، يضع على الوالدين أولا ، وعلى المدرسة ثانيا ، وعلى أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية ، والمقروءة ثالثا ، مسئولية كبرى تجاه تنشئة الشباب ، وحسن رعايته ، وتعهده بالنصح والارشاد ، والتقويم والتحذير، وما أبدعه من ترغيب بالغ للشباب المستقيم ، اذ يجعله الاسلام فى جملة السبعة المظللين فى ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل الا ظله ، كما فى الحديث « شاب نشأ فى عبادة ربه » ولقد كان صلى الله عليه وسلم ينادى شباب الاسلام فى بدء الدعوة ويعلمهم منزلتهم السامية عند الله ، اذا هم سلكوا طريق الصالحين ، وكان يقول : يا معشر شباب قريش، ألا من حفظ شبابه دخل الجنة، وقد أعلى من قيمة الشاب الذى يعصم نفسه ، ويصون شبابه من الانزلاق وراء دواعى الهوى والفتنة فقال — صلى الله عليه وسلم — :

« عجيب ربك من شاب لا صبوة له » .

أى لا هفوة له ولا خطيئة ، ولا جهالة ولا اندفاع .

وفى تعهد الطفولة بالتوجيه قبل بلوغها سن الشباب ، يقول — صلى الله عليه وسلم — لامرأة وعدت ولدها بأن تعطيه ثمرة ، أين الثمرة؟ فأرته اياها فقال: لو لم تعطه الثمرة لكتبها الله عليك كذبة .

وانما هددها بهذا الوعيد الشديد لتكون فى معاملتها لوليدها خير قدوة له ، حتى ينشأ على الصدق والصراحة والوفاء والأمانة ، وكم من أم استهانت بمثل هذه الصغائر ، وحسبتها تواقه لا أثر على مستقبل طفلها منها ، ولكن « معظم النار من مستصغر الشرر » وصدق الله العظيم : « وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » .

ولو تتبعنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الشباب لوجدناه كان يصنعه على عينه ، ويحوله من سلوك الميوعة والتحلل والبغى والفسوق ، الى سلوكُ الرجولة والصلابة والعفاف والهدى ، فكم من ساعات وأيام ، بل وشهور وسنين ، اجتمع فيها بهم فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم وبعدها فى المسجد النبوى يتلو عليهم من آيات الله والحكمة ، ويزكيهم ويربيهم ويعلمهم ويهديهم ، حتى

استأهلوا هذا الوسام الالهى : **« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » •**

وحتى استحقوا بجدارة هذا الوصف الصادق فى أمثالهم : **« انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » •**

ولقد برز منهم ألوف مؤلفة أمثال : على والمقداد وابن مسلمة وحمزة وابن مسعود وأبى عبيدة وخالد وابن زياد وابن نافع ، ممن خدموا الناس فى دينهم ودنياهم ، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وممن أراهم الله سوء المنظر فى الأهل والمال والولد ، ولكن **« فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا » •**

أما بعد :

فان الشباب كما قدمت هو أغلى ما نملك من ثروة ، واذا كنا والينا الثروة الحيوانية والنباتية بالتعهد ، وخصصنا لها وزارة تعمل على نمائها وبقائها وصونها من الآفات ، وتحصيننا ضد المهلكات ، حفاظا على موارد البلد ، وأقوات البدن ، فما أحوجنا أن تكون عنايتنا بالشباب أشمل وأقوى ••

نعم ، لقد خصصنا للشباب وزارة ، ونحن نعلق عليها الآمال العريضة ، ولكن لا يكفى أبدا ، أن يكون مبلغ توجيهنا لشبابنا ، أن نفتح لهم نوادى الرياضة ، ورحلات الاستكشاف ، وسماع المحاضرات ، وحفلات الترفيه ، فما أيسر أن يحصل الشباب على هذه المتع بأرخص سعر ، من أى مكان ، دون تكلف أو تكليف ، ولكنا نريد للشباب القدوة والعمل والسلوك المثالى أمامهم حتى يحتذوه ، نريد لهم أن يعلموا من أمجاد سلفهم الأبطال ، أضعاف ما يعلمونه من سيرة الأجانب الذين لا تربطهم بهم رابطة قومية ولا عقيدة ولا تفاخر ولا حوافز ، نريد للشباب تحصينا ضد واردات التحلل والميوعة والالحاد ، حتى اذا دعا داعى الجهاد والعمل ، وجدناه ملبيا سميعا مطيعا ، ولن يتم منا سداد دين الشباب علينا ، الا بأمرين أولهما ، امداده بالثقافة الروحية والعلمية ضد المغيرات على عقيدته الخالصة ، وثانيهما تطعيمه وقوميته •

واذا كنا كما أسلفت نحصن النبات والحيوان حرصا على الثروة الحيوانية والنباتية ، فيبلغ وزارة الزراعة عن آفة دبت فى عود قطن واحد ، أو طاعون نزل ببقرة واحدة ، فاذا بها تجيش الجيوش ، وتبعث بالأطباء ، والمهندسين ، والأمصال لمحاربة العدو المغير حتى لا تنتقل عدواه الى بقية النبات •• والحيوانات •

اذا كان ذلك كذلك ، وهو قطعا كذلك ، فان الشباب هو الآخر ، بل هو الأول والأحق بهذه الرعاية ، وهذا الاهتمام ، فانه هو الأصل ، وهل تنفع ثروات دون رجال ؟ ونحن الآن فى معركة التحرير والنصر والبناء ، فما أحوجنا الى تخطيط كامل لهذا الشباب « نمنحه الفرصة للتجربة وندعمه بالقيم الروحية والخلقية » كما ورد فى بيان ٣٠ مارس ، حتى نستطيع به الزحف المقدس نحو أهدافنا وتحقيق آمالنا ، والله هو المستعان •

بقية خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القومي العام

ورجع عريان .. ولكن بريطانيا صمدت بعد كده سنوات لغاية ما بنت قواتها ثم تصدت مع حلفائها للعدوان .

ولكن يمكن احنا الوضع بيختلف عن هذه الاوضاع .. الوضع بالنسبة لهذه الدول اللى احنا بنضرب بيها الامثلة فى الحرب العالمية الثانية .. بالنسبة لهذه الدول انها كانت بتحارب من سنة ٣٩ لسنة ٤٥ .. انهزمت جيوشها وجلت من دنكرك وعادت الى بريطانيا . ولكن الحرب استمرت ، استمرت عليها الغارات الجوية . واستمرت عليها الصواريخ الموجهة واستمرت الحرب .

احنا الحقيقة ظروفنا والجو الكئيب اللى احنا عايشين فيه .. بسبب أن احنا الوضع اللى نعيشه مهواش حالة حرب ولا هواش حالة سلام . لو كنا فعلا فى حالة حرب انا كنت متأكد ان كانت الجبهة الداخلية كلها ستكون .. ونقصد بالحرب اللى هو القتال الفعلى .. ستكون فاهمة وواعية والرؤية أمامها واضحة .

ولكن الحالة التى نحن فيها ليست حالة الحرب . وليست ايضا حالة السلام .. وده بيحيط جو كئيب لأن عندنا أرض محتلة .. وليه ما بنعملش على تحرير هذه الأرض المحتلة .

الحل السلمى والاستسلام

الحقيقة الجواب على هذا جواب سهل ويجب ان كل واحد فينا يكون واعى بالنسبة ليه .

أولا أن احنا فى المعركة فى السنة اللى فاتت،فى معركة يونيو .. الحقيقة خسرنا ، خسرنا الحرب .. وفقدنا فعلا امكانياتنا المسلحة .. ونحن نحتاج الى وقت لبناء قواتنا المسلحة .. فى هذا الوقت الحقيقة نحن ايضا نعمل العمل السياسى من أجل الوصول الى حل سلمى مشرف .. مش من أجل التسليم .. هناك فرق بين الحل السلمى ، وهناك فرق بين الحل السلمى وبين الاستسلام .

حينما نتكلم عن الحل السلمى لانقصد بأى حال من الاحوال أن نستسلم . طبعا الشعور بالجو الكئيب اللى تركته النكسة .. الشعور بأن جزء من أرضنا محتل ده عامل مساعد .

وهناك ايضا حقيقة أخرى هى يمكن الكلام عن التغييرات اللى يمكن كل واحد بيتمناها وبيشوفها سواء حتى بالنسبة للمصالح الحكومية وبالنسبة للروتين وبالنسبة لمسائل كثيرة .. واللى كل واحد عايزها لايمكن أن تحدث بالسرعة اللى يتخيلها البعض .

وفى الحقيقة فأننى اعترف أمامكم فأننى لاعرف بعد الطريقة التى أستطيع بها أن أضغط على زر أمامى فتحدث مرة واحدة كل التغييرات اللى نريدها . وأنا تكلمت على بيان ٣٠ مارس وعلى الحاجات الكبيرة اللى تحققت نتيجة لبيان ٣٠ مارس .. ولكن كل واحد فينا عايز المجتمع المثالى .. عايز يشوف كل حاجة مثالية وعايزين نشوف ان التغييرات توصل الى هذا .. الحقيقة هذا يحتاج مساهمة من الجميع .

التغييرات الكبرى والعميقة فى التفكير شىء . والتخطيط شىء آخر .. وفى التطبيق شىء ثالث .. طبعا مهما غيرنا برضو أكرر مرة أخرى .. هناك عناصر لن يعجبها اى شىء وحيقولوا باستمرار فين التغيير .. فين التغيير .. مهما حصل ومهما غيرنا .

طبعا بعد انتخاب الاتحاد الاشتراكى هناك عناصر قالت ايه .. ان محصلش التغيير .. فهى نفس الناس اللى طلعت هى نفس الناس اللى كانت قبل كده .. طب حنعمل ايه طب مهى الانتخابات اللى بطلت .. لكن مين اللى بيقول كده طب مهوه اللى سقط فى الانتخاب أو المضاد للثورة .. يعنى حيأخذوا من كلمة التغيير مادة باستمرار علشان يتكلموا فيها .. وعلشان ممكن انهم يبثوا بواسطتها حاجات كتيرة عايزين يبثوها بين صفوف الشعب .

التغيير .. الحقيقة عملية طويلة وعملية مستمرة .. التغيير مهوش عملية نشيل الدنيا كلها ونحط دنيا بدلها .. التغيير هو عملية متدرجة وعملية علمية واحنا النهاردة حتى بنقوم بهذا العمل تحت ظروف قاسية وظروف صعبة .

امتحان لابد أن نجتازه

الحقيقة نتيجة لهذا ، الجبهة الداخلية فوق

• تجربة النكسة من أولها الى آخرها أكدت أن الجبهة الداخلية هي أساس الصمود .

الصمود والصلابة والمناعة يجب ان تسلح نفسها بقدر كبير من الوعى وحسن تقدير الظروف .

وفى ذلك فان أمامنا طريقان لا ثالث لهما . اما ان نحطم أنفسنا بالاستسلام للمشاعر الجامحة والعاجزة فى نفس الوقت واما أن نستجمع قوانا لنحطم العدو بتخطيط عاقل وصادق ولابد أن نقول على أى حال ان ذلك امتحان قاسى وضعنا فيه ولابد ان نجتازه بنجاح مهما كانت صعوبة الظروف . بل انه يتحتم علينا ان نجتازه بنجاح لان تلك ضرورة النصر أى هى ضرورة الحياة .

أيها الاخوة

وانا أدرك صعوبة الاختيار ولكن اى قسط من الادراك لصعوبة الاختيار لايبرر فى رايى بعض ما حدث فى المنصورة أو الاسكندرية .

وهنا أيها الاخوة أصل بكم الى الموضوع الذى يحظى باهتمامنا اليوم .

ان الوقائع سوف يتحدث فيها بعدى عدد من الوزراء وامناء الاتحاد الاشتراكى فى المحافظات سوف نستمع معا الى وزراء التربية والتعليم ثم وزير التعليم العالى ثم وزير العدل سوف نستمع معا الى أمناء الاتحاد الاشتراكى فى الدقهلية والاسكندرية والجيزة ثم نستمع معا الى وزير الداخلية ولا أريد أيها الاخوة أن أسبق ما سوف يقوله هؤلاء جميعا أمامكم من جوانب الحقيقة وتفاصيل الواقع .

وزى ما قلت لكم أننى أفهم صعوبة الظروف .. الجو الثقيل اللى احنا بنعيش فيه ويمكن ان اجد مبرر لبعض ما حدث ولو أننى لا اوافق عليه ابدا ، هناك الكثير مما حدث يستعصى على أى محاولة للفهم .. وأنا لا أفهم مثلا لماذا يثير قانون التعليم الجديد غضب أى واحد من التلاميذ ان هذا القانون ضمن برنامج اصلاحى يسعى الى رفع مستوى التعليم .

وانا لما طلبت الدكتور حلمى مراد وكان مدير لجامعة عين شمس طلبته علشان يتولى وزارة التربية والتعليم قلت له أن مستوى التعليم منخفض قلت له ان فيه الاولاد فى المدارس الابتدائية بيطلعوا مابيعرفوش يقروا ولا يكتبوا وقلت له ان الشباب بيدخلوا الجامعات وهمه غير مهيئين بالقدر الكافى لظروف العصر اللى احنا بنعيش فيه ما بيعرفوش لغات وقلت له ان كل بيت عايز يعوض النقص فكل بيت بيلجأ الى المدرسين الخصوصيين قلت له ان كل بيت جايب اثنين أو ثلاثة مدرسين خصوصيين .

ثغرات التعليم

معنى هذا ايه .. معناه ان احنا لم نحقق مجانية التعليم .. علشان نكون فعلا حققنا مجانية التعليم لازم المدارس تعلم الاولاد ولازم الاولاد يكونوا فعلا فاهمين وهاضمين لكل المواد اللى بتتعمل لهم .. أما عملية النجاح الاتوماتيكى اللى كان بيتعمل مثلا فى مدارس الابتدائى بيخلى الاولاد يطلعوا من المدارس الابتدائى عشان يدخلوا قبول الاعدادى وما يعرفوش يقروا ولا يكتبوا قلت له لازم اولادنا تتعلم احنا بنصرف على التعليم ميزانية اكثر من ١٠٠ مليون جنيه ولا بد انهم يتعلموا تعليم حقيقى .

أعد قانون التعليم الجديد .. قانون اصلاح ونوقش هذا القانون على أوسع نطاق .. طول الصيف الجرايد بتكتب عن هذه التعديلات مؤتمرات من المختصين ناقشت هذا القانون .. نوقش هذا القانون فى مجلس الوزراء مرتين واتعملت له لجان درسته ثم عرض على مجلس الوزراء ثم عرض على لجنة الشئون الداخلية للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى

وبعد هذا صدر القانون واذا بعض مظاهرات التلاميذ تحتج ويمكن التلاميذ اللى بدأوا أول مظاهرات فى المنصورة فى اليوم الاول كانوا بعض طلبة المدارس الخاصة اللى سنهم كبير واللى

• فى كل المعارك الأخيرة أثبتت قواتنا فعاليتها وتأثيرها

بيعتبروا من الطلبة اللى بيسقطوا كل سنة ووجدوا فى هذا القانون حاجة يمكن ضدهم لانه بيحدد مرات الرسوب وتحديد مرات الرسوب معناه طالما أن التعليم مجانى فالحقيقة الرسوب معناه ان احنا بنقفل السكة امام طالب جديد .

وبعد هذا ايضا - اليوم التالى كانت المظاهرة فى المنصورة من بعض المعاهد اللى لا ينطبق عليها هذا القانون وفى المنصورة التزم البوليس أو التزمت الشرطة سياسة ضبط النفس برغم قرار منع المظاهرات طبعا القانون يمنع المظاهرات ورغم هذا البوليس سار بكل الوسائل فى سياسة ضبط النفس ولم يتبع أسلوب العنف فى تفريق المظاهرات واتبع وسائل أخرى حانسمعها بالتفصيل ولكن كانت النتيجة فى الآخر الهجوم على مديرية الامن فى المنصورة .. جم بعض الطلبة واضطر من فى مديرية الامن الى اطلاق النار .. واطلقوه وهم فى موضع الدفاع عن النفس وانا قريت تقارير التحقيق .. وحصل ما حصل فى المنصورة .. بعد كده الحقيقة تطورت الحوادث فى المنصورة .. وصلت النتيجة المؤسفة . ان فيه اربعة قتلوا .. طبعا بعد كده .

لماذا قامت المظاهرة ؟

فى اليوم التالى شرحت كل هذه الامور وحاولنا بكل الوسائل ..

اظن كان فيه يوم الجمعة .. ان احنا نشرح الموضوع وتطوره لكل الناس ولكن تطورت الأمور . وفعلا لا استطيع أن أفهم مثلا لماذا قامت مظاهرة كلية الهندسة فى جامعة الاسكندرية .. بيقولوا انه جم طالبين من المنصورة ووقفوا فى وسطهم .

قريت أنا النهاردة وقريت فى بعض التقارير انهم وقفوا وهيجوهم وقالوا لهم أخبار غير صحيحة .. لكن هل فعلا احنا وصلنا الى درجة ان أى كلام يتقال يهيجنا وفعلا المظاهرة اللى طلعت كانت مظاهرة صغيرة لم يكن كل الطلبة فى هذه المظاهرة ولكن كان عدد قليل .. لكن انا ما افهمش ايه السبب للتظاهر وقالوا فى البداية انه التضامن مع الطلبة فى المنصورة .

بعدين قالوا بعد كده انه احتجاج على تصرف البوليس فى المنصورة .. طبعا حين منعت المظاهرات بالاسكندرية أصبح السبب هو الغضب من التصدى لمظاهرات الاسكندرية .

أيها الاخوة .

اعداءنا كانوا منذ شهور يعلقون أمالا كبيرة على اضطرابات يقوم بها الطلبة .. صحف الاعداء شاهد على ذلك وتذكرون فى دورة افتتاح المؤتمر وفى مناقشاته أنا استشهدت بما نشر عن ذلك الموضوع بل ان أعداءنا كانوا يوجهون اكبر قدر من محاولة التأثير على الطلبة. كان الكلام كله أن حينما تفتح السنة الدراسية الطلبة حايعملوا والطلبة حايتظاهروا والطلبة حايضربوا وكنا نحن نثق فى الطلبة لان الطلبة هم شبابنا وهم أبناءنا وهم أصحاب المستقبل فى هذا الوطن . وبدأت الدراسة . بدأ العام الدراسى فى أكتوبر الماضى وكانت بداية مشجعة ولكن أنا بدى اقول لكم اننى كنت أشعر دائما ان هناك محاولات للتأثير والاستغلال وكانت هناك محاولات ايضا للاثارة وكانت هناك محاولات متعددة ولكن كانت هذه المحاولات غير ناجحة . محصورة فى عدد من الطلبة .

ومن الخطأ أيها الاخوة أن نقول أن الطلبة جميعا وقعوا فى المحظور .. ذلك لم يحدث .. وقعت قلة. وهذه القلة افسحت الطريق لعناصر اثبتت التحقيقات ان تصرفاتها ليست بعيدة عن الشكوك والريب والتهم ولا أريد ان اسبق اقوال من سوف يتحدثون بعدى ولكنى كما قلت لكم منذ البداية لا استطيع أن أفهم أو اقبل تصرفات حدثت ..

دور العميل الاسرائيلى

لا أستطيع أن افهم لماذا يعتصم نفر من طلبة كلية الهندسة فى الاسكندرية قالوا ٢٥٠ وقالوا ٣٠٠ وبعدين لا أستطيع أن أفهم انهم بعد مااعتصموا يطبعوا منشورات .. قالوا انهم اعتصموا لان البوليس منعهم من التظاهر .

وبعدين لا أستطيع أن أفهم أنهم يدوروا ويوزعوا هذه المنشورات ويبعثوا البعض منهم ليسلم هذه المنشورات الى قنصليات دول اجنبية فى الاسكندرية ولا أستطيع ان افهم لماذا نخلق الفرصة ونترك الفرصة للشغب كهذا الذى حدث فى الاسكندرية والذى سوف يظل مبعث خزى وعار لكل من شارك فيه ..

سوف تسمعون تقريرا عن نتائج ماحدث وسوف تحكمون وسوف يحكم الشعب كله معكم . ثم لااستطيع ان أفهم لماذا نترك مجالا يستغله خائن وفى كل الشعوب يظهر الخونة، وسوف تجدون من نتائج التحقيق أن واحدا من الذين شاركوا فى الشغب أو قادوا عمليات الشغب ليس الا عميلا استطاع العدو الاسرائيلى تجنيده . ده واحد اللى قبضنا عليه

فى يوم السبت الاول الذى بدت فيه بوادر المظاهرات فى الاسكندرية وافقت بعد منتصف الليل على قرار تعطيل الدراسة فى الجامعات الحقيقية فعلت ذلك لكى أحول دون اندفاع قد لاتحمد عواقبه لكى اعطى فرصة لكل الاطراف ان تتدبر موقفها .. فعلت ذلك لاتيح فسحة للعمل السياسى الذى يمثل اجتماعنا اليوم ذروته لكى يبصر الذين لا يبصرون. فعلت ذلك لا للماضى ولكن للمستقبل لكى نؤمنه ونحصنه من أى سبب من اسباب الانزلاق والخطأ والخطر .. فعلت ذلك لكى نستطيع أن نجلس معا هنا اسألكم وأسأل الشعب كله معكم .. ماذا ترون ..

قوى الثورة لم تتغير

انا جميعا لا نستطيع أن نوجه ضربنا الى العدو الا اذا كان الداخل كله واقفا على جبهة الضرب ضد العدو . ماهو القصد بالداخل .. اقصد بالداخل عناصر الثورة .. قوى الشعب العاملة .. العمال الفلاحين المثقفين ، الجنود ، الراسمالية الوطنية قوى الشعب العاملة لا اقصد بالداخل ابدا قوى الثورة المضادة .. لأن قوى الثورة المضادة معروف

من قانون الثورة أن قوى الثورة المضادة تعمل ضد الثورة واذا وجدت الثورة وجدت الثورة المضادة والثورة المضادة تنتهز الفرص لتخدع الشعب لتبث سمومها بين أبناء الشعب ، جماهير الشعب، جماهير الثورة للتغرير بالناس باستخدام جماهير الشعب فى تحقيق اهدافها .. وانا اقول ان قوى الثورة لم تتغير وقوى الثورة المضادة ابدا لم تتغير ولكن النكسة والظروف التى نعيشها والعبء الثقيل الذى يرزح على قلوبنا واحتلال العدو الاسرائيلى لجزء من بلدنا

اده قوى الثورة المضادة فرصة لكى تعمل بقوة طبعا وهى فى هذا السند على القوى المضادة . القوة المضادة الخارجية . الحرب النفسية الخارجية وأنا بديكم مثل عن الكلام اللى تكتب مثلا عن المظاهرات الأخيرة فى احدى الجرائد بتاريخ ٣٠-١١ وانتشرت فى جريدة الأوبزيرفر البريطانية فى ١-١٢

بيقولوا أن الرئيس ناصر سيفتتح دورة المؤتمر القومى الطارئة لبحث ما يتخذ بصدد أعمال الشغب الطلابية التى هزت نظام نظام حكمه للمرة الثانية هذا العام .

وهو السؤال فى نهاية الاسبوع هو هل سيتبع فى خطابه الخط الذى اخذته أداة دعايته من أنها اضطرابات صبيانية أشعلتها عناصر خارجية غامضة وليس هناك من شك أن مصر سوف تتعرض فى الشهور القادمة لخطر انتفاضة سياسية لن يشترك فيها الطلاب فحسب بل والعمال وقد يشترك فيها عناصر من الجيش .. كل هذه أمانى .

مثل من انجلترا

اللى أنا بدى أقوله ان قامت مظاهرات فى بريطانيا كثيرة وقامت اضرابات فى بريطانيا واللى بدى اقوله ان احنا ما قلناش ان هذه المظاهرات هزت مركز رئيس وزراء بريطانيا أو هزت الحكم فى بريطانيا ولكن ليه دول دى مش بس الجريدة دى اللى قالت هذا الكلام .. كل الجرايد اللى فى الغرب بتقول هذا الكلام .. ما قلتوش النهارده .. وقالته ايضا قبل افتتاح المدارس .

مش احنا بس اللى عندنا المظاهرات ممنوعة .. فى انجلترا المظاهرات ممنوعة وانا معايا الديلى

تلجراف بتاريخ ١٩-١٠-١٩٦٨ بتقول فى مظاهرة ٢٧-١٠ انفصل فريق من المسيرة متجه ناحية أحد الميادين حيث مقر السفارة الامريكية وحدث اشتباك مع قوات البوليس وقبض على ٣٤ من المتظاهرين .. ده فى لندن .. وجهت اليهم تهمة احراز اسلحة هجومية وبعدين جاء فى الديلى تلجراف أن محكمة شارع ملبور أصدرت أحكامها بالسجن فى اليوم التالى المظاهرة كانت يوم ٢٧ . والمحكمة كانت يوم ٢٨ والاحكام صدرت يوم ٢٩ .. أصدرت أحكامها بالسجن لمدة ثلاثة شهور على اثنين من الشبان ممن يتمتعون بحسن الخلق وقال لهم القاضى ادوارد روبى ان الناس الذين توجهوا الى ميدان جروفنر هم الذين استخدموا العنف ، أما الآخرون فانهم تصرفوا تصرفا خاطئا وهو ما لم تفعلاه .. وبعدين قابل توماس جوزيف ١٧ سنة طالب أدين لانه كان يحمل سلاحا هجوميا والسلاح الهجومى ده عصا .

وانتونى مارتن جريفن ١٨ سنة صدر عليه الحكم بالسجن لانه كان يحمل سلاحا هجوميا وهى عصا ، ده الكلام ده فى الديلى تلجراف ولسلوكه سلوكا يتسم بالتهديد ، جيمس طومسون ٢١ سنة صدر عليه الحكم بالسجن لمدة شهرين لانه كان يحمل سلاحا هجوميا هو قطعة خشب ولكنه اعتدى على الكونستابل . أوهارا جيمس جراهام ٢٤ سنة سجن ٣ شهور واعترف بأنه مذنب بالنسبة لحيازة سلاح هجومى وهو ثلاث حقائب من الرخام وبعدين طالب تانى سجن ٣ شهور مع ايقاف التنفيذ بتهمة سلوكه مسلكا ينطوى على التهديد بنية الاخلال بالامن

وبعدين سوزان روز ثلاث شهور مع وقف التنفيذ لحملها سلاحا هجوميا والاعتداء على أحد رجال البوليس وغرامة خمسة جنيهات لاستعمال الفاظا تتضمن التهديد .. و الخ .

أحكام كثيرة بالنسبة للناس اللى طلعوا فى مظاهرة ٢٧-١٠ والقبض عليهم اتحاكموا ٢٨-١٠ مافيش بلد فى الدنيا فيها المظاهرات مباحة.. اللى بيطلع بمظاهرة بياخد تصريح بهذه المظاهرة .. واللى يخرج عن خط سير هذه المظاهرة فى انجلترا بيقبض عليه .. واللى بيشيل عصاية بيقولوا عليه انه بيستعمل سلاح هجومى .. يعنى أنا باقول هذا الكلام الحقيقة بهذا التطويل وبهذا التوضيح علشان نفهم فيه ناس فاهمة أن الحرية معناها الفوضى وان كل واحد ليه حق انه يتظاهر.. وان كل واحد ليه حق يعتدى على البوليس وانه دى حريته انه يتظاهر ..

أمانى أعدائنا

أيها الاخوة أردت أن أقول أمامكم انه من الخطر على نضالنا كله وعلى تاريخنا كله وعلى مستقبلنا كله أن نسمح بأى تخلخل فى الجبهة الداخلية أو حتى بما يمكن أن يبدو للعدو وكأنه تخلخل فى الجبهة الداخلية زى الكلام اللى قاله الكاتب فى الاوبزيرفر وبيقول هو بيعتقد هذا الكلام .. بيعتقد أن المظاهرات .. انها خلخلة فى نظام الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة .

وأنا باعتبر أن هذا الكلام هو يعنى يمثل أمانى القوى الحقيقية الخارجية الموالية لاسرائيل والمعادية لنا .

ان كل تخلخل فى الجبهة الداخلية أو ما يبدوانه تخلخل فى الجبهة الداخلية سوف يجعل ضريبة الدم اكثر على خطوط القتال ووراء خطوط القتال ذلك لاننا لن نستسلم ولأن العدو حينما يرى الخلخلة أو ما يتصور انه الخلخلة سوف يبقى دائما يحدوه الامل فى استسلامنا

والنتيجة كما قلت ان ضريبة الدم سوف تصبح أفدح .. ومهما سلمت المقاصد والنوايا فان ذلك عبث فى حق كل ما نناضل من أجله وفى حق شعبنا كله وفى حق أمتنا العربية وفى حق جنودنا على خط النار وفى حق فدائيينا وراء خطوط العدو .

أيها الاخوة .. أردت أن أقول أمامكم اننى لن أقبل مثل هذا .. وأعرف انكم ايضا لن تقبلوه ولن يقبله شعبنا أو أمتنا ولن يقبله ماضى نضالنا وحاضره ومستقبله .

أيها الاخوة سنناضل من أجل تحرير وطننا العربى لن نستسلم ولن نمكن اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل .. لن نمكن الاستعمار .. لن نمكن أعوان الاستعمار لن نمكن الثورة المضادة .. بالعمل وبالصبر سننتصر بعون الله والسلام عليكم .

نص خطاب السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

فى الجلسة الختامية للمؤتمر القومى العام

٤ ديسمبر ١٩٦٨

أيها الاخوة

الان ـ واعمال هذه الدورة الطارئة للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى تصل الى ختامها ـ أوجه اليكم شكرى على الجهد الكبير وعلى المناقشة الموضوعية التى تمت فى هذه الجلسات وايضا على المتابعة

وأيضا على عمل اللجنة التى صاغت القرارات من كلماتكم واحاسيسكم التى عبرتم عنها فى جلسات المؤتمر .

بصرف النظر عن الموضوع المؤسف الذى دعا الى عقد هذا المؤتمر ـ الحقيقة احب ان اعبر لكم عن الرضى عن الطريقة التى نواجه بها مشاكلنا الان

الثورية المفتوحة

الحقيقة ـ هو ده فعلا ـ التغيير ـ التغيير فى الأسلوب والتغيير فى المناخ والتغيير فى الطريقة وهى اللى انا عبرتلكم عنها بانها الثورية المفتوحة

الحقيقة هناك فرق بين الوسائل التى كنا نعالج بها مثل هذه الأمور فى الماضى والطريقة التى تعالج بها هذا الامر الآن .. وفى الماضى كان من السهل ان احنا نعتقل ونتخذ اجراءات كما تفعل جميع الثورات فى العالم وجميع النظم الثورية فى العالم وتسير هذه المواضيع مواضيع (سكيتى) ولكن الحقيقة احنا بناخذ الآن اسلوب جديد يختلف عن أى اسلوب اتبعته أى ثورة فى العالم وهو اسلوب الثورة المفتوحة وليس المجتمع المفتوح كما قد يظن البعض اننا نهدف الى المجتمع الليبرالى أو المجتمعات الغربية المفتوحة التى تتعدد فيها الاحزاب

ولكن ما نقصد بالمجتمع المفتوح هو الثورية المفتوحة بمعنى أن احنا ما نخافش ابدا ان احنا نقول كل حاجة حصلت ثم نقيمها ثم نحللها ثم ننقد الآخرين أو ننقد انفسنا ويكون كل واحد على علم بكل شىء وانا على ثقة من ان فيه استغراب كبير جدا عند يمكن القوى اللى لا تتمنى لنا الخير زى الناس اللى كتبوا المقالة اللى قلت عنها فى أول يوم واللى بيعتبروا ان أى عملية هنا واى مظاهرة بتهز النظام

انا بأقول ان احنا فعلا ـ احنا لم ندعو هذا المؤتمر علشان يعنى نأخذ قرارات نتسلح بيها ـ ابدا العكس ـ انا على ثقة ـ وهذه الحوادث المؤسفة كانت تأخذ مجراها ـ على ثقة من ان قوى الشعب قوى الشعب الحقيقية ـ قوى الشعب الثورية فى استطاعتها أن تهزم قوى الثورة المضادة ـ ولعل هذا الاساس فى الحقيقة هو السبب اننا لم نتخذ أى اجراء من الاجراءات

السادة أعضاء المؤتمر القومي يتــابعو خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

حوادث ٥٤

والى انا بدى أقول ان احنا فى سنة ٥٤ ـ فى يوم واحد يمكن اعتقلنا ١٨ألف ـ كلنا نذكر الحوادث اللى حصلت فى سنة ٥٤ ـ وحصل ـ حصل ضرب رصاص فى شبرا وحصلت معارك فى حدائق القبة ولكن اعتقلنا ١٨ الف شخص وكان تنظيم الاخوان والتنظيم السرى للاخوان فى هذا الوقت ٠٠ كانت العملية عملية كبيرة وكان لازم نضع حد حاسم لها

فى سنة ٦٥ أيضا حينما تكررت المؤامرة اعتقلنا فى عدة ايام ستة الاف ـ هذه المرة لم نوقع أى قرار باعتقال أى شخص بل ترك الأمر للبوليس وللنيابة وتحقيق العدالة والمعتقلين اللى اتكلم عنهم وزير العدل كلهم ناس راحوا للنيابة والنيابة افرجت عمن ترى الافراج عنه واعتقلت أو قبضت على الآخر لاستكمال التحقيق وللمحاكمة

اساس التغيير

الحقيقة ـ هذا هو اساس التغيير ، والتغيير هو عملية لاتنتهى لانها عملية مستمرة طبعا من الطبيعى ان احنا النهارده ونحن نواجه أى قوى للثورة المضادة ونحن فى هذه الفترة الاستثنائية من تاريخنا نستطيع ان نأخذ كل الاجراءات التى ينص عليها قانون الثورة وأريد ان اقول ان ما قيل فى هذا المؤتمر القى الضوء الكبير على المشكلة ـ كل الاطراف كانت تتكلم وكل الكلام مذاع فى الاذاعة وفى التليفزيون ـ الطلبة اتكلموا ـ العمال اتكلموا ـ اساتذة الجامعة اتكلموا ـ الفلاحين اتكلموا ـ كل واحد بيتكلم بما يؤمن بيه وبما يشعر بيه وكانت البلد كلها والشعب كله كان مشدود الى هذه القاعة والى الكلام اللى بيتقال فى هذه القاعة وفعلا فى هذا تبين للشعب ما هى الأمور وايه الأمر السليم وايه الأمر اللى غير سليم

وحدة الأمة

من الكلام الحقيقة اللى حصل هنا ان الواحد يقدر يطلع بنتيجة ـ ان وحدة أمتنا أقوى من أى سبب لسوء الفهم ـ الوحدة قوية ـ ثانيا أن صلابة أمتنا اقوى من أى محاولة لسوء النية أو للثورة المضادة

والى انا بدى اقوله ممكن يحصل تناقض بين قوى الشعب العاملة ـ اللى عارفينها ـ فمطالب ده تختلف مع مطالب ده ـ أمانى ده تختلف مع امانى ده ـ ولكن التصادم دائما موجود بين قوى الشعب العامل والثورة المضادة لان قانون الطبيعة يقول اذا وجدت

الرة لابد أن توجد الثورة المضادة لأن الثورة معناها التغيير ، الثورة معناها ثورة علـى أشيـاء لانريدها ونريد أن نغيرها وعلى هذا الاساس توجد الثورة المضادة التى لاتريد التغيير الذى يهدف الى سيطرة الشعب على حقوقه وعلى وسائل انتاجه وعلى كل شيء — لكن الثورة المضادة تريد التغير لتحقيق اهدافها —سيطرة الاقطاع —سيطرة رأس المال أو سيطرة التحالف مع القوى الغربية

يجب الا نقلق

الحقيقه ايضا بدى أقول ان احنا يجب ان لانقلق لان بعض الناس اخفق أو انحرف أو لان أحد الناس خان —هذا من الممكن أن يحصـل فى أى بلد من البلاد .

توعية الشباب :

بعدين يبقى فى النهاية كلمة اريد ان اقولها هذا الشباب —الشباب فى مجموعه — شبابناهذا الشباب هو يمثل أمانينا وعدتنا للمستقبل لان هذا الشباب هوه اللى جاييجى فى يوم من الايام يتولى الامـور ويتولى القيادة فى هذا البلد ويسير بيها — هـذا الشباب شبابنا الحقيقة علينا أن نوعيـه وعلينا ان نضىء له الطريق ونوضح له الطريق

الحقيقة حصل كلام كثير فى هذا المؤتمر عن العمل السياسى — العمل السياسى لا يمكن ان يكون واجبى أنا فقط — العمل السياسى واجبكم جميعا .

فى الحقيقة — اذا كان العمل السياسى لم ينشط النشاط الكافى — كل واحد يستطيع ان يقوم بدور كبير فى هذا الموضوع

دلوقت — احنا بنعقد اجتماعات للجـان — للجنة المركزيه مرة كل أسبوع أو كل اسبوعين — اعضاء اللجنة المركزية بنقولهم كل شيء بكل التفاصيـل بالنسبة للسياسة الخارجية بالنسبة للامور العسكرية بالنسبة للامور السياسية

اجتماعات فى المحافظات :

اعضاء اللجنة المركزية ممكن أنهم يجتمعوا مـع أعضاء المؤتمر فى محافظاتهم ويبلغوهم ويتكلموا معاهم فى كل المواضيع واعضاء المؤتمر ولجنـة المحا[فظة] ولجان الاقسام والمراكز تستطيع انها تبين هـ[ذه] الامور لكل الناس لذلك اعضاء الاتحاد الاشترا[كى] ولجانه فى الجامعات .

اذن اذا نقدنا العمل السياسى فهو شيء من النـ[قد] الذاتى لان المؤتمر وجميع اعضاء الاتحاد الاشترا[كى] وجميع لجان الاتحاد الاشتراكى مسئولة عن العمـ[ل] السياسى

عن الوضوح والفراغ :

الحقيقة الكلام ايضا عن الوضوح والفراغ الحقيق[ة] نستطيع ان نملأ هذا الآن لأن خطنا واضح وعند الحقيقة مشكلة من المشاكل — ان احنا لازلنا فى مرحـ[لة] الانتقال من النظام الرأسمالى الى النظام الاشتراكـ[ى] ولهذا لازالت الثورة المضادة تكافح وتقـاتل حتـ[ى] توقفنا أو تستعيد حركتها — وهى تستطيع فى هذ[ا] انها تتبع اساليب كثيرة — اساليب كثيرة ضـد الثورة وضد الاشتراكية بالتجريح فى الثـور[ة] وبالتجريح فى الاشتراكية وبالتجريح فى دعـا[ة] الاشتراكية

واجب التصدى :

ده الحقيقة عمل الثورة المضادة وهذه الثـورة المضادة اللى احنا بنتكلم عنها قد تكون فى كل مكان أو فى أى مكان — الحقيقة من الواجب ان لانسكت الواجب علينا ان نتصدى وزى ماقال هنا احد الاخوان ان علينا أن نعمل فعلا عمل حزب وعلينا ان احنا نعمل على اساس ان البلد فيها حزبين الاتحاد الاشتراكى الذى يؤمن بالتغير نحو الاشتراكية والذى يؤمن بتحالف قوى الشعب العاملة والذى يؤمن بان الحرية لابد ان تنتزع للشعب كله والذى يؤمن بالقضـاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال — ده يمثل حزب

الحزب الأخر :

وهناك الحزب الأخر هو حزب الثورة المضـادة الذى يدافع عن المكاسب الكبيرة التى حصل عليهـا فى الماضى الذى يدافع عن وجوده وعن كيانه وعن

مه والذى يدافع ايضا عمـــا يؤمن به بضرورة تحالف مع الاستعمار ومع قوى الاستعمار

الحقيقة يقال ان الاتحاد الاشتراكى هو الحزب وحيد فى مصر أو يقال عن بعض البلاد ان فيهـا زب واحد ـ الحقيقة هذا الكـلام غير حقيقى ـ اتحاد الاشتراكى هو تحالف قوى الشعب العاملة لكن القوى الاخرى ـ القوى المضادة تمثل حـزب خر ٠

اذن علينا فى الاتحاد الاشتراكى ان نعمل فعلاعملا حزبيا ولانخدع بكلام القوى المضادة التى تحـاول ائما ان تتسلل بين صفوفنا لتستطيع ان تنفـذ تحطم تماسكنا وترابطنا كقوى شعب عامل ٠ هذا هو العمل السياسى كما اراه وكما اتصور ويجب على كل واحد من اعضاء الاتحاد الاشتراكى أن يشعر دائما ان هناك حزب أخر موجود وانا قلت هذا الكلام قبل كده وباقوله مره ثانيه ـ هذا الحزب هو حزب الثورة المضاده ـ حزب اعوان الاستعمار ـ حزب عملاء الاستعمار وعلينا فى كل موقع من المواقع ان نتصدى لهذا الحزب وان نقضى على افكاره وعلى آرائه ونقضى ايضا على قواه التى تمثل الخطر الكبير الذى يهدد هذا الشعب ٠

هذه مشكلة أيها الأخوة نتركها ونحن ننهى هـذا المؤتمر ونلتفت الى مشكلـة اكبر والى خطـر اكبر يواجهنا ـ هذا الخطر هو خطر العدوان الاسرائيلى خطر الاحتلال الاسرائيلى ـ خطر العدوان الاسرائيلى خطر التصريحات التى قيلت ان الولايات المتحـدة ستعطى اسرائيل من الاسلحة دائما بحيث تكـون اسرائيل متفوقة على البلاد العربية ـ خطر الضغط علينا بكل اشكاله سواء كـان هذا الضغـط ضغط سياسى أو حتى عسكرى أو اقتصادى وخطر التعرض الى ضربات من العدو فى اى مكان من بلادنا

٩ يونيو والصمود

نحن قد صممنامن يوم ٩ يونيو على الصمود وصمم هذا الشعب وصمم الشعب العربى فى كل مكان على الصمود وصمم الشعب العربى على ان لايقبل بأى حال من الاحوال الهزيمة ولا يقبل الاستسلام وحينما قبلنا العمل من اجل الحل السياسى لم نعنى مطلقـا ولم نفكر مطلقا بان الحل السياسى يعنى الاستـلام ولكن الحل السياسى فى رأينا هو الحل السيـاسى المشرف الذى لايمكن اسرائيل من ان تأخذ اى بوصة من الارض العربيه فى اى بلد عربى ـ واكرر وانا باقول بوصة فى اى بلد عربى

النهارده فى الاخباربيتقال‌ان هناك مشروع امريكى ٠٠ ان كل دوله تحل مشكلتها مع اسرائيل وعلى مصر ان تحل مشكلتهـا مع اسرائيل بصرف النظر عن الدول العربيه الاخرى

نحن نقول اننا نرفض هذا الاسلوب ونرفض هذا المنطق ـ ورغم الهزيمة العسكرية التى حدثت لنـا فاننا لسنا اقل من شعوب اخرى اكتسبت الحياه بالتضحيه وبالموت وبالدم وحققت شرفها بتضحياتها لسنا اقل ابدا من اى دوله من الدول ولا اى شعب من الشعوب ضحى بابنائه ضحى بدمائه

امثلة من التضحيه

الاتحاد السوفيتى قالوا لى انهـم ضحـوا بعشرين مليون فى الحرب العالميه الثانيه‌ـاخواننا فى الجزائر ضحوا بمليون شهيد علشان يتحرروا ـ ونحن الآن نواجه هذه المعركه الكبرى ـهذا الخطرالكبير يجب ان نعلم ونحس اننا فعلا نواجه الخطر الكبير ـ خطر العدوان الاسرائيلى والضغط الاسرائيلى ـخطر ان بلادنا بتنضرب وان مدننا بتنضرب وان قرانـا بتنضرب ـ تضرب بالقنابل ، ولكنا على استعـداد لهذا فى سبيل حريتنا وفى سبيـل كرامتنـا وفى سبيل شرفنا وحتى لانستسلم بأى حال من الأحوال

حققنا الكثير منذ العدوان

ايها الاخوه

لقد حققنا الكثير فى الشهور التى مضت منـذ العدوان وامامنا أيضا الكثير ـ أمامنا الردع وامامنا

معركه التحرير ولا اقول لكم ان هذه المرحله ستكون مرحله هينه ولكنها ستكون مرحله شاقه عصيبه ستكون مرحله تتمثل فيها ظروف الشدة التي تحيق بنا وبالشعوب العربية في البلاد التي تحيط باسرائيل وعلينا ان نقول للناس جميعا اننا نعرف من الآن الطريق الذي نسير فيه – طريق عدم الاستسلام طريق العزة والمحافظة على الشرف العربي علينا ان نقول اننا نعرف هذا الطريق ونعرف ايضا الثمن الذي سندفعه حتى لانستسلم

وما معنى ان نجلس مع اسرائيل لنتفاوض معنى ده ايه ؟ معناه ان احنا نستسلم لان اسرائيل تتكلم من مركز القوه – اسرائيل تحتل اراضينا في مصر والأردن وسوريا – اسرائيل في مركز من يستطيع أن يفرض الشروط – اسرائيل التي ترفض الانسحاب واسرائيل التي تريد التوسع واسرائيل التي تريد ان تضم القدس والاراضي العربية اليها – لايمكن لها بأى حال من الأحوال أن تقبل السلام المشرف

اذن علينا ان نستعد في كل مكان في كل مدينه في كل قرية وعلينا فعلا ان نبني الجيش الشعبي كما نبني القوات المسلحه وهناك احد الاسئله التي وصلتني الآن والذي يقول ان عدم الثقة في الشباب قد يخلخل الثقة في الجيش الشعبي وانا اقول ان الشباب المنحرف قله وهي قله معروفه – معروفه بطبقياتها ومعروفة بأمانيها وتطلعاتها فئة معروفة بالاسم – قله معروفه بالواحد – اما بحر الشباب في أمتنا – بحر الشباب في بلدنا – فهو الشباب المؤمن الشباب الطاهر الشباب النقي الشباب الذي يريد الاستشهاد دفاعا عن حريته وعن أرضه وعن وطنه ..

طريق الصمود والتحرير

ايها الاخوه

نحن نعلم طريقنا – طريق الصمود وطريق التحرير ونحن نعرف أيضا الثمن الذي سندفعه وقد يكون هذا الثمن – الثمن الغالي ولكنا لن نتردد في دفعه في سبيل الصمود وفي سبيل التحرير وحتى لانستسلم ابدا

هذا ايها الاخوه هو اساس بقاؤنا – بقاء الامه العربيه لان اسرائيل اذا توسعت الآن فلن تكتفي بهذا التوسع أبدا ولكنها ستتوسع ايضا في المستقبل ان اسرائيل كانت تقول دائما ان ملكها يمتد من من النيل الى الفرات

ان اسرائيل كانت تقول دائما ان لها حقا في المدينه ولها حقا في مكه – ان اسرائيل كانت تقول دائما ان لها حقا في اجزاء من العالم العربي في لبنان وفي سوريا وفي العراق وفي السعوديه وفي مصر

فاذا سمحنا لاسرائيل بان تتوسع الآن فلن تقف شهيتها عند هذا بل ستستمر في التوسع حتى تحقق هدفها وهي تسير حسب خطه موضوعه فان الحركه الصهيونيه قامت في القرن الماضي ووعد بلفور كان سنة ١٧ وسارت الأمور خطوة خطوة حتى قامت اسرائيل في ٤٨ وفي سنة ٤٩ كانت الهدنة في ٥٦ كان العدوان – اسرائيل هي التي اعتدت نحن لم نعتد على اسرائيل

وفي ٦٧ كان العدوان المبيت ايضا مرة اخرى – اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل حتى احتلت كل فلسطين وسيناء واسرائيل تنظر الآن الى أنها قد حققت خطوة أخرى من خطواتها فعلينا أن نتصدى لها بالصمود وبحرب التحرير اذا لم تصل الحلول السلمية الى الحل السلمي المشرف

تحية .. للاردن

أيها الاخوة – انني اتكلم اليكم الآن والجبهة الاردنية وشعب الاردن في هذه الايام الثلاث يلاقي العدوان – العدوان من اسرائيل في الجو والارض على العسكريين وعلى المدنيين – وانا اقول لشعب

لاردن ولملك الاردن اننا نحيى فيكم الصمود الكبير ـ لقد اطلعت اليوم على بعض الصور الفوتوغرافية التي وصلت من الاردن بعد الاعتداء على احدى القرى الاردنية ورأيت القتلى من النساء والاطفال والرجال

ولكن هذا قدرنا ـ قدرنا ان نصمد سوءا هنا فى مصر أو فى الاردن أو فى سوريا أو فى لبنان أو فى أي بلد عربى ـ قدرنا ان نتحمل الخسائر حتى نستطيع ان نستعد وان نبدأ معركة التحرير ٠

تلقينا الضربات والخسائر :

وكما تلقينا هنا ايضا الضربات فى مصر وتلقينا الخسائر فى السويس وفى الاسماعيلية وفى القنطرة كلنا نعلم اننا تلقينا ضربات كبيرة ومات مس ابنائنا الكثير ولكنا كنا نقول لن نستسلم ابدا

هذا قدرنا بعد الهزيمة لابد ان نصمد ثم لابد أن نشد من عزمنا لنحرر أرضنا وتحرر الامة العربية الارض التى اغتصبتها اسرائيل ـ هذا قدرنا

انني اقول هذا لشعب الاردن ولملك الاردن ـ أن اسرائيل تريد منكم الاستسلام أو تريد منكم أن **تشعروا بالخوف أو الجزع** كما أرادت منا هذاحينما ضربت السويس وضربت بور سعيد أو ضربت نجع حمادي

ولكنى على ثقة من ان الامة العربية كلها لايوجد فيها من يستسلم لاسرائيل أو من هم وراء اسرائيل ولكنا سنضحى كما ضحى شعب الجزائر ٠ ٠ضحى شعب الجزائر بمليون شهيد فى سبيل الحرية وفى سبيل الاستقلال ونحن ايضا ضحينا ـ ضحينا ونحن نواجه الاستعمار ونحن نواجه الانجليز سنة ٤٦ سنة ١٩ سنة ٥١ سنة ٥٢

ضحت سوريا وهى تواجه الاستعمار وضحت لبنان وضحى شعب الأردن ـ علينا ان نصمد وعلينا ان نضحى٠٠ قد تكون التضحية اليوم تضحية كبيرة ولكنها تستحق ان تكون التضحية الكبيرة لانها تضحية من اجل ايقاف الخطر الصهيونى ومن اجل ايقاف التوسع الصهيونى على حساب الامة العربية وعلى حساب الشعب العربى ٠

تحية باسم المؤتمر

ايها الاخوه

باسمكم أوجهايضا التحيه لجيش الاردنالباسل الذى يوجه اسرائيل فى صيامه ٠

ايها الاخوه

باسمكم ايضا اوجه التحيه للجيش العراقى الباسل الذى تعرض اليوم لعدوان من الطيران الاسرائيلى واستطاع ان يسقط احدى طائرات العدو

ايها الاخوه

باسمكم ايضا اوجه التحيه واوجه التعضيد الى الفدائيين الذين آلوا على انفسهم ان يضحوا بارواحهم فى سبيل امتهم العربيه وفى سبيل فلسطين ـ

ايها الاخوه

باسمكم ايضا اوجه التحيه واوجه التقدير الى الشعب العربى فى الضفه الغربيه وفى قطاع غزه ـ الشعب العربى المناضل واقول لهم اننا نسير على طريق الصمود وان وقت التحرير لابد له ان يجىء وكما غربت الشمس لابد ان تشرق وبعد ان انهز اننا نبنى انفسنا من اجل أن نحرر ارضنا ان نقبل الاستلام

ث فى

ان ما يحدث فى أى بلد عربى فكانه ـهاد

أرضنا ان استشهاد أى فرد عربى فى الطريق

أى فرد منا ـ من مصر ـ اننا نسير فى الطريق

واى فرد منا ـ من مصر ـ . طريق الحريه ـ

الذى يريده كل عربى شـ لابد لنا من ان نصمد

اننا ننبذ طريق الاست

اراضينا ولا بد لنا ان ندفع

ولابد لنا من ان ن

الله لنا من اجل تحرير اراضينا

الثمن الذى يريد

مه العربيه كلها والسلام عليكم

والله يوفق

ورحمة ال ٠

بقية كلمة السيد
الدكتور عبد العزيز كامل
وزير الأوقاف وشئون الأزهر

هذه طبيعة الاسلام انه دين السلام ولكنه ليس دين الاستسلام انه دين المسلمين ولا يرضى لعباده أن يكونوا مستضعفين فى هذه الأرض لماذا لان الله **لايرضى لهم الا العزة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون) فاذن ان حبنا ايها الاخوة للسلام وايماننا بالسلام ايمانا وصل الى درجة** التقديس حتى اننا كمسلمين نعتقد ان السلام صفة **من** صفات الله تبارك وتعالى ومن اسمائه الحسنى **نؤمن** بهذا ونحن اذن مع هذا الايمان بل من أجل **هذا** الايمان نريد ان يقوم السلام فى هذه الدنيا على **أساس** من العدل لا على أساس من الظلم على اساس من العزة التى ينبغى ان تتوفر للانسان لأنه الانسان وألا يحرم منها انسان من أجل هذا يعطى الاسلام كرامته للانسان ولا ينظر الا الى جوهر الانسان

ختلاف ألسنتنا واختلاف ألواننا فلا تزيد فى الاسلام **آيا** تكون مظهرا لقدره الله تبارك وتعالى (ومن **والوانكم السموات والأرض واختلاف السنتكم** الدنيا انما **فقط لقدرة الله تعالى، والناس فى هذه تختلف ألوانها و** فى هذه الحديقة الالهيه وهذا العبير الذى تعبر الذى يهمك فيها هذا العطر **(لن ينال الله لحومها ولا** هذه الزهور عن نفسها **منكم)) . ((ذلك ومن يعظم شـ**ـها **ولكن يناله التقوى القلوب) ان الله لاينظر الى صور** الله فانها من تقوى **ينظر الى قلوبكم واعمالكم وأول حديث** يختاره الامام

البخارى ليصدر به صحيحه بعد ان بذل الجهد المضنى فى جمعه هو قول النبى عليه الصلاة والسلام **(انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) اذن هذا المعنى من المعانى الانسانية الكبيرة التى لازالت كثير من دول الارض التى تدعى لنفسها حضارة وتقدما لازالت هذه الدول تتعثر فى هذه الحقيقة التى سجلها الاسلام من أول يوم**

أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربى فضل على أعجمى الا بالتقوى)

انه يضع الناس جميعا أمام القانون سواء لافرق بين غنى وفقير وبين قادر وغير قادر هذا هو الاساس الذى قام عليه الاسلام من العدالة والمساواة وأنتم تعلمون شأن المخزومية التى سرقت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وتشفعوا لها فاذا بالنبى عليه السلام يقول اتشفعوا فى حد من حدود الله انما أهلك الذين قبلكم انهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الفقير اخذوه والذى نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها اذن ليس هناك تمييز على اساس من الوضع الاجتماعى فى الاسلام وليس هناك تميز على أساس من الوضع اللونى فى الاسلام وانتم تعلمون انه على **عهد النبى عليه الصلاة والسلام كانت هناك وظيفتان رئيسيتان فى مسجد المدينة الامامة والاذان الامامة كانت لرسول الله عليه السلام العربى القرشى العدنانى وكان الاذان لبلال الحبشى الافريقى هذا يؤذن وهذا يؤم الناس فى الصلاة ان أول صوت ارتفع فوق** المساجد الثلاثة الكبرى التى يعتقد المسلمون أنه لا تشد الرحال الا اليها وهى المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة كان صوت بلال ارتفع بالاذان فى مسجد المدينة وهو الذى أمره الرسول عليه السلام يوم فتح مكة أن يصعد الى ظهر الكعبة ويكون أول صوت يقول الله أكبر من فوق ظهر الكعبة ولم يختر لهذا النداء انسانا من قريش ولا من قلب الجزيرة **العربية تأكيدا لمعنى الأخوة الاسلامية الشاملة التى** أرسى الاسلام دعائمها ثم ان هذا الصوت الذى لم

يرتفع بالأذان بعد وفاة النبى عليه السلام ، مرةواحدة مأمورا لقد كان صوت بلال يذكر الناس بالنبى عليه السلام فاذا ماسمعوا ذلك الصوت الافريقى تذكروا رسول الله رحمته للعالمين خاتم الأنبياء والمرسلين وظل بلال لايؤذن بعد وفاة النبى عليه السلام حتى فتحت بيت المقدس فى عهد عمر بن الخطاب فاذا بالناس ينظرون الى هذا المكان الذى سجل اللهتبارك وتعالى اسمه فى كتابه حين قال (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من أياتنا انه هو السميع البصير) حينما رأوا انهم يستطيعون ان يقيموا الصلاة فى هذا المكان بعد ان أقامها النبى عليه السلام مع الانبياء جميعا فى ليلة الاسراء فلقد كان مسجدا للنبى عليه السلام ولم يكن النبى حينئذ قد هاجر للمدينة من اجل هذا قال الله تبارك وتعالى فيه (**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد** الحرام الى المسجد الأقصى) لأنالرسولصلى فيه ليلة الاسراء والمعراج فلقد كان مسجدا على عهد النبى عليه السلام وصلى فيه اشرف الخلق وصلى من ورائه الانبياء جميعا حينئذ مادام هذا مكان قد صلى فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام فليرتفع فيه صوت مؤذن رسول الله صوت بلال رضى الله عنه وارتفع صوت بلال بالأذان فى هذا المكان فاذا بالعيون كلها تدمع واذا بالقلوب كلها تخشع وتذكر الرسول العظيم الذى صلى فى هذا المكان فى ليلة الاسراء والمعراج هذا بلال المبشر الافريقى وهذه مكانته فى **الاسلام بلال الذى يقول فيه عمر بن الخطابأبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا يقصد بلال بن رباح اذن الذى أراده الاسلام لهذه الدنيا كان الخير وكان الاخاء وكان المحبة وكا نالمساواة لم يرد لها شرا «أن أدوا الى عباد الله » مهمة الرسول عليه السلام أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر هذه مهمته يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم**

جاء الرسول محطما لأغلال الانسانية من عقالها لتسير فى هذه الحياة دون اية قيود ولتكون لها آيات القرآن اجنحة تحلق الى آفاق عليا من العزة والمحبة والاخاء والكرامة هذه ايها الاخوة هى طبيعة هذا الدين الذى يحاربه الاستعمار وتحاربهالصهيونية حربا ضارية لا هوادة فيها ولقد علمنا آباؤنا : والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوافالحرباجدىعلى الدنيا من السلم انهم قد ظلموا البرهان وانهم قد اعتسفوا وليس أمامنا الا أن نسير الى حقنا مهما كان الثمن .

كان الثمن الذى ندفعه ونحن فى هذه الأيام المباركة الذى نرى فيها هذا التجمع الاسلامى الكبير ونرى فيها هذه الزهور المشرقة المضيئة من ابناء العالم الاسلامى تجتمع على الاخاء فى الله والحب فى الله وعلى الجهاد منأجل استرداد الأرض المقدسةوالمسجد الأقصى والحقوق السليبة ، ان القلوب لتمتلىء بشرا وتفاؤلا ورجاء فى نصر الله تبارك وتعالى الذى علمنا فى كتابه (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)

ولكن أيها الأخوة هذا طريق طويل ليست هناك عصا سحرية يمكن ان تحول بها الهزيمة الى نصر ولكن هذا الطريق طريق طويل واذكروا ان نبيكم عليه السلام خاض فى عشر سنوات سبعا وعشرين غزوة وأرسل مالا يقل عن خمس واربعين سرية اى أن عدد العمليات الحربية التى كانت على عهد النبى عليه السلام فى عشر سنوات تقترب من المائة عملية حربية كل عملية من هذه لها ضحايا ولها شهداؤها ولها ظروفها ولها آلامها ولا تتصوروا أن هؤلاء القوم كانوا فوق مستوى الالم وانما كانت نفوسهم كبيرة تتحمل هذه الآلام ، النبى عليهالصلاة والسلام كانت عينه تدمع من الحزن وعينه تدمع من قراءة القرآن الكريم ، بشر يحسون ويتألمون والله **يسجل هذا ويقول « ان يمسسكمقرح فقد مسالقوم قرح مثله) ، ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) فلا تظنوا هذه** النفوس كانت نفوسا لا تتالم بل كانت تحزن وتعرف الدمعة طريقها من عيونهم كانت تعرفها ولقد أثر عن

النبى عليه الصلاة والسلام انه بعد ان استشهد حمزة بن عبد المطلب عمه أسد الله وأسد رسوله ونظر الى جثته ثم بعد هذا واراه التراب وجاءت فاطمة وبكت وجاءت صفية وبكت ثم ذهب الرسول عليه الصلاة والسلام الى داره واذا بكل دار تبكى شهداءها وقتلاها فنظر حوله ثم قال (ولكن حمزة لا بواكى له) أنه مهاجر انه ليس من أهل هذه المدينة ولا أرى من يبكى على عمى وجاءت نسوة الانصار الى بيت النبى عليه السلام يبكين حتى رضيت نفسه ثم أمر بصرفهن وأقسم ان اظفره الله تعالى بهؤلاء المشركين ليقتلن ثلاثين منهم من اجل عمه ولكن هناك فرق بين الحزن وبين امتداد هذا الحزن حتى يملا النفس الى مستوى ترى فيه هذا الذى رآه عليه السلام وينزل قول الله تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) لا تملك الا ان تقتل رجلا برجل ثم بعد هذا نجد ان قول الله وان عاقبتم) الكلام لهم جميعا ثم بعد هذا ولئن صبرتم) كان الكلام للكل (لهو خير للصابرين (انظروا كيف تدرج ربنا معه فى التوجيه والاسلوب الذى يجب ان نتبعه فى تربية ابنائنا وشبابنا ونأخذ بأيديهم على طريق الخير (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، ثم بعد هذا التخيير نجد الامر الالهى الواضح المحدد من خالق السموات والارض الى رسوله الكريم (واصبر) فليس فيها تخيير انما هو أمر (واصبر) ولكن هذا الصبر صعب ثقيل على النفس يحتاج الى عون سنجد العون وراءه فى الآية التالية فى قوله تعالى (وما صبرك الا بالله) اصبر يامحمد وسيأتيك العون على ذلك من ربك وخالقك والذى تمتثل طريقه فى كل أمر (واصبر وماصبرك الا بالله) ولكن قد تكون نفسه موزعة بين آلام الماضى وهموم المستقبل ، قد تكون النفس موزعة بين الأحزان التى حدثت وبين الآلام المرتقبة فاذا بالله تبارك وتعالى بعد ان يقول له واصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم – هذا تقييد الماضى – ولاتك فى ضيق مما يمكرون) هذا تقييد المستقبل وانما عليك يامحمد ان تجمع نفسك لهذه اللحظة التى أنت فيها ، ولهذا الموقف الذى عليك أن تقابله دون أن تتوزع نفسك بين احزان الماضى وضيق المستقبل ثم بعد هذا يبين له أن هذا هو الطريق المستقيم وان هذا هو طريق المحسنين ولنستمع فى هذا الى قول الله تبارك وتعالى (ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

اذن الايمان والتقوى تستلزم منا فى هذه الايام العصيبة التى نخوضها الا نوزع قلوبنا بين أحزان الماضى وبين هموم المستقبل أمامك خطة امامك عمل أمامك واجب عليك أن تقدره على أساس من وضوح الرؤية التى تستطيع بها أن ترى الطريق دون أن تكون نفسك موزعة ثم بعد هذا يؤمرون بالخروج الى عدوهم فى فجر يوم المعركة فاذا بالنبى عليه السلام يأمرهم بهذا ويقول لايخرج معى الا من شهد معركة الامس فيخرجون ويسجل ربنا هذا فى كتابه فيقول ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)

هنا ايها الاخوة نجد الايمان العميق نجد الايمان الذى يحس بالالم ولكنه يرتفع فوق الالم لاتظنوا أن الصحابة لم يكونوا يتألمون لا تظنوا ان عيونهم لم تبك عندما يتألمون ولكن كانت عيونهم تبكى وهم يقرأون القرآن وكانت قلوبهم تخشع لهذه الأحزان وحينما توفى الصغير ابراهيم ابن النبى عليه الصلاة والسلام سالت دموعه وتعجب بعض الصحابة من هذا قال لهم (ان العين لتدمع وان القلب ليخشع وانا والله لفراقك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول ما يغضب الرب لا نقول ما يغضب الرب) هنالك الضبط القوى للنفس الانسانية

هذه ايها الاخوة هى بعض معالم الايمان التى ينبغى ان نتحلى بها فى هذه المعركة المقبلة التى نخوضها مع اعدائنا ولكن الايمان لابد له من ترجمة عملية فى هذه الحياة ، الايمان وحده اذا ماكان فى قلب الانسان ينبغى ان تعبر عنه فى حياتك تعبيرا عمليا موضوعيا ومن هنا يأتى الجهاد العلمى الذى يرتبط

تباطا وثيقا بالعقل والذى ينبغى علينا ان نلح على فسنا فى تكراره حتى نجعله أسلوبا واضحا فى حياتنا ان أول ما أنزل ربنا فى كتابه قوله تبارك تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) واول آية اقسم بها ربنا فى كتابه كانت قوله تعالى (ن والقلم وما سطرون) وقد كان القلم أول آلة اقسم بها ربنا لقد قسم بها قبل ان يقسم بالشمس والقمر ، قبل ان قسم بالسموات والأرض ، قبل ان يقسم بهذه لاجرام كلها قبل ان يقسم بالشمس وضحاها والقمر ذا تلاها والنهار اذا جلاها ، لقد اقسم بالقلم هذه لآلة الصغيرة التى تمسكها بيدك والتى تستطيع ان

تسجل بها كل الحضارة الانسانية بل تستطيع أن تسجل بها كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

هذه مكانة القراءة وهذه مكانة القلم فى الاسلام وربنا سبحانه وتعالى يجعل عدم اعمال العقل خطيئة يستحق بها الانسان عذاب الله (وقالوا لو **كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم عدم استخدام العقل انه ذنب يستحق به الانسان العذاب — فسحقا لاصحاب السعير ان ربنا يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر — هذه أدوات الحس — والفؤاد — هذه أدوات التفكير كل أولئك كان عنه مسئولا) قلبك مسئول** وعينك مسئولة وعليك ان تجمع المعلومات ولا تكتفى بجمعها وانما عليك ان ترتبها ترتيبا علميا منهجيا لتستفيد بها والأمر أيضا لا يقتصر على مجرد الايمان ولا على مجرد العلم وانما ينبغى أن تترجم هذا ترجمة مادية فى مجتمعك وفى هذا يقول الله **تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ولم يقل** من القوة فقوة هنا منكره كما نعلم جميعا فى اللغة العربية تدل على كل أمر يدخل فى مجال القوة كقوله **تعالى (فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) (يايحيى خذ الكتاب بقوه) فكل ناحية من نواحى القوة عليك أن تتسلح بها ضد عدوك (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) تخصيص** أهم سلاح فى ذلك الوقت واذا ما أردت أن تترجمها الآن ترجمة حية فعليك بالطيران وعليك بالصواريخ وعليك بعلوم الذرة فانها الآن العلوم الرائدة التى عليك أن تتسلح بها امام عدوك لماذا ؟ **ترهبون به** عدو الله وعدوكم) **ان العدو لايرهب اذا ما خرجت** له بسلاح ضعيف **ان هذه القوة ينبغى ان تكون من** الفاعلية **بحيث تستطيع ان ترهب الخصم**

هى اذن ليست قوة موجودة فى السلاح فى ذاته ولكن فى اليد التى تحرك السلاح وفى القلب الذى يحرك هذه اليد فأنت اذن محتاج الى قوة الايمان والى قوة الجسم والى قوة السلاح والى قوة التنظيم كل هذه القوى ينبغى أن تكون موجودة عندك (ترهبون **به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم)**

فكأن القوة لاينبغى فقط ان تكون فى مرحلة التكافؤ وانما ينبغى أن يكون عندك عامل احتياط لمن ؟ لهؤلاء **الذين ذكر الله أمرهم فقال (وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم) هنا اذن نجد معالم الطريق الشاق الطويل الذى علينا أن نسلكه خطوة بعد خطوة حتى نستطيع ان نسترد حقوقنا وهذه القوة وهذا العلم وهذا الايمان ينبغى ان يوضع فى اطار تنظيمى واضح توضع فيه الأولويات وتقدم فيه الامور المهمة على الامور التى هى أقل اهمية وتبيت فيه كل قوى الأمة برجالها .**

هذه فى صدر الاسلام نماذج مشرقة ولعلكم تعلمون من أمر المخزومية كيف كانت مع رسول الله عليه السلام فى غزوة احد تقاتل هى وزوجها وابناها فى المعركة يقول عنها رسول الله عليه السلام مانظرت يمينى الا وجدتها تقاتل دونى وما نظرت يسارى الا وجدتها تقاتل دونى وما نظرت امامى الا وجدتها تقاتل دونى ثم يقول مخاطبا اياها وزوجها وأولادها **(رحمكم الله أهل بيت فما يكون من المراة المؤمنة التى تلقت عن الرسول اثنتى عشرة طعنة منها طعنة**

غائرة فى عنقها الا ان تقول يارسول الله ادع الله ان ان نكون معك فى الجنة فيدعو الله لها بذلك ولأهلها فيقول ما أبالى ما أصابنى بعد هذا من الدنيا »

هذه نسيبة الخزرجية وغيرها كثير صاحبوا رسول الله عليه السلام بل ان نساءنا غزون فى البحر الابيض المتوسط وذهبن الى بعض جزائره وركبن أمواج هذا البحر مجاهدات فى سبيل الله تبارك وتعالى وان شيوخنا قد ذهبوا الى آسيا الصغرى والى قلب بلاد الروم بعد ان جاوزوا السبعين من أعمارهم مجاهدين فى سبيل الله سبحانه وتعالى نحن اذن أبناء انحدرنا من آباء كرام ومن أمهات كريمات عرفوا وعرفن معنى الجهاد ولذة الجهاد فى سبيل الله تبارك وتعالى

أيها الاخوة أمامنا مع أعدائنا أيام طويلة مريرة شاقة وان المعركة بين اعدائنا لن تكون معركة جيش مع جيش وانما هى معركة وجود مع وجود معركة يشترك فيها هذه الأمة كلها برجالها ونسائها وشيوخها وشبابها انها معركة أجيال متلاحقة ينبغى أن نعيها بهذا المعنى سلاحنا فيها الايمان والعلم والاسعداد والتنظيم .

هذه أسلحتنا فى المعركة المقبلة والحمد لله رب العالمين قد بدأت بشائر الخير هؤلاء اخواننا على خط النار الآن ونحن نجلس ، عيونهم تمتد الى الضفة الاخرى وبين أعينهم قول رسول الله عليه السلام **(عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله)** انهم الآن على خط النار اكثر ايمانا وأكثر عدة ومع كل كتيبة من هذه الكتائب امامها الذى يؤمها فى الصلاة وقائدها الذى يقودها الى النصر هذا جيشكم انه الجيش الذى **اتخذ لنفسه من القرآن شعارا : النصر أو الشهادة** هذا شعار الجيش فى هذه المعركة أخذها من قول **الله تبارك وتعالى (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون)** وهناك على هذه الجبال المقدسة فى الأرض المباركة حول المسجد الأقصى اخوان لنا اتخذوا من هذه السهول مهادا ورضوا فى حياتهم بالقليل من المطعم والمشرب رضوا بالخشن من هذه الحياة اتقياء اخفياء مؤمنون يعيشون فى هذه الجبال كما تعيش النسور تنقض على فرائسها من الصهيونية العاشمة انهم يمثلون هذه النسور المؤمنة التى لاتعرف فرائسها الا من اعداء الله ومن اعداء الوطن ومن اعداء الانسانية ، من يعرف اسماءهم ؟ الله وحده من يطلع على جهادهم ؟ الله وحده لقد رضوا حتى بأن يتخذوا اسماء مستعارة حتى لاتعرف منهم أسماء وحتى يكون عملهم خالصا **لوجه الله تبارك وتعالى « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) واذا كنا لانعرف اسماءهم فالله يعرفهم ، والله هو الذى يتولى جزاءهم فى يوم لا تضيع فيه الودائع فى يوم (تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فى** هذا اليوم لن يكون هناك من مستريح ولا مطمئن الا الذى قدم جهادا وبذلا وتضحية فى سبيل الله تبارك وتعالى)

أيها الاخوة

هـذه هى طلائع النصر فى هذا الشهر المبارك الكريم ندعو الله سبحانه وتعالى جلت قدرته وهو القادر على أن ينصرنا ويؤيدنا أن يبارك فى حياة قائدنا الرئيس البطل جمال عبد الناصر وان يبارك فى قواتنا المسلحة المؤمنة وحينما أقول قواتنا لااقصد القوات المصرية وحدها وانما اقصد القوات العربية والمتطوعين من كل ارض من أرض الاسلام الذين ذهبوا الى هذه المعارك المقدسة مخفين اسماءهم الا عن ربهم الذى لا تغفل عينه ولا تنام من هذا المكان احيى اخواننا المؤمنين فى كل موقع من مواقع العمل فى مصانعهم وفى مزارعهم وفى دور العلم احييهم واحيى كل عالم وكل عامل واحيى هذه الشعوب الاسلامية ممثلة فيكم أيها الاخوة الذين اجتمعتم على الخير وعسى الله تبارك وتعالى ان يبارك فى هذه الجهود وان يجعل أعمالنا خيرا من أقوالنا وان يجعل غدنا خيرا من يومنا وان يرزقنا ان شاء الله النصر العزيز انه على ما يشاء قدير والسلام عليكم ورحمة الله

من التراث الفني الاسلامي

عمارة المسجد

المسجد الحرام بمكة في العصر الأموى

الدكتور حسن الباشا

تعرضت الكعبة الشريفة لبعض الاصابات فى أوائل العصر الأموى ، نتيجة المنازعات السياسية والحربية التى حدثت فى ذلك الوقت : ذلك أنه حين رفض عبد الله بن الزبير الاعتراف بخلافة يزيد بن معاوية .. وتبعه فى ذلك أهل الحجاز وبايعوه بالخلافة ، أرسل يزيد جيشا الى الحجاز بقيادة الحصين بن نمير للقضاء على ابن الزبير . وحاصر جيش يزيد مكة فى أوائل سنة ٦٤ هـ وضربها بالمنجنيق ، وأصابت بعض الأحجار الكعبة الشريفة فأوهنت بناءها . واستفحل الخطر على الكعبة حين تعرضت لحريق أصابها من جراء نيران أوقدها بعض أصحاب ابن الزبير وامتد لهيبها الى الكعبة فأحرقت كسوة الكعبة وما فيها من خشب الساج .

وكان من أثر اجتماع حجارة المنجنيق واحتراق خشب الساج أن انقضت جدران الكعبة ، وتناثرت حجارتها .

وبعد أن فك الجيش الأموى الحصار عن مكة .. ورجع الى الشام حين بلغه نبأ وفاة يزيد بن معاوية ، أخذ ابن الزبير يتدبر فى أمر هدم الكعبة وبنائها من جديد .

وعلى الرغم من قلة من وافق ابن الزبير على ذلك وكثرة المعترضين استقر ابن الزبير على عزمه .

ويبدو أن عبد الله بن الزبير قد انتهز فرصة تهدم الكعبة ليعدل من بنائها ، ويحقق بذلك رغبة النبى — صلى الله عليه وسلم — التى وردت فى بعض الأحاديث الشريفة : اذ يروى

أن عبد الله بن الزبير قال .. أخبرتني عائشة – رضى الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لها :

« لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة وألزقتها بالأرض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ، ولزدت ستة أذرع من الحجر فى البيت ، فان قريشا استقصرت ذلك لما بنت البيت » .

وعلى الرغم من أنه عندما بدأ ابن الزبير فى هدم الكعبة خرج كثير من أهل مكة الى منى خوفا من أن يصيبهم عذاب فان ابن الزبير أصر على الهدم .

وعهد ابن الزبير بالهدم الى جماعة من الأحباش عسى أن يكون من بينهم الحبشى الذى تنبا النبى – صلى الله عليه وسلم – بأن يكون على يده هدمها : اذ روى الشيخان عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى – صلى الله عليه وسلم **قال : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة »** .. وروى البخارى عن ابن عباس أن النبى – صلى الله عليه وسلم – **قال : « كانى به أسود افحج يقلعها حجرا حجرا »** .

وبعد أن تم هدم الكعبة كلها شرع عبد الله بن الزبير فى جمادى الآخرة سنة ٦٤ هـ فى بنائها من جديد على قواعد ابراهيم : فأدخل فيها ما كانت قريش قد أخرجته منها فى الحجر اعتمادا على حديث عائشة – رضى الله عنها الذى سبقت الاشارة اليه ، وزاد فى ارتفاعها على بناء قريش نظير ما زادته قريش فى ارتفاعها على بناء ابراهيم – عليه السلام – ، وذلك تسعة أذرع ، فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا ، وهى سبعة وعشرون مدماكا ، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض : أحدهما فى موضع بابها الموجود اليوم .. والآخر مقابل له ، وجعل سقفها يرتكز من الداخل على ثلاث دعائم فى صف واحد ، وجعل لها مدرجا فى زاويتها العراقية من الداخل يصعد اليه الى ظهرها ، وجعل لها ميزابا على سطحها يصب فى الحجر ، وجعل لها روازن توضع فيها المصابيح ، وبقيت حجارة فرشها بالمطاف .

ولما أتم عبد الله بن الزبير بناء الكعبة خلقها بالطيب من الداخل والخارج ، وكان يجمرها كل يوم برطل من العود ، وفى يوم الجمعة برطلين .

ويقال ان عبد الله بن الزبير زين الكعبة : فجعل عليها وعلى أساطينها صفائح الذهب ، كما جعل مفاتحها من ذهب .

ويقال ان أول من حلى الكعبة فى الجاهلية عبد المطلب ، جد النبى – صلى الله عليه وسلم – وذلك حين حلاها بالغزالين الذهب اللذين وجدهما فى زمزم حين حفرها .

ولم تقف عمارة عبد الله بن الزبير للمسجد الحرام عند حد الكعبة ، بل امتدت الى جدران المسجد نفسه : اذ وسع المسجد من جانبيه الشرقى والجنوبى توسعة كبيرة بعد أن اشترى مجموعة من الدو هدمها وادخلها فى المسجد . ويقول الأزرقى صاحب تاري مكة انه كان من ضمن هـذ الدور جزء من دار جـد الأزرق ، وكان شرفى المسجد وقد اشتراه عبد الله بضع عشر ألف دينار .

غير أن تعديل عبد الله بـ الزبير لمبنى الكعبة الشريفة لـ يمكث غير بضع سنوات : ا لعبت الظروف السياسية دورها فى تغييره ، واعادة بناء الكعبة الى ما كانت عليه قبل ابن الزبير .

ومن المعروف أنه بعد أن استتب الأمر للخليفة الأموى عبد الملك بن مروان أرسل الى مكه الحجاج بن يوسف الثقفى للقضاء على منافسه عبد الله بن الزبير ، وارجاع الحجاز الى حظيرة الخلافة الأموية . واستطاع الحجاج أن يقتل ابن الزبير ، ويستولى على مكة .

وقد جاء أن الحجاج أمعن فى الانتقام والتنكيل ، وترك جثة ابن الزبير معلقة دون دفن حتى تشفع لديه أمه السيدة أسماء بنت أبى بكر فى دفنها . غير أن السيدة أسماء لم تزد على أن قالت – بعد أن رأت جثة ابنها معلقة :

« أما آن لهذا الفارس أن يترجل ؟ » .

وقد كان لهذه القولة أثرها فى الحجاج ، فسمح بدفن عبد الله بن الزبير .

ورغب الحجاج فى أن يعيد بناء الكعبة الى ما كان عليه قبل

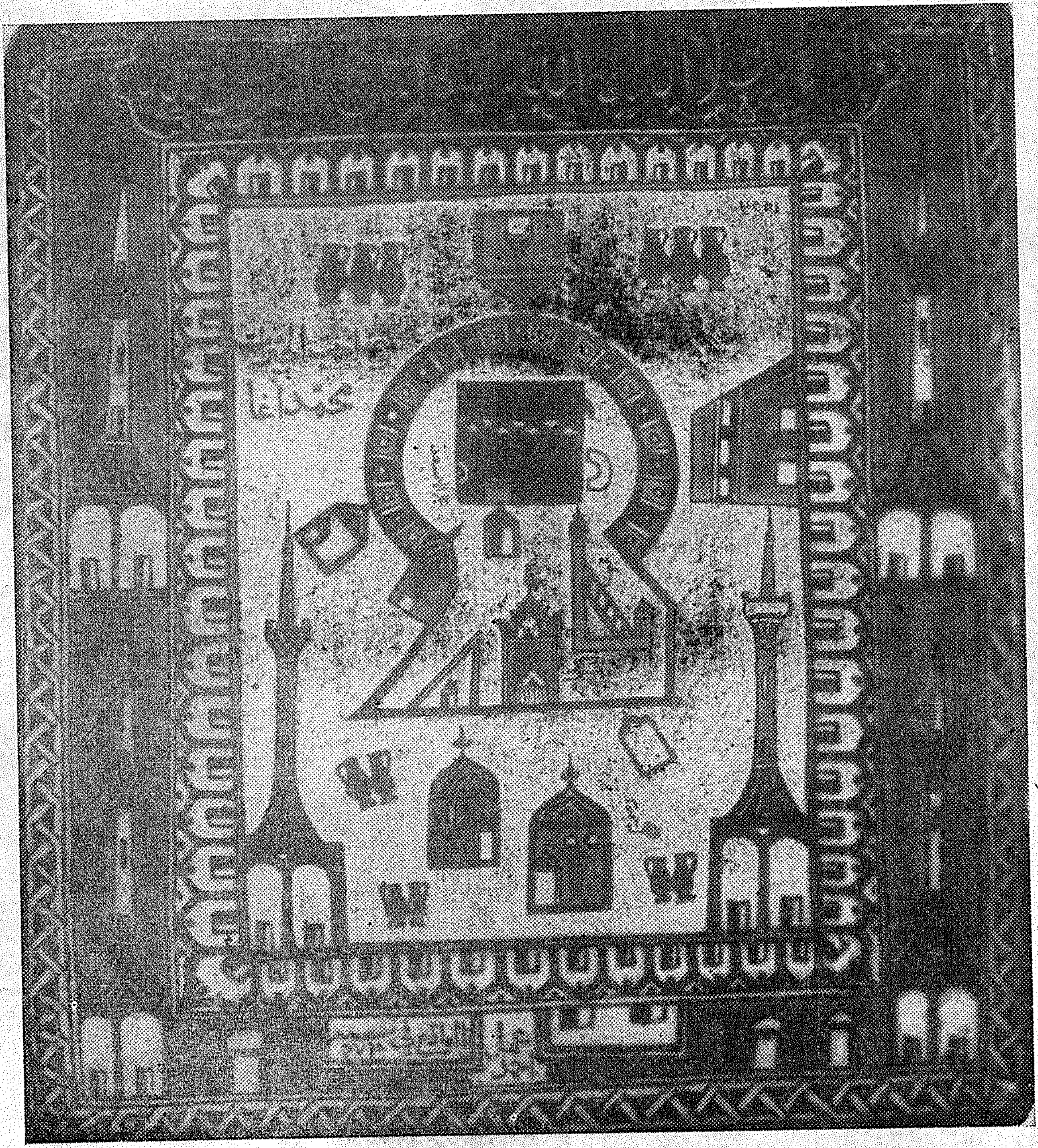

صورة الكعبة المعظمة على بلاطة من القاشانى من عمل أحمد فى مصر سنة ١٠٧٤ هجرية .
متحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم (٣٢٥١)

تعـــديل ابن الزبير فكتب الى الخليفة عبد الملك بن مروان ، يخبره أن عبد الله بن الزبير قد أحدث فى الكعبة عمارة غيرت بعض معـــالمها القديمـــة ، ويستأذنه فى أن يســـمح له باعادة البناء الى ما كان عليه قبل ابن الزبير ، فوافقه الخليفـــه على ذلك ٠

وفى ســـنة ٧٤ هـ شرع الحجاج فى عمارته : فهـــدم الجدار الشمالى للكعبة ثم أعاد بناءه بعد أن أخرج من الكعبة الزيادة التى كانت قد أدخلهـا عبد الله بن الزبير من الحجر ، وكذلك سد البـــاب الغربى ، ورفع عتبة البـــاب الشرقى بمقدار أربعة أذرع وشـــبر ٠ وهكذا أرجع الحجاج الكعبة الى ما كانت عليه قبل عمارة ابن الزبير ٠

ويقال ان عبدالملك بنمروان ندم على سماحه للحجاج بتغيير عمارة ابن الزبير وذلك بعد أن صح لديه حديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتضـــمن رغبته فى تعديل بناء الكعبة ٠

كما يقال ان بعض الخلفـــاء الأمويين والعباسيين أرادوا أن يزيلوا بناء الحجـــاج ، وأن يعيدوا بناء الكعبـــة الى ما كان عليه حسب عمارة ابن الزبير ، غير أنه حالت اعتبارات مختلفة دون ذلك ٠

وربما عاق بعضهم عن ذلك خشيتهم من أن يصبح بنـــاء الكعبة موضع تنافس سياسى٠ وقد جاء أن مالك بـــن أنس ـ رضى الله عنه ـ اعترض على أحد الخلفاء العباسيين ، حيث رغب فى اعادة بناء الكعبـــة الى ما كان عليه قبل الحجـــاج ٠ وكانت حجتـــه فى ذلـــك : « **ألا يجعل بيت الله ملعبـــة للملوك لا يشاء أحد منهـــم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبتـــه من قلوب الناس** » ٠

والحق أن بناء الكعبة ظل ما يقرب من ألف سنة دون تعمير كبير بعد عمارة عبـــد الله بن الزبير والحجاج، واقتصر ماكان يجرى فيه من عمارة على ترميم ماكان يتلف أو التكسية بالجص والرخام ، أو التحلية بالفضـــة والذهب ٠

وعنى المؤرخون بذكر ذلك كله ، وقد وافانا ابراهيم رفعت فى كتـــابه « مرآة الحرمين » بملخص واف لهذه الاصلاحات٠

غير أن المسجد نفسه أجريت به بعض العمائر : ففى ســـنة ٧٥ هـ أمر عبد الملك بن مروان برفع جدره وتسقيفه بالساج، كما جعل فى رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب ٠

كما أجريت بالمسجد الحرام عمارة كبرى فى عهد الوليـــد بن عبد الملك ٠ ويمثـــل حكم الوليد بن عبد الملك أزهى عهود الخلافة الأموية من حيث التحضر والعمارة ٠ وكان الوليد نفســـه شغوفا بالتعمير ، ولقد شـــيد فى دمشق عاصمة الخـــلافة الجـــامع الأموى الذى لا يزال يعتبر درة العمارة الاسلامية ، كما أعاد بناء الحرم النبـــوى الشريف كأفخم ما يكون البنـــاء فى عصره ٠

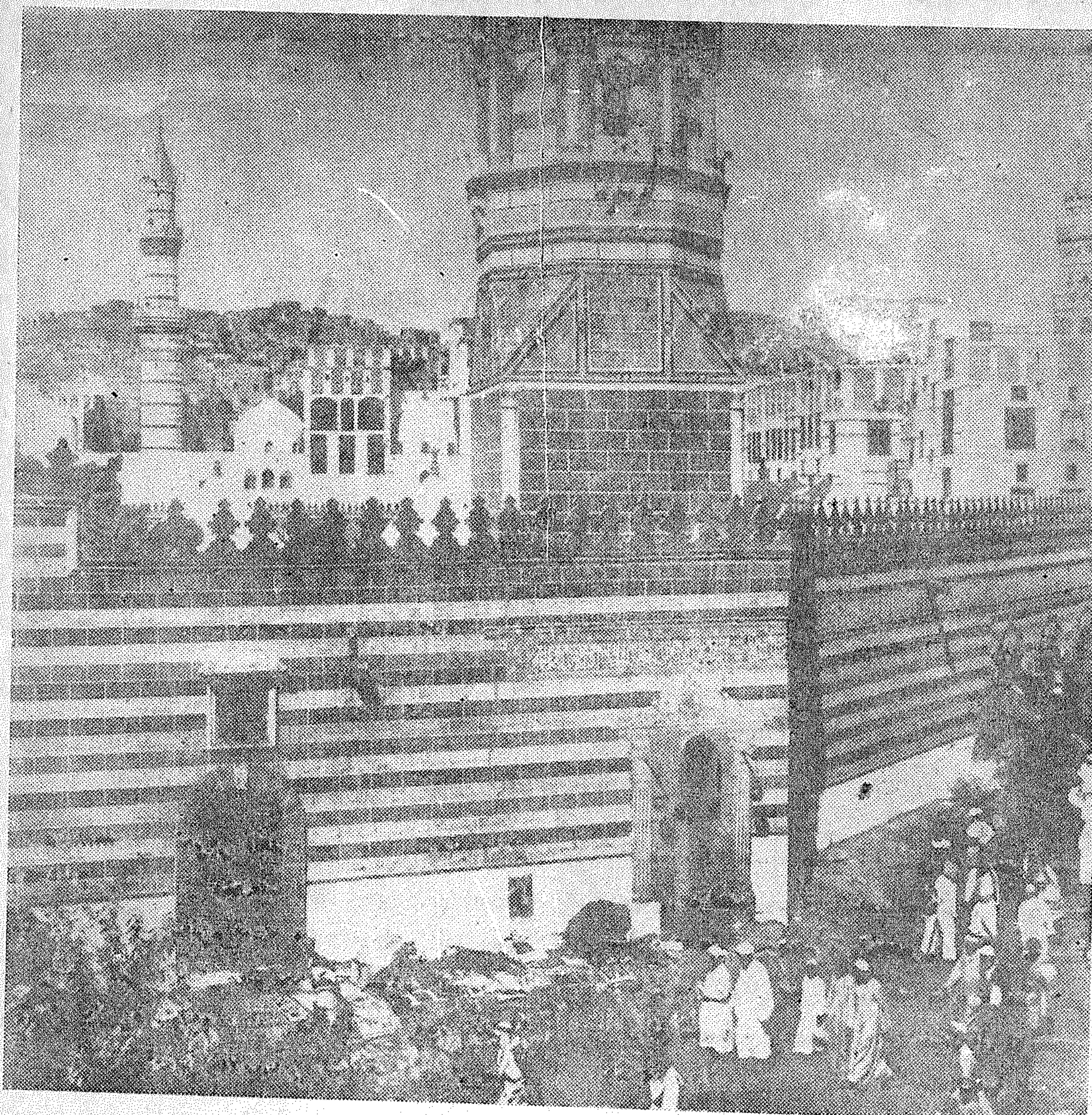

بعض جدران المسجد الحرام ومآذنه

ومن المحتمل أن الوليد بن عبد الملك قد عاقته حرمة المسجد الحرام عن أن يكون مطلق اليد فى عمارته ، الا أنه قد أجرى عمارة كبيرة نسبيا اذ وسع المسجد ، ونقض عمل أبيه عبد الملك بن مروان فيه ، وأعاده أكثر احكاما واتقانا ، كما سقف أروقة المسجد بالساج المزخرف ، وكسا الجدران بالرخام ، وجعل له شرفا ، وصفح تيجان الأعمدة بالنحاس ، وأدخل فى المسجد الزخرفة بفصوص الفسيفساء ، كما دعمه بأعمدة الرخام .

ويمكننا أن نتصور ما أجراه الوليد بن عبد الملك فى المسجد الحرام من تعمير وتجميل لا سيما فى استخدام الرخام والفسيفساء اذا تأملنا ما وصلنا من أعماله فى الجامع الأموى بدمشق . ويقال ان الوليد بن عبد الملك كان أول من نقل الى المسجد الحرام أعمدة الرخام ، وأول من زخرفه بالفسيفساء .

وقد بقى المسجد الحرام حتى نهاية العصر الأموى دون أن تجرى به عمارة أخرى كبيرة .

من روائع الشعر العربي..

يتهم الشعر العربى القديم من بعض أدعياء الفكر والثقافة بانه شعر متخلف لأنه شعر ذاتى ضيق الأفق عاش فى دائرة مقفلة من العواطف الذاتية الفردية التى لاتمس الوجدان الانسانى العام ولا تتصل بقضية الوجود البشرى اتصالا يعطى لهذا الشعر وجهه العالمى والانسانى كما نجد ذلك فى بعض الآداب الأجنبية التى ترتقى بمضموناتها الانسانية العامة فوق حدود الزمان والمكان والبيئة واللغة لأنها تعالج بهذه المضمونات تجربة الصراع البشرى المشترك من أجل حياة أفضل ووجود أمثل ومن أجل هذا فان تلك الآداب تفرض نفسها على الوجدان الانسانى العام لأنها منبثقة منه ومعبرة عنه وهادفة الى علاج أزماته وتحقيق غاياته .

وهؤلاء الذين يتخذون من تراثنا الشعرى هذا الموقف المجحف لايبالون بأن يحكموا عليه جملة بأنه أثر من آثار التاريخ وشىء من مخلفات العصور لايليق بنا ونحن فى عصر الارتقاء الفكرى والفنى أن نستلهمه أو نعتمد عليه ، ونسوا فى غمرة هذا الانبهار الزائف ببريق الثقافات الوافدة انهم ينسلخون من جلودهم ، ويفقدون روعة الاحساس بقيمة وجدانهم الثقافى الذى هو خلاصة لهذا التراث الذى لم ينصفوه ، ونحن بهذا لاندعو الى الانحصار الفكرى ، ولا نريد ان نغلق منافذ الثقافة التى تصلنا بالآفاق العالمية ، بل اننا لندعو الى مزيد من الانطلاق الى آفاق الفكر والمعرفة ، ولكننا مع هذا ايضا ندعو الى أن تظل ذاتيتنا واضحة فى كل ما نأخذ من ثقافات وان تظل ثقتنا بتراثنا الفكرى والفنى هى نقطة الارتكاز فى كلّ ما نحاول علاجه من مسائل الأدب والنقد ، وذلك حتى يمكن ان نعطى أدبنا صبغة عالمية وانسانية متميزة فمتى يستطيع هؤلاء الأدعياء من أدبائنا ونقادنا أن يتخلصوا من شعورهم العميق بالضآلة والتبعية حتى يمكنهم أن يتخلصوا من حرفة التقليد الى شرف الخلق والابتكار !

على أن كثيرا من نقاد العالم ومفكريه لم يهملوا فى آرائهم وتفكيرهم قيمة الاعتزاز بالماضى والارتكاز

في أدب العفو والتسامح

الدكتور عبد الحكيم بلبع

عليه فى بناء الثقافة الحاضرة ، فهم يقررون أن الماضى رحم للحاضر والمستقبل ، وانه ليس فى مقدورنا ان نفصل بين حلقات هذه السلسلة التى شاء لها عنصر الاستمرار الطبيعى أن تتصل ، وفى هذا المعنى يقول الكاتب الفرنسى (اندريه جيد) (فجأة اتضح لى انه لو خلا تاريخ الفن الا من أسماء مبدعى الأشكال الجديدة لما كانت هناك حضارة ، فالحضارة تعنى الاستمرار ولذلك فانها تطلب المريدين والمقلدين والاتباع لكى يكونوا سلسلة حية أى ليكون منهم موروث)

ويؤكد هذا الناقد الانجليزى (ت٠س ٠ اليوت) فى قوله : ء ان بين الماضى والحاضر تفاعلا لا محيد عنه ، فالماضى ليس ماهو ميت بل ما هو مستمر فى الحياة ، والحاضر يكيف الماضى باستمرار كما ان الماضى يكيفه)

هذا كله يجعلنا نعتقد ان هذا الموقف الردىء من الشعر العربى القديم يستند الى سببين اساسيين : أولهما — التعلق بأذيال الثقافة المعاصرة وهى فى تصورهم — تعنى استهجان القديم والتنكر له ثانيهما — الجهل بالقيمة الحقيقية لهذا التراث نتيجة عدم الدراسة الواعية المتأنية المنصفة ، وهذا بطبيعة الحال يقود الى الأحكام السريعة السطحية التى تظلم اكثر مما تنصف وتعمم اكثر مما تفصل والا فان بعض الدراسات المخلصة الأمينة لهذا التراث قد مسحت عن جبينه غبار الزمن ، وكشفت فيه عن الجوانب الانسانية العظيمة التى تجعله يقف شامخا الى جانب الآثار الرائعة فى الأدب الانسانى كله ، ومن اجل هذا فقد انتهت هذه الدراسات بترجمة كثير من شعر ابن الرومى والمتنبى وأبى العلاء المعرى وغيرهم من الشعراء الذين مسوا بشعرهم صميم الحياة الانسانية فى مختلف أبعادها وصورها

وتراثنا الشعرى لايزال غنيا بالمعانى الانسانية التى لاترتبط ببيئة معينة أو زمان محدد ، ولكنها تمس الوجدان البشرى أيا كان زمانه وأيا كان مكانه

ومن هذا — على سبيل المثال — ما نصادفه فى شعرنا القديم من دعوة الى العفو والتسامح ،فالنفس

الانسانية – أحيانا – قد يطمس صفاءها الحقد والطمع والأنانية ، وتذهلها شهوة الاستعلاء والأثرة عن كل قيم الحق والخير ، ولكن الشاعر العربى قد تتسامى نفسه فى لحظة ما عن ذلك المنزع الترابى فتشف عن روحانية وضاءة تكشف فيها جانب النور والخير ، وتجعلها ترتفع فوق مستوى الكراهية والحقد فتغفر الزلة وتعفو عن الاساءة وترد على السيئة بالحسنة ، وتضرب أروع الأمثلة فى أدب الغفران والتسامح ولا سيما مع الأهل والأصدقاء .

وهذا هو (المقنع الكندى) يعطينا صورة رائعة لهذا الخلق حيث يقول :

يعاتبنى فى الدين قومى وانما
ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
وان الذى بينى وبين بنى أبى
وبين بنى عمى لمختلف جدا
فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم
وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بى
زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
وان هبطوا غورا لأمر يسوؤنى
طلعت لهم فيما يسرهم نجدا
وان قدحوالى نار زند تشيننى
قدحت لهم فى نار مكرمة زندا
وان بادهونى بالعداوة لم اكن
أبادههم الا بما يبعث الرشدا
وان قطعوا منى الأواصر ضلة
وصلت لهم منى المحبة والودا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس كريم القوم من يحمل الحقدا

وفى نفس هذه المشاعر الكريمة والعواطف الانسانية السامية يقدم لنا (معن بن أوس) صورة **رائعة أخرى من هذا الخلق الرفيع وكيف أنه** سيظل على عهده من الوفاء والحب لابن عمه لهما كان من شأنه وأنه سيحارب عدوه ويطلبه بماله ويصفح عن اساءته فعسى ذلك أن يطهر نفسه الحق ويعده ليوم يلقى فيه الحسنة بالحسنة و الجميل بالجميل ويدرك أنه اذاقطعه فانه سيقطع ي بالجميل ويدرك أنه اذا قطعه فانه سيقطع يمين التى هى مصدر قوته وبطشه يقول (معن بن أو

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل
على أينا تعدو المنية أول
وانى أخوك الدائم العهد لم أخن
ان ابزاك خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذى عداوة
وأحبس مالى ان غرمت فأعقل
وان سؤتنى يوما صفحت الى غد
ليعقب يوما منك آخر مقبل
كأنك تشفى منك داء اساءتى
وسخطى وما فى ريبتى ما تعجل
وانى على أشياء منك تريبنى
قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى
يمينك فانظر أى كف تبدل

أما (سالم بن وابصة الأسدى) فيرى أن فضيلة العفو والتسامح هى جماع الفضائل الانسانية كلها ، وان الانسان لايستطيع أن ينال شيئا من الصفات الكريمة والأخلاق الحميدة الا اذا نال قدرا من هذه الفضيلة يجعله قادرا على أن يتغاضى عن زلة الصديق ولا يعد عليه هفوته بل يلتمس هو العذر لتلك الزلة وذلك حتى تسلم نفسه من شوائب الغضب وتتطهر من أسباب الضغينة والحقد

وبهذا يمكن أن تتأكد أواصر المحبة بين الانسان والانسان يقول (سالم بن وابصة)

أحب الفتى ينفى الفواحش سمعه
كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لاباسطا أذى
ولا مانعا خيرا ولا قائلا هجرا
اذا شئت أن تدعى كريما مكرما
أديبا ظريفا عاقلا ما جدا حرا

اذا ما أنت من صاحب لك زلة
فكن أنت محتالا لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة
فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

(وبشار بن برد) يضع قاعدة السلوك الانسانى فى هذا الخلق ، ويفلسف من حوله جوهر الطبيعة الانسانية ، ويبين أن قيام علائق الود والمحبة بين الناس رهن بوجود العفو والتسامح ، فيجب على الانسان أن يغفر أخطاء صديقه وألا يسرف فى تعقب زلاته وهفواته ، واذا كان من طبع الانسان أن يخطىء وجب أن يكون من طبعه ان يغفر والا فانه يصبح من العسير أن تقوم بين الناس روابط الألفة والصداقة .

يقول (بشار)

اذا كنت فى كل الأمور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه
فعش واحدا أوصل اخاك فانه
مقارف ذنب مرة .. ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وفى نطاق التخلق بهذه الفضيلة قد تتحمل النفس الأسى وتصطبر على المكروه وتلتزم بالتسامح فى موقف قد يعز فيه التسامح وهنا تكون النفس قد بلغت أقصى غاياتها فى درجات الكمال الانسانى بتفوقها على نوازع الانتقام والشر . وهذا شاعر عربى قتل أخوه ابنا له فيواجه هذا الموقف بقوله :

أقول للنفس تأساء وتعزية
احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف عن فقد صاحبه
هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وفى موقف مشابه يتحمل مرارته فى أسى واصطبار (الحارث بن وعلة الجرمى) حين قتل قومه أخاه (أميم) فتعصمه لذة التسامح عن شهوة الانتقام ، ويرى أن سهمه ـ اذا انتقم ـ سترتد اليه لأن قومه ليسوا الا جزءا منه . يقول :

قومى هم قتلوا أميم اخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى
ولئن عفوت لأعفون جللا
ولئن سطوت لأوهنن عظمى
وزعمتم أن لا حلوم لنا
ان العصا قرعت لذى الحلم

وذوو القربى هم الزاد الذى يدخره الانسان للزمن ، والذخيرة التى يواجه بها الشدائد والمحن ولذلك وجب الحفاظ عليهم بالتجاوز عن زلاتهم والتسامح عن أخطائهم ، فعسى ان يقلب الدهر ظهر المجن فيكونون هم الفزع عند الشدة والعون عند المصيبة .

والشاعر محمد بن عبيد الله الأزدى يصور لنا هذا بقوله .

ولا أدفع ابن العم يمشى على شفا
وان بلغتنى من أذاه الجنادع
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه
لترجعه يوما الى الرواجع
وحسبك من جهل وسوء صنيعة
معاداة ذى القربى وان قيل قاطع

ويؤكد هذا المعنى أيضا الشاعر (هبيرة المرى) فيقرر انهقد نسى أحقاد قومه وبغضاءهم حتىيعدهم لأبعد منهم ، ويستنصر بهم وقت شدته وبلائه يقول:

وذوى ضباب مظهرين عداوة
قرحى القلوب معاودى الأفناد
ناسيتهم بغضاءهم وتركتهم
وهم اذا ذكر الصديق أعادى
كيما أعدهم لأبعد منهم
ولقد يجاء الى ذوى الأحقاد

وبعد : فهذا نموذج من المعانى الانسانيةالرفيعة التى انفعل بها وجدان الشاعر العربى وهتف بها وسجلها على هذا النحو الرائع الفريد ، والذين يتمرسون بتراثنا الشعرى العظيم وينصفون النظر اليه ستبهرهم فيه ألوان لا حصر لها من هذه التجارب الانسانية العالية التى تنبض بأدق ما فى الوجود من معانى الخير والجمال .

برغم الرزايا !!

الشاعر الشيخ صقر بن سلطان القاسمي

برغم الرزايا السود ما أنا بالذى
تذلله الاحداث أو يرهب الخطبا
سألقى الرزايا ضاحك السن هازما
جحافلها لا يطرق الخوف لى قلبا
فاما حياة العز يشرق نورها
واما ردى اشتقه للعلا دربا
يلومون أن ضحيت بالملك والغنى
مراض عقول ما وعوا للعلا حبا
ولم يعلموا أنى أنرت معالما
لدرب به أرضيت فى عملى الربا
وان حياتى للمعالى رخيصة
اذا قدمت يوما الى وطنى قربا
((عمان:)) العلا تفديك منى مهجة
رعيت ولاها حين هانت على القربى
ألست الذى أرضعتنى من طفولتى
هوى وطني واخترت لى مركبا صعبا

نبضات قلبى .. دعاء

الشاعرة روحية القلينى

ورفعت رأسى أشكر الله الرحيم مع الخشوع فخانى التعبير
قد جل حب الله عن كلماتى الحيرى فحبى للاله كبير
حتى الدموع بمقلتى تحجرت من خشية وتعثر التصوير
هدأ الفؤاد بذكره وبشكره وبذكره ذا يقر ضمير
أنا ان ذكرت الله بالدعوات تبسم لى الحياة وكم يضوع عبير
فيهدهد النفس التى تحيا به وعلى جناح الامنيات اطير
يارب يارحمن خذ بيدى حين تضيق بى الدنيا وأنت قدير
واسمع دعائى فى الليالى حينما تشتد فى دنيا الصراع أمور
واسمع نشيد الحب من أعماق قلبى ياحبيبى فالدعاء طهور
نبضات قلبى يا الهى كلها حمدوعمق تبتل وشعور
أنا ليس لى فى هذه الدنيا سواك وأنت للعبد الضعيف نصير
كم هدهدت يدك الرحيمة خاطرى ولأنت بالسر الخفى خبير
يا كم لجأت اليك أشكو حالتى وبدون شكوى العبد أنت بصير
أنا ما لجأت لغير ربى منقذا ولأنت من بحر العذاب مجير
أنا كل همى فى الحياة رضاؤه وعلى صراط المتقين اسير
فاذا قضيت فلى الرجاء بجنة فيحاء فيها سندس وحرير
هو ارحم الرحماء بين عباده مهما تماد العبد فهو غفور

رسالة

اليوم يخطب فى الجميع المسجد
أصفى التقى وسلم المتر...
يا نقطة التوجيه والعش الذى
منه السماء لمن بغى تتوع...
ما أنت الا مصنع من نوله
لبس المزارع وارتدى المسترشد
صفت السلوك نماذجا قدمته
فأتباعه القديس والمتعب...
وطبعت وجدان الشباب أمانة
وعزيمة وعروبة تتوقد
وخلقت أصناف الرجولة حينما
قال الجبان بأنه يتعبد
تغزو مواعظك القلوب كأنها
بالفن يغزو كل قلب معبد
كم صودرت فيك الذنوب وارغم
الشيطان فى باب المساجد يسجد
وفعلت فعل الجامعات بأمة
للات أو لمناتها تتعبد
أيام لا نبت المساجد جامد
بل عزة وفتوة ومهند
وأعنة وصراحة وصرامة
ومكبر ومهلل . وموحد
تبنى المساجد بالحجار وعقلنا
يبنيه ان شاء الدعاة المسجد
فتح الكتاب عقولهم آياته
وتدبروه أسنة فتجندوا
فترى الصحابى الكبير وهمه
فى عمره الباقى متى يستشهد
أيام السنة المنابر وحدها
ينقاد تحت لوائها المتعبد
أيام يفرس فى المساجد أمة
عربية ضد اليهود محمد
فرأى الجزيرة حفرة حاخامهم
والجو أحمر جمرة تتوقد
ثار الصراع دهاتهم فأبادها
عمر وما قد دبروه وأفسدوا
فرأوا صلاح الدين من تاريخهم
رقما يخيف المعتدين اذا اعتدوا
وصلاح أرسل للرئيس رسالة
فيها صواريخ العروبة والقد...
أيام أمم بالكفاح فنالنا
فتحركوا وتآمروا واستأسدوا

الساجد

الشاعر قاسم غالب

...لح الفـــلاح لا من صنعهـــم
فتــــوعدوه وأنـذروه وهـــــددوا
... الرئيس الســد من اصرارهـم
بعزيمـــة ويــد الالــــه لــه يــد
...ـر الامــريك مع صــهيونهم
غـدروا العروبة بالحـــلول ليعتدوا
...لوا الى التــدليس والغش الــذى
حذقـوه فى الدهـر الطويل فســددوا
...بات أســـكرت الغبى أشـكولهم
مــاذا بقى الدنيــا تقوم وتقعــد
...ارض للأقــوى وكل وســاطة
مـا لم تكــن بازوكــة ومهنــد
...جمال باب المستحيل أمــــامه
بمشيئة اللــه العلى ممهـــد
...ـد الصمود الى الوجـود فقاوموا
مشروعـه وتذمـروا وتوعــدوا
...تفجرت كل البــــلاد قنابلا
وصــواعقا وهزائما لاقى العـــدو
...صـوت الا صــوت معركة بها
صوت القنــابل والمــدافع ترعـد
...تسلحت كل الكتــائب فانبــرت
فتـــح وكل الثـــائرين يرددوا
...لــه أكـــبر هــذه الارض التى
اخوانــا قتــلوا بهـا واستشهدوا
...ارضى وأرض ابى اليهــود تسوسها
عمـر يصيح من القبــور وخــالد
...يأمــة العـرب الابــاة اما ترى
وجبــان غـدر القدس قدمهـا العدو
يا أمة الاســلام هـل من غيــرة
فالقــدس أضحت مسرحا والمسجد

رمضــان ياذكرى الفضــائل والقنــا
هــل انت الا للكفـاح مجــدد
رمضــان يا شــهر الجهــاد أمدنا
بعزيمـــة نبــوية تتجـــدد

أجمــال يا ذخر العــروبة انهـم
سمعوك تخطب فى الشبــاب فجمــدوا

أجمــال يا مـن أنت فى ميـــدانا
ضـد اليهــود وكل غــاز أوحــد

أذنت حى على الجهــــاد فرابطت
فــرق الفـــداء بأرضــها تتشهد

مع النبي صلى الله عليه وسلم

الشاعر عبد الله شمس الدين

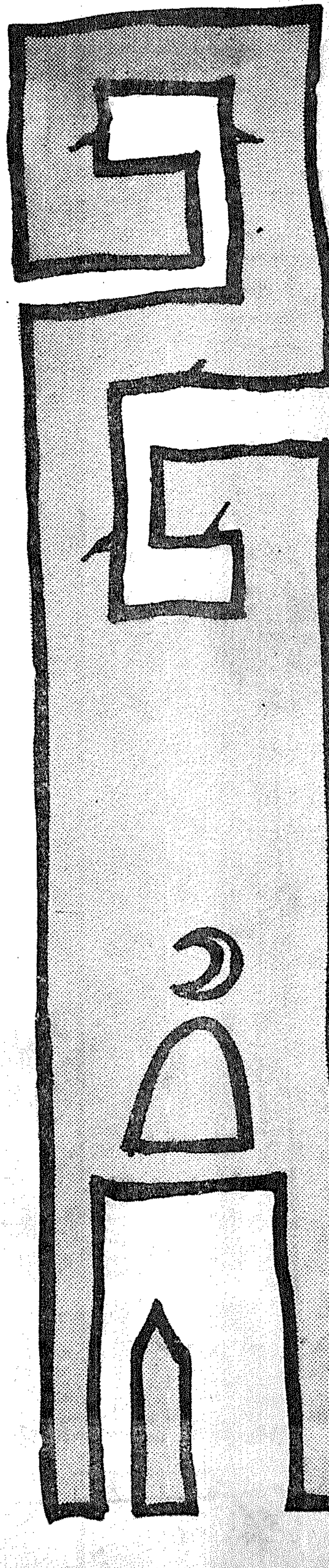

الى السدرة العلياء .. أرفع جبهتى
أنادى السنى الهادى .. بصوت محبتى
اليك : ولى الحب .. تهفو مشاعرى
على ناى اشواقى ... كاجمل غنوة
وأنت صفى الله فى حضرة المنى
وأنت له والله خير وسيلة
عليك سلام الله يا أعظم الهوى
وأجمل اشراق .. وأكرم صورة
اليك امام الانبياء : يشدنى
حنينى وشوقى وانطلاقى ولهفتى
أراك أمامى فى خيالى ووحدتى
فترتاح نفسى من عناء القطيعة
وهذى شكاتى .. جاء قلبى يبثها
وقد جف صبرى .. واضمحلت عزيمتى
لغيرك لا تجرى مع الضعف أدمعى
وما كشفت للناس ... قلة حيلتى
عبرت على كفيك بحر شبيبتى
وفى ظلك الحانى أعيش كهولتى
وان هنت احساسا على الناس كلهم
ففى جاهك العلوى أمنى وعزتى
اجامل ايامى ... اتقاء لشرها
واستر ضعفى ... بابتهاجى وبسمتى
أرانى خوافا من الناس كلهم
سواك . ففى مرآك ألقى سكينتى
أقول لنفسى .. أين يانفسى جلوتى
وأين على وجه الحياة بشاشتى
أعيش غريبا فى رحاب عشيرتى
وأضحك حتى لا يرى الناس غربتى
على كتفى حملت أحجار رحلتى
سنين ثقالا كربة اثر كربة
وانى لراضى غير أنى طامع
بوجهك يا مختار يا خير رحمة
وأنت حنان الله . وأنت حبيبه
وحسبى أنى جئت أشكو وحيعتى

من وحي العيد

ياشباب

الشاعر محمد حليم حامد غالى

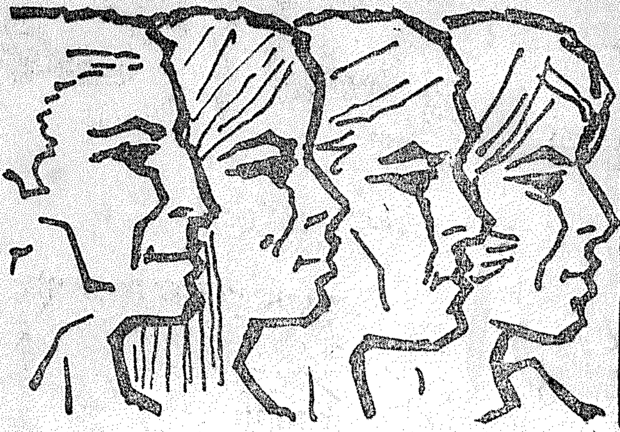

نم الطاقة الجديدة فى مصـ
ـر .. وآلت بعزمكم أن تكونا
اجعلوا الدين عصمة للمعالى
يعظم المجد ان ترسم دينا
بس فى ديننا التخلف .. كلا
ذاك رأى يقوله المعتدونا
يننا العام .. والعقيدة والنـ
ـور .. فتابع فضائل المتقينا
ـد الى الله .. فى الصلاة وفى الخـ
ـير .. عسى الله أن يكون المعينا
ثبة القائد العظيم ((جمال))
هيأت نهجك القويم المتينا
وضعت فيك قدرة .. فاهتبلها
وابن من ذاتك الفخار الحصينا
طاقة أنت .. فاجعل الارض خصبا
ونماء .. ونعمة لن تهونا
قدرة أنت .. فاملأ السماء نسورا
واملأ البحر عدة وسفينا
هبة الله .. فلتكن عبقريا
يجعل العلم هادى السائرينا
كل عين تراك نور هداها
فلتكن نورها الوضئ المبينا
لا تدع ذاتك الكريمة للشـ
ـر .. فتغوى غواية الجاحدينا
لا تدع نفثة السموم حواليك
اندفاعا وفرقة وشجونا
لا تدع سمعك الكريم ليلقى
كلمة السوء من فم العابثينا

لا تخرب فتلك دارك .. شيدت
بالضحايا .. ومن دم الثائرينا
لا تضع وقتك الثمين هباء
صنه بالجد .. علم العاملينا
أنت فى موقف البطولة .. والشعـ
ـب يرى فيك سره المكنونا
طاقة تبدع المجادة .. والعـ
ـز .. وتغرى أصالة المخلصينا
أنت مستقبل البلاد فجدد
من صباها .. أعز منها الجبينا
فجر اليوم ما تراه من العلم
من الخير .. شامخا وأمينا
حرر الارض من عدوك وانهض
رافع الرأس لا تكن مستكينا
حرر الارض .. وانطلق حرر النفـ
ـس .. جريئا ولا تزدها فتونا
وانفض الذل .. والضلال ودعها
تجتل النور .. والعلا والفنونا
ابنها بالصلاة .. زدها متاعا
بهدى الذكر .. وأشهد القارئينا
عيدنا .. أن نرى الشبيبة جيلا
يتسامى لذروة الخالدينا
عيدنا .. أن نرى مصر دنيا
أبدعتها سواعد المبدعينا
عيدنا .. أن نرى على كل ثغر
فرحة النصر .. فرحة الظافرينا

هلال العيد أبكاني

هلالُ العيد أبكاني ودمعُ القدس أدماني
أَنا الشادى بأَعيادى أَنا الحادى لأَوطانى
هنا قد حلَّ فى أَرضى عدوٌّ كان يخشانى
تُرى من شَجَّع العادى وأَغراه بِبُلدانى
تنائينا الذى أَدَّى بصعلوك تحدَّانى
ولو لا دَفْعُ أَمريكا لما أَرْسَى بميدانى
فحتّامَ نرى الباغى وحتّامَ نرى الجانى
أَخى فى «النيل» فى «بردا» أَخى فى أَرض «لبنان»
أَخى فى المشرق الأَقصى أَخى فى المغرب الدانى
وفى «بغداد» فى «بُصْرَى» وفى أَرْباضِ «عدنان»
وفى أَىٍّ مِن الأَرض كلانا الآن صِنْوان
كلانا نطلب الحقَّ فكن فى الحق مِعوانى
ليرى حقّنا اللهُ وإِذ يرعاك يرعانى
كأَنَّ العيد أَسْمعنى أَخًا فى القدس نادانى
وفى «يافا» أَحبائى وفى «نابُلُس» خِلَّانى
وعند المسجد الأَقصى يُسَامُ الذُلَّ إِخوانى
فهيّا يا أَخى هيّا نَذُدْ عن أَرضنا الجانى
وهيّا يا أَخى هيّا نُعِدْ للمجد أَوطانى
ونُرجعْ «قُدسنا» حُرًّا ونَبْنِ عُشّنا الهانى

* * *

بَيانى أَين تبيانى وأَين اليوم أَوزانى
وهل يا شعرُ تَسْمُو بى لأَعْلُو فوق إِمكانى

الشاعر محمود جبر
شاعر آل البيت

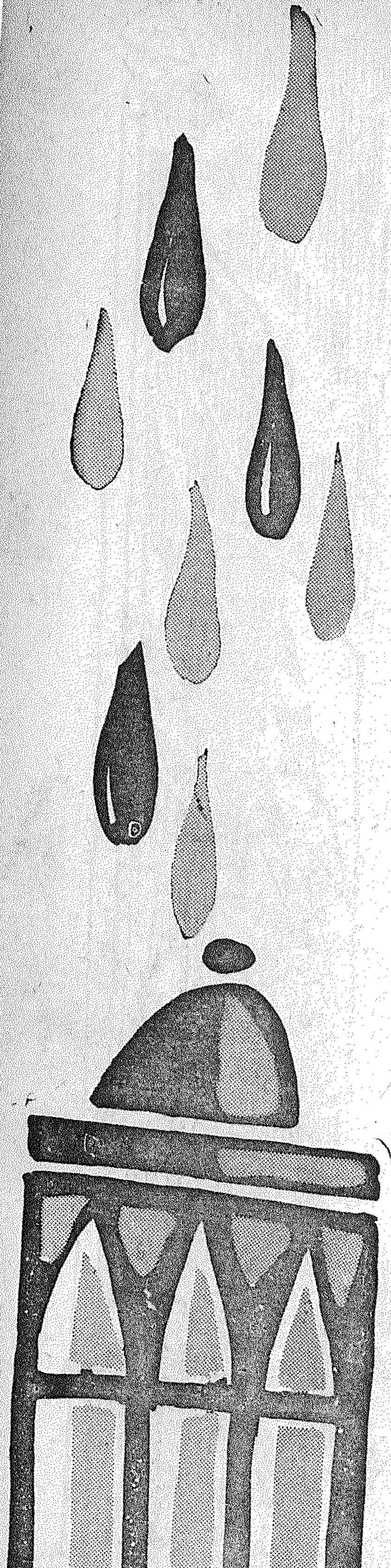

وتُدْنيني إلى «كعبٍ» … وتَسمو بي «لحسّان»

هنا النُورُ الذى يَسْنَى … بمجلاهُ «الجديدان»

هنا الحُسْنُ الذى يَبْدو … فيُسْبي كلَّ هَيْمان

هنا الطُهْرُ الذى يسعى – … – إليه كلُّ انسان

هنا الروض الذى يزكو … بعطر الآس والبَانِ

هنا يا سائلى النَدُّ … سَرَى فى كل بستان

هنا الزاكى بتوراتى … وانجيلى وقرآنى

هنا المبعوث بالنُعمى … لدنيا الانْس والجان

عطوفٌ دائمًا أبدًا … على الملهوف والعانى

رؤوفٌ لا نظير له … رحيم قلبُه الحَانى

وفىٌّ لا يُطاوله … لدى إيفائه ثانِ

هو الهادى لدنيانا … يقينى فيه أغنانى

له حُبِّىّ له قلبى … له سُهدى وأشجانى

له سُؤلى له شُغلى … له وجدى ووجدانى

أبا الزهراء هل ترضى … بأوزانى وتبيانى

على ما سقْتُ مِن عجزٍ … وتقصيرٍ ونُقصان

بحسبى فيه إخلاصى … بحسبى فيه إيمانى

أيا مَن شِئْتَ عنوانى … فهذا الحبُّ عنوانى

لآل البيت أشعارى … وأوتارى وعيدانى

لآل البيت أذكارى … وقيثارى وألحانى

حول المعركة

الشاعر أحمد عثمان المراغي

دعاء من الخاطر المؤمن … سلمت وتسلم يا موطني

عهدتك حرا أبى النضال … قوى الارادة لاتنثنى

نعم هتفت باسمك المفتدى … هنا وهناك جميع القلوب

وشعبك باق يرد العدا … حبيب لأحرار كل الشعوب

برغم الأعادى يزيد الكفاح … وننسى الجراح وتبلى الخطوب

فشمس جهادك لا لن تزول … وليس لمطلعها من غروب

تعالى مع الحق صوت دعا … سنمضى الى النصر رغم المحن

وبالصبر سوف ندك الجبال … بحزم الرجال ليحيا الوطن

سنرجع حقا عزيزا سليبا … ونسبق بالجد ركب الزمن

ونهتف انا حماة البلاد … نفدى حماها بأغلى ثمن

بشمس أطلت على أرضنا … بظل النعيم وخيراتنا

سنشهد كل عيون الوجود … بأنا جميعا على عهدنا

وسوف نرد الدخيل الأثيم … ونعلى على الافق راياتنا

ثبات القلوب يدك الخطوب … ويرفع بالنصر هاماتنا

قصة العدد

...ك الأيام

الأستاذ حسين الطوخي

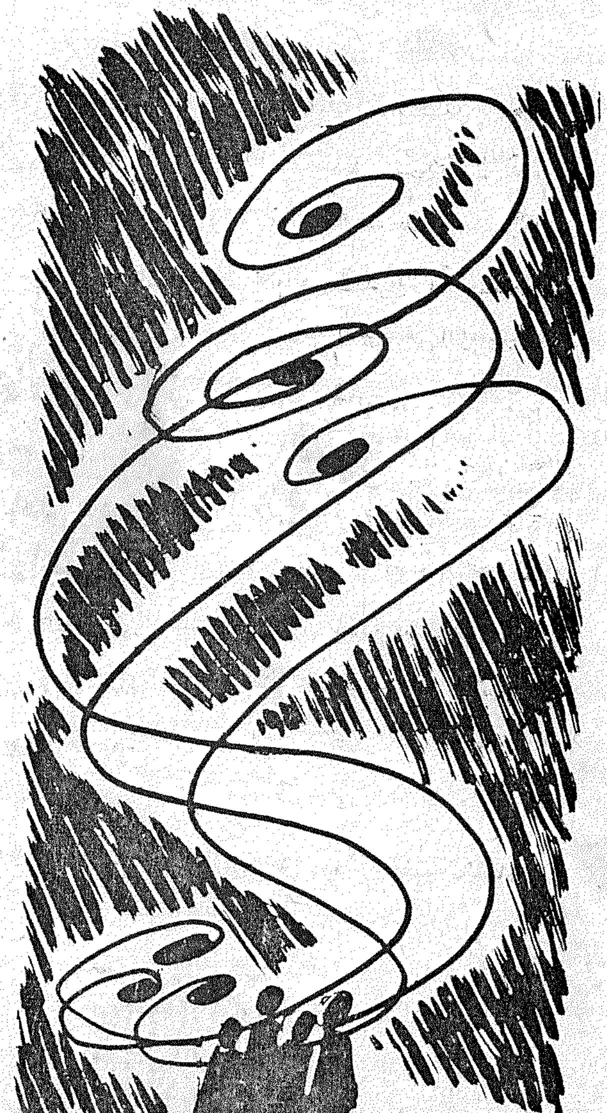

*أمسى المسلمون وأصبحوا فى ذلك اليوم يوم الثالث عشر من شهر ربيع الأول للعام الحادى عشر للهجرة على نبأ عظيم ·· وخبر أليم ··

قبض الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وصعدت روحه الطاهرة الى الرفيق الأعلى بعد ان تمم الله رسالته الباهرة ونشر فى البرية آيات دين عظيم يقوم على نهج قويم ·· هو خير دين انزل للناس ليخرجهم من دروب الجهالة والظلمات ، الى طريق الحق والهداية والخيرات ··

ساعتئذ أعلن أبو بكر صحابة الرسول بوفاته ، ثم قال فيهم وهم مجتمعون : أيها الناس· من كان يعبد محمدا ، فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فان الله حي لايموت ·ثم تلاالصديق

*** وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللهشيئا وسيجزى اللهالشاكرين**

وتمت البيعة لأبى بكر الصديق تحت سقيفة بنى ساعدة بالمدينة دون أدنى اختلاف على شخصيته الجليلة ، فقد كتب للصديق منذ اللحظة الأولى التى التقى فيها بمحمد ، ان يكون ثانى اثنين حين يكون النبى أول الاثنين ، فكان ثانى اثنين فى الاسلام ، وثانى اثنين فى غار الهجرة ، وثانى اثنين فى الظلة التى أوى اليها النبى يوم «بدر» الذى لايوم مثله ، وثانى اثنين فى كل وقعة من الوقعات التى نشبت بين المسلمين والمشركين،واقرب صاحب الى النبى فى شدة الاسلام ورخائه،وفى سره وجهره وفى شئون نفسه وشئون المسلمين ·

ساعتئذ ، اتجه الصديق الى جموع المسلمين التى تقاطرت من انحاء المدينة تستطلع النبأ وتستوثق منه ، من غير ان يعتلى منصة ممدودة ، أو تمد تحت قدميه فرش مبسوطة ، أو تحول بينه وبين الناس جند وأبواب ، أو حراس وحجاب اتجه الى الناس كواحد منهم ليعلن اليهم نظام سياسته وبيان حكومته ، واسلوب خلافته ·· قال :

أيها الناس : انى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى أخذ الحق منه ان شاء الله . لايدع احد منكم الجهاد فانه لايدعه قوم الا ضربهم الله بالذل . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ،فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله .

تطاير نبأ موت النبى صلوات الله عليه وتولية أبى بكر خلافة المسلمين على أجنحة الرياح الى أطراف الجزيرة العربية والى العراق والى اليمن ، فأخذ الذين اعتنقوا الاسلام مظهرا وليس مخبرا ، يرتدون عن الاسلام ويلوذون بما كانوا من قبل يعبدون ..

تلفت أول خليفة للمسلمين من حواليه ، فاذا به يرى ويسمع نذر الارتداد عن الاسلام فيجزعه لذلك أشد الجزع ، ويفزع غاية الفزع من هذه النكسة التى توشك ان تصيب أعز مايفخر بهوتهز أشرف مايغار عليه .

خشى الصديق رضوان الله عليه من النكسة أن تعصف بذلك الصرح الشامخ من الهداية والنور والحق ، ثم يرتد المسلمون القهقرى الى عصور الجهالة ودروب الظلمات .

كانت الايام الاولى لخلافة الصديق عصيبة وقاسية ، لم تلبث الأنبياء أن جاءته مصداقالماتخوف منه وجزع من أجله . عشرات ومئات من القبائل التى اسلمت على يد النبى ، سارعت الى نقض ما آمنت به ، بل زادت عليه أن أخذت تؤلب غيرها من القبائل على نبذ الاسلام والردة الى دين الآباء والأجداد والعودة الى عبادة ما لا يبصر أو يعقل من الجماد ..

أثارت أبابكر خليفة المسلمين يومئذ ، هذه الردة الى دين الكهانة والغفلة الذى طمس العقول ونسج على البصائر والقلوب حجبا من صدأ الجهالة والزيف والظلمات .

ادرك الصديق يومئذ ، انها الثورة المضادة التى تقوم فى وجه كل نور جديد ينفتق من الظلام ليبصر الناس بالطريق ويرشدهم الى الخير فيقصدوه ويحذرهم من الشر فيجتنبوه .

انها الثورة ضد كل صلاح واصلاح ، المعاول الشريرة التى تحركها الشهوات والأ التى اعتصرت من عرق الكادحين والشرفاء لت طبقة قليلة باغية على جموع الأتقياء والفقراء .

نعم هى القوى العميلة لحساب الفرس ال غلبوا على أمرهم فى الشرق ، ولمصلحة الروم الذين اهتزت عروشهم فى الغرب . هى ثو خائفة ترتعد من تعاليم هذا الدين الحنيف ال يضمن الحياة والأمان لكل انسان شريف .

هى ثورة مغيظة حانقة على هذا الدين القويم الذ نزل ليحرر الانسان من بغى أخيه الانسان ، وليق الميزان بالقسط فى كل زمان ومكان ، وليؤكد بأ لافضل لانسان على انسان الا بتقوى الله وصا الأعمال .

ولما ان ادرك « الصديق » جسامة الموقف العصيب ، وأحس بعنف الامتحان الرهيب ، بادر رضوان الله عليه بمشاورة صحابة رسول الله فى الخروج الى المرتدين وقمع فتنتهم وهى لم تزل بعد فى المهد ، واستمع الى ما يدلون به من نصح ورأى، ثم جاءه « عمر » ليثنيه عن قتالهم حتى لا تشيع فتنتهم وتعم البقاع ردتهم . لكن ابا بكر خالف عمر كل المخالفةورأى أن يبادر منذصيحتها الاولى فيتعقبها بالحزم يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة حتى تسلم مقادها ، وتثوب الى قرارها ، وتخمد الى غير عودة أو ردة .

كانت غضبة ابى بكر يومئذ غضبة شماء ،وعاهد ربه ان يخمد هذه الفتنة او يهلك دون ذلك .وكان ان خرج بنفسه على رأس جيش من المسلمين ــ رغم معارضتهم لخروجه وهو الشيخ الكبير ــ فنزل على أهل الربذة فالأبرق فهزمهم جميعا وأخذ « الحطيئة » الشاعر أسيرا ، ثم عاد الى المدينة فعقد مجلس الحرب فور وصوله، ورأى الصحابة وأهل الرأى والمشورة ان يتحرك

أحد عشر لواء لأحد عشر أميرا يخرجون تجمعات المرتدين فى البطاح واليمامة وصنعاء واليمن وعمان والبحرين وقضاعة ، وكان من امراء الالوية خالد بن الوليد ، وعكرمة بن ابى جهل وعمرو بن العاص وغيرهم من أفذاذ الرجال وأشداء المحاربين .

ولم ينقض العام الحادى عشر للهجرة الذى لحق الرسول فيه بربه ، حتى كان ابو بكر قد اطفأ نيران الردة العمياء التى انتشر لهبها فى ارجاء الجزيرة العربية وفى خارجها على السواء .

والحق ان حروب الردة التى خاضها ابو بكر وامراء جيشه الافذاذ ، والمحاربون من المسلمين ، كانت اشق امتحان عرض له بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه وقد اجتازه رضوان الله عليه بنجاح رائع أكد للاسلام هيبته وثبت فى القلوب عقيدته ثم صارت حروب الردة بعد ذلك مفخرته الخاصة التى انفرد بها فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك .

كان ابو بكر والذين معه أيامئذ يحاربون من اجل عقيدة راسخة لتحقيق أهداف شامخة ، لم يشغلهم عن الحرب جمع مال أو تجارة أو حيازة ضياع ودور وقصور انما كانت الحرب جهادا فى سبيل الله وفى سبيل نصرة دينه القويم فمن مات فى ساحتها فله فى آخرته خير مقام ومن لم يمت فقد فاز بالفخار والنصر على اعداء الله وأعداء دينه الحنيف .

انتهت حروب الردة بنهاية العام الحادى عشر للهجرة ثم تفرغ الصديق بعدها لملاقاة عدوين لدودين هما دولة الفرس ودولة الرومان وكان رحمه الله يعرف خطرهما على الاسلام والمسلمين ويعلم انهما يتربصان بالدولة الاسلامية الفتية التى بدأ خطرها يؤرق نوم الاكاسرة ويثير احقاد الرومان والأباطرة .

غير ان ابا بكر والذين معه كانوا قد عاهدوا الله ان يتركوا زخرف الدنيا وعرضها الزائل وان يطرحوا ترف الحياة وراء ظهورهم ثم يبذلون أرواحهم رخيصة للموت والجهاد فى سبيل الله وفى سبيل دينه وهو بعد خاتم الاديان الذى لادين بعده

وخرجت جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، ويزيد بن ابى سفيان وأضرابهم من افذاذ رجالات الحرب يهزون عروش الأكاسرة ، ويزلزلون الأرض من تحت اقدام الاباطرة حتى دانت لهم بلاد فارس وخضعت أرض الروم لكلمة المسلمين وادرك العالم من اقصى الشرق الى الغرب ان هناك دولة وليدة ستسود يوما ما على العالمين .

فى أقل من ثلاث سنوات قصار ، انجز الصديق ما بهر انظار العالم من جسيم الاعمال والفتوحات مالم ينجزه غيره فى عشرات السنين والاعوام .

ثم مرض ابو بكر ومكث محموما طيلة خمسة عشر يوما ثم صعدت روحه الطاهرة فى مساء الحادى والعشرين من شهر جمادى الآخرة للعام الثالث عشر للهجرة اللهم اكرم مثواه وعطر بالرضوان ذكراه .

تحديات فى مواجهة تاريخ الاسلام

الأستاذ أنور الجندى

تعرض تاريخ الاسلام فى العصر الحديث لتحديات خطيرة يجب أن تكون فى تقدير أى كاتب يحاول أن يكتب تمثيلية أو قصة أو مسرحية لجانب أو آخر من هذاالتاريخ أو ترجمةلشخصية أو أخرى وخاصة حين يتصل الأمر بتاريخ المائة سنة الأولى من تاريخ الاسلام أو حياة الصحابة والتابعين .

فليس من اليسير وضع هذا التاريخ أو هذه الشخصيات فى اطار المسرحية أو القصة الفنية بنفس السهولة التى تتاح للكاتب عندمايحاول أن يعرض لأى مرحلة من مراحل التاريخ العام أو تراجم الشخصيات التاريخية المختلفة .

ذلك لأن هذا الجانب من التاريخ انما يتصل الى حد كبير بأصول الاسلام ودعوته والجو المتصل بدعوة الاسلام وحركة بنائه الأولى ، هذه الحركة التى تمت فى خلال القرن الأول وحققت أخطر تحول فى تاريخ الانسانية والعالم كله . هذا التحول الذى ما زال موضع دهشة المؤرخين والباحثين وتطلعهم الى العوامل الدقيقة الرائعة التى تم بها هذا العمل .

والمعروف أن حركةالتبشير والتغريب والغزو الفكرى والثقافى المضطردة التدافع فى العالم الاسلامى كمقدمة للاستعمار وكأداة كبرى من أدوات دعم وجوده وقضائه على مقدرات الأمة وقيم الاسلام ، هذه القيم والمقدرات التى تحمل لواء مقاومة النفوذ الأجنبى ، هذه الحركة هى التى تغذى الأبحاث التى تثير الشبهات ، عن طريق القصة لتصل الى أكبر عدد من الناس .

وقد بدأت هذه المحاولة على أيدى المبشرين والمستشرقين ودعاة التغريب على نحو دقيق حيث لم يكن فى استطاعتهم مواجهة القيم الاسلامية أساسا فقد اتجهوا الى التاريخ الاسلامى وأثاروا حول حياة الرسول وصحابته شبهات وأذاعوا روايات ملفقة ، وغضوا عن حقائق واضحة ، وأوجدوا تلفيقات وأكاذيب أرادوا بها الغض من قدر الرسول وقدر صحابته وذلك فى محاولة لتوهين عظمة هذه الشخصيات وتنزيل قدرها فى نظر الأجيال المتوالية ومن ثم تكون وسيلتهم الى الغض من قيم الاسلام نفسه .

ولقد تابع هؤلاءالمبشرين والمستشرقين وكتاب الغرب على هذا الدرب ، كتاب يكتبون بالعربية حملوا نفس اللواء ، وتابعوا نفس الخطو ، وكان ظهورهم كسبا كبيرا للاستعمار والتبشير ، ايمانا منه بأن الأقلام المواطنة تكون عاملا على زيادة الثقة وتعميق الشكوك فى نفوس أهليهم .

× × ×

وقد حاول المستشرق اليسوعى ((لامنسى)) أن يشكك فى شكل الحكومة الاسلامية التى قامت عقب يوم السقيفه واستمرت طوال عهد الشيخين (أبوبكر وعمر) كما حاول أن يسلب المسلمين والعرب الفضائل والصفات الخلقية التى عرفت عنهم ، وقد اتخذ منهجه فى اعتماد الروايات الفردية ، وتلفيق الأخبار المحرفة ، واستقطاع جوانب منها واذاعة بعضها والاغضاء عن بعضها الاخر فى سبيل الوصول الى هدفه فى الطعن على الصحابة .

وفى هذا الطريق مضى ((هنرى لامنسى)) أشد المستشرقين تعصبا على الفكر العربى الاسلامى ، حتى شك المنصفون فى أمانته العلمية وقالوا أنه لا ينسى عواطفه فيما يكتب عن النبى والاسلام .

وقد بلغ المستشرق مرجليوث فى ذلك أبعد مدى فى كتابه ((محمد وظهور الاسلام)) ويتصل بهذا ما كتبه المستشرق (فنسنك) رئيس تحرير دائرة المعارف الاسلامية وكان قوام منهجه أن يفرض فرضا ثم يبحث عن الروايات التى قد تتناسب مع هذا الرأى الذى فرضه فاذا وجد نصا يعارض وجهة نظره حذفه ، حتى يخرج بالنتيجة التى تعمل على اثارة الشكوك والشبهات فى نفس من يطالع آرائه .

وقد أشار كثير من الباحثين الى أن أغلب كتاب دائرة المعارف الاسلامية هم مبشرون أعداء للاسلام ، وان قليلا منهم من عرف بالانصاف والروح العلمية ولذلك فقد جاءت آراءهم فى أغلب مواد هذه الدائرة مما يحتاج الى التصحيح والرد بأقلام العلماء المسلمين .

وقد سار فى ركاب هؤلاء المبشرين والمستشرقين كثير من الذين يكتبون باللغة العربية وفى مقدمتهم — جرجى زيدان — الذى وجد فى شخصية العلامة شبلى النعمانى — مراجعا متعمقا لما أورده من شبهات وشكوك احتواها كتابه الضخم ((تاريخ التمدن الاسلامى)) ثم تابعه بعد ذلك كثير من الكتاب الذين تعرضوا لشخصيات بارزة فى تاريخ

لاسلام أمثال : ابن خلـدون والمتنبى الغزالى ومعاوية والحسين وصـلاح لدين .

وقد حاول كتـاب التراجـم لهذه الشخصيات أن يجدوا فى كتاباتهؤلاء المبشرين والمستشرقين مادتهم السـهلة لكتابة دراساتهم دون مراعاة الأثـــر الخطير الذى تتركه أعمالهم فى نفوس شباب المسلمين والعرب .

وقد حاول بعض الذين تناولواحياة الصحابة أن يقللوا من أقـدار هؤلاء الرجال الأفذاذ وأن يفتحوا الطريقأمام الجرأة عليهم بالنقد والتعرض لهمكأنهم شخصيات سياسية أو تاريخية اعتادوا نقدها أو الولوغ فى عرضها دون تقدير للخطر البالغ الذى يترتب على هـذا العمل مما يتصل بالاسلام نفسه .

ومن عجب ان هؤلاء الكتـاب الذين تعرضوا لهذه الدراسات لم يـكونوا مؤرخين أصـلا يحملون أمانة العمـل ويقدرون مسئوليته ، وانما كانوا من الادباء أو الشعراء الذين أطلقت لهـم حرية التعبير دون أن تحاط بسياج من الكفاية العلمية أو التقدير الـــكامل للظروف والتيارات والعوامل المختلفـة التى تكتنف تاريخ الاسلام كله .

فمنهج كتابة التاريخ له أصـــوله وقواعده التى تجعل من العسير على الهواة من الأدباء والشعراء أن يحققوا فيه عملا ايجابيا صالحا . ولما كـان لتاريخ الفترة الأولى من حيـاة الاسلام خطرا بعيد الأهمية فى تقدير أصـول الاسلام نفسه ، فان التصدى لكتـابة مسرحية أو قصة فيها ، هو عمل غـير يسير الا على من استطاع ان يحيـط به ومن كانت له من ذاتيته المؤمنـة بالاسلام القدرة لرجاله ومواقفه مايمكنها من تجنب الخوض فى أمـور تعددت فيها الروايات ، وتعرضت لكثير من الاضافات بأيدى خصوم الاسلام نفسـه واصطنعت سـلاحا لضرب الاسـلام والتقليـــل من مكانته فى النفوس ، فالمعروف أن ((عبد الله بن سبـأ)) ومدرسته الضخمة ذات الفروعالمتعددة فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وجلها من المجوس واليهود وخصوم الاسلام قد حرفوا تحريفا بعيد المـدى لكثير من النصوص مما أطلق عليه من بعد أسم ((الاسرائيليـات)) هـذه الاسرائيليـات التى اتصلت بالســيرة وبالتـاريخ وبالتفسيروبالحديث النبوى ، واضافت اليه مما ليس فيه وحرفت النظـرة الأساسية اليه .

كما نسبت الى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من المواقف المكذوبة والمضللة مما تنبه له من بعـد أذكياء المؤرخين الذين عرفوا الى أى حد بلغ التحريف بالوقائع والأحداث من أمثال القاضى أبو بكر بن العـربى فى كتابه العواصم من القواصم وابن الجـوزى فى تلبيس ابليس وعشرات غيرهم .

والمعروف أن (عبد الله بن سـبأ) ومدرسته وهى ما هى خطورة عـلى الاسلام ـ عندما عجـــزوا عن مقاومة الاسلام علانية ادعو كذبا الدخول فيـه وعملوا فى داخله عن طـريق الفتنـة فالصقوا بسير رجاله ما لم يكن من طبائعهم أو سجاياهم .

والحق ان هؤلاء ((الصحابة)) كانوا من معدن آخـــر ، يختلف عن معـادن الذين جاءوا من بعدهم وهم يمثلـون النموذج الأسمى من (البطولة الاسلامية) .. ومن هنا فلا يمكن تناولهم على هذا النحو الذى نراه فى كتببعضالباحثين المحدثين .

((هؤلاء الصحابة أسمى أخـــلاقا وأصدق اخلاصا لله وترفعـا عن أن يختلفوا للدنيا)) . ولا يمكن تنـاولهم على صورة الأفراد الذين كانوا يتقاتلون ويتصارعون من أجل المغانم والمطـامع

ويجب عند دراسة حياتهم تقــدير أنهم بشر ، وأن العصمة لله وحده ، وأن الرسول صلى الله عليه وسـلم وحده هو الذى فوق الشبهات فهــو المؤيد بالوحى ، غير أن هؤلاء الصحابة قد غلب عليهم الحـق والخير ، وان أعمالهم قد ذهبت الى أبعد مدى فى التماسالحقوتحرى الخير ويمكن انيقال أن أحداث المائة سنة الأولى من تـاريخ الاسلام كانت من معجزات التاريخ وهو عمل لم يعملـه أحد فى أمة اليـونان أو أمـة الرومـان ، وأن هـــدف الذين يحاولون التقليل من شأن هؤلاء الصحابة انما هو النيـل من الاســلام نفسه . وأن محاولة تشويههم انمـا تهدف الى القضاء على مكانتهم ومـكانة القيم العليا التى قام عليها الاسلام ، ((وهى محاولة للتشكيك فى الاسـلام نفسه عن طريق التشــكيك فى هؤلاء القادة وقد اعتبـــر التشريع الاسلامى على حد تعبير العـــلامة محب الديـن الخطيب ـ ان الطعن فى هؤلاء الصحابة طعن فى الدين الذى هم رواته ، وأن تشويه سيرتهم تشويه للامـانة الـتى حملوها وتشكيك فى جميع الأسس التى قام بها كيان التشريع فى هذه المـلة الحنيفية السمحة وأول نتائجه حرمان شباب الجيل وكل جيل بعده من القدوة الصالحة)) .

ولذلك فان من حقناأنندرأ عن سيرة ((الصحابة)) كل ما الصـــق بها من شبهات ، ذلك لان هؤلاء الصحابة لـو كانوا بالصورة التى صورها بهاأعداؤهم لكان من غير المعقول ان يتم بناء الاسلام على ذلك النحو الذى تم به .

× × ×

ومن هنا فان الحذر المقصود بالنسبة للصحابة انما اريد به حمـاية القيم الأساسية للاسلام ضد التعرضللاهتزاز فى نفوس الشباب وغير المتعمقين فى تاريخ الاسلام .

ومن ناحية أخرى فان كتابة تـاريخ الصحابة على هذا النحو الذى يخوص فى الأمور خوضا عارما دون تقـديـر لمختلف المواقف فى هذه المرحلة ، هذا العمـل ما قيمتـه الفعليـة فى عصرنا وما هى النتائج التى يحققها . انه من غير شك سيزيد فى شقة الخـلاف بين المسلمين فى وقت هم يتقاربون فيـه ويتجمعون من أجل مواجهة الخطـــر الصليبى والصهيونى الخطير الـــذى يحيط بهم .

فالكتابة على هذا النحو من التحرر من قواعد المنهج العلمى التـــاريخى ، لا شك ستكون بعيدة الأثر فى اثـارة هذه الخلافات وبعثها من جديد ، وهذا ما يهدف اليه الاستعمار والنفوذ الأجنبى وقوى التبشــير والتغريب والغــزو الثقافى القادرة على العمـل فى أدق الفترات ، ولقد كان الاستعمار عامـــلا دوما خلال فترة احتلاله للعالم الاسلامى على تجديد اثارة هذه الشبهات وذلك حتى يبقى على الخـلاف بين الفـرق الاسلامية واحياء الخصومات القديمـة التى دفنتها الاحداث .

وأمر آخر جدير بالاهتمام وهو هـل يستطيع كل كاتب أن يكتب عن تـاريخ الاسلام أو مرحلة من مراحله أوشخصية من شخصياته ، محاكما هذه المراحل أو الشخصيات الى مناهج أخرى غير منهج التاريخ الاسلامى نفسه بحسبانه نتاج المجتمع الاســلامى القـائم على مفهـوم متكافل تلتقى فيه الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والاخرة .

وعندنا ان كثيرا من الأخطاء التي وقع فيها الكتاب الغربيون - والذين آمنوا بمناهجهم المادية أساسا وساروا على طريقها - انما يرجع الى هذا القصور عن فهم منهج التاريخ الاسلامي المستمد من الاسلام نفسه .

والسر في اضطراب الباحثين الغربيين - بصرف النظر عن التحامل المكشوف في كتابات المبشرين ودعاة التغريب - يرجع الى عجزهم وعجز السائرين في ركب الفكر الغربي من المستعمرين عن فهم تاريخ الاسلام ، هو اختلاف وجهة النظر الأساسية بين الثقافتين وكل كاتب - غربي أو عربي مؤمن بالفكر الغربي انما يفسر التاريخ الاسلامي وفق منهج غربي ولذلك يقع في أخطاء أساسية ، فطبيعة المناهج الغربية تجزئة الكون والطبيعة أو الفصل بين الله والطبيعة والدين ، أما روح الفكر الاسلامي فقائمة على أساس وحدة الكون وانسجام قوى الطبيعة واتساقها بحسبان أن الاسلام هو النظام الوحيد الذي يحقق هذا الانسجام لانه يجمع بين الروح والجسد في نظام الدين ، والسماء والأرض في نظام الكون ، وان الاسلام والاسلام وحده هو الذي يجمع بين العلم والدين في وحدة تامة غير متنافسة . أحمد نصيف الجنابي .

هذا الخلاف هو عنصر أساسي في النظر الى التاريخ الاسلامي من وجهة نظر غربية . ومن هنا فقد حاول كثير من خصوم الفكر الاسلامي تصوير الرسول محمد على أنه بطل ومصلح اجتماعي ورسول الحرية وحدها ، وانكروا جانب الوحي والنبوة فيه ، وانكروا كثيرا من معجزاته صلى الله عليه وسلم .

وجملة القول في هذا المجال :

أولا : ان هناك مخططا كاملا يحمل لواءه التبشير والتغريب والشعوبية التي يوجهها ويحتضنها الاستعمار والنفوذ الأجنبي يحاول أن يقود حملة تشكيك واسعة لكل القيم الأساسية للفكر الاسلامي والثقافة العربية وفي مقدمتها اللغة العربية والاسلام والتاريخ والتراث .

وقد جرت محاولات التشكيك في التاريخ الاسلامي منذ وقت بعيد وحشد لها عدد ضخم من المبشرين وكتاب الغرب وكان لكرومر في مصر وليوتي في المغرب أثر كبير في رسم خطوط هذا العمل الذي سار عليه دنلوب وزويمر ولورنس وهنري لامنسي ولويس شيخو ووليم ويلكوكس وجلوب وجولدزيهر وهانوتو وداركور (راجع كتابنا : الاسلام والثقافة العربية) .

وكان لأرنست رينان ومرجليوث وفنسنك أثر كبير في اثارة كثير من الشبهات .

وقد استغل المبشرون في هذا العمل الكثير من الكتابات القديمة التي وضعها المجوس والباطنية وغيرهم من خصوم الاسلام القدامى كما اعتمدوا على تضارب الروايات واستغلال بعض النصوص المحرفة .

ثانيا - علينا تقدير مدى الخطر الذي تتعرض له « الكتابة التاريخية » اذا قام بها « أدباء » أو شعراء غير متخصصين في التاريخ أو كتاب لهم هويات مذهبية أو مفاهيم فكرية غربية تحجب عنهم الرؤيا الكاملة ، أو تضعهم موضع الخصومة مع الفكر الاسلامي نفسه أو تدفعهم الى تأييد وجهة نظر المبشرين والمستشرقين .

وكذلك تقدير خطر محاولة الكاتب اختيار نصوص معينة واعلائها على نصوص أخرى ، خاصة اذا كانت هذه النصوص المختارة للاعتماد عليها في العمل الأدبي ليست سليمة كل السلامة ، وان كثيرا منها محرف ومضاف عن طريق خصوم الاسلام منذ عصور بعيدة .

ثالثا - خطر الاعتماد على كتب المحاضرات والأغاني وكتب الأدب كمصادر للتاريخ حيث كتبت هذه المؤلفات للتسلية وتزجية الفراغ ، وهي أشبه في عصرنا هذا بمجلات الفن والمسرح والكواكب فليس من الحكمة ان [illegible] كاتب بعد ، [illegible] المجلات تصلح مرجعا لرسم صورة العصر أو المجتمع ، بينما هي لا تعنى الا بقطاع واحد من قطاعاته وهو « المحيط الفني » بينما نوجد هناك قطاعات العلماء والأدباء والجامعات والهيئات الاجتماعية والدينية العديدة التي لم تتعرض مثل هذه المجلات لارائها وأفكارها .

رابعا - لا شك ان تاريخ الصحابة كتب من عدة وجهات نظر ، وان بعض هذه الوجهات كان مؤيدا لها والبعض الاخر كان على خلاف سياسي معها فمن الخطر تقليب وجهة نظر معينة واستغلال نصوصها في تشويه بعض الشخصيات أو القاء الشبهات عليها ، والمعروف ان الذين كتبوا في هذا المجال كانت لهم اهواء ومذاهب خاصة أوقفتهم من الشخصيات الاسلامية موقفا معينا ومن هنا فلابد من عرض هؤلاء الكتاب على منهج الجرح والتعديل للتأكد من سلامتهم كمصادر للدراسة الصادقة الأمينة ، وفي نفس الوقت لابد من النظر الى آرائهم بحذر ، خاصة وان بعض الذين تعرضوا لذلك كانوا شعوبيين يخفون المجوسية أو أديانهم القديمة وقد اتخذوا من الرواية سلاحا لمحاربة الحقائق واضافة ما ليس بحق الى بعض الاعلام رغبة في تجريحهم ولاشك أن التنازع بين الأحزاب الاسلامية ادخل من رواية بعض الاخبار ما ليس من الحق وانما هي من وضع المتزلفين لبيوت الأمارة أو الملك .

كل هذه العوامل شأنها ان تجعلنا ننظر بحذر الى الكتابات الأدبية - تاريخ الصحابة وأعلام الاسلام ، وان نضع موضع التقدير الدوافع التي قد تكون وراء هذه الكتابات من مضارة التاريخ الاسلامي والجري وراء مادة شائعة حاول المبشرون والمستشرقون تقديمها للغض عن طريق اتهام تاريخ الاسلام الى انتقاص الاسلام نفسه .

نحن نعرف ان النفوذ الاجنبي والاستعمار يحارب الامة العربية والعالم الاسلامي عن طريق الفكر العربي الاسلامي باثارة الشبهات حوله ، وان له في ذلك مخططا واسعا طويلا ، ونحن في هذه الفترة الدقيقة من حياتنا في اشد الحاجة الى استهداء تاريخنا عوامل القوة الايجابية والحرية ، والعمل على دعم الروابط بين المسلمين جميعا دون اثارة خلافات قديمة انتهت وماتت بموت أحزابها وغلب على الفكر الاسلامي بعدها اتجاه واضح الى التجمع والتوحد في وجه الخطر الذي زحف على العالم الاسلامي منذ الحروب الصليبية الى الان حيث لا تزال القوى الخارجية تحاول أن تنال من العالم الاسلامي والأمة العربية .

خطة مواجهة العدو في الإسلام

ان المتأمل في وقائع التاريخ الاسلامي يجد من الشواهد والبينات على سداد الخطط التي انتهجها قادة المسلمين مالا حصر له ، والذى يسترعى نظر المؤرخ والمفكر ان هذه الخطط التي مر عليها نحو اربعة عشر قرنا مازالت مبادئها صالحة للتطبيق في عالم اليوم بعد تعديل يسير لايتناول الخطوط العريضة وانما يقتصر على التفصيلات بالنظر الى اختلاف العصرين في السمات المميزة سواء من حيث القوة البشرية أو القوة المادية • فاستراتيجية المواجهة في أوقات الحرب وفي زمن الهدنة ـ كما اهتدى اليها العلماء المحدثون بعد تقصي وقائع التاريخ وبفضل التقدم العلمي المطرد في جميع الميادين لاتختلف **كثيرا عن تلك الاستراتيجية التي وضعها محمد عليه السلام وخلفاؤه من بعده لمواجهة العدو**

وفي مقدمة المبادىء التي أرساها النبي في هذا المجال والتي أثبت التاريخ الحديث أصابتها وقدرتها على تحقيق الهدف عزل العدو من طريق حرمانه من العون والتأييد حتى يسهل التصدي له والقضاء عليه ولاشك أن كسب الأنصار من أهم العوامل المؤدية الى اضعاف الخصم وكسر شوكته وبالتالي الى التمكين للنصر عليه فالقوة التي يفقدها العدو بفقده الحلفاء تضاف الى الجانب الاخر فهي خسارة هناك وكسب هنا ، وبذلك ترجح كفة على أخرى على أساس هذا الميزان على أن هذا المبدأ لايكفي وحده لاحراز النصر بل يجب ان **يسانده مبدأ آخر وهو وحدة الجماعة أو مايطلق عليه في الاصطلاح الحديث وحدة الصف**

وقد طبق النبي عليه السلام هذين المبدأين في جميع معاركه ضد أعداء الاسلام ، فدأب على دعوة القبائل الى التوحيد بالله والانضواء تحت أعلام الحق ونبذ قريش وماعبدت ، وجاهد في نفس الوقت كي يجعل من المسلمين وحدة واحدة لايتطرق اليها الانقسام والأحداث التي تلت هجرة الرسول من المدينة الى مكة واقامته بها أول دولة اسلامية خير مصدق على ذلك فلقد كان عليه السلام يدرك ان قريشا لن تسكت على استقرار المسلمين في يثرب خشية اتساع نفوذهم ومن ثم فان الحرب بين الجانبين وشيكة الوقوع ولن يردع المشركين الى ايقاع هزيمة نكراء بهم لايستطيعون قومة بعدها

ومهد الرسول للنصر في هذه الحرب المرتقبة بتوحيد الصف دعما للجبهة الداخلية وكان الشعار الذى دفعه لتحقيق هذا الفرض هو قوله صلى الله عليه

وسلم (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » وقوله : « **مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى**» كان قوله هذا اعلانا وتفسيرا لما أنزله الله عليه فى الآية **الكريمة « انما المؤمنون أخوة »**

فلا غرو أن يؤاخى النبى بين المسلمين بعد أن ألف بينهم الدين الجديد بأوثق رباط ، وهذه المؤاخاة من شأنها أن تجتث رواسب الخصومة القديمة بين من أسلموا من الأوس والخزرج بعضهم وبعض ، وبينهم جميعا وبين المهاجرين القادمين من المدينة

وفى ذلك يقول المؤرخ الاسلامى الخالد الذكر المرحوم **محمد حسين هيكل انه كان اكبرهم الرسول عليه السلام أن يصل بيثرب ، موطنه الجديد الى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل فى سائر انحاء الحجاز ، وان كانت قد** عرفت قبل ذلك بكثير من بلاد اليمن فتشاور هو ووزيراه أبو بكر وعمر ، فكذلك كان يسميها وقد كان أول ماانصرف اليه تفكيره بطبيعة الحال تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم للقضاء على كل شبهة فى ان تثور العداوة القديمة بينهم ولتحقيق هذه الغاية دعا المسلمين ليتآخوا فى الله أخوين أخوين

فكان هو وعلى بن أبى طالب أخوين ، وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى أخوين وتآخى كذلك كل واحد من المهاجرين الذين كثر عددهم بيثرب بعد أن تلاحق اليها سائر من كان منهم بمكة فى أعقاب هجرة الرسول اليها ،مع واحد من الانصار اخاء جعل له الرسول حكم اخاء الدم والنسب وبهذه المؤاخاة ازدادت وحدة المسلمين توكيدا

واظهر الانصار من كرم الضيافة لاخوانهم المهاجرين ماتقبله هؤلاء أول الامر مغتبطين ذلك بأنهم تركوا مكة ، وتركوا وراءهم مايملكون فيها من مال ومتاع ، ودخلوا المدينة ولا يكاد الكثيرون منهم يجدون قوتهم ، ولم يكن منهم على جانب من الثراء والنعمة غير عثمان بن عفان ، اما الاخرون فقليل منهم من احتمل من مكة مايقتات به وكان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين،

ولم يكن عبد الرحمن يملك بيثرب شيئا فعرض سعد عليه أن يشاطره ماله ، فأبى عبد الرحمن وطلب اليه أن يدله على **السوق ، ومنها بدأ يبيع الزبد والجبن ، واستطاع بمهارته التجارية أن يصل الى الثروة فى زمن قصير ، وأن يمهر احدى نساء المدينة ، وأن تكون له قوافل تذهب فى التجارة** وتجيء وصنع كثير غير عبد الرحمن من المهاجرين صنيعه ، فقد كان لهؤلاء المكيين من الدراية فى شئون التجارة ماقيل معه عن أحدهم انه ليحيل بالتجارة رمل الصحراء ذهبا .

أما الذين لم يشتغلوا بالتجارة ومن بينهم أبو بكر وعمر وعلى بن أبى طالب وغيرهم ، فقد عملت أسرهم فى الزراعة فى أراضى الأنصار مزارعة مع ملاكها وكان غير هؤلاء وأولئك يلقون من الحياة شدة وبأسا ، لكنهم كانوا يأبون ان يعيشوا كلا على غيرهم ، فكانوا يجهدون انفسهم فى العمل أشد الجهد ، ويجدون فى ذلك من لذة الطمأنينة لأنفسهم وعقيدتهم مالم يكونوا يجدونه بمكة على أن جماعة من العرب الذين وفدوا على المدينة واسلموا ، كانوا فى حال من العوز والمتربة ، حتى لم يكن لأحدهم سكن يلجأ اليه هؤلاء . أفرد محمد عليه السلام لهم صفة المسجد ـ وهى المكان المسقوف منه ـ يبيتون بها ويأوون اليها ، ولذلك سموا أهل الصفة ، وجعل لهم رزقا من مال المسلمين من المهاجرين والانصار الذين آتاهم الله رزقا حسنا .

وكان النبى فى الوقت ذاته يعمل على تأليف يهود المدينة حتى لايكونوا أداة فى يد قريش تستخدمها فى تخريب المجتمع

الاسلامى فى يثرب أو ينضموا اليها علانية وكان من شأن هذا التاليف ايضا تدعيم الجبهة الداخلية التى كانت تتكون من المسلمين مهاجرين وانصار ، ومن اليهود ، فوثق النبى الروابط بينه وبين اليهود متحدثا الى رؤسائهم واصلا بينه وبينهم بصلة الود باعتبار أنهم أهل كتاب موحدون وبلغ من ذلك ان كان يصوم يوم صومهم وكانت قبلته فى الصلاة ماتزال الى بيت المقدس قبلة انظارهم وماكانت الايام لتزيده بهم الا مودة وقربى كما أن سيرته، وعظيم تواضعه ، وجميل عطفه وحسن وفائه ، وفيض بره بالفقير والبائس والمحروم ،وما أورثه ذلك من قوة السلطان على أهل يثرب ، كل ذلك وصل بالامر بينه وبينهم الى عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الاعتقاد وحرية الرأى ٠٠ فكتب بين المهاجرين والأنصار كتابا وادع فيه اليهود وعاهدهم وأمرهم على دينهم واموالهم واشترط عليهم وشرط لهم ٠٠ وبمقتضى هذه الوثيقة السياسية تعهد اليهود ان يكونوا يداواحدة مع المسلمين على كل من تسول له نفسه الاعتداء على المدينة ، فعليهم أن يقفوا صفا واحدا مع محمد وأصحابه فى الذود عنها ، وأن يتكافلوا فيما بينهم وبين المسلمين ٠

ولا ينبغي أن ينصرف الذهن القارىء أن خطة النبي – صلى الله عليه وسلم – في موالاة اليهود كانت خطة مرحلية بمعنى أن الحافز عليها كان استمالتهم الى جانب المسلمين ضد أعدائهم من المشركين ، فلقد كان هذا هدفا فرعيا ٠

اما الهدف الأكبر فهو تطبيق السلام بين الناس جميعا ٠٠ وكفالة الحقوق والحريات لكل من اقام في ديار المسلمين ٠

ذلك لأنه لا اكراه فى الدين، فللمسلمين دينهم ، ولليهود دينهم ، وللمسيحين دينهم ، والامر بعدئذ لله ٠

ولقد أنتجت خطة مؤاخاه المسلمين أثرها بعد ذلك فى غزوة بدر اذ خاض المسلمون الحرب بقلب رجل واحد ، وتركوا قلة منهم فى بدر تدير شئونها المدنية ٠ أما خطة موالاة اليهود فقد حققت بعض الآثار المنشودة منها ، اذ ما لبث اليهود أن فكروا فى الخروج على عقدهم مع النبى – عليه الصلاة والسلام – الذى عاهدوه فيه على تعزيز المدينة حتى لا يتطرق الى قريش فيها مطمع حين راوا امر المسلمين يستقر ولواء الاسلام يرتفع ٠ فبدأوا يعملون على الوقيعة بالنبى لاجئين – سرا – الى كل وسيلة للدنس بين المسلمين ، ولاثارة البغضاء بين المسلمين والأنصار ٠٠ ولايقاظ الأحقاد الماضية بين الأوس والخزرج ٠ ولكنهم لم يجرأوا على نقض المعاهدة علانية ولا سيما بعد أن أوفد النبى سراياه المسلحة لارهاب المشركين اذ كانت تشكل ارهابا لليهود أيضا ٠

ولقد كانت هذه الخطة بجوانبها المختلفة من جمع بشمل المسلمين ، وتاليف لليهود ، ثم ارهاب لهم حين سولت لهم أنفسهم الاضرار بالمسلمين ٠٠ من أكبر العوامل التى أدت الى انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى ، تلك الغزوة التى حفلت باعظم العبر والدروس فى تاريخ البشرية ، وقدمت وما تزال تقدم للمناضلين فى سبيل الحق والعدل والحرية والاخاء وسائر القيم الفاضلة التى غرسها الاسلام من المبادىء والأساليب وسائرالقيم الفاضلة والأساليب ما يكفل انتصارهم فى معركتهم ضد قوى الشر والقضاء الحاسم على تلك القوى ومؤيديها ٠

دين ودنيا

الأستاذ محمد المتولى الظامى

الاسلام والحرية :

كانت البشرية قبل الاسلام تسودها مبادىء القوة من غزو ، ونهب ، وسلب، وسفك دماء ، وتسلط من الأقوياء على الضعفاء ، واستباحة لحقوقهم . وغدت الحريات الفردية مسلوبة ، وسادت شريعة الغاب ، فالقوى يتحكم فى الضعيف ، ويلسب حريته وارادته وكرامته ، وانقسم المجتمعالى طبقتين : طبقة السادة المترفين ، وطبقة العبيد المظلومين الذين يباعون ويشترون .

فلما جاء الاسلام ساوى بين الناس فى الحقوق والواجبات ، وطبق العدالة بين من يستظلون بلوائه ولو كانوا غير مسلمين ، وحقق الحرية للجميع بنظمه القويمة ، وتشريعاته المنزلة من العليم الخبير بما يسعد الافراد والجماعات ، ويقيهم من الشرور ، ويصون لهم عزتهم وكرامتهم .

وحرص الرسول وصحبه على تطبيق هذه الحرية فى جميع نواحى الحياة ، فنهضت الدولة الاسلامية على مبادىء قويمة ، حققت العدالة والمساواة ، والحب والاخاء ، والامن والحرية ، والرقى والمدنية قال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » وقال .. « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاءوالمنكر والبغى » وقال .. ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله » وقال .. « وان هذه أمتكم أمة واحدة » وقال .. « ولو شاء الله لجعلكم أمة وحدة » وقال .. « ولقد كرمنا بنى آدم » . وقضية تكريمهم ألا يذلو ، أو تنتهك حرماتهم ، وقال مهدد منتهكى حرمة الحرية ـ « وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » وقال .. « ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول » ـ وجعل جزاء من يفرط فى حقه وحريته العذاب الاليم فقال .. « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . قالوا فيمكنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

ودعا النبى كل حاكم الى الحفاظ على الحرية ، ومراقبة الله فى أمور الرعية ، فقال « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا ، فشقعليهم ،فأشققعليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فارفق به» وقال .. « الامام راع ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » وقال . « الظلم ظلمات يوم القيامة » وهدد النبى عليه السلام وتبرأ من كل من لا يحافظ على حريته بقوله .. « من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منى » وقال « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يضربوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده .. » وفى الحديث القدسى « يا عبادى انى حرمت الظم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

تقييد الحرية :

والحرية فى الاسلام ليست مطلقة لكنها حرية تلتزم بقيم ومبادىء وحدود، بالقدر الذى يجعل المرء والمجتمع يعيشان فى سعادة ، ويسلمان من الشرور ، فليس للفرد مطلق الحرية فى ارتكاب ما يشاء اعتمادا على حريته ، بل ان الاسلام أحاط الحرية بسياج من الاخلاق والمبادىء تجعل الفرد ملتزما ، ووضع لكل معتد على المبادىء ، وخارج عن الحدود عقابا رادعا يردهالى الصواب ، وذلك حتى لا يؤذى المرء نفسه وغيره ، وجعل الفرد امينا على المجتمع ، عاملا من أجله ، رقيبا عليه ، وجعل المجتمع رقيبا على الافراد ، ضامنا لحقوقهم ، متكفلا بما يرقى بهم وينهض ، لان الفرد هو عضو فى جسم المجتمع ، وقوام الجسم بسلامة كل عضو فيه ، وقيامه بالواجب عليه ، وعدم شذوذه عن المجموع ، والا أصبح مصدر ايذاء ، ونذير خطر وهلاك ، ولو تركت الحرية بدون قيود ، لتجاوز الناس الحدود ، وتمادوا فى الرذائلوالشرور ، ولاهلكوا غيرهم وهلكوا ، وكانتالعاقبة فسادا وضلالا وفوضى ، كما حدث من الذين كفروا من بنى اسرائيل ، حينما أخذوا يرتكبون الاثام مفتخرين ، وأصبحوا لا يقفون فى الشرور عند حد،وصار الغدر والاجرام طبيعة فيهم، من قبل قذفوا بأخيهم يوسف فى الجب ، بغية هلاكه والتخلص منه ، دون أن تردعهم عاطفة أخوة ورحم ، ثم تمادوا فى اجرامهم فقتلوا الانبياء ، واليوم يسفكون دماء الابرياء ، ويضربون الامنين بقنابل النابالم الحارقة ، وسيعلم المجرمون ان عاقبة أمرهم ستكون الابادة ، واجتثاث هذا السرطان الوبائى من قلب أمتنا العربية الاسلامية .. وصدق قول الله « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ، أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون » . وقوله « لعن الذينكفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

فالحرية فى الاسلام لها حدود تلتزم، فاذا لم يلتزم بعض الناس الحدود ، فعلى الآمرين بالمعروف نهيهم عن المنكر ، وعلى ولى الامر ان يردهم الى الصواب ، وان يضرب على أيدى المعتدين ، قال تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ، ان يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الاخرة عذاب عظيم » وقال النبى عليه السلام « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحرم حرمات فلا تنتهكوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » وبين عليه السلام الحكمة فى تقييد الحرية ، وجعل الأفراد رقباء على المجتمع امناء ، والمجتمع رقيبا عليهم أمينا بقوله « مثل القائم فى حدود الله الواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فاصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها ، اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا .. فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

صيانة الحرية :

حقق الاسلام الحرية بمعناها الاعم الاشمل ، وتكفل بصيانتها ، ونهى عن الاعتداء عليها فحث على الحرية الشخصية ، وحافظ على حرية العقيدة ودعا الى حرية الرأى ، ونادى بحرية العمل .

١ ـ الحرية الشخصية :

ساوى الاسلام بين الناس فى الكرامة الانسانية ، والحقوق العامة وكفل للمرء الحرية الشخصية وصان النفس البشرية من كل اعتداء وضمن لها حق الحياة العزيزة الكريمة ، وجعل لها حرمات يجب ان تصان ، فأمر بصيانة الاموال والاعراض والدماء والحريات ، وحارب الاعتداء عليها ، وفرض الحدود وأوجب القصاص . واعطى المرء من مظاهر الحرية الشخصية ما يصلحه ، ويصلح مجتمعه ، فجعل له حق الاشتراك فى امور الدولة ، واختيار الخليفة ومبايعته وطالبه بان يدافع عن حقه ، وان يقاتل فى سبيله ، والا يذل لمخلوق ، وان يحارب الظلم والظالمين ، وأمر الحاكم بالتزام العدالة ، وصيانة الحريات ، وان يكون حكمه قائما على مشورة ذوى الراى ، وان ينفذ الاراء الصالحة البناءة . ولو كانت تخالف رأيه ، وأمر الحكام والمحكومين بالعمل فى اطار من المبادىء والقيم ، فنهاهم عن الفتنة والغيبة ، والنميمة ، والتنابذ بالالقاب ، والخوض فى الاعراض ، وأكل اموال الناس بالباطل ، ودعاهم الى كل ما يصون الاعراض ويدعم الاخاء ، ويحقق الخير والحرية ، ويحافظ على الكرامة الانسانية ويجعل المرء يعيش حرا آمنا ، والمجتمع يعيش فى آخاء وسعادة قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ، ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » وقال تعالى «كنتم خير أمة اخرجت للناس » وقال « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » وقال « ولكم فى القصاص حياة » وقال « وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ » وقال « وأمرهم شورى بينهم » ، وقال مخاطبا نبيه «وشاورهم فى الامر» ولقد كان النبى يستشير أصحابه ، وينفذ ما يجمعون على صوابه ، ففى موقعة بدر نزل حيث أشار الحباب بن المنذر ، وغير المكان الاول لنزول الجيش ، وفى غزوة الاحزاب نفذ مشورة سلمان الفارسى ، وحفر خندقا حول المدينة ، وهو القائل حاثا على تكوين الشخصية وحريتها .. « لا يكن احدكم امعه يقول انا مع الناس » وقال حاثا على الجهاد فى سبيل صيانة الحرمات « من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد » وقال « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه » .

وابو بكر الصديق عندما تولى الخلافة طالب المسلمين بتوجيهه بقوله « ان رأيتمونى على حق فاعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فسددونى » وعمر يقول بعد ان تولى الخلافة « ان رأيتم فى اعوجاجا فقومونى » ويقول « اعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، واحضارى النصيحة فيما ولانى الله من امركم » وهو الذى لقن عمرو ابن العاص والى مصر وابنه درسا فى وجوب صيانة الحرية الشخصية ، واعلن قوله ـ متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » وعندما قال له رجل « اتق الله يا أمير المؤمنين . وقال أحد الجالسين : اتقول لامير المؤمنين : اتق الله ؟ فقال عمر « دعه فليقلها الى ، نعم ما قال ، لا خير فيكم ان لم تقولوها ولا خير فينا ان لم نتقبلها » وعثمان يقول .. « انى أتوب وانزع ، ولا اعود لشىء عابه المسلمون » ولقد كانت الحرية مكفولة حتى بعد ان صارت الخلافة ملكا عضوضا ، والتاريخ يحدثنا عما صارحت به امراة مسلمة ـ معاوية وهو أمير المؤمنين من انها تكرهه وتحب عليا ، نظرا لعدله فى الرعية ، وقسمه بالسوية ، وحبه المساكين ، واعظامه لامر الدين ، ويقول ضرار الصدائى للخليفة معاوية ـ « انت الموقظ للفتنة ، المدبر للمحنة ، جعلت تكيد لابن عم الرسول ، زوج الزهراء ، فحاربته وخدعته وخدعت رجاله حين التحكيم » وعندما صاحت امراة امام الخليفة المأمون من ظلم لحقها من احد أفراد البيت العباسى ، وطلب منها احد الحاضرين ان تخفض صوتها ، قال المأمون « دعها فان الحق انطقها واخرسه » .

٢ ـ حرية العقيدة :

تكفل الاسلام بحماية العقيدة الا ما كان انحطاطا بالعقل البشرى كعبدة الاوثان ، فان الاسلام يعاملهم بأحكام خاصة انقاذا لهم من الضلال . ولقد بين الاسلام ان شريعته وشريعة الانبياء من قبله اخوة ، ونادى باحسان معاملة ابناء الاديان الاخرى ، واحترام مقدساتهم وحماية اموالهم ، وعدم الاكراه فى الدين أو الاضطهاد ، وذكر ان النصارى أكثر أهل الاديان قربى ومودة للمسلمين ، قال تعالى « شرع لكم من الدين ماوصى

به نوحا والذى أوحينااليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » وقال « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم ، وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » وقال « لا اكراه فى الدين » وقال « انلزمكموها وانتم لها كارهون » وقال « وجادلهم بالتى هى احسن » وقال « وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ » وقال تعالى « ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا ، افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ » وقال « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى » وقال النبى صلى الله عليه وسلم (من آذى ذميا فقد آذانى) وقال « من ظلم معاهدا ، فانا حجيجه يوم القيامة » ولقد جاء احدهم يقاضى رسول الله دينا ، وامسك بتلابيبه وهو يقول : انكم يا بنى عبد المطلب مطل ، وعندما نهره عمر بن الخطاب قال له الرسول صلى الله عليه وسلم (كنا لغير هذا احوج منك يا عمر ، تامرنى بحسن الاداء ، وتامره بحسن التقاضى) وتطبيقا لمبدا حرية العقيدة والعدل خير رسول الله يهود بنى النضير بعد الغلبة عليهم بين ان يجلوا مع اليهود وبين الاسلام .

وتطبيقا لمبدا احترام الاديان الاخرى اباح الاسلام لاتباعها صنع الخمر ، والاتجار فيها واقتناء الخنزير والاتجار فيه ، والتعامل بالربا ، لان دينهم يبيح ذلك ، ولم يسمح بذلك للمسلمين لان دينهم يحرم ذلك .

وتطبيقا لمبدا حرية العقيدة وعدم التفرقة ، وسماحة المعاملة ، تولى ابناء الاديان الأخرى ارقى المناصب فى الدولة الاسلامية ، وكان الأخطل النصرانى ينقد ويهجو ، ويدخل على الخليفة ، ورائحة الخمر تنبعث من فيه .

وتطبيقا لمبدا حرية العقيدة الى أوسع الحدود كتب عمر الى اهل بيت المقدس عهدا وقعه بنفسه عقب الفتح جاء فيه « هذا ما اعطى عمر بن الخطاب اهل ايليا من الأمان ، أعطاهم أمانا لانفسهم، ولكنائسهم ، وصلبانهم ، لا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم) ولم يقبل ان يصلى فى كنيسة القيامة ، مع أن الأرض جعلت للمسلمين مسجدا طهورا ، وذلك خوفا من ان ياتى يوم يطالب فيه المسلمون بالمكان الذى صلى فيه عمر ، وأمر بان يفرض لذمى عجوز من بيت المال حين رآه يتكفف وقال «ماانصفناه لو اخذنا منه الجزية شابا ، وتركناه شيخا » فاين من هذا ما فعلهالمتعصبون بالمسلمين فى الاندلس ، حيث نقضوا العهود التى ابرموها ، والمواثيق التى أعلنوها ، ولم يحترموا مقدساتهم ، وأقاموا لهم محاكم التفتيش ، وطردوهم من البلاد ، وحولوا المساجد الىكنائس، وذبحوا كل من يقول ربى الله ، وجعلوا من البر ، بدينهم سفك دماء من فضلوا الهجرة الى بلاد الاسلام ، حيث أخذوا يحصدونهم وهم راحلون .

وكذلك يفعل اليوم أنداد لهم فى فلسطين من الحقدة المتوحشين ، حيث نشروا الدمار فى أرض الروحانيات ، وقضوا على السلام فى ارض السلام ، وقتلوا مئات الألوف من الامنين وشردوا الباقين ، وقتلوا الأبرياء ، وانتهكوا حرمات النساء ، ودنسوا الأرض المقدسة، وشوهوا الانسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم بفضل السلاح الأمريكى .

٣ – حرية العمل : مجد الاسلام العمل والعمال ، ونادى بتامين العمل لكل قادر عليه ، وجعل ذلك واجب الدولة نحو الابناء ، وأمر العامل باداء عمله بامانة واخلاص لأن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه على عمله ، وحثه على أن ينجز عمله ، وان يتقنه حتى يبارك له الله فى صحته وأمواله وأولاده ، وجعل السعى فى طلب الرزق أسمى من الانقطاع للعبادة وقرن العمال المتاجرين بالمجاهدين فى سبيل الله قال تعالى « وآخرون يضربون فىالارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » وقال « من غشنا فليس منا » وقال « طلب الحلال واجب على كل مسلم ومسلمة » وقال « ايما رجل مات جوعا بين اغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » ومع ان العرب كانوا يحقرون بعض الحرف ويعيرون بها ، فلقد كان نبى المسلمين يرعى الغنم ، ويتاجر ، وكان يرتق ثوبه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته ، وقال فى يد تشققت من العمل « هذه يد يحبها الله » . وقال « ما اكل احد قط طعاما خيرا من ان ياكل من عمل يده » وقال « الحرفة امان من الفقر » وقال عمر « انى لأرى الرجل فيعجبنى فاقول اله حرفة ؟ فان قالوا : لا : سقط من عينى » والعمل الذى يحث عليه الاسلام هو العمل الصالح ، وما الاسلام الا ايمان وعمل صالح ، وديننا يدعو الى العمل باخلاص ، ومراقبة الله فى العمل والاتجاه به وجهة خيره تنفع المرء ومجتمعه ، والاعتقاد مع العمل بأن الأمر كله لا يرجع الى اجتهاد الانسان فقط فى عمله ، بل ان هناك مع ذلك توفيق الله فيه قال تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون » وقال « اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه » وقال « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » وقال « الذى خلق الموت والحياة ، ليبلوكم ايكم احسن عملا » وقال النبى عليه السلام « اخلصوا أعمالكم لله فان الله لا يقبل الا ما خلص له ، فيجب اننعمل مخلصين لله فى العمل ، وان نرعى الله والوطن فى الانتاج ، وان يحرص كل منا على أداء الواجب عليه فىموقعه، سواء أكان جنديا ، أم قاضيا أم صانعا ، أم تاجرا ، أم موظفا ، فالمجتمع المؤمن العامل مجتمع منتج متحاب ، متحرر من البطالة بعيد عن الحقد والهزات النفسية ، تقل فيه الشرور ، ويتصف أبناؤه بقوة العزيمة ، ونعمة النهضة والسعادة ، ويكتب لهم السمو والتقدم .

٤ – حرية الرأى :

نادى الاسلام بحرية الرأى والقول والفكر ، وتكفل بحمايتها ، وقدس حرية

البحث والتفكير ، وحث العقول على النظر والتامل والتفكر والتحرر من عقدة الخوف ، واحتـرام الرأى الخير ، والأخذ بالرأى السـديد ، واعتناق المبادىء بعد تفكير واقتناع قال تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ؟ » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « قل الحق ولو على نفسك » وقال « لا يكن احدكم امعه ، يقول انا مع الناس ان احسن الناس احسنت ، وان اساءوا اسات ، ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اسـاءوا ان تتجنبوا اساءتهم » وقوله « من راى منكم منكرا فليغيره » وقوله « لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم » .

ولقد كانت امتنا الاسلامية امة الاراء الحرة ، والنقد البناء ، نضجت مواهبها وتحررت أفكارها وعظمت مكانتها ، وحسنت سمعتها ، وخلدت آثارها ، عاشت ابعد ما يكون عن الرياء والنفاق والخداع فكان شعارها الحق الصراح ، والجهر بالرأى عن اقتناع ، وصدق قول الله « كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

ناقشت الرعية الراعى ، ونقدت التصرفات نقدا بناء ، ونزل الراعى عند رأى الرعية ، وكان الخلفاء أول من نادى بابداء الرأى ، وتقبل النصح ، تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد أعلن أبو بكر فى أول خطبة له قوله « ان أحسنت فاعينونى ، وان عصيت فقومونى اطيعونى ما اطعت الله فيكم ، فان عصيت فلا طاعة لى عليكم » .

وعمر يعلن : « ان رايتم فى اعوجاجا فقومونى » فيقول له راى حر « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا وبسرور ، ورحابة صدر ، وتقبل للرأى يعلن عمر « الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يستطيع أن يقوم اعوجاج عمر بن الخطاب بسيفه » .

كما يعلن عمر على الناس خطاه وسداد رأى امراة ، وذلك عندما أراد ان يضع للمهور حدا فقالت له امراة ـ ليس هذا لك يا عمر ، لان الله يقول (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج ، واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا ؟) فقال عمر « اصابت امراة واخطا عمر » وبينما كان يخطب سمع لغطا فى المسجد فقال « أيها الناس لماذا لا تسمعون ؟ فوقف رجل مبديا رأيا فى صراحة تامة ، متهما له باستغلال نفوذه كخليفة ، ذاكرا امام المسلمين ، ان الخليفة وزع على كل مجاهد من أموال الغنائم حبرة واحدة ، واخذ لنفسه حبرتين ، فتبسم عمر وطلب من ولده عبد الله الاجابة ، فذكر ولده امام المسلمين ، انه قد تنازل عن حبرته لوالده ، فصنع من الحبرتين معا ثوبا له ، فاعلن الاعرابى عن اقتناع « الان سمعا وطاعة » . ويسأل عمر عبد الله بن الزبير وهو صبى . لماذا لم تفر منى كما فر زملاؤك فيقول « لم أرتكب ذنبا فاخافك ، وليست الطريق ضيقة فاوسعها لك » والتاريخ الاسلامى ملىء بالأمثلة العديدة على حرية الرأى ، وتقبل الرأى الحر برحابة صدر ، والنزول عند السديد منه ، بل ان تاريخ الادب العربى غاص بالنقد والهجاء مما يشهد بان حرية الجهر بالرأى كانت مكفولة ، وما قصائد الفرزدق ، والكميت فى مدح آل البيت ، وذم الأمويين ـ أيام الحكم الأموى ـ الا دليل حى على حرية التفكير والتعبير .

وجوب الدفاع عن الحرية :

يوجب الاسلام على اتباعه مقاومة الطغيان ، ومحاربة الظلم ، والاهتمام بنصرة الحق والعدل والحرية ، والتضحية فى سبيل الوطن والعقيدة ، ومبادىء الاسلام تخلق المواطن ، الذى يدافع عن وطنه ودينه بصدق ، ويضحى بنفسه ونفيسه فى سبيل حرية العقيدة والوطن ، ويرى فى حرية الوطن حريته ، وفى عزة العقيدة عزته .

ولقد خلق الاسلام من اتباعه قوة لا تقهر ، حررت الفرس من حكم الأكاسرة ، وحررت الروم من ظلم القياصرة ، وحررت مصر والشام من طغيان الرومان ، وجدير بمعتنقيه اليوم أن يكونوا كتلة واحدة ، وان يضحوا فى سبيل عزتهم ، وان يستشهدوا فى سبيل حريتهم وعقيدتهم ، حتى يطهروا الأوطان من دنس الصهيونيين ، وحتى تحرر البلاد من المتوحشين المفسدين وصدق قول الله « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وقوله « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » ومن قبل ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثال فى الدفاع عن الحرية والاستشهاد دونها ، ولقد سجل التاريخ باعجاب استشهاد حمزة وجعفر الطيار ، وجهاد على ، والقعقاع ، وسعد ، وأبى محجن ، وطارق ، كما سجل كفاح سيف الدين قطز وصلاح الدين ، وتضحيات مصطفى كامل ومحمد فريد . وصدق قول الله « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » وقول النبى عليه السلام « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد » وقول الامام على ، الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وديث بالصغار والقماءة وأديل الحق فيه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف .

وما أصدق قول مصطفى كامل « ان من يفرط فى حقوق بلاده ولو مرة ، يعيش أبد الدهر مزعزع العقيدة ، سقيم الوجدان » .

وما أروع تضحيات محمد فريد ، وصبره على أشد ألوان الاضطهاد من تعذيب ونفى وفقر وما أعظم قوله .. « لن نحيد عن مبادئنا ما دام فينا عرق ينبض ، أو تجرى فى أجسادنا نقطة دم » .

وما أعظم قوله وقد عرض عليه المستعمرون ـ وهو فى المنفى ، بعد ان صادروا ثروته ، استعدادهم لتعويضه ، وان يتولى احدى الوزارات فى مصر بشرط ان يهادنهم فقال « ان ضياع ثروتى لا يؤثر على مبادئى . وانى ارفض أى مركز فى الحكومة ما دام الانجليز فى مصر » وقوله (نستطيع ان نصبر على الجوع ولا نستطيع ان نصبر على الذل والاستعباد) .

ولعل فى هذه المثل العليا فى التضحية من أجل الحرية خير تأسية وحافز للمكافحين والصامدين من أبناء العرب فى فلسطين والمناطق المحتلة .

ولابد لليل ان ينجلى ، ولا بد من انتفاضة تقضى على مجرمى القرن العشرين ، وتعيد الحق الى نصابه وصدق قول الله « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون » وقوله « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

الدين ...

الأستاذ محمد كمال الدين

يضع الدين الاسلامى الحنيف لكل ظاهرة اجتماعية قواعد ونظما يستهوى فيها شريعته السمحاء ، وهو يضعها فى اطارها الاجتماعى الذى يناسب التطور الذهنى والنفسى لأفراد المجتمع ، والذى يتدرج بها من الماضى الى الحاضر .. تدرجا لا طفرة فيه ولا اخضاع ، فظاهرة كالحرب مثلا لم يلجأ اليها الاسلام الا بعد أن حاول أعداؤه استغلال سماحته ، ودعوته للسلم مع كافة البشر ، ليشنوا غاراتهم على المسلمين أو ليؤذوهم فى أموالهم وأبنائهم او ليعيدوهم الى ملة الكفر والضلال، ومن هنا لجأ الاسلام الى حمل السلاح ذودا عن العقيدة وحماية للمجتمع من الفساد والالحاد .

لقد نزل الاسلام دين سلام واخاء ، ودعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .. وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلما اشتد ايذاء المنافقين ، واستهتروا بالوعود والمواثيق ، واستحلوا دماء المسلمين ، كان لا بد من النزال وكان لا بد من رد العدوان ، **وقد بينت الشريعة الاسلامية دواعى القتال وقصرته على أهداف واضحة ..**

– منها رد العدوان واغاثة المستضعفين ، وفى هذا يقول تعالى :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

(الحج ٣٩ – ٤٠)

ويقول سبحانه وتعالى أيضا:

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

النساء ٧٥ .

– ومنها القتال فى سبيل الله والدفاع عن الحق :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

البقرة ١٩٠

– ومنها تأمين حرية العقيدة والذود عن الدين ، وفى سبيل

والسلوك الاجتماعي

ذلك لا بد من وأد الفتنة وتقليم أظافر الشر والبغى ، يقول تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .

البقرة ١٩٣ .

- ومنها تأديب الفئة الباغية

اذا حدث خلاف بين جماعات المؤمنين ، ففى مثل هذه الأحوال لا بد من حسم الخلاف والاصلاح بينها، فان أبت جماعة الا القتال والبغى كان على الجماعات الأخرى أن تعيد اليها الصواب بقتالها حتى تفىء الى أمر الله ، وتعود الى صف الحق والسلام ، يقول تعالى :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

الحجرات ٩ .

- ومنها اغاثة المظلومين اذا استنصروا المسلمين على أعدائهم وكان الأعداء فى نفس الوقت من أعداء المسلمين أو على غير ملتهم وفى هذا يقول الله تعالى :

« والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » .

الأنفال ٧٢ .

وفى هذا المبدأ يقف الاسلام ضد الاستغلال والاستعباد ، وأكل الأموال بغير حق .

والاسلام حين يدعو الى السلام يدعو فى نفس الوقت الى القتال اذا وقع العدوان ، وفى هذه الحالة يأمر ببذل أقصى التضحيات ، وحشد جميع الامكانيات « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

الأنفال ٦٠

فاذا بدا من العدو أن يجنح للسلم ، فعلى المسلمين أن يتأكدوا أولا من صدق رغبته ، « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

الأنفال ٦١ - ٦٢ .

فاذا وقع القتال ، فان له شروطا ومتطلبات، تجملها الآيات الشريفة :

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين ، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » .

الأنفال ٤٥ ــ ٤٧ .

ويقول أيضا : « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير »

الأنفال ١٥ ــ ١٦

هذه هى آداب القتال ، أن يثبت المسلمون فلا يتراجعون ، وأن يكثر ذكرهم لله فتلك لحظات ايمان لا مثيل لها ، وأن يطيعوا أوامر الله ورسوله فيعملوا بأوامره ، ويجتنبوا نواهيه ، وأن يلتزموا جانب التعاون فيما بينهم ، فلا يتنازعون ولايختلفون بل عليهم طاعة قادتهم وأولى الأمر فيهم ، اذا ما كانت الأوامر فى صالح المعركة والنصر ، وأن يكون قتالهم فى سبيل الله ، وحقهم فى حياة حرة آمنة ، وفى سبيل شرفهم وكرامتهم ، دون رياء ودون بطر ، حتى يكافئهم الله بالنصر المؤزر .

ومن آداب الحرب فى الاسلام أيضا ، أن ينذر العدو أولا ، وأن يمهل للرد والتفاهم ان أراد فاذا لم يبغ ذلك فالقتال هو السبيل الوحيد الذى يبقى لردعه وتأديبه ، كذلك يأمر الاسلام بالامتناع عن محاربة غير المحاربين مثل الشيخ أو الصبى أو المرأة أو العجزة ، ومن لم يشترك فى القتال من العامة أو الصناع والزراع والتجار وغيرهم، هؤلاءالمدنيون لا يجوز قتلهم ، ويقول تعالى فى ذلك :

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، وقوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

وفى هذا أيضا يقول الرسول الكريم لقواده فى غزوة مؤتة : « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا ، اغزوا باسم الله فى سبيل الله،قاتلوا من كفر بالله ، لاتغدروا ، ولاتغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا ، ولا منعزلا بصومعته ، ولا تحرقوا نخلا ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء » .

كذلك نهى الاسلام فى القتال عن قتل الأسير أو استرقاقه، أو التعرض له بأذى ، وجعله مستحقا للبر ، متساويا فى ذلك مع أيتام المسلمين وفقرائهم ، هذا اذا لم يحدث منه أذى أو اعمال مخالفة للقوانين .

هذه المبادىء التى وضعها الاسلام للقتال ..

ظلت مثلا سائدة حتى اليوم يفخر بها كل قانون ، ويحتذيها كل مشرع ، أما التطورات الحديثة التى نراها فى وسائل القتال وسبله ، فقد قابلها الاسلام بمثلها ، فيجب أن يحصل المسلمون على السلاح اللازم لهم ، وأن يتدربوا عليه ، فهذا من قبيل اعداد عدة القتال والخيل ، وأن يعاملوا العدو بمثل معاملته ، ان غدرا فغدر ، وان حقدا فحقد ، وان عنفا فعنف ، لذلك يجب على المسلمين اليوم أن يعرفوا كيف يكيلون الصاع صاعين ، وكيف يتعلمون الحقد المقدس الذى يلزمهم ببذل أقصى ما يستطيعون من تضحية بالنفس والمال ، وأن يقبلوا على عدوهم اقبال المنتقم الجبار ، فلغة اليوم هى لغة القوة والبأس ، لا لغة التفاهم والمحاباة ، و لايخشى العدو بأس المسلمين الا اذا ذاق مرارتهم وداسته الأقدام ، وعرف أن هناك من يقف له بالمرصاد كامل القوة ، تام الاستعداد .

وحدة التشريع والقضاء في البلاد العربية

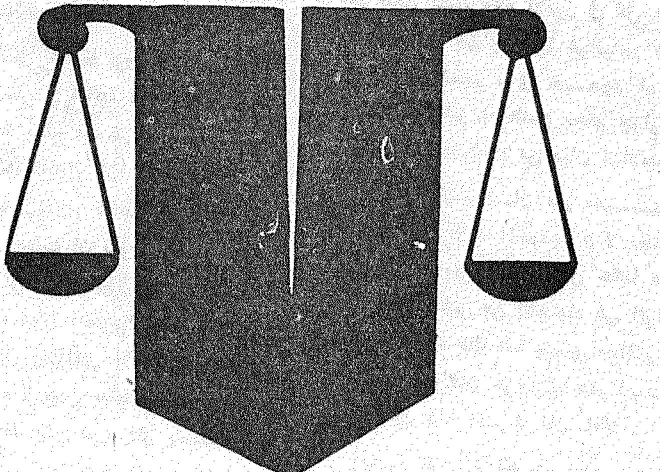

الأستاذ محمود كمال

لست أول من عنى بهذا الموضوع ، ولن اكون آخر من يعنى ، ، وما ذلك الا لانه بالغ الاهمية، وله أثر عميق في كيان الدول العربية كلها ، لا تستثنى منها واحدة .

ولهذا الموضوع أبعاد سياسية ، وتاريخية ، واجتماعية .

فاما الابعاد السياسية فلن أتناول الكلام عليها ، فى هذا المجال ، وان يكن لا غنى عن الاشارة ، اشارة عابرة، الى أنه اذا نفذت ، يوما ما ، وحدة التشريع والقضاء فى الدول العربية جمعاء ، ودون استثناء ، فسوف يكون ذلك بمثابة تمهيد قوى ، فعال ، لاقامة وحدة أساسية شاملة ، على وجه من وجوه الوحدة ، وما من شك فى أن الشعوب العربية ترنو ، منذ زمن غير وجيز ، الى تحقيق تلك الوحدة، وتترقب فى أمل بسام ، اليوم الذى تصبح فيه حقيقة واقعة ، ماثلة ، نافذة .

أما الناحيتان التاريخية،والاجتماعية فيحسن أن يكون الكلام عليهما مسبوقا بالكلام عن النقطتين الآتيتين :

(أ) خصائص الامة العربية

(ب) خصائص الشريعة الاسلامية

(أ) خصائص الامة العربية

الامة العربية ، كما لا يحتاج الى بيان ، أمة أصيلة ، عريقة تمتد جذور أصالتها الى أعماق التاريخ ، فقد اجتمعت لها ، منذ أزمة بعيدة ، كل العناصر الجوهرية التى تجعل لها شخصية مستقلة بذاتها ، اذ توافرت لها وحدة الدين ، واللغة ، والتاريخ، ووحدة الامانى ، والآمال والمشاعر ، وطرق الحياة المتشابهة ، وأساليب التفكير المتقاربة .

وكما لا يخفى فان هذه العناصر هى بذاتها عناصر القومية فى كل أمة من الامم ، بصرف النظر عن الاختلافات العلمية فى هذا الصدد .

ولقد لعب الدين دوره الهام فى حياة الامة العربية ، وتكوين شخصيتها ، واستدامة كيانها ، منذ أن أفاء الاسلام عليها بظله الظليل ، فدان له العرب، واستمسكوا بعروته الوثقى ، لانه هو الرباط المتين الذى يشد أجزاءها بعضها الى بعض ، مهما تغيرت الظروف وتبدلت الاحوال ، ويجعل من شعوبها كتلة متماسكة ، متحدة الآمال والمشاعر، على مدى العصور والاجيال ، رغم ما قد ينزل بها من نوازل ، أو يصيبها من كوارث ، حينا بعد حين ، وزمانا بعد زمان .

كما لعبت اللغة العربية دورها الخطير فى حياة تلك الامة ، لانها هى أداة التعارف ، وواسطة التآلف والتكاتف، والتفاهم ، فهى بمثابة الجسر الذى يصل بين الشعوب العربية بعضها وبعض ، فى الازمان المختلفة ، سواء أكانت أزمان عزة ومنعة ، أو انحطاط وضعف ، وزيادة على ذلك فهى الاساس فى أساليب التفكير ، وتقرير المصير.

وما هو دور التاريخ فى حياة الأمم والشعوب ؟

انه لا يعدو أن يكون سجلا يضم بين دفتيه تفصيلات شاملة عن الادوار التى تمر بها الامم والشعوب والجماعات ، والملوك والحكام ، وغيرهم ، والتطورات التى تحدث ، على مدى الازمان ، لهذه الامم والشعوب والجماعات ، والنتائج التى تسفر عنها تلك الادوار والتطورات من علو وارتفاع ، أو سقوط وانحطاط مع بيان العوامل والاسباب التى أدت الى تلك النتائج عند كل أمة من الامم، أو شعب من الشعوب وجماعة من الجماعات .

وليس هنا مجال الخوض فى الكلام على فوائد التاريخ وضرورة دراسته أو

بيان الاسباب والعوامل المؤثرة فيه، فهذه موضوعات مستقلة لها شأن خاص، ولكن المقصود، هنا، هو بيان ان الامة العربية قد تداولت عليها الادوار المختلفة التى تمر بها كل أمة من الامم منذ ان وجدت على وجه الارض، وذلك هو ما يطلق عليه عبارة « حتمية التاريخ » اذ لم توجد أمة استدامت لها القوة ولم يعتورها الضعف، ولا امة استدام عليها الضعف، ولم تظفر بقوة ومنعة أبدا، فالدنيا دول، كما يقال، والله تعالى يقول « وتلك الايام نداولها بين الناس ».

وإذن فان الروابط الدينية واللغوية والتاريخية بالكيفية التى أوضحناها من شأنها أن تجعل الوحدة بين شعوب الامة العربية أمرا طبيعيا لا مندوحة عنه، ولابد من حدوثه .. ومن شأنها أن تجعل التباعد بين هذه الشعوب أمرا لا يتفق مع طبيعة الاشياء، فاذا حدث انفصال جغرافى، لسبب من الاسباب العارضة اقتضته المراحل التاريخية التى تمر بها الامم عادة، فانه لا يستديم طويلا، بل لا يلبث أن يمحى ليفسح المجال لوحدة جغرافية تلم أطراف هذا العالم العربى على النسق الذى كان حادثا من قبل منذ الفتوحات الاسلامية التى ضمت البلاد العربية الى بعضها ثم جعلت منها أمة واحدة مستكملة العناصر، كما سبق البيان.

(ب) خصائص الشريعة الاسلامية

قال الاستاذ الكبير المرحوم « الشيخ احمد ابراهيم »، وكان أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بالجامعة المصرية فى مقال نشرته « مجلة كلية الحقوق » فى عدد يناير سنة ١٩٢٧ ما يأتى بنصه :

« مرجع الاحكام الشرعية على اختلاف أنواعها نصوص الكتاب العزيز، والسنة النبوية، ثم ما وصل اليه أئمة الشريعة باجتهادهم، واستخرجوه باستنباطهم، مهتدين فى ذلك بهدى الشارع الحكيم، وقد ينعقد الاجماع على بعض الاحكام فيزيدها قوة الى قوتها، أو يكسبها قوة لم تكن لها من قبل، ويحسم مادة النزاع فيها، ومن وراء ذلك أحكام لا تحصى كثرة هى محل خلاف بينهم »

وختم الاستاذ مقاله بهذه العبارة :

« يجب أن يكون لهذه اللجنة » — وهى لجنة اقترح تاليفها لتوفى كل مسالة من المسائل الشرعية حقها من البحث والتمحيص — « ولو فى مجموعها فقهان، فقه أحكام الشريعة المطهرة، وفقه بأحوال العالم وتطوراته، وما أثبته العلم حتى الآن .. وكلما دعا الحال الى تغيير بعض الاحكام الجزئية الى خير منها وجب المبادرة الى ذلك حتى يكون ... القانون الشرعى حيا مترعرعا، ناميا، قادرا على الثبات أمام تقلبات الحوادث، والبقاء امام تطورات المجتمع على الدوام ».

وهذا المقال، كما ترون، يعبر عن نفسه، وليس فى حاجة الى مزيد، على انه ليس ما يمنع من شرح المقصود من بعض فقراته فنقول ان القرآن الكريم هو المصدر الاول للاحكام — دينية ودنيوية — ويجب أن ننوه الى أن تلك الاحكام قد نزلت بالاصول دون الفروع، اى بالكليات دون الجزئيات، والقرآن دستور المسلمين الذى يعنى بالاجمال فقط، ولكنه لا يهمل حكما من الاحكام، بل لقد أحاط بكل شىء فلم يترك صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين والدنيا الا أحصاها، « وما فرطنا فى الكتاب من شىء »

وبسبب نزول القرآن على هذا الوضع هو ارادة الله، وحكمته التى اقتضت أن يترك للبشر وضع ما يلائم ظروفهم من أحكام، عند الاقتضاء، وحسب كل زمان ومكان، لانه، سبحانه وتعالى، يعلم أن الاحوال فى الحياة الدنيا متغيرة متطورة، غير ثابتة على وضع من الاوضاع على وجه الدوام والاستقرار ومن أجل هذا النظر فقد أجيز لولاة الامور اصدار ما يشاءون من تشريعات تكون متمشية مع ظروف الحياة، ومتطورة بتطور البيئات، وحاجات الجماعات، بشرط واحد هو أن تكون أحكامهم فى حدود الاصول القرآنية، والسنة المحمدية، ومتفقة معهما فى روحها وغاياتها، هادفة الى مصلحة الافراد والجماعات، وتقويتها، والحفاظ على كيانها، واستتباب الامور فيها على خير وجه يرجى لها.

ومن أجل هذا فان الله سبحانه وتعالى، قد أوجب على المسلمين طاعة ولاة الامور فى الامة : « يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم »

وفى هذا الصدد يقول الاستاذ محمد سلام مدكور « ان القرآن لم يتناول بالتفصيل أحكام المعاملات المالية والجنايات وما يتعلق بالقضاء، وعلاقات الدولة الاسلامية بغيرها فى السلم والحرب، وما شابه ذلك مما يتغير بتطور البيئة، وانما دل عليها بوجه عام حتى يكون ولاة الامور فى كل عصر فى سعة من أن يفصلوا قوانينهم فيها حسب مصالحهم، فى حدود اسس القرآن من غير اصطدام بحكم جزئى »

ويتفرع عما تقدم من بيان ان الاجماع والقياس والاستحسان من مصادر التشريع لان الامة المحمدية « لا تجتمع على ضلال » ولها أن تقيس حكما على حكم على أساس من الاجتهاد فى الراى والاستنباط، طالما انه يتمشى مع الشرط الآنف ذكره، فان خرج أى حكم أصدره المشرع عن هذا الشرط كان باطلا.

ومفهوم الاجماع انه هو اجماع المجتهدين فى كل عصر من العصور.

كما أن مفهوم الاستحسان انه هو الاخذ بقواعد العدالة والمصلحة العامة، أو هو المصالح المرسلة

وبسبب هذه التوسعة فى اباحة اصدار التشريعات على هذا النطاق الرحب، فى الحدود المرسومة لذلك، أخذ الائمة الاعلام فى استنباط الاحكام من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ثم تركوا للمسلمين ثروة فقهية، وكنزا من الآراء الخاصة بامور الدين، والدنيا، وتراثا باقيا على الزمن لا تبلى جدته، ولسوف تبقى هذه الثروة، وذلك الكنز ينتفع بهما المسلمون فى بقاع الارض، ويجعلون منهما مصدرا آخر يرجعون اليه فى كل حاجة تعرض لهم، وفى كل شان من شئونهم الخاصة والعامة.

ويحتم على سياق الحديث أن أذكر أن الاستاذ المرحوم الشيخ أحمد ابراهيم قد نعى — فى مقال آخر له

فقهاء المسلمين وعلمائهم فى وقتنا ضر « عيب الجمود على رأى أو قيلت فى زمن بعيد منا وظروف تغاير كثيرا من ظروفنا الحاضرة.. . قالوا لا ينكر تغير الاحكام بتغير الناس ... والاحكام الدنيوية لة بمصالح الناس » .

والمقصود من هذه العبارة هو انه ب فتح باب الاجتهاد فى الاحكام ، بداء الآراء الفقهية فى مشاكل الحياة عضلاتها حسبما تمليه المصلحة طورات الظروف ، ذلك لان تراث ئمة الاقدمين قد مضى عليه زمن مديد، قد يصح ان يقال ان فيه آراء قد تتفق مع الاوضاع السائدة الآن .

والاجتهاد فى العصور الحاضرة ايسر نه فى العصور الماضية لان التفاسير قد دونت للكتاب الكريم « وتكلمت الامة على التعديل والتجريح والتصحيح والتوضيح بما هو زيادة على ما يحتاج اليه المجتهد » .

وعلى هذا الراى المرحوم الاستاذ الشيخ المراغى حيث يقول « ان الاجتهاد ليس ممكنا فقط بل هو ممكن عادة، وطرقه ايسر مما كانت فى الازمنة الماضية ايام كان يرحل المحدث الى قطر آخر لرواية حديث ... وقد توافرت مواد البحث فى كل فرع من فروع العلوم ... ومذاهب الفقهاء جميعهم مدونة ... حتى انه لم يبق للمجتهد فى اكثر المسائل الا اختيار رأى من آرائهم فيها ، أما الحوادث التى تجد فهى التى تحتاج الى آراء محدثة.

ويؤيد الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده هذا الرأى ، كما يرى أن التقليد واتباع آراء السابقين من غير تفكير امر مذموم بدليل ما ورد فى القرآن الكريم من آيات بينات ، منها قوله سبحانه وتعالى « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ، ومنها « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » فالقرآن بهذه الآيات الكريمة ، يعلم أهله المطالبة بالحجة والدليل المؤسسين على امعان الفكر ، واطالة النظر فى شرع الله ، وحكمته ، وفى الكون ودلالته .

وعلى هذا الرأى الاستاذ سلام مدكور اذ يقول ان « الامة الاسلامية ... ضعفت وتفككت حينما جمد الفقهاء، وركنوا الى التقليد ، دون اعتبار لاختلاف العادات والمصالح ، مما جعل الحكام والناس من ورائهم يحتالون على احكا م الفقه ... وهكذا حتى استعان ولاة الامر ، باسم الرقى والتحضر ، بالقوانين الاجنبية ، بحجة ان الفقه الاسلامى بالوضع الذى كان عليه لا يتفق مع زمنهم ، وما تقتضيه المدنية الحديثة والصلات مع الدول الاخرى ، ويقول ايضا ، ان « المسئول فى الحق من هذا هم رجال الدين الاسلامى الذين توانوا عن اظهار محاسن هذا الفقه وعرضه فى ثوب جديد » .

وجاء فى مؤلف الدكتور السنهورى والدكتور حشمت « المدخل لدراسة القانون » انه « مذ وصلنا الى طبقة المقلدين اقفل باب الاجتهاد » .

كما جاء فى هذا المؤلف نفسه ان الفقه من أهم المصادر للشريعة الاسلامية ، وانه قد تم تدوينه فى عهد الدولة العباسية ، وانه لما استأثر بالأمر فى هذا العهد ابتعد عن الحياة العملية ثم وقفت حركته ، واقفل باب الاجتهاد ، « فاذا أريد الاصلاح وجب أن يرجع للقضاء شأنه ، وان يفتح فى الفقه باب الاجتهاد من جديد، وأن يقوم التشريع الى جانب الفقه والقضاء ، فتتغذى الشريعة الاسلامية من هذه المصادر الثلاثة » .

كذلك فان الاستاذ الامام حارب الفكرة التى شاعت بين الناس من أن باب الاجتهاد قد أغلق من قرون ، واقتصر اجتهاد الفقهاء على ترجيح بعض أقوال السابقين على بعض .

ومن قبله رأى « ابن تيمية » ، « وابن قيم الجوزية » أن الاستنباط يجب أن يؤخذ من الكتاب والسنة ، وما عدا ذلك « فهم رجال ونحن رجال » ، ومعنى ذلك ان العلماء الحاليين يجب أن يكونوا ذوى آراء مستمدة من أصول التشريع ، مثلهم فى ذلك مثل الائمة السابقين سواء بسواء ويجب أن ينتجوا كما أنتج هؤلاء السابقون .

ولعل الاستاذ الامام ، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية ، نظروا الى انفسهم فوجدوا انهم مجتهدون ولهم آراء معتد بها ، ومن ثم فهم لا يجدون مبررا لاعتقاد الناس عامة أن باب الاجتهاد قد اقفل منذ أن تم تدوين الفقه فى الدولة العباسية ، وابتعد عن الحياة العملية .

وانه ليحق لنا أن نتساءل عن متى أغلق باب الاجتهاد ، ومن الذى يحول بين عقل المسلم والتفكير فى دلالات القرآن والسنة وتحرى مقاصدها ؟

ومما تجدر الاشارة اليه ، فى هذه المناسبة ، وبعد هذا الاسترسال فى الكلام على ضرورة فتح باب الاجتهاد ، انه ليس كل عالم قادرا على أن يسلك نفسه مع الفقهاء الذين يتيسر لهم الاجتهاد فى استنباط الاحكام على النحو السليم ، الصحيح ، بل ان الاجتهاد مقيد بشروط يجب توافرها فى كل فقيه يتصدى له ، فتكون له آراء فى الفقه توضع فى الميزان مع آراء الائمة المجتهدين .

وشرط الفقيه ، كما ورد فى كتاب « فصول البدائع فى أصول الشرائع » ، أن يحوى علوما ثلاثة : (١) أن يكون عارفا بالقرآن الكريم ، وآياته المتعلقة « بمعرفة الاحكام لغة أى افرادا وتركيبا فيفتقر الى ما يعلم فى اللغة والصرف والنحو ، والمعانى والبيان ، سليقة أو تعلما ، وشريعة أى مناطات الاحكام، وأقسامه من هذا خاص أو عام أو مجمل أو مبين ، أو ناسخ أو منسوخ أو غيرها ، وضابطه أن يتمكن من العلم بالقدر الواجب منها عند الرجوع ، (٢) معرفة السنة ... أى لفظها لغة وشريعة ... وسندها أى طريق وصولها الينا من تواتر وغيره ،ويتضمن معرفة حال الرواة ، والجرح ، والتعديل ، والصحيح ، والسقيم ، وغيرها ، وطريقه فى زماننا الاكتفاء بتعديل الائمة الموثوق بهم لتعذر حقيقة حال الرواة اليوم (٣) معرفة القياس بشرائطه وأركانه وأقسامه المقبولة والمردودة ، ويستلزم معرفة المسائل المجمع عليها » .

والى العدد القادم ان شاء الله حيث نعقد مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية .

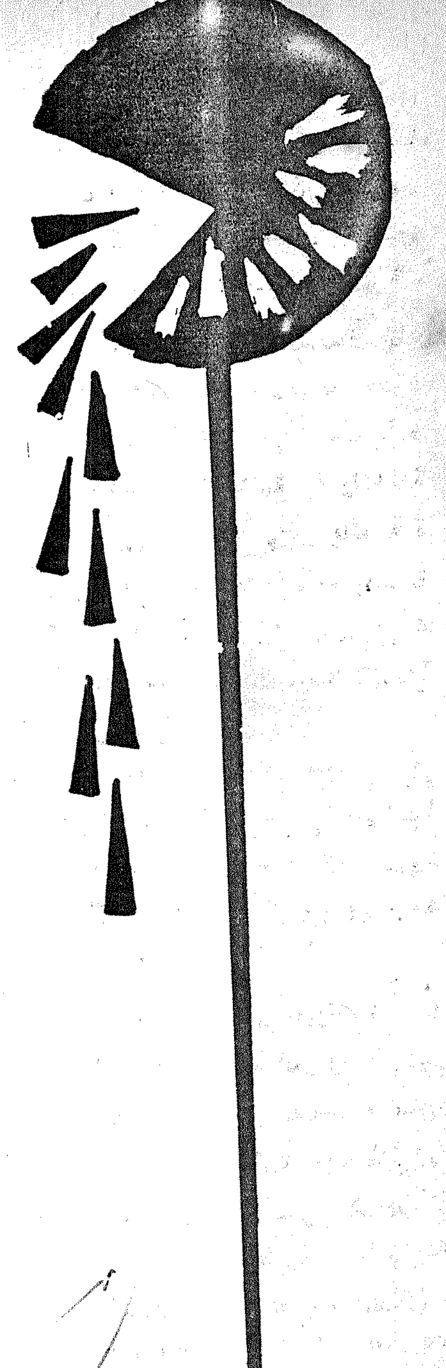

قطوف

الأستاذ على الجندى

ثلاثة فى ظل العرش :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة فى ظل العرش : عائد المريض ، ومشيع الموتى ، وطائع والديه » .

وفى رواية :

« ومعزى الثكلى » .

طاع له يطوع ويطاع : انقاد كانطاع .

* *

جنبوه جار السوء !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا مات لأحدكم ميت ، فحسنوا كفنه ، وعجلوا انجاز وصيته ، وأعمقوا له فى قبره ، وجنبوه جار السوء . قيل يا رسول الله ، وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة ؟ قال : وهل ينفع فى الدنيا ؟ قالوا : نعم . قال : وكذلك فى الآخرة »

* *

من وصايا الامام :

أوصى الامام على — عليه السلام — أبا ذر — رضى الله عنه — فقال : زر القبور تذكر بها الآخرة ، ولا تزرها بالليل ، وغسل الموتى يتحرك قلبك ، وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك ، فان الحزين فى ظل الله تعالى — .

* *

ما أقرب الموت !

بينما حسان بن ثابت — رضى الله عنه — جالس ، وفى حجره صبى يطعمه الزبد بالعسل ، اذ شرق الصبى فمات فقال حسان :

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح
مادمت ويحك يامغرور فى مـ
يرجو الحياة صحيح ربما كمنت
له المنية بين الزبد والعسـ

* *

من التعازى الحسنة :

قال معاذ بن جبل — رضى الله عنه — : مات لى ابن فكتب الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « من محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى معاذ بن جبل : سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو ، أما بعد فعظم الله لك الأجر ، وألهمك الصبر ، ورزقنا واياك الشكر ! ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله — تعالى — الهنية ، وعواريه المستودعة ، يمتعنا بها الى أجل معدود ، ويقبضها لوقت معلوم ، ثم فرض الله — تعالى — علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى ، وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة ، متعك الله به فى غبطة وسرور ، وقبضه بأجر كبير ان صبرت واحتسبت ، فاصبر واحتسب ، واعلم أن الجزع لايرد ميتا ولا يطرد حزنا »

وكان أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — اذا عزى مرزأ قال : ليس مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة ، والموت أشد مما قبله ، وأهون مما بعده ، فاذكر مصيبتك برسول الله — صلى الله عليه وسلم — تهن عليك مصيبتك »

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه : أنت يا أخى — أعزك الله — عالم بالدنيا وما خلقت له

من الفناء ، وانها لم تعط الا أخذت ، ولم تسر الا أحزنت ، وان الموت سبيل محتوم على الأولين والآخرين ، ولا دافع عنه ، ولا مؤخر لما قضى الله ـ عز وجل ـ منه ، وانا لله وانا اليه راجعون .

* *

انواع التعزية :

استحب اصحاب الشافعي ـ رضى الله عنه ـ أن يقال فى تعزية المسلم بالمسلم : أعظم الله اجرك ! وأحسن عزاءك ! وغفر لميتك !

وفى تعزية المسلم بالكافر : اعظم الله اجرك ! وأحسن عزاءك !

وفى تعزية الكافر بالكافر : أخلف الله عليك ! ولا نقص لك عدد !

* *

ذكر الموت :

قال القرطبى فى تذكرته عن بعضهم : من اكثر ذكر الموت ، اكرم بثلاثة اشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة النفس ، والنشاط فى العبادة . ومن نسى ذكر الموت عوقب بثلاثة اشياء : تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل فى العبادة .

وعن عائشة رضى الله عنها ـ قلت : يا رسول الله ، هل يحشر مع الشهداء أحد ؟

قال : نعم ، من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة »

ومن قول عمر بن العزيز ـ رضى الله عنه ـ : الا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا الى الله ـ عز وجل ـ تضعونه فى صدع من الارض ، قدتوسد التراب ، وخلف الأحباب ، وقطع الاسباب !

ونظر مطيع بن اياس ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها ! ثم بكى وقال : والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ، ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور ، لقرت بالدنيا اعيننا !

ثم بكى بكاء شديدا ، حتى ارتفع صوته !

وكان الحسن يقول فى موعظته : المبادرة المبادرة ! فانما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التى تتقربون بها الى الله ـ عز وجل ـ رحم الله امرأ نظر الى نفسه ، وبكى على عدد ذنوبه ! ثم قرأ قوله تعالى : « انما نعد لهم عدا » يعنى الأنفاس آخر العدد ! خروج نفسك آخر العدد ! فراق أهلك آخر العدد! دخولك فى قبرك آخر العدد !

ومن الشعر الحكيم :

ولو أنا اذا متنا تركنا
لكان الموت راحة لكل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا
ونسأل بعد ذا عن كل شى

* *

النفوس المطمئنة :

عن اسماء بنت عميس ، قالت : كنت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعد ما ضربه ابن ملجم ، اذ شهق شهقة بعد أن أغمى عليه ، ثم أفاق فقال : مرحبا ! الحمد لله الذىصدقنا وعده ، واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء ! فقيل له : ما ترى يا أمير المؤمنين ؟

قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهذا اخى جعفر ، وعمى حمزة ، وابواب السماء مفتحة ، والملائكة ينزلون على يبشروننى بالجنة ! وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين ، وهذه منازلى ، لمثل هذا فليعمل العاملون !

وكان يحض على القتال ويقول : ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده ، لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراشى

وقال رجاء بن حيوه : دخلت الى عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ وهو محتضر ، فقال: يا رجاء ، انى ارى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان ! ثم اخذ يقلب طرفه يمينا وشمالا ، ثم رفع يده فقال : اللهم ، أنت ربى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ، فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت ! الا انى اشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ، ونبيك المرتضى ، بلغ الرسالة ، وادى الأمانة ونصح الامة ، فعليه السلام والرحمة .

ثم قضى نحبه !

واحة الدمع !

لما مات ابراهيم ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذرفت عيناه ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، ألم تنه عن البكاء ؟ فقال – صلوات الله وسلامه عليه –: « انما نهيت عن الفناء والصوتين الأحمقين والندب ، ولكن هذه رحمة جعلها الله – تعالى – فى قلوبنا ومن لايرحم لا يرحم ، فان القلب يخشع والعين تدمع ، وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون ، ولا نقول الا ما يرضى الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون ! »

ومن قول بعض العصريين :

لا تلوموه اذا والى البكاء
غلب الوجد على حسن العزاء
أدمع العين – وقد جد الأسى –
تبعث الروح وتشفى البرحاء
قذيت عين امرىء لاتفتدى
قلبه المحرور من لذع الصلاء
فدع الآماق تذرى ماءها
انه خير معين فى البلاء
ليس عابا أن ترى منتحبا
قد بكى قبلك خير الانبياء
هذه الأدمع نستشفى بها
من جوى الاحزان . والاحزان داء
وبما كانت شفاء عبرة
لأخى البث اذا عز الشفاء
كم مهين بالأسى أدمعه
وهو مثر من معانى الكبرياء
وأجل الدمع ما استنبطه
منك داعى الحب أو داعى الوفاء

المال بين النعمة والنقمة

الأستاذ منصور نسيم

التعاليم الخلقية فى شان المال كما أرادها الاسلام – ويصح ان نسميها تعاليم وجدانية او عقائدية – ترتكز على عقيدة أساسية يغرسها الاسلام فى وجدان المسلم عقيدة تستاثر بطاعته الصادقة ، سنة الاسلام فى كل تنظيم من تنظيماته يسبقه اعداد النفوس بغرس العقيدة المهيمنة على هذا التنظيم . حتى يتهيأ المسلم لقبوله والاذعان له عن طواعية واختيار ..

هذه العقيدة تقرر ان كل شىء فى الوجود انما هو ملك لله تعالى ، خالقه وخالق السموات والارض ، ومابينهما، وان الانسان فيما لديه من مال انما هو حائز لوديعة أودعها الله بين يديه ، فالله وحده الذى له ملكوت السموات والارض هو مالك المال كله ، سواء تمثل هذا المال فى سلعة اقتصادية » أو فى « سلع حرة » فهذا التمييز القائم على أساس « الندرة » هو تمييز من صنع البشر .. والانسان هو خليفة الله تعالى فى أرضه ، أمره خالقه بالانتفاع بهذا المال،ومكنه من هذاالانتفاع للوفاء بحاجاته واصلاح معاشه ، على ان يتفق هذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ، ومصلحة الانسانية بوجه عام ، وسوف يحاسب على ذلك كله يوم الحساب قال تعالى « ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »

هذه العقيدة غرستها فى وجدان المسلم آيات القرآن الكريم ونمتها تعاليم الاسلام الحنيف قال تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء » ومنطقنا البشرى يقتضى أن يكون خالق الشىء هو مالكه ، حتى تحدانا الخالق بعجزنا عن خلق ذبابة ، وبهذا المنطق نفسه جاءت نصوص القرآن قاطعة فى أن الله ملك السموات والارض وما بينهما .. « ولله ملك السموات والارض وما بينهما » فالمال الذى فى أيدى البشر هو مال الله وهم فيه خلفاء لا أصلاء .. هذا الى أن هناك الكثير من الآيات التى تقرر أن كل امرىء

مسئول يوم الحساب عن المال الذى أودعه الله امانة بين يديه . « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » « والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون »

واذا بمقتضى هذه العقيدة الدينية يعتبر الانسان خليفة الله على كل ما فى حيازته من مال ، وعليه أن يقوم على مسئوليات هذه الخلافة قياما أمينا واعيا ، وما دام المال مال الله وهو عارية فى يد البشر الذين استخلفهم فيه ، فليس للبشر ان يتخلفوا عن تنفيذ أمر الله فى هذا المال ..

لقد أمرنا الله تعالى أن نعترف بنعمه علينا « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » « واما بنعمة ربك فحدث » وأمرنا أن نقر ونؤمن ان الله منحنا هذه النعم فلا يدخل الغرور فى روعنا اننا كسبناه بخبرتنا .. وقد صور القرآن الكريم هذا المعنى حينما ذكر على لسان قارون المغرور « انما أوتيته على علم عندى » اى انه حقق هذه الاموال بعلمه وذكائه ناسيا فضل الله عليه وتوفيقه له وتهيئة الوسائل المؤدية للربح والمكسب . وأمرنا بالتصدق على المحتاجين والفقراء قال تعالى « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » وكأنه بذلك يضع عبده فى موقف الاختبار حيث ميزه عن غيره بالبسطة فى الرزق ثم تركه لنفسه وقد أمره بان هناك جزءا فى ماله يستحقه الفقراء . فمن استجاب لتوجيهات الله كان مؤمنا صادقا معترفا بفضل الله عليه ومن تكبر وتجبر فقد جنى على نفسه لانه رسب فى الاختبار وحق عليه الوبال والنكال .. قال تعالى «فخسفنا به وبداره الارض» .

غير أن هذه الآيات القرآنية التى تقرر ملكية الله للمال يشفعها القرآن بآيات أخرى تنسب المال الى آحاد البشر كقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » وقوله تعالى « لتبلون فى أموالكم وانفسكم » وقوله تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » وقوله جل شانه : «وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله »..

وقد يبدو أن ثمة تناقضا بين نسبة ملكية المال الى الله تعالى والى الجماعة تارة ونسبته الى البشر تارة أخرى ، ولكن هذا التناقض ينتفى ويزول اذا ذكرنا المقاصد الشرعية من هذا الازدواج فى نسبة المال.. فالمقصد الاول هو ان اضافة ملكية المال الى الخالق جل شانه ضمان وجدانى لتوجيه المال الى نفع عباده ، وان اضافة ملكية المال الى البشر ضمان يماثله فى توجيه المالك الى الانتفاع بما يملكه من مال فى الحدود التى رسمها الله ، فهذه الاضافة لم يقصد بها الا تمليك الانتفاع بالمال بكل ما يقتضيه هذا الانتفاع من حق التصرف وحق الاستهلاك وحق الاستثمار والقاعدة ان الاضافة يكفى فيها ادنى الاسباب ، وقد اضاف القرآن أموال السفهاء الى أوليائهم فى قوله تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم» لا لأن الاولياء ملكوه بالفعل ، بل لان لهم حق التصرف فيه .. والمقصد الثانى : هو أن الاسلام الحنيف دين المسئولية : بكل ما تحمله كلمة المسئولية من تبعات قال تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة » وقوله جل شانه : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقوله : « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه »

لذلك كان الاسلام لا يقبل أن تكون مسئولية البشر عن المال الذى سخره الله لهم وأودعه بين أيديهم مسئولية شائعة غير محددة ، فعمد الى اقرار الملكية الفردية ليسأل كل فرد فى الحصة التى بين يديه من مال الجماعة عن حق الجماعة فيها ، ثم جعل ولى الامر مسئولا عن حق الجماعة فيما خص الافراد من هذا المال ، وليستعمل حقه هذا فيما تمليه مصلحة الجماعة وما تفرضه ضرورات الحياة المشتركة ، وفى تنفيذ ما امرت به التعاليم الخلقية فى ملكية الافراد للمال .. والمقصد الثالث : هو أن الاسلام لما كان دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وكانت فطرة الانسان تتوق الى تملك المال وتحبه حبا جما كان لابد للشريعة الاسلامية أن تقضى بربط بعض المال بآحاد الناس حتى تنطلق غريزتهم من كبت الحرمان ، وحتى يندفع نشاطهم الى استثمار المال الذى فى حوزتهم وتنميته ، وفى هذا نفع مشترك لهم وللمجتمع على حد سواء ، كما تقضى الشريعة الاسلامية فى اموال أخرى بعدم ربطها بآحاد الناس كضرورات الحياة « الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » ويقاس عليها غيرها من ضرورات الحياة المشتركة .

وعليه فملكية الله للمال هى الملكية الاصيلة ، وملكية البشر للمال هى الملكية المشتقة ولا تناقض بين النسبتين . وما دام الأمر كذلك فملاحظة التكالب على جمع المال والحرص عليه يعتبر فى أساسه غريزة طبع الانسان عليه ولا يمكن الفكاك منها ولكن هذا لا يمنع اطلاقا الاعتراف صراحة بفضل الله تعالى فى كل ما تحققه من فوز وتفوق فى جمعه ، فاذا اضفنا لذلك انه عارية تزيد وتنقص وجب علينا ان نعى العبرة والعظة ، وان نكون أمناء على ما فى أيدينا من أموال فلا نسرق ولا نبذر قال تعالى « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »

وعلى أساس الشركة القائمة بين الناس فى تملك ما منح الله لعباده يمكن القول بان البذل فى سبيل الله ، وتقديم المساعدات للمحتاجين وتقدير ظروف الوطن وما يتطلب ذلك من تضحيات يؤكد أن المنفق والمبذل من ماله انما يحقق رغبة الشريعة ويدفع بعجلة التطور ، فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

عبد الناصر صانع السلام

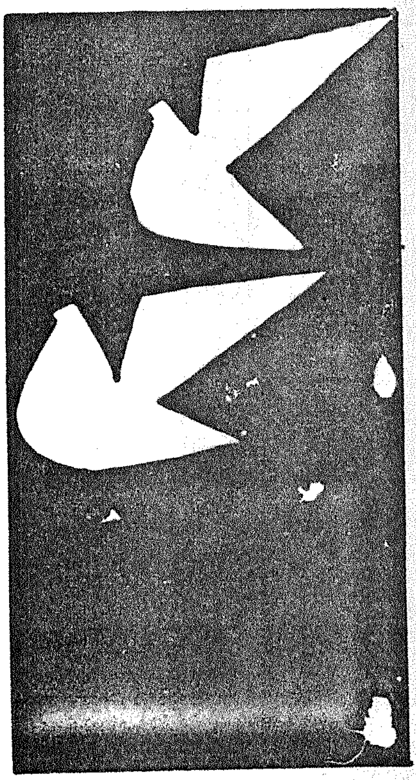

الأستاذ كامل عبد المجيد

« علينا ان نوجه الجندى التوجيه السليم ، فعلينا أن نوجهه الى أن يشعر ان عليه رسالة كبيرة نحو وطنه ،وعلينا أن نثبت فيه روح الايمان والنصر فى النهاية معلق بطاقة الانسان وايمان الانسان وبثقة الانسان فى قضيته ، وباذن الله سيحقق الانسان العربى انتصارا هو أكثر الناس استحقاقا له لانه كان دائما الانسان المؤمن المكافح»

(من خطاب عبد الناصر فى القوات المسلحة فى ابريل الماضى)

***

زار صانع السلام القوات المسلحة فى الأيام القليلة الماضية أكثر من مرة ، وقبل ذلك تعددت زياراته للجنود فى مواقعهم على خط النار ، وذلك ايمانا منه بضرورة لقاء القائد بجنوده ، يبث فيهم من روحه ويبعث فى قلوبهم مايحس به من ايمان ، كما أنه يضرب بذلك المثل لقادة الجيش وضباطه أن يلتحموا بجنودهم ليقف الجميع صفا واحدا قويا وكتلة متراصة صلبة فى مواجهة العدو الذى اقتربت ساعة المعركة الفاصلة بيننا وبينه ، بعد أن فشلت جميع المساعى فى الآونة الأخيرة للوصول الى حل سلمى واصبحت المعركة معه حتمية ووشيكة الوقوع .

ولعل أعظم معنى يتجلى فى أحاديث صانع السلام الى جنوده فى الجبهة - التى يتصدر جزءا منها هذا المقال - هو أن الانسان العربى هو الأساس فى الصمود والمقاومة ورفض الهزيمة والاستسلام ، فالانسان المقاتل فى الجبهة مثل الانسان فى قطاعات قوى الشعب العاملة هو القادر بحشده الشامل واستعداده بالايمان والعلم والثقة أن يحقق المعجزات وأن يتغلب على أخطر المحن وأن ينطلق نحو النصر الشامل على العدو الاسرائيلى ومن يقف وراءه من قوى العدوان والطغيان

وقد أثبتت جميع المعارك التى دارت على خط وقف اطلاق النار على الجبهتين المصرية والاردنية على السواء فى قناة السويس وفى الكرامة وفى غيرها من المعارك بين قوات المقاومة وبين العدو الاسرائيلى أن الانسان العربى قادر على تحدى العدوان وعلى التصدى له والصمود أمامه .

وعندما صمم الشعب على المقاومة وعلى الصمود بموافقته الاجتماعية على بيان ٣٠ مارس أثبت للعدو أنه متماسك وقوى وأثبت لجنوده ولقواته المسلحة أنه يثق فيها ويؤمن بقدرتها وفاعليتها فى ميدان المعركة ، ومعنى هذا التماسك والصمود أن الجبهة الداخلية جبهة قوية لم ولن تستطيع الصهيونية والاستعمار وقوى الثورة المضادة

أن تؤثر على تلاحمها مع قواتها واطلاق قدراته أيضا يجب أن نعرف أن ثقة الشعب فى القوات المسلحة وثقة القوات المسلحة فى نفسها ، يعتبر فى حد ذاته قوة لاتفوقها قوة فى الانتقال بالمعركة من الصمود للعدوان الى رده وردعه واحراز النصر •

وذلك لأن الشعب يعتبر قواته المسلحة هى أداته لتحقيق النصر وأن جنوده هم الطلائع المقاتلة التى ستقوده الى طريق النصر الحاسم والشامل باذن الله •

وتلاحم قوى الشعب العاملة بعضها ببعض وتماسكها وترابطها يتطلب على الجانب الآخر تلاحما وتكاتفا داخل قواته المسلحة ، تلاحما قويا « بين كل الرتب وبين كل الوحدات وبين كل الاسلحة » لأن جنودنا هم الطلائع المقاتلة من كل فئات الشعب العامل) ابناء العمال وأبناء الفلاحين وابناء المثقفين وأبناء المهنيين والشباب وابناء الرأسماليين الوطنيين » بل وأبناء الضباط والجنود أنفسهم

وهكذا نرى أن معركتنا المقبلة هى معركة الانسان والايمان فى مواجهة الغدر والتآمر الاستعمارى الصهيونى ، ولذلك يؤكد صانع السلام أهمية العنصر البشرى فى هذه المعركة باعتباره العنصر الحاسم فيها ، ويستشهد عبد الناصر على ذلك بقوله « احنا عندنا فى تاريخنا باستمرار الانسان العربى كان قادر انه يحقق النصر ، ولازم تكون عندنا ثقة فى الانسان ولازم نهتم بالانسان وبمشاعر الانسان وبآمال الانسان ، ولازم نستغل الطاقات القوية الموجودة فى الانسان) فالسلاح وحده لايكفى لان هذا السلاح مهما كان قويا ومهما كثر عدده فلن يتحرك تلقائيا ولن ينطلق دون أصابع الانسان ، وهكذا فالانسان وحده هو القادر على توجيهه التوجيه السليم الى قلب العدو والى صدره ليصيبه فى مقتل والانسان العربى دائما مكافح ، والانسان العربى دائما أثر فى التاريخ وسوف يكافح ويؤثر فى التاريخ

ولعله يمكننا تتبع هذه الفلسفة فى زيارات صانع السلام المتعددة للقوات فى الجبهة وفى اطمئنانه على معنويات جنوده وحل مشاكلهم العائلية والاجتماعية بل وفى تذوقه طعامهم ، وهو يفعل ذلك حتى يمكن لهؤلاء الجنود بعد ذلك ان يقوموا بواجبهم خير قيام دون أن تتنازعهم أو تتنازع مشاعرهم وقلوبهم أية مشاعر انسانية أخرى سوى مشاعر القتال والثأر للوطن والرغبة فى تحقيق النصر الحاسم والكامل على العدو الغادر وحليفه الباغى

••• ولعل المعارك الاخيرة تثبت لنا صدق هذا الكلام وتؤكد لنا اننا قد بدأنا فعلا السير فى الطريق الصحيح نحو الغاية المرتقبة والمرجوة للانسان العربى فى ساحة المعركة •

وهكذا يكون لقاء صانع السلام بجنوده وأحاديثه معهم قد عبر بوضوح عن المنهاج الذى يجب على القائد اتباعه فى مواجهة العدو فى سبيل تحقيق النصر ، وأهم أسس هذا المنهج هو الايمان بالله أولا ، والثقة بالنفس والاعتماد على الارادة ذلك أن الارادة وحدها القادرة على تغيير الموقف

ويجب علينا – ثانيا – أن نضع فى الاعتبار ضرورة الاستيعاب الكامل للعلم والتكنولوجيا ووسائلهما والاستفادة من كل الخبرات المتوفرة وأن نصر على معرفة اسرار العلم وأساليبه ويجب علينا كذلك أن نفهم أن التطبيق العملى السليم لما فى الكتب لايمكن أن يتم الا باستيعاب العلم أولا كما أن الوعى بالاهداف مطلب آخر فى هذا المضمار يتطلب تدريبا شاقا للسيطرة على وسائل تحقيق هذه الاهداف

كما انه يجب علينا ان نعى الدروس المستفادة فلا نتخذ أى قرار الا بعد أن نتأكد تماما من قدرتنا العلمية والفنية وقدرتنا القيادية أيضا ولايجب أبدا وبأى

حال من الأحوال أن تغفل الجانب الانسانى أو نهمله ، فعلينا أن نهتم بالمعاملة الانسانية وأن ننبذ التعالى والانعزال وأن نتمسك بالقدوة الحسنة والمثل السليم وأن تحرص القيادات على رعاية شئون من يعملون تحت رئاستها وقيادتها

وهناك أساس آخر هام فى هذا المضمار لايجب أن يغيب عن بالنا وهو الواقعية والموضوعية اذ يجب أن يكون رائدنا دائما هو التقدير الواقعى والموضوعى للامور ، فلا غرور ولا مغالاة ولا أوهام ، بل لابد لنا أن نعترف بالعيوب وأن نتحسس مواضعها حتى يمكننا أن نعالجها ونتغلب عليها بدلا من انتشارها واستشرائها وهذا بالتالى يعنى أنه يصح لنا أبدا أن نزهو بقوتنا وقدرتنا مهما بلغت هذه القوة

وأخيرا يجب ان يكون هدفنا وايماننا هو العمل والتضحية وبذل اكبر الجهد وتحمل المسئولية واداء الواجب على أكمل وجه ، وخصوصا فى هذه الظروف التاريخية والمصيرية التى يتحتم علينا ان نتحمل مسئولية مواجهتها

هذه الأسس جميعا التى يضعها صانع السلام فى جبهة القتال كمفتاح النصر يجب أن تفرض نفسها كمنهاج للعمل فى كل الجبهات الاخرى السياسية والاقتصادية والثقافية ، فلن يغير الصياح والانفعال حياتنا ، ولن تستطيع القرارات أن تؤثر فى مجتمعنا أو تطوره ، ذلك أن الثورة بمعناها الحقيقى وهى تطوير الحياة وتحقيق الحرية واقامة المجتمع الاشتراكى الذى يحقق العدل والمساواة ، وهذا كله يجب ان يبنى على أساس من الايمان والارادة والعلم والتكنولوجيا والتدريب الشاق والسلوك السليم والتقدير الموضوعى للمشاكل والايمان بالعمل ..

ومن أجل ذلك ، من أجل حشد الانسان واطلاق طاقاته الدفينة ، لم تقتصر معركتنا على الجوانب العسكرية وحدها ، بل أمتدت الى الحشد السياسى الشامل بخطة التغيير ، وبيان ٣٠ مارس ، وعملية الاستفتاء ثم الاجراءات التى تلاحقت بعد ذلك فى بناء الاتحاد الاشتراكى والتى انتهت بتشكيل اللجنة التنفيذية العليا وذلك باعتبار الاتحاد الاشتراكى الوعاء الشامل لحركة تحالف قوى الشعب العامل

ومن أجل حشد الانسان وانطلاق طاقاته أيضا يجب ان نعرف ان ثقة الشعب فى القوات المسلحة وثقة القوات المسلحة فى نفسها يعتبر فى حد ذاته قوة لاتفوقها قوة فى الانتقال بالمعركة من الصمود للعدوان الى رده وردعه واحراز النصر واذا صح ان المعركة مستحيلة بدون طائرات ومدافع ودبابات، فيجب علينا أن نتأكد من ان أسلحة القتال لاتشكل فى أى حال من الأحوال النصر الحاسم وحدها ، بل ان هذا النصر يكمن أولا فى طاقات الانسان البشرية وايمان الانسان بالمعركة

ومن خلال هذه الرؤية وهذا الادراك الجوهرى لمعركة الصمود الراهنة - استعدادا لدفع العدوان وتصفية آثار واحراز النصر - يتضح التداخل الذى لاغنى عنه بين معركة التدريب على جبهات القتال وبين معركة الحشد السياسى الشامل لكل قوى التحالف ، ويبرز أيضا التلاحم فى الممارسة بين رفع قدرات القوات المسلحة على مواجهة العدو وانزال الهزيمة بقواته وبين تعبئة الشعب سياسيا واقتصاديا ومعنويا ، حتى تتهيأ لطلائعه المقاتلة فى الجيش أرضا صلبة يستطيع أن يتحرك فوقها مطمئن البال قوى الجنان ، مطمئنا الى أن قوات الجيش الشعبى تحمى خطوطه الخلفية ، كما يحمى الشعب كله ظهره ومبادئه ومثله .. والله الموفق

نظرات استدراكية

الأستاذ حسين السكرى

الحياة منذ بدء الخليقة مليئة بالحوادث والأحداث ، حافلة بالغرائب والمتناقضات ، فالناس فى صراع دائم ، وعراك مستمر ، وتسابق لا ينتهى ، وهم كذلك فى أخذ ورد ، وشد وجذب ، ولن تهدأ لهم ثائرة ، أو يقر لهم قرار ، ما بقيت الحياة على الارض .

وهذه لا شك طبيعة الانسان ، بعد أن زل زلته الأولى ، وارتكب خطيئته الكبرى ، التى أخرجته من الجنة ، وهبطت به الى الأرض ، عندما أغراه الشيطان ووسوس له ، وأخذ يزين له تلك الفعلة النكراء التى أقدم عليها ، والتى حدت به أن يعيش مع نفسه فى شقاء دائم ، والله ــ سبحانه وتعالى ــ يحدثنا فى ذلك فيقول « فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى » وقد كان ذلك لحكمة الهية بعيدة المدى ، المقصود منها تعمير الارض ، فجاء قوله تعالى : « اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين » وعندئذ هبط الانسان الى الارض ، ولكنه حاد عن الغرض الاصيل الذى رسمته له التعاليم السماوية ، عندما انغمس فى لذات الحياة ، وأصبح يواجه الاعباء والالتزامات ، ويشده تيار جارف لا يدرى مداه ، ولا منتهاه ، فتتجاذبه الاغراض والنزوات ، وتتقاذفه الرغبات والماديات ، وتثقله الحاجة فيمارى هذا ويتملق ذاك ، ثم يجرى ويلهث هنا وهناك ، فيركب البحار ، ويجوب الفيافى والقفار ، ويحلق فى الفضاء ، ويركض فى كل مكان ، ليسارع الزمن دون اكتراث أو مبالاة ، وهو فى كل هذا موزع الفكر ، مشتت النفس ، شارد الخاطر ، وكأنى به يعتقد أنه مخلد فى هذه الحياة ، ومهيمن على هذا الوجود ، بما له من جاه وسلطان وثراء ، ولو أمعن النظر قليلا هذا الغر المفتون لعلم أن كل هذا الى فناء ، ولن يناله من شقائه وتعبه الا ما قدم من خير ، وما عمل من طيب الاعمال ، ألم يسمع قول الله تعالى : « ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » فلماذا يتهاتر الانسان على كل صغيرة وكبيرة وينسى ما يرتع فيه من نعم وافضال ؟ « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ماذا علينا لو استدركنا ما نقع فيه من أخطاء ورجعنا الى أنفسنا نحاسبها ونناقشها الحساب ؟ أم يا ترى غرتنا الحياة بزخرفها وألوانها وجمالها وصولجانها فحجبت عنا الحقائق وتركتنا سادرين فى الغى والضلال ؟ « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين ، وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » فهلا أيقنت بعد هذا انك من صنعه وقدرته ؟ وانك مهما باهيت بقدرتك ، أو فاخرت بعظمتك ، أو ترفعت بثرائك ، فلن تقف على الجوزاء ولن تطاول بذلك سماء الخلود ، وان هناك قدرة قادرة ، تفعل المعجزات . وتأتى بالأعاجيب قدرة تتضاءل دونها كل القوى البشرية مجتمعة ، وتسجد لها الجباه ، وتخر من هولها الجبال .. ما قيمة الحياة دون السلام والوئام ؟ وما جدوى العيش اذا لم يصاحبه أمن واستقرار ؟ لا جدال فى أن الحياة تصبح كئيبة ، والعيش يمسى رهيبا اذا لم تتوافر لهما المقومات الروحية ، وتساندهما الفضائل السماوية ، فلا حياة آمنة فى ظل الكذب والنفاق والخداع ، فحبذا لو خلا كل منا الى نفسه وجردها من عاطفتها المشبوبة ، التى تجنح بها دائما الى الرغبة الآثمة ، وتودى بها حتما الى الطرق الملتوية ، لو فعل كل منا ذلك ، فانه لابد يكبح جماحها ، ويصونها من الابتذال والامتهان ، ويرتفع بها عن دنيا الماديات والنزوات ، لانه حينئذ يجردها من سلطانها اللعين ، ويقهرها داخل ذاته ويقمع فيها عوامل الطغيان ، ويقسرها على ما يرتضيه لها ، فيروضها بذلك الى معالم الخير ، ويسلك بها مسلك السعادة والراحة . ومما لا شك فيه أن البشرية جمعاء تنسى نفسها ، وتنساق خلف رغباتها المحمومة ، مدفوعة الى ذلك بحب البقاء ورفاهية العيش ، دون النظر الى ما تقترفه من آثام ، وما ترتكبه من جرائم فى حق الفرد والاسرة والمجتمع الذى تحيا فيه ، مع أن

ديان السماوية جميعها جاءت لاقامة العدل ، ونشر المحبة والسلام بين سائر البشر ، ونحن ـ المسلمين ـ لنا ديننا وكتابنا ما يجعلنا نرعوى ونثوب الى رشدنا ، ولنا فى رسولنا الكريم أسوة حسنة لمن تأسى بها وسار عليها ، فاذا أخطأ الواحد منا وكلنا بطبيعة الحال مخطئون ـ فلماذا نصر على أخطائنا ونتمادى فيها ، أو نقدم لها المبررات، أو نلقى التبعة فيها على غيرنا، جاهلين أن الله سبحانه وتعالى « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » وانه جلت قدرته « لا تخفى عليه خافية » ثم هو بعد ذلك يغفر الذنوب جميعا لو رجعنا اليه واستدركنا ما نقع فيه من أخطاء، أما التمادى والتمرد على الحق، فعاقبته وخيمة ، ولن يصل بنا أبدا الى السلام، مهما تحايلنا عليه ، أو تنصلنا منه ،أو زورناه بالضلال والبهتان ، واعتقد انه لا علاج للانسانية ، ولا صلاح لأمر من امورها الا برجوعها الى حظيرة الايمان، فهل من افاقة ترد المرء الى القيم المتروكة والتراث القديم ؟ وتصل بيننا وبين ما انقطع من أسباب السعادة التى رسمها لنا زعيم الانسانية محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وسار عليها صحبه الاخيار من بعده ، والتى كانت وما زالت قبسا من رسالة السماء التى أنارت الكون ، ودكت معاقل الطغيان والافك ، بما تنطوى عليه من آيات البقاء والخلود ، وبما تحمل فى طياتها من دلائل الهدى والنور، فلو وضع كل منا نصب عينيه قول الله تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » أو قول الرسول صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى »

فلو تأملنا كما قلت هذه المعانى المشرقة الوضاءة لاحسسنا أننا مأخوذين بقوتها وصدقها وروعتها ، واننا فى الوقت نفسه ترتكب كثيرا من الحماقات الطائشة ،فى حق أنفسنا وحق المجتمعات التى نعيش فيها ، وان هذا التقاتل والتسابق ، لا يؤديان أبدا الى شىء ، وان المجد والجاه والثروة والسلطان كلها شعارات زائفة ، والمقياس الاوحد الذى تتميز به الاشياء والاعمال ، هو: التقوى ، ولن تأتى التقوى الا بالايمان الصادق ، ورحم الله الشاعر حيث قال :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد

فلماذا ينسى الانسان أصله ومعدنه الذى نشأ منه واليه يعود ثم يتكبر ويتجبر ويخاطب الناس بأنفه مع انهم جميعا اخوة له ؟ فاذا لم تكن تجمعهم رابطة الدين والايمان ، فانما تجمعهم وشائج الدم والنسب حيث ينتهون الى أصل واحد ، ما الذى تجنيه الانسانية من الحروب سوى الدمار والويلات والتقتيل والتشريد والضياع ؟ عديد من الاسئلة تتوارد على خاطرى ، وتزحم رأسى ، وتسد الأفق أمامى ، ويعوزنى الاجابة عليها .

ليت شعرى هل تسمو نفوس الناس وتتخلص مما يخالطها من شوائب الانانية والحرص والطمع ! فقديما قالوا : « أذل الحرص أعناق الرجال » لماذا لا نترفع عن الصغائر ونجافى الملق والكبر والخداع والرياء ؟

لست أدرى أية فائدة تعود على الفرد أو الاسرة أو المجتمع من الانغماس فى تلك المهازل الانسانية سوى الخزى والفضيحة والعار .

فليتنا عندما نقدم على الظلم مثلا نتذكر قول أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه « متى استعبدتم الناس وقدولدتهم أمهاتهم أحرارا » فنستشعر العدل حينئذ ونحس جميل وقعه على القلوب .وليتنا نستحضر فى أذهاننا عندما نتمادى فى أخطائنا رجوعه الى الحق عندما اعترضت رأيه امرأة على رؤوس الاشهاد فاقتنع بكلامها وقال : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » ما أحرانا أن نتشرب هذه المعانى السامية ونصقل بها أنفسنا ، ونملأ بأريجها قلوبنا ، فنعطر خفايانا، ونطهر أرواحنا من أدران المعاصى ، ثم نحلق فى أودية وردية طاهرة ، بعيدا عن عالم الأوزار .

نعم نحلق فى سماء مليئة بالحب والعدل والتسامح والرحمة والاخاء

أربع رسائل عمرية

الأستاذ صلاح عزام

وانتهى رمضان ..

شهر القرآن الكريم ..

ولكن .. بقيت وستبقى آثاره الخالدة قدوة .. تذكرنا بأخلد وأروع أيام الاسلام وأعظمها روعة واشراقا .. ولتضىء معالم حياتنا عبر الشهور والايام حتى نعود مرة أخرى ـ لمن يطيل الله أجله ـ الى أيام رمضان القادم.. وكل رمضان ..

وبين الذين صنعتهم أحداث رمضان .. ثانى الخلفاء .. أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب .. فقد ساهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم احداث الشهر العظيم فى أوائل الدعوة المحمدية .. وصهرته الاحداث .. وعلمته الصحبة الشريفة أن يكون علما يقتدى ..

ولعل ذلك هو ما جذبني الى المعيشة الفكرية والوجدانية مع سيدنا عمر.. وبالذات مع رسائله التى تبادلها مع ولاته وقواده وقضاته ..

وقرأت روائع خالدة .. حصاد الايام والليالى التى عاشها تلميذا محمديا .. منذ أيام دار ابن الارقم الى أن انتقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و .. من بين هذه الرسائل .. ثلاثة رسائل الى ابى عبيدة وواحدة الى ابى موسى الاشعرى .. وفيها كل المعانى التى يحتاجها الحاكم والمحكوم فى كل مكان .. وفى كل زمان .

● ففى رسالة الى أبى عبيدة عندما ولى جند الشام يقول أمير المؤمنين .

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبى عبيدة الجراح . سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد وليتك أمور المؤمنين فلا تستحى فان الله لا يستحى من الحق . وانى أوصيك بتقوى الله العظيم الذى لا يفنى ويفنى سواه الذى استخرجك من الكفر الى الايمان ومن الضلالة وقد وليتك على جند خالد فاقبض الجيش منه ولا تنفذ المسلمين الى الهلاك رجاء غنيمة ولا تبعث سرية الى جمع كثير ولا تقل انى أرجو لكم النصر واياكم والتغرير والقاء المسلمين الى الهلكة واغمض عن الدنيا عينك وانه عنها قلبك واياك أن تهلك كما أهلكت من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم واختبرت سرائرهم وبينك وبين الاخرة بيت كالحمام وقد تقدم اليه سلفك فتنتظر سيرا أو سفرا طويلا من دار قد مضت نضارتها وذهبت منها زهارتها فاحرم الناس الخارج الى غيرها واتق الله فى سرك ونجواك . وتفكر فى زاد التقوى وراع المسلمين ما استطعت وأما الحنطة والشعير التى وجدتموها فى دمشق وكثرت مشاجركم عليها فهى للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس .

ومرة ثانية كتب عمر الى أبى عبيدة ردا على كتابه الذى يخبره فيه بانه لايريد الاقامة بانطاكية لطيب هوائها وخوفا من اخلاد الجيوش الى الراحة فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر بن الخطاب الى ابى عبيدة بن الجراح . سلام عليك . فانى احمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واشكره مليا على ما وهب من النصر للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل معينا لطيفا . وأما قولك انك لم تقم بانطاكية لطيب هوائها فالله عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات فقال تعالى فى كتابه العزيز « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم » وكان يجب عليك أن تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون فى مطعمهم ويريحون الابدان النصبة فى قتال من كفر بالله وأما قولك انك تنتظر أمرى الذى آمرك به أن تدخل الدروب خلف العدو فانت الشاهد وانا الغائب والشاهد يرى مالا يرى الغائب وانت بحضرة عدوك وعيونك يأتونك بالاخبار فان رأيت الدخول الى الدروب صوابا فابعث اليهم السرايا وادخل معهم بلادهم وضيق عليهم مسالكهم وان طلبوا منك الصلح فصالحهم ..

● ومرة ثالثة .. بين المرات التى تبادل عمر وابى عبيدة الرسائل يكتب له ولمعاذ بن جبل خطابا يقول لهما فيه

أما بعد — فقد جاءنى كتابكما تزعمان انه بلغكما انى وليت أمر هذه الامة أحمرها وأسودها يجلس بين يدى الصديق والعدو والشريف والوضيع وكتبتما أن أنظر كيف انت ياعمر عند ذلك وانه لاحول ولا قوة لعمر عند ذلك الا بالله . كتبتما تحذرانى ما حذرت به الامم قبلنا وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار ثم توفى كل نفس بماكسبت ان الله سريع الحساب . كتبتما تزعمان أن أمر هذه الامة يرجع فى آخر زمانها أن يكون اخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذاك وليس هذا ذلك الزمان ولكن ذلك حين تظهر الرغبة والرهبة فتكون رغبة بعض الناس الى بعض اصلاح دينهم ورهبة بعض الناس فى اصلاح دنياهم .

وكتبتما تعوذاننى بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذى نزل فى قلوبكما وانما كتبتما نصيحة لى وقد صدقتما فتعهدانى منكما بكتاب فلا غنى لى عنكما والسلام عليكما .

● ويكتب سيدنا عمر الى أبى موسى الاشعرى فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فان للناس نفرة عند سلطانهم فاعوذ بالله أن تتركنى واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فاقم الحدود ولو ساعة من نهار . واذا عرض لك أمران أحدهما لله والاخر للدنيا فآثر نصيبك من الاخرة على نصيبك من الدنيا فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل . واخف الفساق واجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا واذا كانت بين القبائل ثائرة وتداعوا بآل فلان فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا الى أمر الله وتكون دعواهم الى الله والى الامام . وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو بآل ضبة وانى والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيرا قط ولا منع بها من سوء قط فاذا جاءك خطابى هذا فانهكهم عقوبة حتى يفرقوا ان لم يفقهوا والصق بغيلان بن خرشة من بينهم . وعد مرضى المسلمين . وأشهد جنائزهم . وافتح بابك . وباشر أمرهم بنفسك . فانما انت امرؤ منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا . وقد بلغ أمير المؤمنين انه فشا لك ولاهل بيتك هيبة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فاياك يا عبد الله أن تكون بمنزل البهيمة التى مرت بواد خصب فلم يكن لها همة الا السمن وانما حتفها فى السمن . واعلم أن للعامل مردا الى الله فاذا زاغ العامل زاغت رعيته وان أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ..

وما أحوجنا الى أن نبحث عن رسائله الى ولاته والى قضاته فنتعرف على تعاليم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلاميذه ..

الشباب المسلم و الخدمة العامة

الدكتور أحمد كمال أحمد

فى الواقع أن نكسة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ قد أعطت الامكانية الموضوعية لوقوف الشعب المصرى المناضل وراء قيادته الثورية فى موقع جديد أتاح الرؤية الموضوعية الشاملة لكل ما فى أفق حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، من انجازات ضخمة حققناها ومعارك رهيبة خضناها فانتصرنا فيها على كل قوى الشر والبغى والعدوان . وكذلك من نواحى النقص والقصور وألوان الخطأ والتقصير ..

ولعل من أهم القضايا التى طرحتها التجربة المصرية عندما فاجأها منعطف النكسة هى قضية الاهتمام الواجب والمفروض لقيم الدين ومثله حتى تسود تعاليمه على الأرض وهى الاحق بالسيادة فعلا وذلك ابتغاء اجتلاب التوفيق والنصر فى حياتنا الدنيوية علاوة على اكتساب رضا الله سبحانه وطاعته ومن ثم جزاءه فى الآخرة وبالرغم من أن هذه القضية من أخطر قضايانا الآن - ان لم تكن أخطرها على الاطلاق . وبالرغم من أن سيادة الرئيس جمال عبد الناصر قد أعطاها مكانها الحقيقى فى خطابه فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ ..

وأن بيان ٣٠ مارس أكد صراحة أن أحد المهام الرئيسية فى المرحلة القادمة من نضالنا هى (**العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية**) . وبالرغم من المناقشات الجادة والصريحة والتى جرت فى رحاب قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة والتى كان للدين والاهتمام به ووضعه فى الموضع الصحيح من حياتنا وسلوكنا النصيب الاكبر حيث صدرت قرارات المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى ..

بالرغم من كل ذلك ، بل من أجل كل ذلك سنتناول نقطة فرعيه وبسيطه نشكل جزءا صغيرا فى هذه القضية الاساسية غير أننا سنعتبرها أحد المداخل الممكنة لطرق باب هذه القضية ..

فلقد تمخضت مناقشات ما بعد النكسه عن طرح قضيه دور المسجد فى حياتنا ومدى تأثيره فى تشكيل وجدان وثقافة أبنائنا وصياغة تفكيرهم وتوجيه سلوكهم . حيث ثبت لنا أن سلوكيات الجزء الاكبر من شبابنا ما زالت بعيدة الى حد ليس بالقليل عما تنادى به قيم ديننا الحنيف وتعاليمه السمحة وذلك رغم كل الجهود المشرقة التى بذلت فى هذا المجال منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن . كما ثبت لنا أننا لن نصل الى ما نصبو اليه من آمال فى الحرية والاشتراكية والوحدة وبالتالى فى ازالة هذا الكيان العسكرى العدوانى العنصرى الغريب من على أرضنا الخضراء وانتشال السلام فى ربوع بلادنا الحبيبة مهبط الأديان وموطن كل المقدسات ، لن نصل لذلك الا من خلال الدولة العصرية المستندة الى كل خبرات العلم الحديث وامكانيات التكنولوجيا المتقدمة .

ورغم أنه ليس هناك ثمة تناقض بالمرة بين الدين وبين الاهتمام بالعلوم الحديثة

نها التكنولوجية حيث أن
هو الصحيح كما يبدو
ضـحا من منزلة العلم
فى الدين الاسلامى على
خصوص الا أن ضمان
آمالنا وطبقا لهذا الواقع
، على مستوى القطاعات
ة من شبابنا فى الريف
ـدن والمنتشرين فى كل
انتاج الخيرات على ارضنا
الا من خلال العديد من
ات التى أحدهـا – على
. هو اعادة تحقيق الوظيفة
اعية للمسجد مما يترتب
عادة النظر لمفهومنا عن
لمسجد وبالتالى لثقافته
نه الفكرى ومن هنا لدوره
جتمع .

ع تقديرنا لاهميـة وفائدة
ات التدريبية التى تنظمها
الأوقاف لائمة المساجد
ـد الدءوب الذى يبذله
ا النشيط الدكتور /عبد
ز كامل ، الا اننا سنناقش
صفحات القليلة القادمة
قيام المسجد بدوره الطبيعى
لز اشعاع فى البيئه المحيطه
دم لها الخدمات الاجتماعيه
تصادية والسياسية فضلا
دوره الكبير فى التـأثير
رحى والوجدانى للجماهير
مة شعائر الصلاة .

لمسجد كمؤسسة اجتماعية:

الحقيقة التى نعتقد أننا لن
لف عليها طويلا هى أن المسجد
سسة اجتماعية تؤدى وظيفة
ماعية هامة وحيوية فى المجتمع
د كانت الوظيفة الاجتماعية
سجد اوضح ما تكـون فى
صور الاسلامية الاولى حيث
يسـد أكثر من احتياج
يقى فى البيئه كا لتربيـه

والتعليم والدعوة واقامة شعائر الصلاه وما الى ذلك . ومن **الثابت تاريخيا ان مسجد الأزهر الشريف كان قلعة النضال المصرى العنيد ضد الفرنسيين والانجليز وضد محاولات تخريب وجداننا القومى وتشويه فكرنا الاسلامى أو نسيان واقع الاحتلال الاليم .**

والمؤسسة الاجتماعية – وبدون الدخول فى تعريفات نظرية – هى هيئة تعبر عن ارادة المجتمع وجماعاته وتقابل احتياجات موضوعية فى هذا المجتمع سواء كانت هذه الاحتياجات مادية أو معنوية . ومن هنا فلكل مؤسسة وظيفتها الخاصة بها والتى تحدد وفقا لحاجة المجتمع .

واذا كان ذلك كذلك ، فهل من الممكن أن يقوم المسجد باستقطاب الشباب المسلم على اختلاف مهنه وأعماله للقيام بنشاطات اجتماعية تطوعية كجماعات الخدمة العامة مثلا تقوم بدراسة البيئة المحلية والاتصال بالهيئات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية القائمة فيها ومحاولة اكتشاف كل مشاكلها واحتياجاتها وعمل جدول أولويات لهذه الاحتياجات وتلك المشاكل ومحاولة حل أهم هذه المشاكل فالمهم وهكذا وذلك كله فى حدود ما تسمح به امكانيات وموارد هذا المجتمع المحلى .

الواقع أنه من الممكن أن يحدث ذلك واكثر منه ، فكل أحيائنا وقرانا بها العديد من المشاكل المتماثلة تقريبا والمنتشرة على وجه العموم ، كذلك فان كل ائمة مساجدنا ينظر اليهم بثقة واحترام من فئات عديدة من الشعب ، ومن ناحية أخرى فان المساجد هى خير أماكن للاجتماع ودعوة الافراد المتطوعين من الشباب للاشتراك فى هذه الانشطة الاجتماعية البناءة .

الاستعانة بلجان الاتحاد الاشتراكى العربى :

ومن المفيد هنا الاستعانة بلجان الاتحاد الاشتراكى العربى ومنظمة الشباب الاشتراكى لتدبير الاعداد المطلوبة من المتطوعين وكذا للمشاركة بالرأى فى المشاكل والاحتياجات والاستفادة بالامكانيات المحلية المتاحة أو الممكن تدبيرها حيث أن هذه اللجان ، لجان شعبية منتخبة ومسئولة فى المجتمع المحلى فضلا عن احتوائها على العديد من القيادات ذات التأثير مما يؤثر فى النهاية فيوجد نوعا من التنسيق بين هذا النشاط وبين النشاط السياسى تلافيا للتكرار وازدواج الجهد والوقت والمال .

وبصفة عامة فيجب علينا أن نؤكد على ضرورة الاستعانة بكل ذوى التأثير ومراكز الثقل من القيادات المختلفة فضلا عن القيادات الشعبية والمنتجة والممثلة فى لجان الاتحاد الاشتراكى العربى وقيادات الشباب فهناك القيادات المهنية والمسئولة كالاخصائى الاجتماعى رئيس الوحدة الاجتماعية بالقرية مثلا فهو عنصر أساسى ومهم فى نجاح هذا المشروع كما سنناقشه فيما بعد . كذلك هناك القيادات التقليدية وأيضا

الزعامية أو الكارزمية وأخيرا فهناك القيادات البيرقراطية بالمعنى العلمى لكلمة بيروقراطية

جماعة الخدمة العامة :

وتستطيع هذه الجماعة ان تتوافر على تحقيق العديد من الأهداف منها مثلا :

١ ـ رفع مستوى الثقافة الدينية لاعضائها عن طريق الاطلاع فى التراث الاسلامى وتكليف أحد الاعضاء بتلخيص أحد الكتب ومحاولة قراءته ومناقشته فى الاجتماع التالى وكذلك العمل الجاد على حفظ كل الاعضاء بلا أى استثناء لاكبر قدر ممكن من القرآن الكريم ودراسة السيرة المحمدية الطاهرة ومحاولة السلوك على نهجها .

٢ ـ ممارسة الدين الاسلامى كسلوك يومى من حيث التعامل بين اعضاء الجماعة بعضهم البعض وبين الاعضاء وبين الجماهير وكذلك التخلق باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وبأخلاق صحبه رضى الله عنهم جميعا .

وهنا يجدر الاشارة الى ضرورة اصطناع صيغة علمية وعملية للمحاسبة على الخروج على اخلاقيات الاسلام ، صيغة تجمع بين المرونة والحسم معا .

٣ ـ تشكيل فريق من بين اكثر اعضاء الجماعة تمكنا وتفهما من الناحية الدينية على ان يكون ذلك تحت الاشراف والمسئولية المباشرة لامام المسجد لتنزل الى الجماهير فى كافة مواقع انتاج الخيرات فى الريف والمدن ويتركز عملها الاساسى فى التوعية الدينية والحديث عما كان يحدث فى غزوات المسلمين حين كان يكتب على بعضها الاخفاق والهزيمة وعما فعله القائد الأول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعن الجهاد فى الاسلام والحرب وشروط الفوز بنصر الله سبحانه وتعالى كما يقرره كتاب الله والسنة المحمدية الشريفة .

٤ ـ دراسة مشاكل القرية أو الحى الاساسية مع الاستعانة بكل مجهودات الهيئات القائمه الاحصائية والبيانية ومحاولة الاتفاق على حلول لها مع الاتحاد الاشتراكى العربى وقيادات الشباب وذلك فى صور الامكانيات المحلية المتاحة والممكن توفيرها ومن خلال وضعها فى سلم الأولويات وتجنيد كافة الشباب فى تنفيذ هذه الحلول وكذلك كافة الجماهير ، وبداهة ان هناك مجموعه من المشاكل الرئيسية تعتبر قاسما مشتركا أعظم بين كل اقاليم الريف . وهى محو الامية وردم المستنقعات واصلاح الطرق غير الصالحة للمرور أو انشائها وكذا اقامة جسور خشبية على الترع الكبيرة وانشاء أماكن تجمعات نظيفة للشباب لممارسة نشاطاته الرياضية والثقافية والترويحية المشروعة وكذلك انشاء مدرسة أو جمعية تعاونية استهلاكية بالجهود الذاتية أو حل مشاكل الفلاحين مع الجمعيات الزراعية التعاونية وهكذا .

ومن المهم ان تكون هذه الجماعه قدوه حسنه وألا تتعالى على العمل اليدوى وتتأفف منه ، كذلك أن يوضع التنظيم الكفيل باطلاق طاقات كل الاعضاء فى هذه العمليات الايجابيه .

ومن الجدير بالملاحظه
الا تبدأ الجماعة بأكثر من م
بل الواجب ان تبدأ به
واحد فقط على أن يكون من ا
تنفيذه أو الا يكون من ال
تنفيذه على الاكثر كذلك أ
الفائده التى ستعود منه
ومباشرة ويلمسها الناس بـ
وذلك حتى يثير نجاح الم
الثقة فى النفس بالنسبة
الحى او القريه وبالنس
للشباب المتطوع نفسه كم
سيعمل على تكتيل الاهالى
الجماعة والتفافهم حولها
ناحية أخرى فانه سيعمل
استقطاب العديد من الشب
المتردد والسلبى فى غم
المشروعات القادمة .

ولعله من المفهوم الآن از
الجماعه ستكون اختياريه بم
أن الانضمام اليها تطو
ويحدده قرار الشخص نفس
وقد تنقسم هذه الجماعة
شعبتين . شعبة للشب
وشعبة للفتيات غير ان الاخ
لن تتوفر الافى المساجد المخص
فيها أماكن لصلاة السيد
والموجود بها واعظات فعلا و
رغم الضرورة القصوى لتواج
مثل هذا التنظيم الاسلا
النسائى العامل فى حقل الخد
العامة كذلك ستكون هـ
الجماعة دائمة ومنظمة وه
الافضل أن تدار اداره ذاتيـ
بمعنى أن تنهج الاسلـود
الديمقراطى حيث ان ذلك يتيـ
الفرصة لتحقيق مبدأ الشور
الذى ينادى به الاسلام كما انه
تساعد على نضج الشباب وتحملهم
للمسئوليات ووضع القرارات مع
يحيط جو العمل بروح من
التعاون والتفاهم والمحبة .

ـراحل تكوين الجماعة

ـمر هذه الجماعة بثلاث ـن هى . مرحلة ما قبل ـين من حيث تجمع الدعوه الانفاق على أهدافها وتكتيل ـد وراء اقامتها والانفاق على الاقصى والحد الادنى للسن حيث أن التجانس السنى العوامل المهمة فى ترابط ـاعة وتفاعلها وبالتالى انتاجها كان من الممكن اذا اتسعت ـوية أن يشكل فريق للفتيان ـ للشباب وان تسند لكل الفريقين مهام محددة ـسب مع مراحل نموهم راتهم واهتماماتهم .

ـما المرحلة الثانية فهى مرحلة ـوين الفعلى وهى تبدأ بولادة ـماعه فعلا وبدء ممارستها ـها ومسئولياتها ومع استمرار ـارسة والتقييم الفورى ـستمر واستخلاص الدروس ـتشاف السلبيات ـيجابيات والعمل الجاد على ـقاط وتلافى الاولى وتأكيد ـعيم الثانية تبدأ مرحلة ـضج والاستمرار .

ـامج اعداد أئمة المساجد :

من الطبيعى أن تنفيذ هذا ـشروع سيحتاج الى اعداد خاص ـمة المساجد فمن المفروض أن ـلقوا بعض اساسيات علم ـنفس العام وعلم النفس ـجتماعى بوجه خاص وكذلك كيفية قيادة المجموعات المختلفة هذا علاوة على الالمامة الطبيعية بمعظم اساسيات العلوم الانسانية والايدولوجية الاشتراكية وليست الجوانب النظرية هى المهمة ولكن الاهم هو التدريب العملى على اكتساب أقصى قدر من المهارات والخبرات .. ومن البديهى أن هذه الدورات ستتم بالاتفاق مع وزارة الاوقاف والاتحاد الاشتراكى العربى والمعهد العالى للخدمة الاجتماعية

الاستعانة بالاخصائى الاجتماعى :

لعله من الضرورى فى هذا الصدد أن يستعان باخصائى اجتماعى او اكثر حسبما تتيح ظروف المنطقة المحلية وان تكون هذه الاستعانة منذ بداية التفكير فى المشروع ، ولعل ذلك ليس تعصبا للاخصائيين الاجتماعيين بل هو ضرورة موضوعية تمليها عدة اعتبارات ، فالاخصائى الاجتماعى :

١ ــ شخص مهنى متخصص ومزود بالعديد من المهارات والخبرات العلمية والعملية والتى من خلالها يستطيع مساعدة الجماعة على تحقيق أهدافها ، كالمهارة فى تقدير واستخدام المشاعر سواء مشاعره الذاتية التى لا بد له من التمكن من السيطرة عليها والعمل جاهدا على ابعادها من التأثير فى الموقف قدر ما يستطيع او مشاعر أعضاء الجماعة أنفسهم وذلك على اختلاف أنواع هذه المشاعر سلبا وايجابا وكذلك المهارة فى استخدام العلاقات الجماعية وايضا المهارة فى تطبيق الفكر النظرى للخدمة الاجتماعية وغير ذلك .

٢ ــ ملتزم بالعديد من المبادىء المستقرة والمتعارف عليها فى مهنة الخدمة الاجتماعية والتى تعتبر ضوءا كشافا لكل من يعمل فى محيط العلاقات الانسانية والعمل على خدمة الجماهير .

٣ ــ يستطيع أن يساعد أئمة المساجد على تحقيق الوظيفة من هذه البرامج من حيث تمكنه من العديد من الادوات المستخدمة فى ميدان الخدمة الاجتماعية كالمقابلة والزيارة والتسجيل والاجتماعات واللجان والمؤتمرات والعلاقات العامة ومختلف وسائل اثارة الوعى وتثقيف الكبار . هذا علاوة على التدريب العملى واجراء المسوح والبحوث الميدانية .

٤ ــ انه يستطيع ان يستخدم أساليب الخدمة الاجتماعية وطرقها الثلاثة من حيث تعامله على مستوى الفرد (خدمة الفرد) او الجماعة (خدمة الجماعة) او على مستوى المجتمع المحلى (تنظيم وتنسيق المجتمع)

التصوف الإسلامي

والاتجاه إلى الله ...

الأستاذ طه سيف النصر

تحدثنا كثيرا فى مقالاتنا السابقة عن التصوف الاسلامى وذكرنا بأنه يعتبر موردا من أطيب الموارد الاسلامية ، ونفحة من أطيب نفحاتها السماوية ، لانه فى جوهره اتجاه قلبى يربط العبد بربه الكريم فاطر السموات والأرضين وايمانا بعظمته وجهادا فى سبيله

لذا فلا تستطيع النفوس البشرية أن تتجه بكلياتها الى الله الا اذا قمعت شهواتها وطهرت قلوبها من الشوائب والادران ومن هنا ولأجل ذلك قد سمى التصوف بعلم الأخلاق

كما أن الحصول على هذا العلم والاتجاه الى الله سبحانه وتعالى لايتم الا عن طريق الروح والقلب وليس عن طريق الجوارح أو الحواس أو عن طريق الفكر والعلوم الظاهرية وقد أوضح لنا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله «ادبنى ربى فأحسن تأديبى »

ومن أهم المظاهر وأروع الصور التى تدل على ذلك ماجاء فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته المباركة خصوصا ماوقع للرسول فى غار حراء عندما التقى الانسان بالملك (جبريل) عليه السلام أمين الوحي حيث اجتمعا وتلاقيا لأمر قد قدر فى علم الله (علم الغيب) واذن الله للانسانية وللبشرية بأن تأخذ نصحها وآن أوان كمالها ورشدها على يد سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين

كذلك ماورد فى الأسراء والمعراج من عجائب ومعجزات لاتدركها العقول البشرية ٠٠ ولا العلوم النظرية ولكن تدركها القلوب الصافية والأرواح الطاهرة

ومن يوم الغار اذن الله للدنيا ان تشهد أروع الوان المثاليات الانسانية ، وأكمل الصور الايمانية فقد انبثق من رسالة الاسلام وشب على هداها وتربى على نورها رجال أوفياء برره وكرام يسعى نورهم بين أيديهم وتسبح لهم الملائكة بالدعاء والاستغفار رجال لاتلهيهم تجارة

بيـــع ولاشراء عن ذكر الله تون لربهم سجدا وقياما

رجال منهم أصحاب رسـول ، صلى الله عليه وسلم أبو بـكر مر وعثمان وعلى

وكل هذا جعل الصـوفية تصمون بحبل الله ويتخـذون يقهم فى الكشف وعلم الباطن لاتجاه الى الله ... وتجـريد وبهم لله

وما احوجنا اليـوم الى بعض ثاليات الايمانية والى تلـك قوى المدخرة فى الروحانيـة إسلامية لأننا نعانى أزمةخطيرة ن أشد الأزمات نعـانى صراعا بيرا بين القيم الروحيـة القيم المـادية ، صراعا كبيرا ين الحق وبين الباطل

وفى الحقيقة أننا فى أشـد لحاجة الى هذه المثل العليا والى حول نفسى شامل وحاسم

أضيف الىماتقدمت به بعض المثاليات الايمانية لبعض شيوخ الصوفية الصالحين لتكون اسوة حسنة لنا للاتجاه بقلوبنـا وارواحنا الى الله سبحانه وتعالى

وحكى عن عبد الواحـد بن زيد رضى الله عنه أنه قال « قد أشتريت غلاما للخدمة فلما جن الليل طلبته فى دارى فلم أجده والأبواب مغلقة على حالها ، فلما أصبحت جاء وأعطـانى درهما منقوشا عليه صورة الأخـلاص فقلت له من أين لك هذا فقـال ياسيدى لك عنـــدى كل يوم درهما مثلهذا على أنكلاتطلبنى فى الليـل وكان يغيب كل ليلة ويأتى فى الصباح بمثـل ذلك فلمـا كان فى بعض الأيام جاء الى الجيران وقالوا لى ياعبـد الواحد بع غلامك فانه نبـاش القبور ففمنى ذلك وقلت لهم ارجعوا فانا احفظه فى هـذه الليلة فلما كان بعد صلاةالعشاء قام ليخرج فأشار الى البـاب المغلق فانفتح ثم أشار اليـه فانغلق وقصد الى الباب الثانى ففعل مثل ذلك ثم قصـد الى الباب الثالث ففعل مثـل ذلك وأنا انظر اليه فخرج فتبعتـه ومشيت وراءه حتى بلغ الىأرض ملساء فنزع ثيابه ولبس مسحا وصلى الى الفجر ثم رفع رأسـه الى السماء وقال ياســيدى الكبير أعطنى أجرة ســيدى الصغير فوقع عليه درهـم من السماء فأخذه وتركه فى جيبه فتحيرت فى أمره ودهشـت لحاله وقمت وتوضأت وصليت ركعتين واستغفرت الله تعـالى مما خطر لى وورد على بالىونويت أن أعتقه لوجه الله تعالى ثم انى طلبته فلم أجده فانصرفتحزينا وماكنت أعرف تلك الأرض فاذا أنا بفارس على فرس أشهبفقال لى ياعبد الواحد ماقعودك ههنـا فقصصت عليه القصة فقـال أتدرى مابينك وبين بلدك فقلت لا فقال مسيرة سنتين للراكب المسرع فلا تبرح من هذا المكان حتى يرجع اليك عبـدك فانه يأتيك فى هذه الليلة قال فلما جن الليل اذا به قد أقبل ومعه صنية (طوفرية) عليها منكل الطعام قال لى كل ياسيدى ولا تعد لمثلها فأكلت وقام يصلى الى الفجر ثم أخذ يتـكلم كلاما لم أفهمهوخطا معى خطواتواذا أنا واقف عـلى باب دارى وقال ياسيدى اليس قـــد نويت تعتقنى قلت وهو كذلـك فقال فاعتقنى وخذ ثمنى وأنتماجور ثم أخذحجرامنالأرض واعطانيه واذا هى قطعـــة ذهب ومضى الغلام وبقيتمتحسرا علىفراقى له ثم اجتمعت بجيرانى فقـالوا مافعلت بالنباش فقلت ذلـك نباش النور لانباش القبـــور وحدثتهم بما شاهدته منه من الكرامات فبكوا وتابوا مما خطر ببالهم رضى الله عنهم ونفعنا بهم

إسلام هرقل!

الأستاذ عبد العليم المهدى

أشرق فجر الاســـــلام فى مكة ، فتزلزلت له قوى الشرق فى دولة الفرس وانهارت قوى الغرب فى دولة الروم ، وكان هذا الحادث الذى اجمـــع عليه المؤرخون ·· نقدمه باســلوب العصر ، لعله يكون عبرة لنا ولاعـــدائنا الذين ظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله !!

وكان مسرح الحادث بيت المقدس ·· نحن الان فى قصر الملك الامبــــراطور المعبود هرقل عظيم الروم ، وكان على رابية فى بيت المقدس ، وهرقل يقضى بعض ايامه متنقلا فى العواصم العربية التى فتحها ··

نرى هرقل يدخل المجلس الامبراطورى مسرعا مكفهر الوجه ، وقادة جيشـــــه وعظماء الرومان يسجدون له ، وهم فى صمت القبور ، اجلالا لعواطف وهمـــوم المعبود الامبراطور ·

يبدو هرقل شارد الخاطر ، ينظر من فوق المجلس الى افق مفقـــــود ·· ثم يهمس :

هرقل : لشد ما اخشى الغيب المجهول على ملكى وشعبى وامجادى · لقد ظهر الرجـــل الذى حدثتنى عنه النجوم ·· ظهر فى مكة · وهو يدعو الناس الى دين عجيب سيكون له خطر عظيم ! ··

الحارس : مولاى صاحب الجـــلالة ·· بالباب رجل من عظماء قريش اسمه ابو سفيان بن حرب ، فى عشرة من انداده ، قـــالوا ان مولاى ارسل فى طلبهم

هرقل : يبتهج ادخلهم على الفـــور ·· ياعظماء الروم جئتكم اليوم بانباء عن ذلك الرجل الذى يقول انه نبى ·· (ويقف هرقل لاســـتقبال اعدى أعداء محمد من قومه) مرحبا صناديد العرب

ابو سفيان : (مبتسما) الخيـــــر دعوتنا ياملك الروم ؟ ··

هرقل : دعوة الصديق لا يمكن أن تكون الا لخير ·· علمت انكم فى تجارة الى الشام ، فرايت الترحيب بكم وسؤالكم عن الرجـــل الذى قام فيكم يقول انه نبى ·· أيكم اقرب نسبا الى هذا الرجل ؟ ··

أبو سفيان : أنا اقربهم نسبا !

هرقل : اقترب منى يارجل ·· ·· وليجلس صحبك من خل[...]

ايها الرجال ·· انى سـ[...] صاحبكم عن ذلك الرجل كذب فكذبوه ·· اناشـ[...] الصدق ·

ابو سفيان : وماذا يضطـــــر الكذب !

هرقل : كيف نسبه فيكم ؟ ··

ابو سفيان : هو فينا ذو نسب

هرقل : هل قال احد منكم من ق[...] نبى ؟ ··

أبو سفيان : لا · لم يقلها احد قبـ[...]

هرقل : هل كان فى آبائه ملك

ابو سفيان : لا ·· ونحن أهله

هرقل : واتباعه ·· من أشراف ام من ضعفائهم ؟ ··

ابو سفيان : انها الثانية ياملك

هرقل : يزيدون ام ينقصون ؟··

ابو سفيان : يزيدون كل يوم ··

هرقل : هل يرتد احد منهم بعد [...] فى هذا الدين ؟

ابو سفيان : اننا نعـــذبهم حتى ·· ولا يرتدون ·· لقـــد وعـ[...] صاحبهم بالجنة !

هرقل : هل كنتم تتهمونه بالكذب ان يقول ماقال ؟ ··

أبو سفيان : بل كنا ندعوه الصـــ[...] الامين ·

هرقل : هل يغدر ؟ ··

ابو سفيان : نحن معه الان فى هد[...] ولا ندرى ماهو فاعل بنا ، و[...] لم نعرف عليه غدرا ·

هرقل : هل قاتلتموه ؟ ··

أبو سفيان : الحرب بيننا وبينه سـ[...] ينال منا وننال منه ·

هرقل : وبماذا يامركم ؟ ··

ابو سفيان : انه يقول اعبدوا الله و[...] ولا تشركوا به شـــيئا · اتر[...] مايقول اباؤكم ، ويامرنا بالصلا[...] والصدق والعفاف ، وصلة الر[...] وحرمة الجار ··

هرقل : (يضرب كفا بكف) يالهـــ[...] الرجل ·· انت صادق فى ماتقول ؟ ··

ن : كل الصدق يامل الروم •

سالتك عن نسبه ، فقلت انه
كم ذو نسب ، وكذلك الرسل
ث فى نسب قومها • ونفيت ان
دا فيكم سبقه الى قول مايقول ،
دثتنى نفسى بانه لو سبقه احد
لت انه ياتى بقول قيل قبله •
سالتك هل كان فى ابائه ملك ،
ت لا • ولوكان كذلك لحسبته
الب بملك ابيه •

سالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب
ل ان يدعوكم بدعوته ، فقلت
ن عندكم الصادق الامين •
نى اعرف انه لم يكن يترك
كذب على الناس ويكذب على
ه •

سالتك عن اتباعه فقلت ضعفاء
ناس ، وهم اتباع كل الرسل من
له •

سالتك عن عددهم فقلت يزيدون
كذلك امر الايمان حتى يتم •
سالتك هل يرتد احدهم ساخطا
لى هذا الدين بعد ان يدخل فيه ؟
لت نعذبهم حتى الموت ولا يرتدون
كذلك الايمان حين تخالط
شاشته القلوب •

سالتك هل يغدو فنفيت الغدر
نه ، وكذلك الرسل لاتغدر •
سالتك بماذا يامركم به ، فذكرت
نه يامركم ان تعبدوا الله ،
يامركم بالصلاة ، والصدق
والعفاف وصلة الرحم ، وحرمة
لجار •

مع يا ابا سفيان ، ان كان ماتقول
فسيملك هذا الرجل موضع قدمى
•• وسوف يتبعه خلق كثير فى
لعالم •• كنت اعلم انه قادم ••
لم اظن انه سيخرج منكم ••

كنت اعلم انى اطيق الاخلاص
له ، لركبت الصعب اليه •• ولو
عنده لغسلت قدميه •

سود المجلس صمت رهيب ، بعد
ستمع عظماء الروم وقادة الجيش
مايقول الامبراطور ، فينظر بعضهم
ض •• وكذلك فعل ابو سفيان
به بعد ان ترجم لهم المترجم مايقوله
الروم •

هذه اللحظة يدخل كاتم اسرار
وهو يحمل رسالة جاء بها رسول
كة ، وما يكاد يعلن نبا وصول هذه
الة حتى بدا المجلس الامبراطورى
ه خشب مسندة ، واضطرب هرقل
، ثم اعتدل فى مجلسه وملك زمام
ه ، وطلب قراءة الرسالة علانية ،
نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم •

من محمد بن عبد الله ورسوله ، الى هرقل عظيم الروم • سلام على من اتبع الهدى • اما بعد : فانى ادعوك بدعاية الاسلام • اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين • فان توليت فعليك اثم الاريسيين ، أى سواد شعبك ، قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله • فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون •

هرقل يزمجر وترتعد فرائصه ويخطف الرسالة ويصرخ :

هرقل : اخرجوا هذا القطيع من هنا •• اخرجوهم •• لقد جاء منهم •• انا لا اطيق رؤية عربى •• ان دعوة هذا الرجل ستكون خطرا على ملكى •• لقد تنبات بظهوره الافلاك والنجوم •• ويلى ويا ويل الروم !

ابو سفيان : (يخرج مع صحبه مهرولين) واللات والعزى لقد عظم امر محمد••لقد اخاف ملك الروم •• ونحن نضربه واتباعه حتى هاجروا ••

* * *

واصبح اليوم التالى ، وهرقل عابس الوجه ، يغرق فى امواج من الفكر والقلق الرهيب •• ومن حوله ابن الناظور الاسقف حاكم بيت المقدس ، وبعض عظماء الروم •

ابن الناظور : لماذا اصبحت هكذا يامل الروم ؟ ••

هرقل : ان حقيقة هذا الرجل الذى ظهر بمكة لايمكن ان تقف فى طريقها قوة •

ابن الناظور : وماذا ترى فى النجوم من امره وامرك ياصاحب الجلالة ؟

هرقل : رايت الليلة ملك الختان •• فمن يختتن من هذه الامة ؟ ••

ابن الناظور : اليهود ولا يهمك امرهم •• اكتب الى عواصم ملكك ان يقتل جميع اليهود من عمر هذا الرجل •

هرقل : لا اشعر بجدوى ذلك كله •

الحارس : رسول ملك غسان بالباب ياصاحب الجلالة ، يقول انه جاء يحدثكم باخبار محمد •

هرقل : اساله اولا •• هل يختتن العرب ؟ ••

الحارس : امر مولاى •

ابن الناظور : هون عليك يامل الروم

هرقل : ليس هذا بالامر السهل يا ابن الناظور •

الحارس : يقول يامولاى ان العرب يختتنون •• والرجل مختتن •

هرقل : الم اقل لك يا ابن الناظور •• لقد بدات سيادة العرب بظهور هذا الرجل •• (لنفسه) انها النهاية يا هرقل ! ••

ابن الناظور . الا تكتب لصاحبك فى رومية تسائله عن اخبار هذا الرجل ؟ ••

هرقل : لقد صنعت • واننى راحل اليوم الى حمص ، فاصلها غدا •

* * *

وفى القصر الريفى لهرقل بضواحى حمص ، يعقد المجلس من البطانة وعظماء الروم ، ويدخل عامل البريد يحمل رسالة الى الامبراطور ، انها من زميله فى علم النجوم ويفض هرقل الرسالة متلهفا ، ثم يقرأ :

(اننى اوافق صاحب الجلالة هرقل ملك الروم على رايه فى ان هذا الرجل الذى ظهر بمكة هو نبى ورسول حقا) ••

(يهب هرقل واقفا ، ويصيح ايها الحراس اغلقوا كل ابواب القصر • اما انتم معشر الروم ، فهل لكم فى الفلاح والرشد ؟ •• هل تريدون تثبيت ملككم ؟ بايعوا معى هذا النبى •

(صخب وضجيج فى المجلس ، ويريد كل المجتمعين مغادرة القصر ، فلا يجدون المنفذ • وبداوا يحطمون الابواب المغلقة ، فدعاهم هرقل اليه :

هرقل : اسمعوا يامعشر الروم •• لقد قلت ما قلت لاختبركم ، واختبر ايمانكم بينكم •• وقد نجحتم •• وقد رايت •

(الجميع يسجدون لهرقل الامبراطور الملك المعبود) •

هرقل : (يبكى منفعلا) بوركت شعب الروم ! •• بوركت شعبى الروم !

* * *

وحملت الانباء بعد ذلك الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان هرقل يقول عن نفسه انه مسلم •

فاجاب من لاينطق عن الهوى بقوله : (انه على دين ملته)

آداب محمدية

الأستاذ الرفاعي الباز

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه »

أخي القارئ :

الاسلام دين يعتمد في مضمونه العام على اصلاح القلب وطهارته ونظافة اللسان وعدم تحركه الا بما يعود على صاحبه وعلى المجتمع بالخير والرفاهية. فهو لذلك يبذل جهودا ضخمة في سبيل استقامة اللسان وصيانته من التبذل والثرثرة . يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .

فصلاح الاعمال أو فسادها وقوة الأيمان أو ضعفه وسداد الرأى أو خطله وعمق التفكير أو ضحولته كل ذلك مخبوء وراء أحجبة لا يهتكها الا اللسان ولا يكشف سرها ويذيع خبرها سوى المنطق والبيان . فاللسان أداة التعبير عما تكنه النفس وما يحويه الفؤاد فهو ترجمان خيرها وشرها وتقواها وفجورها . لذلك كان حسن اللسان عنوان قوة الايمان وطهارة القلب وكان اعتدال المنطق وصدقه واخلاصه دليل صفاء القلب ونورانية النفس وشفافية الروح وحسن التفكير فلا يتعقد المنطق الا من تعقد النفس وظلمة القلب وفساد النية وخبث الطوية واعتلال اللسان دليل على اعتلال القلب وفساد اللسان دليل على ضعف الأيمان . لذلك نرى الاسلام يهتم اهتماما بالغا بتقويم اللسان وتهذيبه لان الأهتمام باللسان والعناية به هو اهتمام بحفظ كيان الانسان واسعاده واصلاح دنياه وآخرته فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه اذا صلح القلب صلح الجسم كله واذا استقام اللسان استقامت أمور الحياة كلها ولا يمكن أن تحسن علاقة الانسان بأخيه الانسان ولا أن ينخرط في سلك الحياة والمجتمع الا اذا كان محببا سهلا صادقا وفيا محافظا على لسانه من الزلل والخطأ فانه لا يولدالاحقاد ويسبب والمداوات ويشعل نار البغضاء بين الناس الا حين يفقدون السيطرة على ألسنتهم ولا يقدرون للكلام قدره ويطلقون لالسنتهم الحبل على الغارب حتى يكبهم في النار رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال « وهل يكب الناس في النار على وجو
حصائد السنتهم » فالكلمة حين
بها اللسان من غير تفكير ووعى
ربما أكسبته شقاء وكدرا في دن
وآخرته وجرت عليه من المتاعب
والمشاكل ما لا يقدر على تحمله
قالوا « البلاء موكل بالمنطق » و
شبه الامام على ـ رضى الله تعالى
ضعاف الأيمان الذين لا ينطقـ
بالباطل والبهتان وقول الزور
اتخذوا الشيطان قائدا لهم حتى
عليهم أنفسهم وتلبس بقلوبهم و
فلا يفكرون الا في الشر ولا ينطق
بالزلل والباطل فيقول في حقهـ
« اتخذوا الشيطان لامرهم
واتخذهم له اشراكا فباض و
صدورهم ودب ودرج في حجورهم
بأعينهم ونطق بألسنتهم فركب
الزلل وزين لهم الخطل فعل من
شركه الشيطان في سلطانه ونطق با
على لسانه »

ومن هنا نظر الأسلام الى الذى
لسانه نظرة مزرية وعده من أهل
وان صلى وصام وحج وتعبد وتهجـ
وقام قانتا بالعشى والابكار قال

صحابة لرسول الله صلى الله عليه سلم ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها سيامها وقيامها ولكنها سيئة الخلق ذى جيرانها بلسانها فقال رسول له صلى الله عليه وسلم « لا خير يها ولا فى صلاتها هى من أهل النار » ل يفهم الذين لا يزنون منطقا يصدر نهم بميزان الحكمة والعقل ولا حملون حديثا يخرج منهم بتحلية الأدب جمال الصدق أن منطق الدين يمقتهم شد مقت بل ويصفهم بالخيانة حين طلقون لالسنتهم العنان ويلبسون لحق بالباطل ويوهمون مستمعيهم أن ا ينطقون به حقا وصدقا » قال رسول لله صلى الله عليه وسلم « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت به كاذب » .

ان الاسلام يحث على تحرى الصدق وصدق الوعد ليكون ذلك دليلا على سلامة اللسان وطهارة القلب وصدق الايمان بل انه يسجل بأحرف من نور خالدة ما دامت السموات والارض لهؤلاء الذين لا ينطقون الا بالصدق ولا يتحدثون الا بالخير يسجل لهم القرآن الكريم صدق لسانهم ووفائهم بوعدهم وتحريهم الصدق فى حديثهم فيقول « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه ويأمرهم بتحرى الصدق فى القول فيقول « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يدعو الى الفجور وان الفجور يدعو الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

ولقد سأله عقبة بن عامر – رضى الله عنه – عن النجاة فأجابه صلى الله عليه وسلم « امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » .

وفى الحديث الشريف « ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشىء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وان لسان المنافق أمام قلبه فاذا هم بشىء أمضاه بلسانه ولم يتدبره قلبه » وهناك أنماط أخرى من الناس مرنوا على نوع من المنطق معسول وتعودوا على نوع من الكلام خادع واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم حديثهم جذاب وكلامهم سائغ خلاب ووراء ذلك قلوب قاسية لا تعرف الخشية ولا المراقبة نفوس عاتية ونيات خبيثة ضربت عليها الظلمة وصاحبها المكر والخداع ومازجها التعقد والالتواء « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » وما أفسد الاوضاع وبدل النظام فوضى والعدل جورا وأحل الخصام محل الوئام والعداوة والبغضاء مكان الحب والوفاء ونقل الكفاية الا ما تعتاده بعض الألسنة من ألوان الملق وأنواع الرياء وقدرتها على اضمار البغض والحب ونسج حلل الثناء مما يخترعه الوهم ويزينه الخيال ويغتر ضعاف العقول بما يسمعون فيظنون به الصدق ويتوهمون فيه الاخلاص حتى تكشف لهم الايام عما يستقر فى اطواء النفوس من خداع ويكمن فى أعماق القلوب من نفاق ووراء الا ليت شعرى هل يفهم هؤلاء الخادعون انهم يسيئون الى أنفسهم والى الناس جميع ابشع اساءة والا يعلمون أن اللسان اذا اعتاد السوء وألف المنكر ومرن على الاباحة والتحلل اندفع فى كل تيار وجرى فى كل مجال وألف أشد الالفة أن يستغل كل سر مكنون وينشر كل خبر مدفون يكشف العورات ويذيع السوءات ويبتكر عن الناس من المساوىء ما يجعله مادة للحديث ويجعل من الشائعات المضللة والأهواء الفاسدة أداة تسلية وترفيه من غير ابقاء على دين ولا احترام لخلق أو قوانين ، ورحم الله أبا بكر – رضى الله عنه – حينما كان يمسك لسانه ويقول « هذا أوردنى الموارد » وكان المصطفى – صلى الله عليه وسلم – يقول « لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » وكان يقول « ان أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه » ان المؤمن سمح النفس طاهر القلب صادق اللسان مهذب الكلام عذب اللسان ليس بفاش ولا نمام يقول بعد أن يفكر وينطق بعد أن يتدبر ولا يشارك فيما لا يعنيه ممتثلا قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقول الله سبحانه وتعالى « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » ندعو الله أن يطهر قلوبنا ونفوسنا وان نكون من الذين قال الله فيهم « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

اعرف عدوك

الكيبوتز
أو
المزارع الجماعية في اسرائيل

الاستاذ اسماعيل السوسي

ان من أهم عوامل الانتصار هو معرفة العدو الصهيونى معرفة عامية دقيقة وكذاالولوج الى عقل العدو ونظامه ، الى فكره وتنظيمه ، الى تاريخه وحاضره ، الى أسس وجوده وأسباب استمراره وملامح غده الى منابع قوته ومواطن ضعفه .. يدخل فى باب حوافز الاسراع فى الاستعداد الجدى من أجل تحرير فلسطين وكذا الارتفاع الى مصاف التحدى الكبير لمساندة الاستعمار لاسرائيل .

لذلك كانت دراسة التنظيم الزراعى فى اسرائيل لاتقل أهمية عن دراسة التنظيم العسكرى بل أن دراسة الكيبوتز هى دراسة للناحيتين العسكرية والزراعية والدور الذى لعبه هذا التنظيم فى الماضى والوقوف على التحصينات فى الارض المحتلة فى الحاضر .

يرتبط نشوء المستعمرات الزراعية الجماعية فى فلسطين بالعقيدة الصهيونية من حيث الاهداف والافكار التى ظهرت فى المؤتمر الصهيونى الاول سنة ١٨٩٧ بما يعرف ببرنامج ـ بال « ان غاية الصهيونية هى خلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يضمنه القانون العام ان المؤتمر يرى فى الوسائل التالية الطريق الى تحقيق هذه الغاية » .

١ ـ العمل على استعمار
طين بواسطة العمال
راعيين والصناعيين اليهود
، مناسبة .

٢ ـ تنظيم اليهودية العالمية
بطها بواسطة المنظمات المحلية
دولية .

٣ ـ انشاء المصرف اليهودى
ستعمرات لشراء الاراضى ـ
جنة الاستعمار والصندوق
نومى اليهودى .

وأخذت الحركة الصهيونية
فذ المخطط الجديد وباخص
د وفاة هرتزل أبو الصهيونية
ن بعد ١٩٠٤ لاستعمار فلسطين
لعمال الزراعيين والصناعيين
شجعت الهجرة اليهودية الى
لسطين وقدمت التسهيلات
.وفرت السبل لبناء
لستعمرات فكانت نتيجة زيادة
لهجرة اليهودية الهادفة الى
فلسطين وهى الحركة التى
تعرف عالميا « بالهجرة الثانية»
Secand Aliya وكان أعضاءها من
« حركة الشباب »
Gowth mavement
الصهيونية فى أوروبا الشرقية
العاملين من أجل « استعادة
أرض اسرائيل » وعودة شعب
اسرائيل الى أرضه » . ولما كان
من المعروف عن اليهود أنهم
كانوا يقومون بأعمال الصيرفة
والتجارة والوساطة وانهم نشأوا
فى مجتمعات تحتقر العمال
والعمل .. لذلك تأثر هؤلاء
الرواد بالحياة اليهودية فى
أوروبا الشرقية فحملوا معهم
عقدها وردود فعلها ويرفضون
حياة اليهود فى المنفى Diaspara
أى خارج فلسطين «أرض الأجداد
والميعاد » ولا سبيل الى ذلك
الا عن طريق العمل اليدوى
والجسدى فى تلك الارض
وربط اليهود ربطا مصيريا .
ولقد كان رائدهم الاول والاكبر
هو : أ . د غوريون صاحب
فلسفة « دين العمل » . حيث
قال « ان العمل ليس مجرد
العامل الذى يحدد علاقة
الانسان بالارض وحقه فيها
وحسب ، بل أنه القوة الرئيسية
فى بناء حضارة قومية أيضا .
ان العمل هو المثل الانسانى
الاعلى للمستقبل . المثل الاعلى
يشبه الشمس الشافية . اننا
بحاجة الى متعصبين للعمل
متزمتين له بأعلى معانى الكلمة»
بيلفورد سبيرو نيويورك ١٩٦٤
ص ١٢ . شكون بوكس .

لذلك أطلق على بن جويون
أنه المنفذ للسياسة المرسومة
فى مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ فلكى
يعيش الشعب اليهودى عيشة
طبيعية فى بلده الطبيعى يجب
أن يمارس الحياة الطبيعية
وهى العمل اليدوى والجسدى
وهى الزراعة التى تقيم الرابطة
بين الانسان والارض وهذا
العمل والارتباط هو الذى
يعطى الانسان أحقية فى الادعاء
بأن الارض أرضه ! !

هذه الثورة وهذه
الاستراتيجية وهذا الدين
الجديد « دين العمل » هو
الذى دعا بن جوريون الى
الدعوة الى طرد العمال
الزراعيين العرب واحتقار أى
مهنة خلاف العمل اليدوى
كالتدريس والثقافة .. الخ .
ومن هنا ترى صورة حية لمثالية
استقدام أعداد كبيرة من
المهاجرين واستيعابهم وربطهم
بالارض ربطا محكما مصيريا
والتنظيميات العسكرية
والعمالية الصهيونية واجلاء
العرب بالقوة عن أرضهم .
وترى صورة حقيقية عن نشأة
ـ الكيبوتز ـ واطارها العقائدى
والمناخ الفكرى للرواد سواء فى
محاضرات بن جوريون التى
القاها من خمسين سنة أو فى
مذكراته التى نشرها مؤخرا .
لقد قال :

« ان الوطن لايعطى ولايهدى
لن يكون لنا وطن مهما وافق
الاتراك أو الانجليز أو مؤتمر
الصلح انما حين نبنيه نحن
اليهود فان عرق الجبين هو
الذى يصنع الوطن القومى .

ـ المصدر نفسه ـ » .

وبدات الصهيونية العالمية
تنشأ معسكرات الانتقال
للتدريب على الزراعة ثم نقلهم
الى الاراضى التى اشتراها
الصندوق القومى اليهودى
ولقد قال دافيد بن جوريون فى
كتاب « بن جوريون يتطلع الى
الوراء » ص ٢٦ ، ٢٧ .

« لندن » كانت فكرة جماعة الرواد « غزو العمل » تقضى بأن تعمل الجماعة على تحضير الارض للاستيطان الدائم والانتقال ، بعد ذلك الى قطعة أخرى من الارض لاستصلاحها وتحضيرها للسكن الدائم . كانت مهمتنا هى خلق امكانيات للعمل لاكبر عدد ممكن من اليهود وكان الحرس من الشركس ثم استغنى عنهم وكونوا منظمة الحراس اليهود هاشومير Haehamer وهى المنظمة التى تحولت بعد الحرب العالمية الاولى الى الهجانا الجيش السرى للحركة الصهيونية .

وهكذا تكونت المستعمرات الجماعية « الكوبوتيزم » جمع « كوبوتز » من المقاتلين والبنائين تعمل من أجل تحقيق أهداف الصهيونية فى الاستيلاء على فلسطين عن طريق غزو الارض **وبناء الحصون البشرية والعسكرية فى النقاط الاستراتيجية وتكاد تكون مستقلة عن الدولة فى أول الامر بامكانياتها العسكرية والتموينية .**

أما منطلقاتها النظرية والفكرية فتستند الى العنصرية الصهيونية والتعصب ومنع وجود غير اليهود فى المستعمرات ومقاطعة الايدى العربية العاملة واضطهاد الآخرين وبناء دولة أشبه بالمعسكر منها بأى شىء آخر .

ان الحياة فى الكيوبوتز صعبة وفيها كثير من ملامح التقشف وليس من السهل تحمل نظامها وصرامتها اذا لم يكن العضو فيها صهيونيا متحمسا مندفعا .

وكلمة كيوبوتز تعنى فى اللغة العبرية « جماعة » ، ومؤنثها « كفوتزا » وتستعمل للتقلل أى للجماعات الصغيرة وقد تطور معنى كلمة كيبوتز **فأصبحت ترمز الى جماعة من الناس يعيشون ويعملون سويا فى مزرعة جماعية** ويتراوح عدد سكان الكيبوتزات القائمة فى الارض المحتلة بين ٢٠ و ١٥٠٠ نسمة ، اما الكفوتزا فترمز الى مزرعة أو مستعمرة يقل عدد العاملين فيها عن ٣٠ شخصا .

والواقع هو أن « كيبوتز » تعتبر مؤسسة زراعية هامة اذ أن احصاءات عام ١٩٥٩ ، تشير الى أنه من أصل ٢٣٨ قرية زراعية فى اسرائيل يوجد ٥٩٢ قرية تعاونية أو جماعية منها ٢٢٨ « كيبوتز » بها ١٨٨ الف نسمة درابكين ص ٩ تتوزع بقية سكان الريف فى اسرائيل على التعاونيات المختلفة « الموشافيم ١٢١ ألف نسمة والتى ذات الملكية الخاصة ١١٠ ألف والمدارس الزراعية ٨٥٠٠ نسمة والقرى العربية ٧١ ألف نسمة .

ولدراسة الحياة فى الكيبوتز والاطار العسكرى الذى يسيطر على هذه الحياة يجب أن نعرف أولا أن سكان الكيبوتز هم خليط من اليهود الذين جاءو من أوروبا الشرقية والذين تلقوا التوجيه والتدريب على حياة الكيبوتز قبل مجيئهم الى فلسطين من أوروبا الوسطى والغربية « أثر الاضطهاد النازى » ومن « الصبرا » أى أبناء المهاجرين المولودين فى فلسطين من أعضاء حركة الكيبوتز الى المدن .

تمتاز ظروف المعيشة فى الكيبوتز بالتقشف وفقدان الحياة الخاصة فسكان الكيبوتز ـ يقطنون البيوت الصغيرة القريبة من بعضها . فالشقة الواحدة تتكون من أربع وحدات سكنية وتحتوى كل وحدة على غرفة واحدة تسكنها عائلة أى رجل وامرأة ـ اما الاطفال فيربون فى بيوت الاطفال ـ وفى بعض الحالات يوجد رواق يستعمل كحجرة ثانية فى الصيف . اما الحمام والمنافع والمطبخ وغرفة الغسيل فتعتبر خدمات ومنافع جماعية فلا يوجد حمامات خاصة مثلا بينما يتناول الجميع الطعام فى صالة الاكل العامة « المطعم فى الكيبوتز » ويتم تنظيف الثياب وكيها فى بيت الغسيل العام

للكيبوتز . ويوجد بيت للخياطة ومخزن عام ومكتبة عامة - دارين - درابكيين ص ٨٢

والعمل فى الكيبوتز اجبارى ومن هنا كان تنظيم العمل وتوزيعه اللبنة الاولية ولا مجال لمخالفة هذا التنظيم الذى يشبه التنظيم العسكرى فى صرامته .

فلا توجد ملكية بالمعنى الصحيح للكلمة اذ أن الانتاج والعمل والاستهلاك يتم أو يفترض أن يتم على أساس جماعى ويحظر القيام بنشاط فردى ولا يحتاج سكان المستعمرات الجماعية الى استعمال النقود داخل المستعمرة اذ أن حاجيات الفرد فى الكيبوتز مؤمنة بموجب مبدأ من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته « افراهام بن يوسف بنيويورك هيرتزل بريس وتوماس يوسيلوف ١٩٦٣ ص ٤٢ ، ٤٥ »

ان توزيع العمل فى الكيبوتز يعتمد على مبدأ اعتبار رغبات الفرد من العوامل التأثيرية وبالتالى فان المسئول عن العمل هو صاحب الحسم فى الموضوع وذلك حسب حاجات وظروف العمل اليومى والموسمى . وان هذا استفزاز للشعور الانسانى فى الكيبوتز وهو ظاهرة وجود عدد من الاعضاء يطلق عليهم اسم « سدة أو قلينية » وهم الذين لا عمل محدد لهم بل يقومون بالاعمال التى تسند اليهم من يوم الى آخر كتنظيف المراحيض وخلافه بلفورد اسبيروا ص ٧٥ - ٧٧ - ومشكلة المشاكل عمل المراة اذ تضطر لسبب أو لآخر مثل الحمل أو الولادة الى ترك العمل لمدة مؤقتة فيستعصى عليها العودة الى وظيفتها لسبب قيام غيرها بمهام تلك الوظيفة أثناء غيابها .

فيحضرنى هنا ما قيل على أن لفظ عائلة تعبير مجازى فى الكيبوتز وأن قادة حركة الكيبوتز ورودها كانوا يعتبرون الزواج مؤسسة برجوازية فاسدة لا يتناسب مع حياة الكيبوتز أو الفلسفة التى تنادى بها حركة الشباب الصهيونية فى أوروبا وملخص هذه النظرية أن المراة فى النظام البرجوازى مستعبدة ضعيفة ومستغلة وهى أقرب ما تكون الى كونها خادمة فى البيت لزوجها ولاولادها

لذلك فقد نادت « حركة الشباب » بضرورة مساواة المراة بالرجل فى المجتمع الجديد فى جميع الامور وبالغاء مؤسسة الزواج لانها تحول دون المساواة بين المراة والرجل وهكذا احتفظت المراة فى الكيبوتز باسمها حتى بعد معاشرتها لرجلها واعتمدت فى مكانتها الاجتماعية على سجلها لا بالاضافة الى سجله وهى تعمل عملا متسقا وتساهم فى النشاط الاقتصادى وهى صاحبة حق فى الحياة الجماعية التى يوفرها نظام الكيبوتز مما فى ذلك من المأكل والملبس والمسكن والخدمات الطبية والاجتماعية .

ولذلك فان توزيع الوظائف فى الكيبوتز ليس على الاساس الجنسى ويفتح العمل فى جميع المجالات أمام المراة ، لذلك فان المراة تكاد تكون المفصلة التى تكاد تنسف النظام من أساسه .

لقد حاولت حركة الكيبوتز القضاء على ماساة المراة من الناحية البيولوجية فحررت المراة من اعمالها البيئية فمطبخ الكيبوتز يحررها من عبء الطبخ وبيوت الاطفال تحررها من مسئولية تربية الناشئة والغرف الصغيرة تحررها من مسئولية التنظيف وكذا بيت التنظيف يحررها من غسل وكى الملابس ورغم ذلك فان المراة تعيسة فى الكيبوتز « سبيروا ص ٢٦٦ »

وتدل الاحصاءات أن ٨٨ ٪ من نساء الكيبوتز يعملن فى قطاع الخدمات ولكن العمل فى الكيبوتز بصفة عامة يستمر لاكثر من ٨ ساعات وهذا الامر أعاد المراة الى الوظائف التى كان من **المفروض أن تتحرر منها وهى المطبخ والتنظيف والغسيل وتربية الاطفال .**

ولذلك فتعتبر المرأة العمل في المطبخ أو المغسل الذى يستمر لمدة سنة دورية أو سنتين نوعا من أنواع العبودية لذلك فان عمل المرأة فى الكيبوتز أتى بنتائج عكسية .

فالمرأة العادية لا تغسل ولا تطبخ فى اليوم عشرة ساعات أو ثمانى ساعات مما أشاع عدم الحماس أو الشعوربعدم الرضى عن دورهم فى المجتمع .

هناك أيضا مشكلة استنكار المرأة لفقدانها دور الأم واعتبار فصل أطفالها عنها ضربة موجهة الى أنوثتها . وأصبح عدم وجود جو عائلى يربط بين المرأة والرجل وكذا الاولاد من المشاكل الحقيقية فى الكيبوتزات .

التعليم فى الكيبوتز :

ان سياسة الرواد لاضعاف الروابط العائلية والصلة بين الآباء والأبناء والامهات هذه الظاهرة أو السياسة أساسية للغاية فالكيبوتز يتولى مهمة اضعاف الروابط العائلية وتحويل كل ولاء الناشئة الى الحركة الصهيونية بحيث تصبح الرابطة بين الناشئة والجيش الاسرائيلى أقوى من أى رابطة أخرى . فيتربى الطفل فى بيوت الاطفال بعيدا عن أبويه ويعتمد فى معيشته وملبسه وتعليمه على الكيبوتز ـ تبدأ الخطوط الاولى بعد الولادة بأيام، فيوضع الطفل فى بيت الاطفال وتتولى الام ارضاعه عادة بينما تتولى المربيات تربيته ، وبعد بلوغ الطفل سنته الاولى ينتقل الى Taddler House حتى سن الرابعة وفى سن الرابعة ينتقل الطفل الى مدرسة الاطفال وتنتهى هذه المرحلة لدى بلوغ السابعة حيث ينتقل الاطفال الى المدرسة الابتدائية التى تكون بمثابة بيت لهم أيضا حتى سن الثانية عشرة وفى تلك المرحلة يلقن الطفل العقيدة الصهيونية وأسس الحياة فى الكيبوتز والولاء المطلق للدولة والكراهية للاعداء ويتضمن التعليم العمل اليدوى الزراعى أما المرحلة النهائية من مراحل التعليم الجماعى فهى بين الثانية عشرة والثامنة عشرة من العمر تدريب عملى زراعى ومن الملاحظ أن هذا التعليم لا يؤهل طلاب الكيبوتز للالتحاق بالجامعات بيد أن هذا النظام يؤهل الطلاب للالتحاق بالجيش الاسرائيلى لان حياتهم من الاساس تغذى فيهم روح الانضباط العسكرى والعدوان « اسبيروا ص ١٢٨ »

الكيبوتز كعامل عسكرى استراتيجى :

ان المدقق فى تاريخ تأسيس هذه المستعمرات ومكان انشائها يثبت أن لا مكان لكلمة ـ صدفة فى القاموس الصهيونى فالتخطيط الشامل والتتابع المتكامل ومركزية القيادة والتنسيق الكلى بين جميع أوجه النشاطات والمؤسسات وتنشئة الناشئة تنشئة عسكرية هو السبب الرئيسى لنجاح الحركة الصهيونية ونموها . فبدأت بتغيير الشركسى بمنظمة الحراسة من اليهود وأطلق عليهم اسم هاشومير .

تحولت فيما بعد الى الجيش السرى الصهيونى باسم (هاجانا) وغير خاف على القارىء من أين كان يأتى السلاح والتدريب لهذا الجيش فى أول الامر وتفضيل حكومة الانتداب له وكذا تسليمه معسكرات كاملة له مما أكسب الكيبوتز الاعتماد عسكريا على نفسه .

السلطة فى الكيبوتز :

يعتبر الاجتماع العام للكيبوتز الذى يضم جميع الاعضاء السلطة العليا فى المستعمرة ويأخذ شكل الاجتماع الاسبوعى وهو الذى ينتخب جميع المؤسسات مثل السكرتارية واللجنة الاقتصادية ولجنة الامن ولجنة العمل ولجنة التعليم ولجنة مساعدة اقارب الاعضاء .

وهناك السكرتير العام الكيبوتز ويدعى ـ مازكير ـ وهو مسئول عن تحضير جدول أعمال الاجتماع العام ويعمل كضابط اتصال بين الكيبوتز والاتحاد العام للكيبوتزات وتعاونه اللجان السابقة .

الحياة الاجتماعية فى الكيبوتز :

ان العمل يستهلك ساعات النهار من الفجر الى الغسق وبعد انتهاء ساعات العمل يتجه سكان الكيبوتز نحو الجماعات العامة للاغتسال ومن ثم يصرفون بعض الوقت فى رؤية أولادهم بمدارسهم أو مؤسسات التعليم الجماعى حتى وقت العشاء .

والواقع أن صالة الطعام العامة هى مركز الحياة الاجتماعية فى الكيبوتز ولاسباب ضيق الغرف كما سبق ، ان لقاء الاصدقاء أو الاقارب لا يتم الا فى صالة الطعام العامة ويستمعون الى الراديو اذ أن حيازة راديو خاص كانت جريمة

جتماعية واسراف حتى الماضي قريب أما بقية أيام الاسبوع مقسمة الي عرض أفلام سينمائية عامة واجتماعات للجان .

لذلك فالحياة الاجتماعية ضة باهتة بسبب فقدان الحياة لخاصة لذلك فان الحياة الاجتماعية انعكاسا للحياة لعسكرية التي يعيشها سكان الكيبوتز متأثرة بالتقشف والجماعية وعدم وجود عملة نقدية للتعامل بها بين الافراد .

اقتصاديات الكيبوتز وقدرتها العسكرية :

ان اقتصاديات الكيبوتز متصلة بالاهداف التي تواضعتها الحركة الصهيونية من انشاء الكيبوتزات من مواقعها الجغرافية ودمجهم بالاقتصاد مهمة أساسية وكذا خصوبة الارض وقربها من الحياة وسهولة وقصر خطوط المواصلات والاعتماد الكلي على النفس بحيث تقع المستعمرة على ربوة عالية تشرف على جميع الاراضي التي حولها وتتحكم في طرق التقدم وتكشف القوات المهاجمة لها على مسافة بعيدة وحولها اراضيها الزراعية وحدائقها الواسعة – موش كريم ص ٧

فالعامل الاقتصادى ليس العامل الوحيد الذى يتحكم فى اختيار موقع الكيبوتز بل ان العوامل الاستراتيجية والعسكرية تضفي فى معظم الاحيان على العامل الاقتصادى

ويغلب على الكيبوتز الناحية الاقتصادية طابع المزرعة الكبيرة تتراوح المساحة المزروعة منها بين الفين وعشرين الف دونم وتستخدم المستعمرات الجماعية والآلات الزراعية الحديثة وقد ساعد حجم الكيبوتز على تنويع الانتاج فيه كما تستفيد الكيبوتزات من ارتباطها بالهستدروت « الاتحاد العام للعمال » . وسنفرد له بحثا خاصا وكذا الجيش وكذا توفير الكفاءات والعناصر الشابة .

وتقوم الكيبوتز بانتاج الحبوب والخضار والفاكهة والحليب والدواجن والعلف – ويقسم العمل فى الكيبوتز الى فئتين – العمل المنتج والعمل غير المنتج أو قطاع الخدمات وتنقسم الايدى العاملة مناصفة ومن الخصائص البارزة للكيبوتز القيام بالنشاطات الصناعية بجانب النشاطات الزراعية وهى النشاطات الاساسية أو النشاطات الصناعية فهى توفر الملابس وأدوات الزراعة والمفروشات .. الخ .

تقييم الكيبوتزات :

كانت الكيبوتزات الاداة الفعالة الناجحة فى اجتذاب اليهود من خارج فلسطين وبعيدا عن المجتمعات التى اضطهدتهم ولفظتهم لسيطرتهم على موارد رزقهم واقراضهم هذه الشعوب بالربا – واستعبادهم ثقافيا وزراعيا وعقائديا كما كانت معسكرا لتدريبهم على القتال وحصنا استخدمته الصهيونية لتنفيذ خطتهم الى اقامة الدولة اليهودية فى فلسطين ففى الكيبوتز تعلم اليهود اللغة العبرية وفيه نشأت منظمة الهاشومير ثم الهاجاناه فالكيبوتز تجسيدا لروح الصهيونية فى العدوان والتزمت والتصميم على اجلاء العرب عن أرض أجدادهم ورغم ذلك فقد تجمدت حركة الكيبوتزات **بعد سنة ١٩٤٩ فأصبحت مراكز استراتيجية محصنة يغلب عليها الطابع العسكرى وتتحكم فيها قيادة الجيش الاسرائيلى ولذلك يمكن القول بأن الكيبوتز ، ازدهرت ابان فترة التخطيط لانشاء الدولة عندما كانت الجالية اليهودية تستعد لا لمواجهة العرب فحسب بل لاجلائهم عن أراضيهم أما بعد قيام الدولة اليهودية فأصبح ينظر الى سكان الكيبوتز على أنهم مزارعون خشنون تنقصهم الثقافة لذلك فقد أثر نشوء الدولة على الكيبوتز تأثيرا عكسيا ومهما يكن فان الفضل للكيبوتز فى أنها بنت العقيدة الصهيونية العنصرية وأنها استخدمت كأداة فى زرع الاستعمار الصهيونى فى فلسطين فاقامت فوق أرضه العربية بأموال أمريكية وسفكت دم الفلاح العربى فى سباق محاولة اقتلاعه من أرضه .**

انها تمارس التمييز العنصرى لا ضد العرب فحسب بل ضد اليهود الشرقيين والغربيين وانها كانت مخلب القط فى اجلاء العرب من فلسطين عن أراضيهم وزرع دولة غاصبة متحالفة مع الامبريالية والاستعمار العالمى .

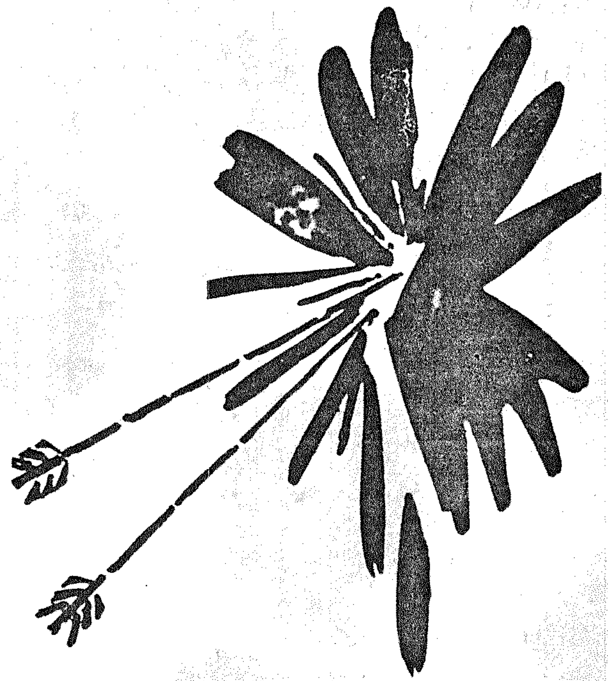

استشهاد أسد الله في شعر الالياذة الاسلامية

الأستاذ علي الجمبلاطي

لقد وقف المغفور له (**أحمد محرم**) **حياته وفنه للاسلام والعروبة وخلف تراثا ضخما ما بين مخطوط ومطبوع** وظل يقول الشعر الى عام ١٩٤٥ حين اختاره الله الى جواره الكريم وقصائده فى المناسبات الدينية كثيرة فقد كانت روحه الاسلامية العالية تمده بفيض زاخر من العواطف الاسلامية فينطلق فى قوة وطول نفس حتى لقب (شاعر الاسلام) لأنه استطاع بمواهبه ان ينصف روح الاسلام وسيرته ويسجل حروبه وسيرة نبيه وأبطاله فى ديوان شعر سماه (ديوان مجد الاسلام) وأودعه أكثر من خمسة آلاف ومائتى بيت من الشعر فى أربعة أجزاء ، وقد أطلق كثير من الكتاب على هذا الديوان **(الالياذة الاسلامية) فهى جانب من شعره الاسلامى ينهض بعبء من أعباء الرسالة التى حشد** لها قواه وهى بناء شامخ وخلاصة نقية للتاريخ الاسلامى فى قالب شعرى قوى التعبير .

وقد اخترنا موضوع مقالنا (استشهاد أسد الله) نموذجا للتاريخ الاسلامى الذى حشد له شاعرنا طاقاته الفنية واستشهاد (حمزة بن عبد المطلب) عم النبى صلى الله عليه وسلم يستوجب أن نقدم بما يرهص له من أن (حمزة رضى الله عنه) كان بطل (موقعة بدر) روع المشركين بنجدته وأوقع الرعب

فى صناديد قريش حتى قال عنه أمية بن خلف (ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل) وعادت قريش من يوم (بدر) بالخزى والعار ومناديهم ينادى : (**لقد أذل حمزة بن عبد المطلب شرفكم ووضع من قدركم وجعلكم الأذلة المستعبدين فى الأرض ، مات بيديه صفوة رجالكم وأصحاب الصدارة فى منتدياتكم فيالثارات قريش ويا للاحقاد الكامنة**)

وجعلت قريش تستعد ليوم تبلغ فيه ثأرها وكانت (هند بنت عتبة) أشد نساء قريش دعوة لهذا الثأر اذ لقى أبوها وأخواها مصارعهم فى (بدر) وكان حقدها مؤججا على (حمزة) قاتل اخويها فلو قال قائل : ان نصف من **خرج من المشركين كان يطلب ثأرا عند هذا البطل ما بالغ ولذا أحاطت به الارصاد من كل ناحية**

ثم كان (يوم أحد) (جبل مشهور بالمدينة) فى شوال سنة ثلاث هجرية وكان أبو سفيان بن حرب قائد المشركين وكان (حمزة) سيفا من سيوف الله لا يلقى مشركا الا صرعه حتى قال عنه (سعد بن أبى وقاص) (**كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين ويقول : أنا أسد الله**) وكان جبير بن مطعم قد دعا غلامه الحبشى (وحشيا) — وكان عبدا بجيد رمى الحربة الطويلة قلما يخطىء بها شأن الأحباش — وقال له : أخرج مع الناس فان أنت قتلت (حمزة) عم محمد بعمى (طعيمة بن عدى) فأنت حر لأن حمزة هو قاتل طعيمة يوم بدر وخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها ومن والاها من بنى كنانة وأهل تهامة ومعهم النساء — التماس الحفيظة وألا يفروا — وكانت (هند بنت عتبة) التى خرجت مع زوجها أبى سفيان ابن حرب كلما مرت بالعبد الحبشى (وحشى) أو مر بها قالت له (ويها أبا دسمة أشف واشتف) تحرضه على قتل (حمزة) لأن قريشا بجمعها عرفوا أنهم لن ينالوا منه منالا اذا ما واجهوه فى قتال اذن فليقتلوه غيلة .

ولم يكد (حمزة) يفرغ من سباع بن عبد العزى حتى أمكنت العبد الحبشى الفرصة لتصويب حربته نحوه ، وفى ذلك يقول (وحشى) فى مقتل (حمزة) والله انى لأنظر الى (حمزة) يهد الناس بسيفه ثاير الرأس ما يلقى شيئا يمر به مثل الجمل الأورق ، اذ قد تقدمنى اليه (سباع وهو يقول الا من مبارز فقال له حمزة (هلم يابن ..) وكانت أم سباع هذه ختانة بمكة ثم ضربه ضربة هائلة قتلته وكنت كامنا تحت صخرة لا يرانى (حمزة) وهززت حربتى حتى اذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت فى ثنيته (أسفل البطن) حتى خرجت من بين رجليه فنهض متثاقلا نحوى فغلب فوقع وتركته واباها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت الى المعسكر فقعدت فيه ولم يكن لى بغير (حمزة حاجة) وكان ذلك آخر العهد به اذأن الحربة كانت قد تمكنت منه وسال دمه فلم يلبث أن تعثر ووقع على الارض وأسلم روحه الطاهرة وانجلت المعركة عن هزيمة المسلمين وقد أنزل الله جل شأنه فى هذه العزوة من القرآن الكريم — ستين اية من سورة (آل عمران) وفى ذلك يقول شاعرنا (أحمد محرم) :

(أسد الله) رماه ثعلب
ياله من حادث ما أبدعا
أخذته عثرة مزءورة
ضجت الدنيا لها تدعو لعا
زالت الدرع ففشى بطنه
دافق من دمه فادرعا
حربة ظمأى أصابت مشرعا
كان من خير وبر مترعا

وخرجت (هند بنت عتبة) تبحث عن قاتل أخويها حتى اذا عثرت على جثمان (حمزة) الطاهر مثلت به شر تمثيل وذلك حين أقبلت مع النسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله عليه السلام يقطعن الآذان والأنوف حتى اتخذت (هند) من آذان الرجال وأنوفهم خلاخل وقلائد وأعطت هند خلاخلها وقلائدها وقرطها (وحشيا) غلام جبير بن مطعم لأنه الذى قتل (حمزة) رضى

الله عنه • ثم بقرت عن كبد (سيد الشهداء) فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها تقول :

نحن جزيناكم بيوم (بدر)
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن (عتبة) لى من صبر
ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى
شفيت (وحشى) غليل صدرى
فشكر (وحشى) على عمرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى

وكانت (هند) قد نذرت أن تمثل بحمزة رضى الله عنه وأن تشتفى من سخيمتها بأكل كبده اذا قتل وأمكنها الله منه فلما أتاح لها (وحشى) هذا قامت بهذه الوحشية البغيضة وفاء بنذرها وتخفيفا لسعار الحزن فى فؤادها وعادت تقول :

شفيت من (حمزة) نفسى (بأحد)
حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد
من لذعة الحزن الشديد المعتمد

وفى ذلك يقول شاعر الاسلام فى الياذته :

يا رسول الله — هذا (حمزة)
أترى عيناك منه المصرعا
انه عمك الا اذنا
قطعت منه وأنفا جدعا
انه عمك فانظر بطنه
كيف شقوه وعاثوا فى المعى ؟
كبد الفارس ماذا فعلت أين
طاحت ؟ من قضى أن تنزعا ؟
نذر (هند) هى لولا أنها
لم تسغها أكلتها أجمعا
طفقت تمضغ من أفلاذها
علقما مرا وسما منقعا
كلما همت بها تدفعها
ملء شدقيها أبت أن تدفعا
نذرت يوم أبيها نذرها
علها تشفى الفؤاد الموجعا
جاء (وحشى) فضجت فرحا
ويك ان الأرض ضجت فزعا
تبذلين الحلى والمال على
أن جناه جاهليا مفظعا
يا له يا هند جرحا داميا
ضاق عنه الصبر مما اتسعا
أفما أبصرت ركنى (أحد)
حين سال الجرح كيف انصدعا

وها هو ذا (أبو سفيان بن حرب) قد وقف يضرب فى شدق (حمزة بن عبد المطلب) رمحه ويقول (ذق عقق) أى يا عاق .. وكان الحليس بن زبان أخو بنى الحارث بن عبد مناة وهو يومئذ سيد كنانة — يمر فى طريقه فرأى أبا سفيان يمثل هكذا بجثمان حمزة فقال : يابنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما (ميتا لا يقدر على الانتصار) فيتجسم العار لأبى سفيان فيقول له (ويحك . اكتمها عنى .. فانها كانت زلة) وفى ذلك يقول شاعر الالياذة (أحمد محرم) .

وأبو سفيان ماذا هاجه ؟
أفما يزمع أن يرتدعا ؟
غره فى يومه ما غره
ان عند الغد سرا مودعا
يطعن الليث ويفرى شدقه
حين ألقى جنبه فاضطجعا

وقد خرج الرسول عليه الصلاة والسلام يلتمس عمه الشهيد فوجده ببطن الوادى على هذه الصورة المحزنة رأى رسول الله (عمه ووزيره) قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه وأذناه وقد كانت عليه (نمرة) اذا رفعت الى رأسه بدت قدماه فغطوا قدميه بشىء من الشجر فقال عليه السلام (**لولا أن تحزن (صفية) وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم**) • فلما رأى المسلمون عميق حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ غيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : (**لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب**) وبلغ الحزن برسول الله على عمه مداه فقال فى أسى بالغ (**لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت موقفا قط أغيظ الى من هذا**) ثم يعود فيقول (**جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله**) • ولقد علم الله

حانه مدى ماكان عليه الرسول ريم من الألم القاهر وهذا هو حفزه الى الرغبة فى المثلة يش وسايره أصحابه فى ذلك حى جل شأنه الى رسوله يه السلام قوله تعالى **(وان قبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم ولئن صبرتم لهو خير صابرين)** فعفا رسول الله صلى له عليه وسلم وصبر ونهى عن شلة ولم ينته النبى عليه صلوات الله وسلامه من موقفه ذا حتى أقبلت (صفية بنت بد المطلب) لتنظر الى (حمزة ضى الله عنه) وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله عليه السلام لابنها (الزبير بن العوام) **القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها فقال لها الزبير : يا أمهاه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى** قالت : **ولم وقد بلغنى أن قد مثل بأخى وذلك فى الله فما أرضانا بما كان من ذلك .. ؟ لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله** فلما جاء الزبير الى رسول الله عليه السلام فأخبره بذلك قال **(خل سبيلها)** فأتت (حمزة) فنظرت اليه فصلت عليه واسترجعت قائلة **(انا لله وانا اليه راجعون)** واستغفرت له ثم أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام (بحمزة) فغطى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات وكان يؤتى بالقتلى فيوضعون الى (حمزة) فيصلى عليهم وعليه معهم ثم يرفعون ويترك (حمزة) ثم يجاء بغيرهم فيكبر عليهم سبعا - حتى صلى عليه رسول الله يومئذ سبعين صلاة ثم أمر الرسول عليه السلام بدفنه مع ابن أخته (عبد الله بن جحش) الشهيد الذى مثل به كما مثل (بحمزة) الا انه لم يبقر عن كبده وفى عالم لا ينتهى اجتمع الأحبة الذين عرفوا الحب تضحية وفداء لله ورسوله فكانوا فى الأرض الأوفياء المجاهدين وكانوا فى الآخرة الشهداء الخالدين وفى ذلك يقول شاعرنا صاحب ديوان (مجد الاسلام) :

جزع الهادى لها نازلة
جللت عليا قريش جزعا
ثلمة هدت من الكفر حمى
زعم الكفار أن لن يفرعا
بورك المضجع والقوم الألى
وسدوا فيه الشهيد الأروعا
يا لريب الدهر ما أفدحه
حادثا نكرا ورزءا مفجعا
اذكروا يا قوم من أمجادكم
ما نسيتم رب ذكر نفعا

هذا هو (حمزة) البطل الباسل الذى وقف وكان صائما يوم الجمعة ثم قال لرسول الله **(والذى أنزل عليك الكتاب لأطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى)** وخرج حمزة يوم السبت صائما ومات وهو صائم وكان قد خرج الى (يوم احد) ليعقد للاسلام مجدا جديدا ولكن الموت كان فى آثاره ورفعته الملائكة الى السماء صائما عن الدنيا كلها - اجل رفعت الملائكة (حمزة) الى السماء وانتهت صولة الأسد تلك الأصوات التى كان يلقيها مملوءة بآيات التوحيد فتفزع امامه الجماجم وتنهار امام عينيه حجب الزمان والمكان .. وأخيرا وقف المسلمون يبكونه أعظم البكاء وهذا شاعرنا شاعر الاسلام والعروبة يفتتح قصيدته فى مقتل (حمزة) فيقول :

صاحب السيفين ماذا صنعا
ودع الصفين والدنيا معا
غاب عن أصحابه ما علموا
أى دار حل لما ودعا
غاب عن أعينهم فى غمرة
سد غول الهول منه المطلعا
طلبوه وتنادى جمعهم
نكبة حلت وخطب وقعا

وأخيرا فذلكم هو البطل الشهيد الذى عاش لايمانه وفى سبيله مات ولم يعرف الحياة منذ أسلم الا مهاجرا أو مجاهدا أو فاديا ولم يمهله الله حتى يرى عزة الاسلام بعد الفتح الأكبر وحتى تقر عينه وهو يرى ألوية التوحيد الحق ترفرف على الجحافل الماضية لفتح الدنيا بل لم يمهله القدر الملاحق حتى يطرب لأناشيد القوة والنصر التى تفجرت من ينبوع هذا الدين فكانت له السيادة .

لقد ادخر الله له كريم المثوبة فى الجنة التى جعلها مثوى لأكرم شهداء المسلمين .

لمحات حول مغزى الجهاد

فضيلة الشيخ محمد وهبي

روى مسلم وأبو داوود والنسائى ، عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :

« من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على شعبة من نفاق » .

هكذا يكون توجيه الأمة الى هدفها ، وعزتها ، وحفز همة الأفراد الى حياتهم الكريمة وتربية نفوسهم على الشجاعة والاقدام .

نظر الرسول – صلى الله عليه وسلم – نظرة بعيدة عالية فحث جميع الأفراد من يريد منهم الحياة الكريمة والعيشة العزيزة أن يكون مجاهدا ان استطاع ، أو تواقا للجهاد ان لم يستطع .

أما كيف يكون كل الأفراد مجاهدين ، وكل واحد له عمل فى ميدان الجهاد ، وكيف يكون لكل فرد من هؤلاء اجر المجاهد ، وشرف المناضل ، فهذا من عجائب تربية الاسلام وتعاليم نبى الاسلام – صلى الله عليه وسلم – وقيادته الحكيمة الرشيدة – واليك البيان :

واستمع للرسول العظيم فى هذا الحديث الذى فى صدر المقال .

« ومن» على عمومها وشمولها وحقيقتها – حتى انها تشمل كل قادر على أى عمل من أعمال الحياة المنتجة النافعة التى بها يسمى الانسان انسانا ، والتى بها يؤدى كل حى رسالته التى خلق من أجلها – فالحياة بدون عمل هى الموت والموت لا عمل معه – ونظرة فاحصة تجعلك تفهم أن كل فرد من الأفراد يجب أن يقف فى خط الدفاع المناسب له ولامكانياته واستعداده فهناك خط دفاع أول يقف فيه من يستطيع حمل السلاح بكل ما يتطلبه من علم وتعليم – ومن ورائه خط آخر ، يقف فيه من يمد الخط الاول بما يحتاج اليه من مدد مادى وروحى ومعنوى .

فالناس الذين يؤدون أعمالهم باخلاص غزاة بالمعنى الحقيقى ومجاهدون بالمعنى الشرعى ماداموا يقصدون هذا المعنى الكريم من النهوض بالوطن ودفعه الى النصر ومعاونة بعضهم بعضا من أجل العزة والكرامة التى تسعد بها الامة وتحيا حياة كريمة فى الدنيا والآخرة يرضى عنها الله ورسوله ويكرمها المؤمنون العاملون .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »

ثم انظر معى نظرة ثانيـ
لترى أن (من) فى الحد
الشريف لم تترك حتى العا
عن العمل وجعلت من واجبه
يهيىء نفسه ، ويعلمها ح
الوطن وحب الجهاد فى سبـ
الوطن حتى انه يحدث نفسـ
بالغزو ان استطاع ويسـ
بها سبيل الجهاد المباشر ان زا
عنه مانع العجز – فهذا هو الذ
يحدث نفسه بالجهاد ويكو
مجاهدا ، وفى الحديث (نيـ
المرء خير من عمله) يعنى نية
الخير الذى لم يستطع مباشرته
خير له فى الثواب وفى الحيا
الدنيا والاخرة من عمل لانية
فيه لاصدق فيه

وما أحرانا فى هذه الظروف الراهنة التى تمر بها الأمة الاسلامية أن نتدبر المعانى السامية التى ذهب اليها الحديث الشريف فى ضرورة العمل الجاد والجهاد المتواصل والاستعداد التام لخوض المعركة المصيرية ضد اعداء الانسانية اعداء الدين (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) وفق الله الأمة الاسلامية الى ما فيه الخير والعزة الانسانية جمعاء ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

أضواء على شعر اقبال

الاستاذ محمود الشريف

في ٢١ ابريل ١٩٣٨ انتقل الي رحمة الله الشاعر الفيلسوف محمد اقبال وقبل أن تصعد روحه الى بارئها قال اقبال هذه الكلمات الخالدة

آية المؤمن أن يلقى الردى
باسم الثغر سرورا ورضا

وقد ولد محمد اقبال في ٢٢ فبراير ١٨٧٣م الموافق ٢٤ من ذى الحجة عام ١٢٨٩هـ في مدينة سيالكوت الهندية ، وكان والداه صالحين تقيين ومما يؤثر عن أبيه انه قال لابنه اقبال حين رآه يكثر قراءة القرآن الكريم : « ان أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك »

وقد بدأ اقبال التعليم في طفولته علي أبيه ثم أدخل مكتبا لتعليم القرآن الكريم ثم أدخل الصبي مدرسة البعثة الاسكتلندية في سيالكوت .. وامتاز اقبال أثناء الدراسة بذكائه واجتهاده ونال كثيرا من الجوائز .. وفي عام ١٨٩٥ فرغ اقبال من دراسته بهذه المدرسة وعمره حوالى ٢٢ عاما ثم انتقل بعد ذلك الي لاهور عاصمة ولاية البنجاب واحدى مدن الهند الكبرى في ذلك الوقت .. وهناك دخل اقبال كلية الحكومة ليتم تعليمه وكان موضع الاعجاب في ذكائه وعلمه وأدبه واستمر في دراسته حتى حصل على درجة الليسانس عام ١٨٩٧ ثم تابع الدراسة وحصل علي الماجستير في الفلسفة بعد ذلك .

وبعد أن فرغ اقبال من تحصيل العلم في هذه الكلية اختير لتدريس التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية في لاهور ثم قام بتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية الحكومة التى تخرج فيها ، وقد نال اقبال اعجاب تلاميذه وزملائه بسعة علمه وحسن خلقه واتجهت الابصار اليه وذاع ذكره حتى صار من أساتذة لاهور النابهين .

وقد عاش اقبال في لاهور عشر سنين منذ قدم اليها من بلده سيالكوت الى أن سافر الى أوربا بعد ذلك ، وفي لاهور دوى صوت اقبال في محافل الادب ينشد قصائده ، وحرصت الصحف على نشر شعره في ذلك الوقت .

وأول قصيدة من قصائده الرنانة التي ألقيت في جمع حاشد قصيدته التى أنشدها في الحفل السنوى لجماعة حماية الاسلام في لاهور عام ١٨٩٩ وعنوانها « أنين يتيم »

وفي هذه الفترة كتب اقبال قصائد تعرض فيها للسياسة كما ترجم في هذه المرحلة من عمره قصائد من اللغة الانجليزية ونشر أول كتاب له وهو كتاب في الاقتصاد باللغة الاردية .

وفي عام ١٩٠٥ سافر اقبال الى أوربا وعمره ٣٢ عاما ليتزود من العلم وفي بومباى ركب السفينة الى انجلترا والتحق بجامعة كمبردج ليدرس الفلسفة ونال من هذه فتعلم الالمانية في زمن قليل والتحق بجامعة ميونخ ، ثم عاد اقبال الى لندن فدرس القانون ، والتحق أيضا بمدرسة العلوم السياسية .

وكان اقبال في أوربا في ذلك الوقت كثير التحدث عن الاسلام وثقافته وحضارته وألقي محاضرات في الاسلام نشرتها الصحف الكبيرة .

وقد مكث اقبال في أوربا حوالى ثلاث سنين ، ثم عاد الى وطنه عام ١٩٠٨ ، وفي لاهور عمل بالمحاماة وداوم عليها حتىعام ١٩٣٤ أى قبل وفاته بأربع سنوات اذ اضطره المرض الي تركها .

وكان اقبال في هذه الفترة دائم الاتصال بمعاهد العلم في لاهور وغيرها وكانت الجامعات تدعوه الي زيارتها والقاء المحاضرات فيها .

وقد اشترك اقبال في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن الذى عقد هناك عام ١٩٣١ وعام ١٩٣٢ ، وكان هذا المؤتمر ينظر في وضع دستور جديد للهند وكان لاقوال اقبال وأعماله أثر واضح في أعمال هذا المؤتمر ، وقد مر اقبال في سفره بروما كما زار القاهرة وأقام بها أياما ..

واقبال هو الأب الروحى لباكستان وهو أول من دعا الى أن يكون للمسلمين وطن خاص بهم في شبه القارة الهندية ، اذ كان يرى انه من المحال أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة متعاونة .

وفي عام ١٩٣٥ توفيت زوجه فبلغ موتها من نفسه وأحزنه كثيرا واشتد عليه المرض في شهر ابريل ١٩٣٨ ، وتوفى في اليوم الحادى والعشرين من هذا الشهر عام ١٩٣٨ وعمره حوالى ٦٥ عاما .

فلسفة اقبال :

تعتبر فلسفة اقبال فلسفة أمل وعمل وجهاد واقدام ودعوة عزة وكرامة وحرية ، وقد وجه هذه الدعوة الي البشر عامة والمسلمين خاصة ولا شك أن شعره أشعل فى النفوس ثورة على الانجليز فى الهند وأمد المناضلين من أجل الحرية بالامل والعزم والاقدام . ولاشك أن روح اقبال قد أحست بالراحة والطمأنينة عندما أعلن قيام دولة باكستان فى أغسطس ١٩٤٧ بعد كفاح مرير ضد الاستعمار البريطانى فى شبه القارة الهندية .

موضوع شعر اقبال :

موضوع شعره الحياة والعالم يبين فيهما الحقائق ويكشف الاسرار ويوقظ الانسان ويدعوه الى تقوية ذاته ويناديه انه اعلى الخليقة وأن العالم كله مسخر له وأمامه فى هذه الدعوة القرآن الكريم : « ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

والآية الكريمة : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » وآيات أخرى كثيرة .

ويقول اقبال يخاطب الانسان :

ولك الوقت والتصرف فيه
ليس يا غر للنجوم غناء

ويقول :

أين منك الافلاك ؟ انك حر
وهي قهر ذهابها والاياب

— ويرى اقبال أن الجهاد فى هذا العالم لتذليل الطبيعة وتسخيرها هو قوة الذات ورقيها والانسان الحر أو المؤمن هو الذى يسخر هذه الكائنات حتى لا تكون أمامه شيئا والانسان العبد أو غير المؤمن يضل فى الكائنات ويذل لها .

— ففرق بين المؤمن والكافر — فى رأى اقبال — أن المؤمن يسخر هذا العالم ويقتحم عقباته الى مقاصده العليا لا يحار فى الكائنات ولا يضل ولا يعيا بتسخيرها ولا يذل

انما الكافر حيران
له الآفاق تيه
وأرى المؤمن كونا
تاهت الآفاق فيه

— وفرق آخر بين المؤمن والكافر — فى نظر اقبال — أن المؤمن او الحر خلاق مبتكر دائم الامل والعمل ، والكافر أو العبد عاجز لا يبتكر ولا يجدد .

— ويرى اقبال أن المؤمن معمار الخير والشر فى الدنيا والآخرة ، كما يرى أن الانسان فى هذا العالم مدرك مفكر حر ، والخلائق مسخرة مجبرة ، ويعلى اقبال قدر الانسان ويمن فداحة الاعباء التى يحتملها ويمده من القوة والامل والعزم بما يؤهله لحمل هذه الاعباء الجسام .

هذه هى أصول فلسفة اقبال : الانسان : ذاته وقوته وقدرته وحريته وجهاده ، والجماعة التي تتألف من هذا الانسان : خصائصها ومزاياها ومسيرها وغايتها وقوتها التى لا تحد ، وعزمها الذى لا يبعد عليه أمد .. كل هؤلاء موضوع شعر اقبال .. صوره وبثه فى أفكار شتى وصور مختلفة ..

وقد عاش اقبال حياته مؤمنا صادقا .. وكان يردد قبل موته أن المسلم يلقى الموت مسرورا . وقال لصديق المانى قبل وفاته بيوم « انى مسلم لا أرهب الموت .. اذا جاء الموت لقيته مبتسما » .

ومات اقبال وأسلم روحه الى بارئها وهو مبتسم .. ومضى الى جوار ربه هناك فى الفردوس والنعيم المقيم .

كتاب عمر بن الخطاب إلى : أبى موسى الأشعرى

عمر بن الخطاب : غنى عن التعريف .. فهو ثانى الخلفاء الراشدين — بعد الخليفة الأول أبى بكر الصديق ، رضى الله عنهما

وكفى عمر فخرا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال (عمر منى وأنا من عمر) وقال عليه الصلاة والسلام : (ما كان نبى الا فى أمته معلما أو معلمين ، وان يكن فى أمتى منهم احد فهو عمر بن الخطاب ، ان الحق على لسان عمر وقلبه وفى رواية أخرى (ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)

وكان الخليفة الاول ، أبو بكر الصديق رضى الله عنه يستشيره أيام خلافته ويحيل اليه الفصل فى القضايا .. ومما قاله أبو بكر عن عمر ، رضوان الله عليهما :

(ان اسلامه عز ، وهجرته فتح ، وحكمه عدل ، وقوله فصل ، وحياته نصر)

وعمر ، رضى الله عنه ، وان لم يكن الخليفة الأول الا انه يعتبر مؤسسا للدولة الاسلامية .. فالخليفة الأول ، سيدنا أبو بكر الصديق أسس الدولة

وما هو أثم من قواعد أصولية

المستشار عبد الستار آدم

الاسلامية (بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بطبيعة الحال) ولم يتسع له الأجل حتى يفرغ من عمله . فجاء بعده عمر فأتم عمله وأكمل الاساس فسيدنا عمر هو الذى دعم الدولة الاسلامية فىجميع النواحى ، فقد انشأ الحكومة ورتب لها الدواوين ونظم الامارات وجعل فى كل امارة ديوانا للخراج وللزكاة .. وكون الجيش الاسلامى ورتب له المهايا يتعاطاها الجنود شهريا .. ونظم بيت المال .

وقد قال المرحوم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى كتابه ، عبقرية عمر .

(ان أوجز ما يقال فى عمر انه وضع دستورا لكل شيء وتركه قائما على أساس لمن شاء أن يبنى عليه)

ومن آثار عمر ، رضوان الله عليه التى لاتنسى والتى يفخر بها المسلمون فى كل زمان ومكان ، انه سن للحكام والولاة والقضاة اعظم ما يسنه حاكم **من عدالة ومساواة ورحمة ويقظه ، كما انه نظم أصول القضاء فقد كان القضاء عند توليه الخلافة مجردا من النظم الوضعية الكثيرة التى نشاهدها** اليوم ، فلم يكن للقاضى كاتب ولا سجلات تسجل فيها القضايا . كما أن الاحكام لم تكن تدون لأنها كانت تنفذ عقب صدورها وكان القاضى هو المنفذ لها .. ومن ثم فلم يكن هناك قانون ينظم الاجراءات أمام المحكمة ، وهوالمسمى الآن (بقانون المرافعات) ولذلك فقد نظم عمر ، رضى الله عنه ، هده الاجراءات ، فأمر باتخاذ دور للقضاء ونظم السجلات والمكاتبات وأوضح كيفية المرافعة والمدافعة امام القضاء وكيف يكون سلوك القاضى فى كل شأن من شؤون القضاء . فكان يوجه للقضاه الكتب يبين لهم فيها ما ينبغى عليهم اتباعه فى قضائهم

ومن هذه الكتب كتابه المشهور الى ابى موسى الاشعرى ، وكان حينذاك قاضى البصرة وقد أوضح رضوان الله عليه ، فى هذا الكتاب كثيرا من نظم القضاء وأصوله واجراءاته .. وهو ، بلا شك ، يعتبر دستورا للقضاة وملجاهم الذى يسيرون على هديه فى أحكامهم .. وقد قال عنه الدكتور عطية مصطفى مشرفه فى كتابه (القضاء فى الاسلام بوجه عام) انه يعد بمثابة لائحة داخلية يعمل بها القضاة .

ولما كان هذا الكتاب يعتبر مرجعا هاما للقضاة وعلى الاخص فى قواعد الاثبات واجراءات المرافعات المنصوص عليها حاليا فى القانون المدنى وقانون المرافعات ، فانى أورد نصه أولا .. ثم أحاول ، بقدر ما استطيع بعون الله سبحانه وتعالى ، فى هذاالمقال وفى المقالات التالية بهذه المجلة الغراء باذن الله عز وجل ، أن أشرح كل فقرة من فقراته وأعلق على كل منها موضحا ما حوته من قواعد أصولية يسير القضاة على هديها حتى يومنا هذا .

أما الخطاب فنصه كالآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس (وهذا هو اسم أبى موسى الاشعرى)

سلام الله عليك

أما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك ، فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له،آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لايطمع شريف فى حيفك ، ولاييأس ضعيف من عدلك ، البينة على المدعى واليمين على من

انكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ومن ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه ، فان بينه اعطيته بحقه ، وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك هو أبلغ فى العذر وأجلى للعماء ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم لايبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجربا عليه شهادة زور أو مجلودا فى حد أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، فان الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان ، ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن أو سنه ، ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى الى احبها الى الله واشبهها بالحق اياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الخصومه (وفى رواية أخرى عند الخصوم) فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ، ويحسن به الذكر فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله فان الله تعالى لايقبل من العباد الاماكان خالصا فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته .

والسلام عليك ورحمته)

هذا هو كتاب عمر ، رضى الله عنه ، الى ابى موسى الأشعرى طبقا لأصح الروايات

واليوم أبدأ بشرح أولى فقرات هذا الكتاب موضحا ما حوته من قواعد أصولية .

وهذه الفقرة هى قوله ، رضوان الله عليه .

(القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة)

والفرض المحكم اى غير المنسوخ كالاحكام الكلية التى أحكمها الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم.

والسنة المتبعة هى الاحكام التى سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصد بذلك عمر رضى الله عنه ، **بيان القانون الذى يحكم به القاضى . وهو القرآن الكريم أو سنة رسوله ، عليه الصلاة والسلام .**

وبهذا وضع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أو قاعدة أصولية وهى أن يحكم القاضى بكتاب الله أو سنة نبيه وذلك لقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء

(ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

وقول رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه

لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به ان تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى)

وفى رواية أخرى .

(لقد تركت فيكم بعد وفاتى أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة نبيه)

يراجع فى كل ما تقدم الكتب الآتية .

١ كتاب (اعلام الموقعين عن رب العالمين)الجزء الأول للعلامة ابن قيم الجوزيه تحقيق السيد الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد

٢ القضاء فى الاسلام بوجه عام) تاليف الدكتور عطية مصطفى مشرفة

٣ (عبقرية عمر) للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد .

وسأتولى باذن الله سبحانه وتعالى شرح باقى فقرات كتاب عمر فى الاعداد القادمة من هذه المجلة الغراء .

والله ولى التوفيق

الخلفاء الراشدون
وأعلام الإسلام

طلحة بن عبيد الله وهزيمة أحد التى أخافت المنتصر

الدكتور أحمد شلبى

طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة من ((تيم)) قبيلة أبى بكر الصديق وكنيته أبو محمد المدنى وأمه الصفية أخت العلاء ابن الحضرمى من المهاجرات ٠

وقد دخل الاسلام فى وقت مبكر بدعوة أبى بكر له وقد سخط بنوتيم على اسلامه واسلام أبى بكر وعبر نوفل بن خويلد عن هذا السخط بأن تقدم وربطهما فى حبل واحد وأخذ يشهر بهما ولذلك سميا القرينين وظلت هذه التسمية شرفا يحرص عليه طلحة ، وممن بكر بالاسلام من أقارب طلحة عمه عمرو بن عثمان وقد كان ضمن المهاجرين الى الحبشة اما عمه الآخر عمير بن عثمان فقد قتل فى بدر مع المشركين وأسر أخوه خالد بن عبيد الله فى بدر أيضا ومات اسيرا ٠

وطلحة واحد من مجموعات ثلاثة تعتبر قمة بين المسلمين ، فهو ــ كما قلنا ــ أحد السابقين الى الاسلام الذى نزل فيهم قوله تعالى (والسابقون **السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين)) وهو أحد العشرة المبشرين** بالجنة ، وهو أحد ستة الشورى الذين وكل لهم عمر أن يختاروا خليفة من بينهم ،وفى طلحة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : طلحة والزبير جاراى فى الجنة ٠

ولم يهاجر طلحة الى الحبشة ، ويبدو أنه كان فى منعة من نضاله وشخصيته وقوته ، فاستطاع أن يبقى وأن يذود عن نفسه عدوان المشركين ، وقد هاجر الى المدينة وكان معه ابان هذه الهجرة صهيب ابن سنان الرومى ، وكان صهيب ذا مال فاتبعته قريش ليقتلوه وليأخذوا ماله ، فلما أشرفوا عليه ونظر منهم ونظروا منه قال لهم : قد تعلمون انى من أرماكم رجلا ووالله لا تصلون الى أو يموت منكم عدد كبير ، فاتركونى وشأنى ٠ قالوا : فاترك مالك فألقى اليهم ماكان معه من مال ، ودلهم على ماله بمكة ليأخذوه وأعطاهم أمارة بذلك ، فانصرفوا عنه الى مكة ، ونزلت فيه الآية الكريمة **((ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله،والله رءوف بالعباد))**

ونزل طلحة بن عبيد الله وصهيب على خبيب بن اساف من بنى الحارث بن الخزرج ، ولم يكن خبيب مسلما حين نزل عليه طلحة وصهيب ، وهذا يعطينا فكرة عن أن الاسلام بالمدينة اعتبر قومية للأوس والخزرج من آمن منهم ومن لم يؤمن ، فقد أدرك هؤلاء أنهم أمام تهديد سافر من قريش يجعل المدينة وجهته ، ولذلك تعاونوا جميعا على حماية مدينتهم وحماية من هاجر اليهم سواء فى ذلك من قبل دعوة الاسلام أو من بقى على دين قومه ،ومما يؤكد ذلك أن رجلا يقال له قزمان حليف لبنى ظفر ابلى يوم أحد بلاء شديدا ، وقتل عددا كبيرا من المشركين ، ولم يكن قد دخل الاسلام ، فسئل عن سبب حماسه فقال : انى ما قاتلت الا عن أحساب قومى ، ويبدو كذلك أن العرب اتخذوا مكانهم مواجهين لليهود الذين تجمعت كلمتهم على عداوة الدين الجديد ، ومحاربة أتباعه ، وهذا دعا الأوس والخزرج على التجمع لمواجهة هذا التهديد الداخلى ٠

ولنعد الى خبيب بن اساف لنقرر أنه دخل الاسلام عقب خروج الرسول الى غزوة بدر ، وهذا يؤيد

ينا الذى سقناه آنفا ، فان تحدى قريش للمدينة سكانها ،كان من دوافع التجمع لمواجهة هذا التحدى بد لحق خبيب بالرسول فى الطريق الى بدر وأعلن سلامه ، وشهد بدرا وأبلى فيها بلاء حسنا ، وقتل ية بن خلف فيما تذكره اكثر الروايات ، وشهد شاهد كلها بعد ذلك ، ومن المتوقع أن يكون لطلحة ور فى دعوة خبيب الى الاسلام .

وفى المؤاخاة التى أجراها الرسول بالمدينة نجد لروايات تختلف عندما تذكر أخا طلحة ، ففى بعض لروايات أن الرسول آخى بينه وبين أبى بن كعب وفى رواية ثانية أنه آخى بينه وبين كعب بن مالك وفى رواية ثالثة أنه آخى بينه وبين أبى أيوب ، ابن يزيد ، ولعل حسن صلته بالكثيرين جعلت الرواة يختلفون حول تحديد من كان أخا له فى هذه المؤاخاة .

دور طلحة فى الغزوات :

كان دور طلحة فى الغزوات بارزا أشم عملاقا، دورا تتمثل فيه الشجاعة والكياسة والحكمة ، ولم يحضر طلحة غزوة بدر ، فقد سافر بأمر الرسول فى تجارة الى الشام ، ولعل ذلك كان وسيلة من الوسائل التى قام بها المسلمون لتخفيف الضائقة المالية التى كان يعانيها المهاجرون بالمدينة ، واختيار طلحة كذلك له مغزى ،فقد كان معروفا فى مجال التجارة بدقة الحس والمهارة ، وقد عده الرسول من أجل ذلك بدريا ، وضرب له بسهمه وشهد له بأجره ، وبعد بدر شهد طلحة باقى الغزوات وابلى فيها بلاء حسنا ، شهد غزوة أحدوالخندق والحديبية وخيبر ، وكان سهمه فى الأخيرة فى مكان اسمه « الشق »حيث وقع سهم الرسول وعمر وعلى ، وفى غزوة تبوك برزت ثقة الرسول فيه فوكل له مع نفر من المسلين أن يحرقوا بيت سويلم اليهودى ،وكان بعض المنافقين يجتمعون فيه ويثبطون الناس عن الغزو .

على ان دور طلحة فى غزوة أحد يحتاج الى مزيد من التفصيل والايضاح ، فقد جاهد طلحة فى غزوة أحد جهادا جعله وحيدا لاينافسه أحد فى الفضل، وقد كان أبو بكر يقول عندما يذكر يوم أحد : ذاك يوم كله لطلحة .

ولعل من الأفضل قبل أن نشرح دور طلحة فى غزوة أحد أن نقرر أن هزيمة المسلمين فى هذه الغزوة أبرزت مجموعة من صفات المجد التى يتحلى بها المسلمون ، لقد كانت هزيمة فيها ثبات وتضحية ،وصمود وعزيمة ،وايمان وبطولة ،وسواها من صفات الشرف ، هزيمة لا انهيار فيها ولا استسلام ، هزيمة يطيب لى أن أصفها بعد طول قراءة وتريث انها أخافت المنتصر ، وجعلته يدرك أن الحصول على الانتصار على المسلمين ليس أمرا هينا ، وانه ان حدث مرة لسبب او لآخر فليس من السهل أن يتكرر حدوثه ، ولنبرز فيما يلى بعض جوانب المجد التى ابرزها المسلمون قبل أن نعود الى طلحة لنتحدث عن دوره بوجه خاص .

وأول من نتحدث عنه فى أزمة أحد هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى اتجهت ضده كل قوى المشركين وجعلت فى القضاء عليه هدفها الأسمى ولكنه وقف كالطود الاشم لا يتزعزع ، ولقد ادركه أبى بن خلف الجمحى وقد أخذ منه الاعياء مأخذه ،فقال أبى أين محمد لأقتله فأراد بعض المسلمين أن يتصدى له، ولكن الرسول قال لهم اتركوه ، وتناول الحربة من الحارث بن الصمة الأنصارى ثم طعنه بها فى عنقه فكر أبى منهزما وهو يصرخ قتلنى محمد ، ففحص المشركون جراحه وقالوا له ما بك من بأس فجراحك ليست عميقة الغور . فقال : كذبتم ، والله لو بصق على لقتلنى وصدق حدس عدو الله فمات من جراحه فى مرجعه الى مكة .

وعندما تجمعت قوى الشر كلها ضد الرسول ، وقف سبعة من الأنصار يذودون عنه وصارعوا صراعا مريرا حتى قتلوا جميعا دونه ، وكان آخرهم عمارة ابن يزيد بن السكن ، ووقف أبو دجانة متخذا من ظهره ترسا يقى به الرسول . فأخذ النبل يقع فيه وهو لايتحرك ، وصارع عبد الرحمن بن عوف صراعا مريرا ، وانهالت عليه الضربات دون أن يتراجع ، ولما انتهت المعركة وجدوا به عشرين جرحا بعضها فى رجله سببت له العرج الى ان مات ، وأشيع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات ، فذهب أنس ابن النضر الى جماعة من الصحابة ورأى فيهم عمق الحزن فقال لهم : ما يحزنكم ؟ قالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لهم : وما تصنعون من بعده ،قوموا فموتوا على مامات عليه ، ونزل المعركة فصارع صراعا طويلا عنيدا حتى قتل ، وقد وجد المسلمون بجسمه أكثر من سبعين جرحا بين ضربة وطعنة ورمية ولم يميزه أحد من كثرة ما به من دماء وجراح الا أخته عرفته بسمة كانت فى بنانه .

ولنتحول الى مثل آخر من أمثلة الصراع المجيدة التى برزت فى غزوة أحد ذلك هوعمروبن ثابت الذى كان يلقب (الاصيرم) وكان عمرو يأبى الاسلام فلما كان يوم أحد قذف الله الاسلام فى قلبه فأسلم وأخذ سيفه ولحق بالنبى وقاتل قتالا عنيفا ، ثم سقط بين الجرحى ، ولما انجلت الحرب طاف الناس يلتمسون قتلهم ، فوجدواالاصيرم وبه رمق فدهشوا وتساءلوا ماجاء بهذا الرجل ؟ لقد تركناه وهو منكر لهذا الأمر ثم سألوه ما الذى جاء بك الى هذا المشهد ؟ احدب على قومك أم رغبه فى الاسلام ؟ فقال : بل رغبة فى الاسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، ثم لحقت بالرسول أقاتل معه فى سبيل الله حتى أصابنى ما ترون . وسرعان مامات متأثرا بجراحه ، وقد ذكره القوم للرسول فشهد له بالجنة فكان يقال رجل دخل الجنةمن اسلاميوم ولم يصل قط

وفى غزوة أحد قاتلت أم عمارة الأنصارية ، وهى نسيبة بنت كعب قتالا شديدا ، وضربت عمرو ابن قمئة بالسيف ضربات قوية ، فوقاه درعان كانتا عليه ، وضربها عمرو بالسيف فجرحها جرحا عظيما على عاتقها ، وكان معها فى هذه الغزوة زوجها زيد بن عاصم ، وولداها حبيب وعبد الله .

ومما أصاب الرسول فى هذه الغزوة ان نشبت حلقتان من حلق المغفر فى وجهه صلى الله عليه وسلم ، فعض عليهما أبو عبيدة بن الجراح لينتزعهما ، ولم يتم له ذلك الا وقد سقطت ثنيتاه من فرط الجهد ، وكان أبو عبيدة يفخر بالهتم الذى حدث له وهو يزيل الأسى عن الرسول .

ولنأت بعد ذلك الى دورطلحة بن عبيد الله فى هذه الغزوة القاسية ، ويقرر التاريخ أن طلحة كان من الأربعة الذين برزوا فى هذه الغزوة وأبلوا فيها أحسن البلاء وهم على وحمزة وأبو دجانة وطلحة ، وبالاضافة الى جهده العام حين دوران المعركة نجده بعد أن سقط الأنصار السبعة الذين كانوا يدافعون عن الرسول يتصدى وحده للدفاع ، ويغطى الرسول بجسمه ويتلقى عنه الضربات ،وفى نفس الوقت يتلمس الوسيلة ليرمى المهاجمين وقد أصاب الشلل يده من كثرة مانزل بها من ضربات، وعاش بيد شلاء بقية عمره تذكره بالمجد الذى ناله وهو يدافع عن الاسلام وعن نبى الاسلام وقد عرض طلحة نفسه بذلك للموت أو لما هو أشد من الموت ، حتى كان الرسول يدهش لأن طلحة لم يمت مع تحديه للموت و[illegible] صلى الله عليه وسلم يقول عنه ، من أحب أن ين[illegible] الى شهيد يمشى على الأرض فلينظر الى طلحة . و سقط صلى الله عليه وسلم فى الحفرة التى حفرها أبو عامر الراهب ألقى طلحة بنفسه فى الحفر وانتزع منها الرسول وأراد الرسول ان يصعدصخر ولكن قواه لم تساعده فجعل طلحة من جسمه سد اذ انحنى للرسول فلما صعد الرسول على ظهره ارتق بجسمه حتى مكن الرسول من الصعود الى الصخرة

وهكذا كان دور طلحة فى غزوة احد دوراجدير بأن ينتفع به الأبطال الباحثون عن الخلود

طلحة بعد وفاة الرسول .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحى ، أدرك الخليفة انه لايستطيع وحده ان يدبر شئون المسلمين ، فكون ابو بكر مجلس شورى كان طلحة من أبرز أركانه وظل يمارس هذا العمل بالاضافة الى تجارته فى حياة خليفة بعد خليفة حتى كان عهد عثمان رضى الله عنه ، فجذبته الأحداث الى مزيد من النشاط ثم جذبته الأحداث كذلك فى مطلع عهد على حتى اشترك فى معركة الجمل وكانت فيها نهايته .

كرم طلحة :

من بين السجايا المهمة التى كان يتحلى بها طلحة سجية الكرم والكرم صفة مميزة عند العرب وكان لطلحة باع واسع فى مجال السخاء حتى اصبح اسم (طلحة) يعنى الكرم وطلحة الطلحات يعنى اكرم الكرماء ، وعن كرم طلحة يقول قبيصة بن جابر : صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه ، وقد اشتهر بالكرم طلحات خمسة هم طلحة بن عبيد الله الذى كان يلقب طلحة الفياض ، ثم طلحة بن عمر بن عبيد الله ويلقب طلحة الجواد ، وطلحة بن عبد الله بن عوف ويلقب طلحة الندا ، وطلحة بن الحسن بن على ويلقب طلحة الخير وطلحة بن عبد الله بن خلف ويلقب طلحة الطلحات ، وكانت التسمية بطلحة تيمنا بطلحة بن عبيد الله وتفاؤلا بأن يسير المسمى على منواله رضى الله عنه .

قاضى القضاة

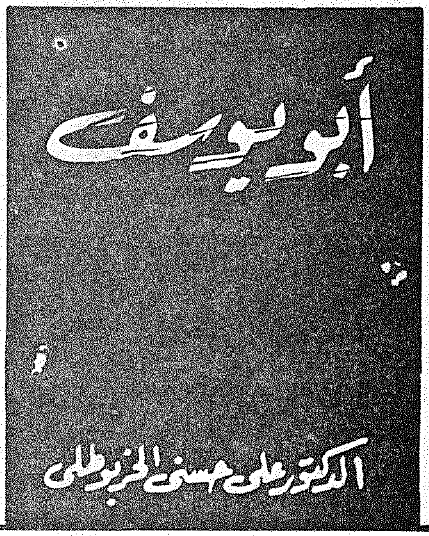

هو أبو يوسف الفقيه المشهور ، وقاضى القضاة فى العصر العباسى الأول ، وتلميذ الامام أبى حنيفة وصاحب كتاب (الخراج) الذى يعتبر أول وأبرز دراسة للاسس المالية والاقتصادية فى الدولة الاسلامية ، الى جانب العديد من الآثار العلمية البارزة .

كان مولد يعقوب بن ابراهيم ، الذى اشتهر بأبى يوسف فى عام ١١٣ هـ وهو من أسرةعربية عريقة اذ ينحدر من الصحابى الجليل سعد بن حبتة وهو من أنصار المدينة . تلقى أبو يوسف علومه الأولى فى العراق ، فدرس دراسات دينية وأدبية مختلفة ، أبدى فيها نبوغا وتفوقا ، رشحه ليكون فى مقدمة تلاميذ امام عصره أبى حنيفة . وأدرك أبو حنيفة مواهب تلميذه ونبوغه فكان يمده بالمال ليسد به حاجات الحياة وحتى يتفرغ لتلقى العلم على يديه . وكان أبو يوسف واحدا من ثلاثة من أبرز تلاميذ أبى حنيفة الملازمين له ، أماالتلميذ الثانى فهومحمدبن الحسن الشيبانى ، والتلميذ الثالث هو زفر بن هزيل ، وكان أبو يوسف أكثرهم فقرا فى المال وغنى فى العلم .

وكان أبو يوسف يلازم استاذه فى كل مجالسه ليتلقى عنه الدين والفقه والعلم .وكان أبو حنيفة فى سعة من العيش ، يحترف التجارة ،ويجلس فى السوق واستفاد أبو يوسف ، اذ اطلع على دقائق النشاط الاقتصادى وعرف ما يجرى فى الأسواق من معاملات تجارية ، فنمت معلوماته عن الاقتصاد والضرائب وقد بلور هذه المعلومات فيما بعد فى صورة علمية منهجية فى كتابه الخراج

حتى اذا أتم أبو يوسف دراسته وحاز نصيبا وافرا من العلم ، أخذ يشق طريقه فى الحياة ، ترنوه عينا أستاذه ، فتدرج فى المناصب حتىتولى منصب القضاء فى عهد الخليفة العباسى الثالث المهدى ، وكان هذا المنصب حينئذ من أبرز مناصب الدولة . وقد اشتهر المهدى بالعدل حتى انه كان أول الخلفاء الذين جلسوا للنظر فى المظالم مما اتاح الفرصة لابى يوسف ليمارس القضاء فى حرية وبدون تدخل من الخليفة . وقد خالف أبو يوسف فى ذلك مسلك أستاذه أبى حيفة الذى رفض أن يتولى منصب القضاء فى عهد الخليخة العباسى أبى جعفر المنصور ، فقد كان المنصور ينقضعهوده دائما، فشعر أبو حنيفة انه عاجز تن ارضاء المنصور وحاشيته .

ولم يرض كثير من المعاصرين لأبى يوسف عن قبوله منصب القضاء ونجد ذلك فى كتابات بعض المؤرخين ، مثل الطبرى فقد كان هناك فى مطلعالعصر العباسى كثير من العلماء والفقهاء ممن يزهدون فى تولى الوظائف العامة فى الدولة ، حتى يظل الدين بعيدا عن السياسة ، وحتى لا يضطر العالم أوالفقيه الى أن يخالفدينهأو ضميرهويمالىء الخليفة وحاشيته وان كنا نجد العذر لأبى حنيفة فى رفضه منصب القضاء الا اننا نجد العذر أيضا لأبى يوسف فىقبوله منصب القضاء فى عهد المهدى ثم ولديه الهادى والرشيد ، وهى عهود استقرار ورخاء كما ان ابا يوسف كان رجلا فقيرا فى حاجة الى العمل وتولى مناصب الدولة بينما كان أبو حيفة تاجرا موسرا ليس فى حاجة الى الوظيفه الحكومة .

خدم ابو يوسف القضاء والعدالة ، ولم يحد مطلقا عن الحق • بل نراه فى كتابه (الخراج) يعظ الخليفة هارون الرشيد فى حزم وقوة ، ويتوجه اليه بالنصائح • بل اتاح تولى ابى يوسف منصب القضاء الفرصة له ليفى لاستاذه أبى حنيفة حقه ودينه عليه فقد حافظ أبو يوسف على مذهبه ودونه فى كتبه حتى اذا أصبح أبو يوسف قاضى القضاة فى عهد الرشيد عمل على تدعيم مذهب ابى حنيفة وبثه فى الأمصار الاسلامية وهذه الفرصة لم تتح لغير ابى يوسف من تلاميذ أبى حنيفة العديدين ، فقد جعل أبو يوسف مذهب أبى حنيفة يتخذ صورة عملية ايجابية

وبعد وفاة الخليفة المهدى أمر ابنه الخليفة الهادى أبا يوسف فى منصبه القضائى اعترافا بفضله وعدله رغم أن الهادى قد بدل كثيرا من الرجال البارزين فى عهد أبيه المهدى • حتى اذا تولى الخليفة هارون الرشيد لمع نجم أبى يوسف وانشأ الرشيد منصب (قاضى القضاة) وكان أبو يوسف أول من تولى هذا المنصب وهو يشبه منصب وزير العدل الآن • فكان قاضى القضاة يقيم فى عاصمة الدولة ويولى قضاة ينوبون عنه فى سائر الأمصار الاسلامية واتسعت دائرة سلطات أبى يوسف ، فنظر فى القضايا المدنية والجنائية وأشرف على الشرطة والمظالم والحسبة وبيت المال •

حاز أبو يوسف رضاء واعجاب الخليفة هارون الرشيد ووزرائه من البرامكة حتى انهم قدموه على سائر القضاة ، وخاصة القاضى محمد بن الحسن الشيبانى ، فقد كان أبو يوسف متواضعا سمحا بينما كان الشيبانى متعاليا • وظل أبو يوسف يتولى منصب قاضى القضاة حتى توفى بمدينة بغداد بالعراق فى سنة ١٨٢ هـ • واصبح ابو يوسف قدوة يحتذى سائر القضاة الذين أتوا بعده حذوه وأصبحت أحكامه فى الخراج نافذة طوال العصر العباسى •

تولى أبو يوسف منصبا من اخطر مناصب الدولة العباسية ولكن هذا لم يشغله عن البحث والدراسة والاستقصاء فوضع ابحاثا فقهية عظيمة وكتبا قيمة أشادت بها المصادر التاريخية القديمة وقد اتصل أبو يوسف بالمحدثين ، وروى عنهم •

وضع أبو يوسف كتبا عن أركان الاسلام وفرائضه فألف كتبا عن كل من الصلاة ، والزكاة ، والصيام والفرائض كما وضع أبو يوسف كتبا تتناول مسائل فقهية منوعة مثل (كتاب البيوع) و(كتاب الحدود) و (كتاب الوكالة) و (كتاب الوصايا) و (كتاب الصيد والذبائح) و (كتاب الغصب والاستبراء) كما وضع كتابا عن مظاهر الاختلاف بين الأمصار الاسلامية بعنوان (كتاب اختلاف الأمصار)

وكان العصر الذى عاش أبو يوسف فيه عصر نهضة فكرية ظهر فيه كثير من الفقهاء والمحدثين وقد تأثر أبو يوسف بآراء استاذه ابى حنيفة واهتم بتدوينها وتسجيلها مع جانب من التجديد والتطوير دون تعصب أو تحيز بل طعم آراء ابى حنيفة بآراء أخرى تلقاها من استاذ آخر له هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الذى كان خصما لأبى حنيفة كما تأثر أبو يوسف فى كتبه ببعض آراء الامام مالك بن انس وفقهاء الحجاز •

ومن كتب أبى يوسف (كتاب الرد على مالك بن أنس) وكان أبو يوسف قد رحل الى المدينة المنورة والتقى بالامام مالك وناظره وأخذ عنه ورجع عن بعض أرائه الى قول مالك وأقوال الحجازيين ، كما خالفهم فى بعض آرائهم وقد اشاد بعض المحدثين بأبى يوسف وفى مقدمتهم أبن معين وابن حنبل ولكن المحدثين الذين عارضوا الامام أبى حنيفة عارضوا بالتالى تلميذه أبا يوسف

شهد ابو يوسف أمجاد البرامكة فى العصر العباسى وأدى توليه منصب قاضى القضاة الى قيام صداقة وطيدة بينه وبين الوزراء البرامكة وخاصة يحيى بن خالد البرمكى وزير الرشيد ومربيه • وقد كلف هذا الوزير أبا يوسف بتأليف (كتاب الجوامع) فجعله أبو يوسف فى أربعين كتابا ، تحدث فيه عن اختلاف الناس والرأى المأخوذ به

كما طلب الخليفة هارون الرشيد من أبى يوسف

ان يضع كتاب الخراج • ونلمس فى هذا الكتاب مدى تأثر أبى يوسف بآراء استاذه ابى حنيفة ، فقد حافظ أبو يوسف على جوهر مذهبه واهتم بتدوينه ، والاستدلال له وترتيب مسائله , توسيعها وكان تولى أبى يوسف منصب قاضى القضاة عاملا على أن يخدم فيه فقه أبى حنيفة بسلطانه كما أن أبا يوسف نقل الينا أقوال أبى حنيفة فى كل باب من أبواب الفقه ، وحفظ لنا ما ضاع من تراثه

سار أبو يوسف على نهج استاذه أبى حنيفة فى التشدد فى قبول الحديث ، فلم يقبل الخبر عن الرسول الا اذا رواه جماعة عن جماعة وهذا التشدد فى الأخذ بالحديث دفع ابا يوسف الى التوسع فى القياس والاستحسان وقدساعده على ذلك خبرته التى اكتسبها من ممارسته شئون القضاء ، فبرز فى ذلك على غيره من الفقهاء

طور أبو يوسف بعض جوانب فقه أبى حنيفة فقد رجع عن آراء له الى الحديث الذى صح عنده وضيق حدود الرأى والقياس عما كانت عليه فى عهد أبى حنيفة ، نتيجة اتصاله الوثيق بأهل الحديث وفقهائه كما كان لمناظرات أبى يوسف مع الامام مالك وفقهاء الحجاز أثرها فى رجوعه عن بعض آرائه الى آرائهم كما أدى اتصال أبى يوسف بالمحدثين الى تدعيم مذهب أبى حنيفة بالحديث أيضا ، وتطعم المذهب ببعض آراء الفقهاء الحجازيين •

تفقه أبو يوسف بفقه أهل الرأى فى الكوفة وبفقه أهل الحديث فى المدينة وغيرها ونرى أبا يوسف فى كتابه الخراج يفاضل بين الأحاديث ويختار اكثرها ذيوعا وانتشارا

وكتاب الخراج هو خلاصة ما تلقاه ابو يوسف من علم وثقافة الى جانب خبرته فى شئون الدولة وتجاربه الشخصية وابو يوسف يتحدث فيه عن أمور الدولة المالية وهو من أصعب الابحاث وأدقها ولم يكن أبو يوسف بقادر على أن يحيط بأطرافها المتعددة لو لم يكن يتولى هذا المنصب الكبير فى الدولة العباسية وساعده على ذلك أيضا معاصرته لعهود ثلاثة من أبرز الخلفاء العباسيين وهم المهدى والهادى والرشيد •

ويظهر فى كتاب الخراج سعة اطلاع أبى يوسف فقد اطلع على وثائق الدولة كما اتصل بحكم منصبه بكبار الموظفين واكتسب خبرة حكومية كما اتصل بشيوخ عصره فى سائر الأمصار الاسلامية على اختلاف آرائهم ومذاهبهم ، فهو يروى عن أبى حنيفة وعن مالك بن أنس وعن الليث بن سعد وغيرهم كما روى عن شيوخ الكوفة والمدينة

وحفظ أبو يوسف لنا الكثير من أقوال صحابة الرسول وأعمالهم كما أبرز لنا سيرة الخليفة عمر بن الخطاب وسياسته فى الحكم والادارة والشئون المالية فقد تمت الفتوحات الاسلامية فى عهده ووضع أسس النظم الادارية والمالية التى سار عليها معظم الخلفاء ، كما كان أول من دون الدواوين ويراعى أبو يوسف ظروف الزمان والمكان فلا يجد حرجا فى مخالفة بعض نظم عمر بن الخطاب ، وخاصة فيما فرضه من ضرائب على الأرض

وكتاب أبى يوسف عن الخراج يمد المؤرخ بكثير من المعلومات عن أحوال الشعوب الاسلامية ونظمهم الادارية والمالية اذ يطرق هؤلاء الكتاب الجوانب المختلفة من حياة هذه الشعوب ، وتمدنا بصور اجتماعية واقتصادية مختلفة كما تحوى الكتب كثيرا من الفتاوى فى كثير من القضايا والموضوعات التى تشغل الأذهان وتختلف فيها الآراء وان كان كتاب الخراج لأبى يوسف ليس بكتاب تاريخ ، بل كتاب فقه يهتم بصفة خاصة بفقه الخراج الا انه يمدنا بصور تاريخية تصور تطبيق الأحكام الفقهية فى الدولة الاسلامية ، ويحدثنا عن الفتوح الاسلامية للعراق والشام •

هذه هى صورة لحياة علم من أعلام الاسلام البارزين ولآثاره العلمية الجليلة ، وقد أصبح أبو يوسف رائدا لكثير من الفقهاء والعلماء والقضاة ، ولكل من وضع كتبا عن الخراج ، كما أصبح موضع فخر كل مسلم وعربى ، وموضع كل من يهتم بالتراث الاسلامى •

دعوة روح الفكرة

الأستاذ الإمام

والدفاع عن الاسلام

الأستاذ عبد السميع البطل

كتب الاستاذ الامام مقالات كثيرة يدافع فيها عن الاسلام ، وعما يسمى مشكلات القرآن ، كمسالة الفرانيق التى تعرضت لها كتب التفسير ، وهى من أقبح المطاعن التي تهدم العقيدة رأسا على عقب ، ومسألة زيد بن حارثة وزواجه من زينب بنت جحش ابنة عمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطلاقه لها ، ثم تزويج النبى عليه الصلاة والسلام منها ، وقد أخذها دعاة النصرانية مطعنا فى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومنها التعارض الظاهر بين قوله تعالى « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ، وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل : كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وأرسلناك للناس رسولا » .

والمقالات الثلاث طبعت ملحقا لتفسير سورة الفاتحة وهي بأيدى الناس ، وكان المقتضى لها سؤال بعض المسلمين عن تحقيق الحق فيها ، ومن غير المسلمين ومن كان يطعن فى الاسلام، فيصده الاستاذ ويرجمه بالادلة المقنعة كرده علي هانوتو أحد وزراء فرنسة ، ورده على فرح انطون صاحب مجلة الجامعة فى فلسفة ابن رشد ، والمقابلة بين الاسلاموالنصرانية فى التسامح الديني والعلم والمدنية وقد نشر رده على الثانى فى كتاب مستقل سمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » وهو متداول بين الناس ، وقد ذكر الدكتور احمد امين أن هذا الكتاب فى الرد علي هانوتو والصحيح ما ذكرناه

الرد على هانوتو

بعد أن قرأ الاستاذ درسه فى الازهر بعد المغرب ، ورجع الي بيته فى « عين شمس » أطلع فى جريدة المؤيد وهو فى طريقه الى البيت على ما كتبه هانوتو، من المفتريات عن الاسلام ، فتبيغ الدم فى وجهه ، واتقدت نار الغيرة على الاسلام فى صدره فكتب أول مقال

رد به علي مفتريات هانوتو ، ونشر رد فى الصباح فى المؤيد ، كان مقال انوتو بمناسبة سياسة فرنسا فى لستعمرات الاسلامية ، وجره هذا الى لموازنة بين المدنية والنصرانية ، والمدنية الاسلامية ، وتعرض اكثر لسالتين : ذات الله تعالي والقضاء والقدره ، وهو يرى أن عقيدة التثليث عند النصارى ترفع الانسان الى مرتبة تخوله حق القرب من ذات الله أما عقيدة المسلمين التى تدعو الى التوحيد وتنزيه الله تعالي عما لا يليق به فقد حملت الانسان على الضعف ، واما عقيدتهم فى القضاء والقدرة فقد حملتهم علي الكسل والركود ، ثم تتابعت المقالات حتى بلغت ستا بين فيها فضل الاسلام وان المسلمين لم تسمهم هممهم ، ولم يبلغوا اوجهم الا بعقيدة التوحيد ، ثم ان الاسلام لا يدعو الى الحيرة التي يفهمها هانوتو وان فى القرآن أربعا وستين آية تثبت أن الانسان حر فى اختيار ما يشاء

كان لهذا الرد البليغ السريع ضجة فى الشرق والغرب ، يقول استاذنا الكبير صاحب المنار : ان الرد كان بأسلوب رفيع من البلاغة ، وفيه من من المفردات المصورة لادق المعانى ماهو طريف غير متداول ، وفيه من الدلالة علي سعة اطلاع الكاتب على تواريخ الامم وعائدها فى الشرق والغرب ، ولاسيما فرق النصرانية ، ما ليس للناس عهدا بمثله فى الجرائد ، وهو قد كتبه بسرعة لا مجال فيها لمراجعة شئ من الكتب ، وقد عزاه صاحب المؤيد الى امام من أئمة المسلمين لان الكاتب لم يأذن بالتصريح باسمه فكان مثار الدهشة والانجاب فى أنفس جميع القراء من جميع الملل والنحل والاراء ، ببلاغته وأدبه فى التعبير ، فهو علي شرحه ما بين النصرانية والوثنية الآرية من وشيجة النسب وصلة الرحم ، وتفضيل ملة التوحيد السامية عليها ، لم يكتب كلمة تسوء احدا من النصارى ، لا من رجال العصبية الدينية ، ولا العصبية الدنيوية .

ثم قال السيد ــ رحمه الله ــ ان أكثر أهل العلم والادب فى القطر المصرى قد جزموا بان الكاتب لذلك المقال هو الشيخ محمد عبده ، وانه لا يقدر عليه غيره ، ثم قال السيد : ومما يحسن ذكره هنا أن بعض أصحابى كان ينكر على شدة اعجابى بالاستاذ الامام وثنائي عليه لانه لم يكن يعلم من أمره الا ما يسمعه من الحاسدين له أو جاهل مزاياه ، قال لى لما قرأ الرد علي هانوتو : لو كان الشيخ محمد عبده هو الذى كتب هذا الرد لكنت أعذرك بدل عذرى لك على مبالغتك فى مدحه أو ما هذا معناه فقلت له : كان لبعض العشاق صاحب يكثر لومه على الحب ، فأبصر معشوقه يوما ، ولم يكن رآه قبل ذلك فدهش وراعه جماله ، فقال له : لو عشقت هذا ، لما لمتك ولما لامك احد فأنشد العاشق

أبصره عاذ لى عليه
ولم يكن قبلها رآه
فقال لي : لو عشقت هذا
ما لامك الناس فى هواه
فظل من حيث ليس يدرى
يأمر بالعشق من نهاه

الى أن يقول فى أدب الامام فى الرد فهو علي شدة رده على هانوتو وبيانه لسوء معاملة فرنسه للمسلمين فى الجزائر وتونس قد اشار الى امكان التوفيق بين مصالحها ومصالح المسلمين .

رد الاستاذ على فرح أنطون
صاحب مجلة الجامعة

كتب فرح انطون مقالات فى فلسفة ابن رشد ، حكم فيها بأن النصرانية أشد من الاسلام تسامحا مع الفلسفة والعلم ، فساء ذلك كثيرا من المسلمين الذين يعرفون سعة صدر الاسلام للعلم ، والذين يعرفون من التاريخ اهتمام المسلمين بالفلسفة وترجمة كتب ارسطو وغيره ، وان من المسلمين فلاسفة لا يشق لهم غبار ، وطلبوا الي الاستاذ الامام الرد على فرح أنطون ، فافترض ذلك ليبين للمسلمين جهلهم بدينهم واعراضهم عنه ، وكان الاستاذ فى ذلك الوقت مشغولا بجمع التبرعات لمنكوبى حريق ميت غمر ، وقال لمن استحثه علي كتابة الرد الى الان لم أكتب ولا كلمة فى الموضوع ، لانى فى شغل شاغل من هؤلاء الناس المرزوئين فى عقولهم أولا ، و فى بيوتهم ثانيا ، وربما فرغت بعد يومين .

وكان مما قرره الاستاذ الامام فى الرد أن علماء أهل السنة يسمون « أرسطو » المعلم الاول ، وقد التزم الادب فى الرد كعادته وسأل بعض أصدقائه قائلا : والذى كنت أحب أن أعرفه هو ما يجد المسيحيون فى المقال من حسن التأدب ، وكنت أخاف أن يكون بدر مني ما يؤخذ على فيه من هذه الناحية

وكان فرح أنطون ينوى الرد على الامام والدخول معه فى مناظرة طمعا فى أن تكون سببا فى بعد صيته ، وهبوب ريحه ولكن كانت سببا فى قطع كثير من المسلمين اشتراكهم فى مجلته ، ثم ساءت حالتها وخمدت أنفاسها ، وحينئذ استيقظ فرح أنطون ، وفهم أنه ليس ندا للاستاذ ليقف معه موقف الند للند ، فاخذ يتوسل اليه ويوسط بعض أصدقاء الامام ليعود الى الصلة ويعاتبه علي احتقاره له ، فكتب اليه الاستاذ :

الى صاحب الجامعة

لو احتقرتك ما كتبت اليك كلمة ، وانك تسيء الظن بنفسك أكثر مما يسيئه بك غيرك ، وكنت أود لو كنت لنفسك أفضل مما انت لها اليوم .. اللهم عرفنا بأقدار أنفسنا ، فذلك اللهم أنفس ما تعطى ، وافضل ما تهب والسلام .

هذا ما انتهي اليه أمر فرح أنطون اللبنانى ، وقد تذكرت بهذه المناسبة طمعه فى تحدى الاستاذ لامام ، وتلميذه

الاول وما كان ينشره فى مجلته المنار للرد عليه ، مع ردود الامام قول من قال : ان فرح انطون قتيل المنار لصاحبه السيد رشيد رضا ، وتذكرت ايضا هذين البيتين القديمين :

هي الشمس مسكنها فى السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا

مساعدة الامام

لمن أخنى عليهم الزمان

كان الامام ـ قدس الله روحه ـ كريم اليد ، رقيق القلب سخى النفس ياس لما يصيب الناس من الكوارث ، ويسعى جهده لمحو ما يلم بهم منها ، سواء من ماله الخاص ، أو مما يجمعه من ايدى الكرام ذوى الاريحية ، وكان يختار لرياسة كل جمعية تسمي هذا المسعى الحميد ، ومن ذلك سعيه لاعانة الجرحى وأرامل وأيتام الجيش المصرى ، وكان يفترض إختياره للرياسة ليربى الامة على التعاون والاهتمام بالشئون العامة ، والبذل فى سبيل الله .

لجنة اعانة الجرحى

اجتمع بعض ذوى الاريحية والمروءة من المصريين والفوا منهم لجنة للقيام بفتح اكتتاب عام لمساعدة جرحي الجيش وعائلات قتلاهم وانتخبوا الشيخ رئيسا وكان قاضيا بمحكمة الاستئناف فكتب منشورا بليغا مؤثرا نشرته الجرائد ، وقد جاء ختامه وهو ما يدل على أن الاستاذ كان يرمى عصفوين بحجر «١» جمع التبرعات «٢» وتربية الامة على المساعدة فى فعل الخير .

وحيث أن .. انكم من أهل الفضل وذوى الهمة والمروءة ، رأيت أن أبعث اليكم بهذا رجاء أن يرى لهمتكم الاثر الجليل ، فى هذا العمل الجميل ، مع العلم بأن من يتفضل بدفع شىء من المعونة لاخوانه المصابين ، فانما يفعل ذلك لمحض الشفقة والرحمة ، وصدورا عن الهمة والمروءة ، ومن المعلوم انه لا ينقص مال من صدقة ، ولن تخذل أمة كان التعاون من سجاياها ، فأرجو أن تساعدوا بما استطعتم وأن تقبلوا المساعدة ممن يليكم ويقرب منكم ، ثم كانت الآية مسك الختام « والله لا يضيع أجر المحسنين »

رئيس اللجنة

محمد عبده

اعانة منكوبى حريق ميت غمر

كانت هذه الحادثة الفاجعة سنة ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م واني اكتفى بما كتبه الشيخ تصويرا للفاجعة الاليمة ، وحثا لذوى المروءة على تخفيف ويلاتهم ، وتعويدا للامة على التخلق باخلاق الدين الذى يقول رسوله الامين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وهاكم المنشور الذى كتبه الشيخ ووزعه ، وطاف هو نفسه فى البلاد ليجمع التبرعات وحث القادرين عليه :

عرض لي ما منعنى من قراءة الجرائد نحو أسبوع ، كنت أسمع فيه بحادثة ميت غمر من بعض الافواه ، كأنها من الحوادث المعتاد حدوثها ، حتى تمكنت من مراجعة الجرائد ليلة الخميس الماضى ، فاذا لهب ذلك الحريق يأكل قلبى أكلة لحوم أولئك المساكين من سكان ميت غمر ـ ويصهر من فؤادى ما يصهره من لحومهم ، أرقت تلك الليلة ولم تغمض عيناى الا قليلا ، وكيف ينام من يبيت يتقلب فى نعم الله ، وله هذه العدد الجم من اخوة وأخوات ، يتقلبون فى الشدة والبأساء ؟ أردت أن أبادر بما أستطيع من المعونة ، وما أستطيع قليل ، لا يغني عن الحاجة ، ولا يكشف البلاء ، ثم رأيت أن أدعو جمعا من أعيان العاصمة ، ليشاركونى فى افضل أعمال البر فى أقرب وقت ، وكان يوم السبت فحضر منهم سابقون ، وتأخر اخرون وكتب بعضهم يعتذرون ، فشكر الله سعى من حضر وجزى خيرا من اعتذر وغفر لمن تأخر ـ الي ان يقول :

الحادث بذى الخطب اليسير فالمصابون خمسة الاف وبضع مئة منهم الاطفال الذين فقدوا عائليهم والتجار والصناع الذين هلكت الا ورءوس أموالهم ، ويتعسر عليهم يبتدئوا الحياة مرة أخرى الا بمع من اخوانهم ، والا أصبحوا متشرد متلصصين أو سائلين ، والذين فقد بيوتهم ولا يجدون ما يأوون اليه ، مال لهم يقيمون ، ما يأويهم من مث بيوتهم المتخربة ـ لهذا رأيت ورا كل من تفكر فى الامر ، أن يجمع مب وافر يمكن منه تخفيف المصاب عل جميع أولئك المنكوبين الخ

كان المرحوم شاعر مصر الاجتماعي حافظ ابراهيم يصحب الاستاذ وهو يطوف فى مديرية الدقهلية ليجمع التبرعات ويحث عليها ، وقد صور حافظ هذا الحريق وأثره السيء فى المصابين ، وفى نفوس المواطنين أبلغ تصوير ، فكان له أعظم التأثير فى قصيدته الشهيرة التى بداها بقوله :

سائلوا الليل عنهم والنهارا
كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الام
وكيف أصطلى مع القوم نارا ؟

ومنها :

رب ان القضاء أنحي عليهم
فاكشف الكرب واحجب الاقدارا
ومر النار أن تكف أذاها
وأمر الغيث أن يسيل انهمارا

ومنها يخاطب المنشاوى باشا وكان فى ذلك الوقت سجينا .

أيها السجين لا يمنع السجن
كريما من أن يقبل المثارا
مر بالف لهم وان شئت رده
وأجزهم كما أجزت النصارى

ويشير فى البيت الاخير الى انه ـ رحمه الله ـ أمن الاوربيين الخائفين فى داره ابان الثورة العربية.

أمير الشعراء

بمناسبة مرور مائة عام على مولده

الأستاذ محمود الجرسي

فى نهاية هـذا العام ـ ١٩٦٨ ـ يكون قد مر على مولد أمير الشعراء احمد شوقى مائة عام ، حيث ولد فى سنة ١٩٦٨ ، ومن حق الشاعر علينا أن نقف عند ذكراه فى هذه المناسبة وأن نترك الى حين ما نحن بسبيله من الحديث عن أبطال الاسلام الذين صنعوا التاريخ ، ومع ذلك فلن نبعد كثيرا عن الخط الذى نكتب فيه اذا تحدثنا عن شوقى .. فشـوقى فى ناحية مننواحيه من صانعى التاريخ، ومن بناةتاريخنا الادبى فى العصر الحديث ، وشوقى دون شك منالذين عاشوا فى الطليعة واحتسـبوا فى الخالدين !!

لذلك كان من الوفاء لهذا الشاعـر الكبير أن نتناول الحديث عنـه فى « منبر الاسلام » من الزاوية التى تكشف عن أخصب جوانبه ، وأكثرها بروزا فى انتـاجه الأدبى ، تلك هى الناحية الاسلامية العربية التى تجلت فيها عبقرية الشاعر ، وتألق فيهـا نجمه ، وخلد بها فى دنيا الاسلام والعرب ، حتى أصبح ـ بحق ـ شاعر الاسلام والعروبة .

ولشوقى فى عنقى دين كبير أحس بأن الفرصة قد واتتنى للوفاء به ،فقد عرفت الشاعر منـذ عاد من منفاه ، وربطتنى به آصرة وثيقة ، الى أن لبى نداء ربه فى الرابع عشر من اكتوبر سنة ١٩٣٢ ، لذلك ما تركت فرصة لذكراه الا انتهزتها « فى الاذاعـة والتلفاز » لاقضى بعض حقه علـى ، وبخاصة هذه الفرصة الكبيرة التى يتيحها مرور مائة عام عـلى مولده ، وهانذا انتهزها لأوجه هـذا البحث الى روحه الطاهرة ، راجيا أنيرجح به ميزان حسناته عند الله جزاء ما قدمت يداه لدينه وأمته .

وقد افتقدنا ـ منذ مات شوقى ـ الشاعر المطبوع ، الذى لم يلحق به شاعر حديث فى تصوير عظمة الاسلام وتجلية مفاهيمه فى أروع المعـانى بساطة وإشراقا ، والذى استطاع أن يلمس الادواء والعـلل التى جنحت بالمسـلمين الى حاضر غير مشرق

انقطعت صلتهم فيه بماض مجيد وضاء ، وافتقدنا — منذ مات شوقي — الشاعر المجيد الذى لم يدرك شأوه شاعر فى التحدث عن العرب ، فقد كان شاعرهم دون منازع : ينطق بآلامهم ويفصح عن آمالهم ، ويتغنى بأمجادهم وينوح على ماضيهم ، ويحفز هممهم الى التوثب والانطلاق !!

هذا شاعر لا يزال من هذه الناحية عديم القرين ، ولا يزال مكانه فى دنيا الادب والشعر شاعرا ، ومهما قال المجددون فى شوقى ، وتحاملوا عليه نقدا وتجريحا ، فسيبقى شوقى محلقا فى السموات العلا بأجنحة من الخلود ، وسيبقون مشدودين الى الارض بامراس ، لا يستطيعون أن يلحقوا حتى بغباره ، ولا يملكون الا أن تعشى أبصارهم من طول التطلع اليه حتى يرتد اليهم البصر خاسئا وهو حسير !!

ونعود بعد ذلك الى ما نحن بسببه وهو الحديث عن شوقى شاعر الاسلام وشاعر العروبة ، ومنذ متى كان شاعر الاسلام والاسلاميات ؟ومنذ متى كان شاعر العرب والعروبة ، وبحسبناهذا الجانب الاسلامى العربى فالكلام عن جوانب شوقى كلها يتطلب العديد من الجهد والبحث والمعاناة .

وشوقى شاعر الاسلام منذ شدا بالشعر فى أخريات القرن الماضى ، وهو مشدود الى الاسلام باسباب كثيرة لا يستطيع الفكاك منها ، ولا يملك أن يتنكر لها ، ولعل أهونها أنه نشأ فى بيئة محافظة اسلامية ، وفى حى دينى كبير هو حى الحنفى بالسيدة زينب وتردد على كتاب الشيخ صالح مع لداته حين بدأ أولى درجات التعليم ، فحفظ شيئا من القرآن ، وكل هذه الاسباب قد تكون تركت طابعها الدينى فى أخلاق الفتى ، ولكن الاسباب الحقيقية بدأت حين ابتسم الحظ لشوقى بعد أن انتهى من تعليمه ، فاذا هو فى بلاط الامير « شاعر الامير » يزجى الى مولاه شعره فى المناسبات الشخصية والدينية ، والامير تابع من الوجهة الدينية لدولة الخلافة ، ويدين بالولاء لخليفة المسلمين ، فكان طبيعيا من الشاعر أن يتوجه بمدائحه الى التابع والمتبوع ، وأن يتعلق بأذيال الخلافة ، وأن يرى فيها أمل المسلمين فى وقت تنمرت فيه الذئاب بالاسلام والخلافة ، وزاده استمساكا بالاسلام والخلافة ما كان يجرى فى عروقه من خليط الدماء ، ومختلط الاعراق ، وهذا الخليط العجيب يصرخ فى أعماقه بأن يتشبث بالاسلام ، ويستمسك به ، لان الاسلام هو النسب الاكبر الذى يجمع هذا الخليط ، ويصهره فى بوتقة واحدة ، فكان من هذه الوجهة حريصا على أن يكون داعية الاسلام ، وأن يشدو به فى كل مناسبة حتى يدارى ما فى اعراقه من تخليط ، لان الاسلام يسمو بجوهره فوق الاجناس ، ولا تضيق ساحته بكل مشتبك الاصول أو متعدد الاعراق !!

وقد عاصر شوقى فى أول مرة دولة الخلافة وهى نهب الاطماع ، تمزقها الدول الاستعمارية ، شر ممزق ، وتثور عليها ولاياتها المسيحية بتحريض من أوربا النصرانية ، فكان الموقف — اذ ذاك — أشبه بايام الحروب الصليبية ، وكانت مشاعر المسلمين فى كل مكان من الوطن الاسلامى متحفزة ثائرة ، ونفوسهم قلقة هائجة ، والخليفة يستنصر المسلمين ، ويستنهض هممهم ويستصرخ ولاتهم فى كل مكان لتأييد دولة الخلافة ، فكان طبيعيا أن يتجاوب بلاط مصر مع بلاط الخلافة ولو تجاوبا شعوريا ، وكان طبيعيا أن يتأثر شاعر البلاط بهذه الثورة الاسلامية التى تغلى مراجلها فى كل صقع اسلامى ، فينطلق شعره فى الدفاع عن الخلافة رمز الاسلام ، ويثير به هم المسلمين ، ويحفزهم الى البذل والفداء ، ويدفعهم الى الالتفاف حول الخليفة ، ويتغنى فى شعره بماضى الاسلام وتاريخه المجيد .

وفوق ذلك كان شوقى فى أخريات القرن التاسع عشر يتنفس فى الجو الذى امتلأ بتعاليم السيد جمال الدين الافغانى ، ويستنشق عبيره برئتى الشاعر الفنان ، ورغم قيود البلاط وتقاليده فقد شاعت هذه التعاليم فى كل مكان فى مصر والشرق ، وحط كل ما يعترضها من سدود التقاليد حتى اقتحمت على رجال البلاط بلاط فافزعت الامير ، واقضت مضاجـ المستعمرين . وتعاليم جمال الد التى فتنت شباب ذلك الجيل ولعبت بلبه هى « الجامعة الاسلامية » التى لامناص للمسلمين من الاستمسا بها ، فى وقت تجهمت فيه السما من فوقهم ، وانذرتهم البروق والرعو بشر النذر ، وشوقى شاعر ، تتردد بير جنبيه طبيعة الشاعر الحساس الملهم الذى يعيش عصره ، ويحس آلامه ، فدوت فى أعماقه صرخة جمال الدين فاذا به يستوى شاعرا ينافح عن الاسلام ، ويدافع عن الخلافة ، ويبكى حال المسلمين !!

وما من مناسبة من المناسبات الدينية الا وكان شوقى فيها ترجمان الآمال التى تجيش فى صدور المسلمين ، حتى اشتهر بذلك فى عاصمة الخلافة وغيرها من عواصم الشرق ، وحين أصغى العالم الاسلامى اليه باذان متلهفة وقلوب واعية اعتبر نفسه داعية من دعاة الاسلام والخلافة ، وجنديا من جنودها ، يذود عنها الاعداء ، ويدفع عنها بشعره ما يلم بهما من أرزاء ، واعتبره العالم الاسلامى شاعر الاسلام يردد شعره ، ويتغنى بقصائده ، واعتبره خليفة الاسلام سلاحا من أسلحته .

وترى هذا المعنى ظاهرا فيما قاله شوقى للخليفة ، حين انتصرت جيوشه على الثورة اليونانية :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب
وينصر دين الله أيان تضرب
ظهرت أمير المؤمنين على العدا
ظهورا يسوء الحاسدين ويتعب
وشدت منارا للخلافة فى الورى
تشرق منهم شمسه وتغرب
أمولاى غنتك السيوف فأطربت
فهل ليراعى أن يغنى فيطرب
مدحتك والدنيا لسان وأهلها
جميعا لسان يملان وأكتب
اناول من شعر الخلافة ربها
وأكسو القوافى ما يدوم فيقشب

انت الا الشمس فى كل امة
لكل لسان فى مديحك طيب
لطير النيل لا طير غيره
وما النيل الا من رياضك يحسب
قلت شعرا فالقوافى حواضر
وبغداد بغداد ويثرب يثرب

م حين يزف الى الخليفة التهنئة اته من الاعتداء عليه فيقول :

نا امير المؤمنين فانما
نجاتك للدين الحنيف نجاة
نا لطه والكتاب وامة
بقاؤك ابقاء لها وحياة
ن يك فى بردالنبى وثوبه
تجزه الى اعدائه الرميات
اد يسير البيت شكرا لربه
اليك ويسعى هاتفا عرفات
ولاك ملك المسلمين مضيع
ولولاك شمل المسلمين شتات
لكت امير المؤمنين ابن هانىء
بفضل له الالباب ممتلكات
وما زلت حسان المقام ولم تزل
يلينى وتسرى منك لى النفحات
زهدتالذى فى راحتيك وشاقنى
جوائز عند الله مبتغيات
ومنكان مثلى احمد الوقتلم تجز
عليه ولو من مثلك الصدقات !!
ولىدرر الاخلاق فى المدحوالهوى
وللمتنبى درة وحصاة

وينتصر مصطفى كمال على أعدائه ويحرر وطنه تركيا ، ويبتهج العالم الاسلامى لهذا الانتصار ، فيكون شوقى ترجمان هذه العواطف ،والمعبر عن فرحة المسلمين بقوله :

الله اكبر كم فى الفتح من عجب
يا خالد الترك جدد خالدالعرب
جددت حرب الصلاحيين فى زمن
فيه القتال بلا شرع ولا ادب
يوم كبدر فخيل الحق راقصة
علىالصعيد وخيل اللهفىالسحب
لما اتيت ببدر من مطالعها
تلفتالبيت فى الأستار والحجب
وهشت الروضة الغنجاء ضاحكة
الى المنورة المسكية الترب
ومست الدار أزكى طيبها وأتت
باب الرسول فمست أشرفالعتب
وارج الفتح ارجاء الحجاز وكم
قضى الليالى لم ينعم ولم يطب
وما زينت امهات الشرق واستبقت
مهارج الفتح فى الموشية القشب
هزت دمشق بنى ايوب فانتبهوا
يهنئون بنى حمدان ، فى حلب
ومسلموالهند والهندوس فىجذل
ومسلمو مصر والاقباط فى طرب
ممالك ضمها الاسلام فى رحم
وشيجة وحواها الشرق فى نسب

ولما استبدلت حكومة مصطفى كمال انقرة بالاستانة واتخذتها عاصمة جديدة للدولة خاف الشاعر ان يتبع ذلك اذى يصيب الخلافة فنادى انقرة وابطالها يقول :

قم ناد انقرة وقل يهنيك
ملك بنيت على سيوف بنيك
يا دولة الخلق التى تاهت على
ركن السماك بركنها المسموك
بينى وبينك ملة وكتابها
والشرق ينمينى كما ينميك
لم ينقذ الاسلام أو يرفع له
رأسا سوى النفر الذى رفعوك
قل للخلافة قول باك شمسها
بالأمس لما آذنت بدلوك
يا جذوة التوحيد هل لك مطفىء
والله جل جلاله مذكيك
خلت القرون وانت حرب ممالك
لم يغف ضدك أو ينم شانيك
عودىالى ما كنت فى فجرالهدى
عمر يسوسك والعتيق يليك

وحين يلغى مصطفى كمال منصب الخلافة يبكى عليها الشاعر ، وينوح على الخلافة التى طالما أشاد بمدحها

ضجت عليك مآذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس
أمحا من الارض الخلافة ماح
وأتت لك الجمع الجلائل مأتما
فقعدن فيه مقاعد الانواح
ان الذين أست جراحك حربهم
قتلتك سلمهمو بغير جراح
هتكوا بايديهم ملاءة فخرهم
موشية بمواهب الفتاح
نزعوا عن الاعناق خير قلادة
ونضوا عن الاعطاف خير وشاح
وعلاقة فصمت عرى اسبابها
كانت ابر علائق الارواح
نظمت صفوف المسلمين وخفوهم
فى كل غدوة جمعة ورواح
من قائل للمسلمين مقالة
لم يوحها غير النصيحة واح
عهد الخلافة فى أول ذائد
عن حوضها ببراعة نضاح
حب لذات الله كان ولم يزل
وهوى لذات الحق والاصلاح
انى انا المصباح لست بضائع
حتى اكون فراشة المصباح

فاذا ما اتجه الشاعر الى أميره فى مصر يهنئه بسفره الى الحجاز لم ينس رسالته الاسلامية فى التحسر على حال المسلمين ، ودعوتهم الى استعادة امجادهم ، فيقول :

اذا زرت يا مولاى قبر محمد
وقبلت مثوى الاعظم العطرات
فقل لرسول الله يا خير مرسل
ابثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف فى عميق سبات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات
وذلك ماضى مجدهم وفخارهم
فحاضرهم لو يعملون لآتى
وهذا زمان ارضه وسماؤه
مجال لمقدام كبير حياة

فاذا ما انتهى من حديث الخلفاء والامراء والقادة التفت الى الامة الاسلامية يتحدث اليها فى مطلع العام الهجرى ويحفزها الى استعادة ماضيها فيقول :

أمم الهلال مقالة من صادق
والصدق اليق بالرجال مقالا
من عادة الاسلام يرفع عاملا
ويسود المقدام والفعالا
ظلمته السنة تؤاخذه بكم
وظلمتموه مفرطين كسالى
هذا هلالكم تكفل بالهدى
هل تعلمون مع الهلال ضلالا
سرت الحضارة حقبة فى ضوئه
ومشى الزمان بنوره مختالا

وبنى له العرب الاجاود دولة
كالشمس عرشا والنجوم رجالا
رفعوا له فوق السماك دعائما
من علمهم ومن البيان طـوالا
الله جل ثناؤه بلسـانهم
خلق البيان وعلم الامثالا
ضلوا عقولا بعد عرفان الهدى
والعقل ان هو ضل كان عقالا
حتى اذا انقسموا تقوض ملكهم
والملك ان بطل التعاون زالا

وينادى المسلمين أن يتعاونوا مع دولة الخلافة على انشاء اسطولها فى البحر منوها بتعاليم الاسلام :

يا معشر الاسلام فى اسطولكم
عز لكم ووقاية وسلام
حب السيادة فى شمائل دينكم
والجد روح منه والاقدام
والصم من آياته الكبرى اذا
رجعت الى آياته الاقوام
او تقرئون صغاركم تاريخه
عرف البنون المجد كيف يرام

ويتسنم بمدائحه فى الرسول عليه السلام ذرا البلاغة ، فيعارض البوصيرى فى بردته وهمزيته ، فاذا به يكشف عن عظمة الرسول فى هالة من المجد ، واذا به يتوسل الى الرسول فى نغم من الاستعطاف والتذلل ، ثم يمضى فى مدح الرسول فى غير هاتين القصيدتين ويتضرع اليه طالبا أن يلهم أمته سبيل الرشاد ، وأن يطلب من الله أن يجنبها الزلل ، ويصارحه بحال المسلمين فى هذا الوقت :

وما للمسلمين سواك حصن
اذا ما الضر مسهمو ونابا
كان النحس حين جرى عليهم
أطار بكل مملكة غرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نورا
وكان من النحوس لهم حجابا
بنيت لهم من الاخلاق ركنا
فخانوا الركن فانهدم اضطرابا

وديوان شوقى ملىء بالشعر الاسلامى فى شتى المناسبات ، شعر باسم ضاحك فى أفراح الاسلام وانتصارات المسلمين وشعر حزين باك فى كل ما يصيب الاسلام والمسلمين من اذى او شر ، وبذلك استحق شوقى دون منازع لقب « شاعر الاسلام » .

اما عن شوقى كشاعر العروبة ، فلم تتضح فيه هذه السمات ، ويصبح لسان الشرق العربى الا بعد عودته من المنفى ، وبعد اشتعال الثورة المصرية فى عام ١٩١٩ ، فلقد أججت هذه الثورة الرائدة ميزان الثورات فى انحاء الوطن العربى ، فقامت الثورة فى العراق وسوريا وفلسطين ولبنان وليبيا والمغرب ، وابتدا شوقى يحس بوطأة الاستعمار على بلده مصر ، وعلى سائر بلاد العرب ، ورأى ان رسالته كشاعر من فحول الشعراء يجب أن تجوب كل اقطار الوطن العربى ، معبرة عن مشاعره ، ناطقة باحاسيسه فى أتون هذا الضرام ، وكما يعبر عن احتدام الثورة فى مصر تلزمه رسالته أن يعبر عن اضطرام الثورة فى غيرها من الاقطار العربية . وقد كان ، فلما ثارت دمشق ، ودمرتها مدافع الفرنسيين كان شعر الشاعر الكبير اسبق الى دمشق من جميع الاساة ، وكان تخليدا لهذه الثورة ، وتمجيدا لها ، وحثا على المزيد من البذل والفداء .

نصحت ونحن مختلفون دارا
ولكن كلنا فى الهم شرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد
بيان غير مختلف ونطق
وقفتم بين موت أو حياة
فان رمتم نعيم الدهر فاشقوا
وللاوطان فى دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق
ومن يسقى ويشرب بالمنايا
اذا الاحرار لم يسقوا ويسقوا
ولا يبنى الممالك كالضحايا
ولا يدنى الحقوق ولا يحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

ولما أمعنت ايطاليا فى مطاردة الثوار فى ليبيا وارتكبت جريمتها المنكرة باغتيال الزعيم الليبى الكبير عمر المختار كان لشوقى فى هذه المأساة صرخة مدوية :

خيرت فاخترت المبيت على الطوى
لم تبن جاها أو تلم ثـ
ان البطولة أن تموت على الظما
ليس البطولة أن تعب المـ
افريقيا مهد الاسود ولحدها
ضجت عليك أراجلا ونسـ
والمسلمون على اختلاف ديارهم
لا يملكون مع المصاب عز
يأيها الشعب القريب أسامع
فأصوغ فى عمر الشهيد ر
ذهب الزعيم وأنت باق خالد
فانقد رجالك واختر الزعما

وأغلب قصائد شوقى فى الاقطار العربية لم ينظمها الا بعد عودته من المنفى كما قلنا ، وحين بدأت القومية العربية نبتت بذورها فى انحاء الوطن العربى ، فكان شوقى ترجمانا صادقا لهذه القومية وكان شعره اذ ذاك لبنة من اللبنات التى شيد عليها هذا الصرح الباذخ .

ولقد عبر شوقى عن هذه القومية العربية أصدق تعبير فى الحفل الذى أقيم فى دار الاوبرا لمبايعته بامارة الشعر فى ابريل سنة ١٩٢٧ ، وأمام جمهرة كبيرة من أعلام الادب العربى ، فقال نضر الله ثراه .

رب جار تلفتت مصر توليـ
ـه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتنى معزيا بمآقى
وطنى أو مهنئا بلسانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق وكان العزاء فى أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجر
ح وأن نلتقى على أشجانه
كلما أن بالعراق جريح
لمس الشرق جنبه فى عمانه
وعلينا كما عليكم حديد
تتنزى الليوث فى قضبانه
نحن فى الفكر بالديار سواء
كلنا مشفق على أوطانه

هذه بعض جوانب الشاعر التى استحق من أجلها الخلود ، وهذا شوقى الذى لم تملأ مكانه حتى الآن ، والذى نحتفى بمرور مائة عام على مولده ، وهو حى فى ضمير الأمة العربية كلما هتفت بآياته البينات .

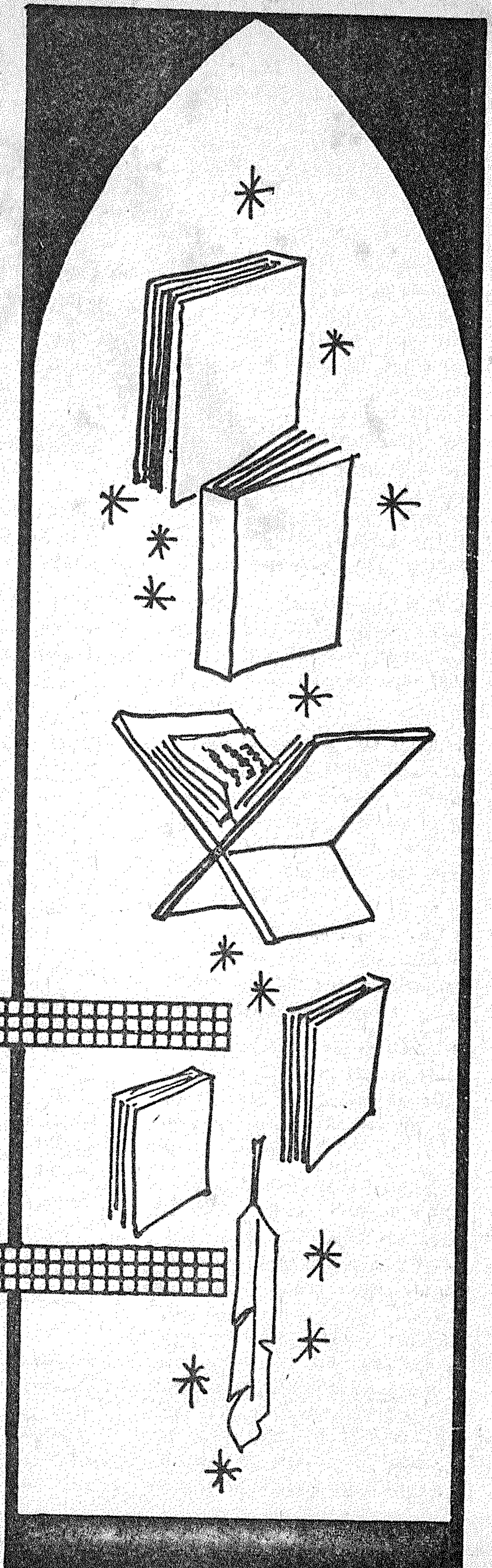

المكتبة الإسلامية

الإسلام دين الهداية والإصلاح

عرض وتلخيص : محمد محيي الدين سالم

في المرة السابقة وقفت بك قارئي العزيز عند نهاية المبحث الاول من كتاب (الاسلام دين الهداية والاصلاح) .. للاستاذ المرحوم : محمد فريد وجدي .

رأينا من خلاله حقيقة الدين ، وما يتطلبه الناس منه .. ورأينا أيضا كيف أن الاسلام – دين الله القويم – أخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال الى نور الهداية والرشاد ... يعلن سلطان العقل والعلم ، وانه – أى الاسلام لم يضع للرقى حدا ، ولم يحرم ماتشعر به النفس من المباحات .. ذلك انه مرن يتسع لكل مايجد من الاراء العلمية ، فهو اسلوب أمثل لبناء القيم الروحية الخالدة والمبادىء الانسانية السامية .

ومع مؤلفنا العملاق ننتقل الى مبحث آخر من مباحث كتابه تحت عنوان (شريعة الاسلام) أوضح فيه جوانب هامة تبين سمات هذه الشريعة الغراء بما تتضمنه من سمو ورقى ، وخير للبشرية جمعاء فقال :

(ان التشريع فى الاسلام لم يسند الى طائفة خاصة ، ولم يوضع له اسلوب مقدر لايجوز تعديه، انما ترك لكل مشرع الخيار فى انتخاب اسلوبه .

ولم يخص التشريع بزمان دون زمان فقد كان للقرن الاول أئمة ، وللثانى أئمة يقلدهم الناس يبلغ عددهم السبعين او يزيدون ، فاذا لم يبق لهم اتباع الى اليوم ، فلأن المسلمين وجدوا فى مذاهب ابى حنيفة ، ومالك والشافعى ، وابن حنبل غنى عن بقية المذاهب فاتبعوها ، وأهملوا ما عداها ، ولم يحجر أحد على احد حريته فى اتباع أى المذاهب الفقهية) .

لذا اجمع المسلمون على ان الاجتهاد فى كشف اسرار الشريعة واجب على الحاصلين على مؤهلاتها ، لا يروعهم الخلاف بين المجتهدين مهما كان بعيد المدى ، بل كانوا يقابلون هذه الخلافات بارتياح عظيم .

عن رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – انه قال : (للمجتهد اجران ان اصاب ، واجر ان اخطأ) .

والكاتب فى هذا يحدثنا حديثا مفصلا عن التشريع الاسلامى ، فيعرفنا بالشريعة الاسلامية على انها هى القرآن الكريم ... يقول :

(يرجو الاوساط من الدين ان لايكون الا اصولا اولية ، ان تكون دستورا للمشرعين ، لا ان تكون شريعة تفصيلية ان انطبقت على الحوادث فى عهد شذت عنها فى عهد آخر .

ان الشريعة الاسلامية تفى بهذا المطلب على أكمل الوجوه ، فهى محصورة فى القرآن الكريم ، وهو مجمل فى مواطن كثيرة منه ، لذلك اضطر الخلفاء الاولون ان يستأنسوا بما قضى به النبى – صلى الله عليه وسلم – فكانوا اذا لم يجدوا ضالتهم من السنة،عملوا بآرائهم مستنيرين بالعرف ، والحقوق الطبيعية والاصول التشريعية المقررة فى القرآن ولما نبغ العلماء الكبار فى عواصم الاسلام عالجوا الامور التشريعية مقررين ان للشريعة الاسلامية اربعة أركان : الكتاب ، والسنة ، والقياس ، واجماع المسلمين ، وهو ما يعبر عنه اليوم بالاستفتاء العام) .

ثم يوجه البحث الى اصول الشريعة فى نظرة سريعة تبين انه لم تظهر شريعة أرسخ قواعد فى العدل ، ولا أبعد مدى فى المساواة ، واحترام الحقوق ولا اجمع لاصول الحياة الاجتماعية ، وأشمل لعناصر التطورات الانسانية ، من الشريعة الاسلامية ... ذلك لانها قامت على مراعاة الحقوق الطبيعية ، وراعت فى وضعها لا مصلحة المجتمع الاسلامى وحده ولكن مصلحة المجتمع البشرى كله ... بل والمجموع العالمى عامة ، ولاحظت فى بناء جماعتها الا يكون امرهم قائما على التضخم بامتصاص دماء المقهورين،ولكن على بذل النفس والنفيس فى سبيل اقامة المثل الأعلى .

وينتقل بنا المؤلف من نظرته على اصول الشريعة الاسلامية الى بيان بعض الحدود التى شرعها القرآن الكريم فيقدم بحثا فى الحدود المقررة على بعض الجرائم فى القرآن بقوله : (ان فى الكتاب الكريم جرائم معينة حددت لها عقوبات مقررة كالزنا والقذف والسكر والسرقة والفساد فى الأرض.. فالكتاب والسنة الصحيحة يقرران على مرتكب الجريمة الاولى ان كان محصنا عقوبة الرجم ، وعلى مقترف الثانية مائة جلدة ، وعلى مقترف الثالثة ثمانين جلدة ، وعلى جانى الرابعة قطع اليد ، وعلى فاعل الخامسة أن تقطع يده ورجله من خلاف او ينفى من الارض

والاسلام فى هذا يرمى الى تاليف مجتمع خال من الشرور ما امكن ، ويسود فيه التكافل فى الحياة ، والترافد حيال صعوباتها ، الى اقصى حد تطيقه الفطرة البشرية) .

ولابد لنا ونحن فى هذا المجال ان ننوه بحال الشهود ، فان القضاء الاسلامى لايقبل ، وبخاصة فى الحدود شهادة شهود يجمعهم المتقاضون من هنا وهناك ، فيشترط فيهم أن يكونوا من أهل العدالة ، وان يشهد شهود اخرون بأنهم أهل للشهادة .

وفى الحادثة الاتية علم بما يجب ان يكون الشاهد عليه فى الاسلام من الصفات وبما كان عليه هذا الامر عند اسلافنا الاولين من الخطورة :

(ادخل رجل على عمر بن الخطاب فى عهد خلافته ليشهد فى قضية ، فطلب منه أن يحضر له من يشهد بانه عدل ، ففعل .. فلما مثل شاهده بين يديه قال له الخليفة :

أتعرف فلانا حق المعرفة ؟ فقال الرجل نعم يا امير المؤمنين . فقال له : أأنت جاره صباح مساء لتعرف مدخله ومخرجه ؟ فقال الشاهد : لا .... فسأله عمر : أعاملته بالدرهم والدينار الذى يستبين به ورع الرجل ؟ . فقال المزكى : لا .فقال له الفاروق : اصاحبته فى السفر الذى يتضح فيه ماهو عليه من مكارم الاخلاق ؟ فقال له الرجل : لا .. فقال له عمر : لعلك رأيته قائما يصلى فى المسجد يهمهم بالقرآن ؟ ... فقال الشاهد : اى والله يا امير المؤمنين . فقال له عمر : اذهب فلست تعرفه) .

مواقيت الصلاة

الأيام	شوال ١٣٨٨	ديسمبر ١٩٦٨	مغرب ق	مغرب ت	عشاء ق	عشاء ت	فجر ق	فجر ت	شروق ق	شروق ت	ظهر ق	ظهر ت	عصر ق	عصر ت
السبت	١	٢١	٥٩	٤	٢٢	٦	١٤	٥	٤٧	٦	٥٣	١١	٤٢	٢
الأحد	٢	٢٢	--	٥	٢٣		١٥		٤٨		٥٤		٤٣	
الاثنين	٣	٢٣	--	٥	٢٣		١٥		٤٨		٥٤		٤٣	
الثلاثاء	٤	٢٤	٠١		٢٤		١٦		٤٩		٥٥		٤٤	
الأربعاء	٥	٢٥	٠١		٢٤		١٦		٤٩		٥٥		٤٤	
الخميس	٦	٢٦	٢		٢٥		١٦		٤٩		٥٦		٤٤	
الجمعة	٧	٢٧	٢		٢٥		١٦		٤٩		٥٦		٤٤	
السبت	٨	٢٨	٣		٢٦		١٧		٥٠		٥٧		٤٥	
الأحد	٩	٢٩	٣		٢٦		١٧		٥٠		٥٧		٤٥	
الاثنين	١٠	٣٠	٤		٢٧		١٨		٥١		٥٧		٤٦	
الثلاثاء	١١	٣١	٥		٢٨		١٨		٥١		٥٨		٤٧	
الأربعاء	١٢	يناير ٦٩	٥		٢٨		١٨		٥١		٥٨		٤٧	
الخميس	١٣	٢	٦		٢٩		١٩		٥١		٥٩		٤٨	
الجمعة	١٤	٣	٧		٣٠		١٩		٥١		٥٩		٤٩	
السبت	١٥	٤	٨		٣١		٢٠		٥٢		--	١٢	٥٠	
الأحد	١٦	٥	٨		٣١		٢٠		٥٢		--	١٢	٥٠	
الاثنين	١٧	٦	٩		٣٢		٢٠		٥٣		٠١		٥١	
الثلاثاء	١٨	٧	١٠		٣٣		٢١		٥٢		٠١		٥٢	
الأربعاء	١٩	٨	١١		٣٤		٢١		٥٢		٠٢		٥٣	
الخميس	٢٠	٩	١١		٣٤		٢١		٥٢		٠٢		٥٣	
الجمعة	٢١	١٠	١٢		٣٥		٢١		٥٢		٠٢		٥٤	
السبت	٢٢	١١	١٣		٣٥		٢١		٥٢		٠٣		٥٤	
الأحد	٢٣	١٢	١٤		٣٦		٢١		٥٢		٠٣		٥٥	
الاثنين	٢٤	١٣	١٥		٣٧		٢١		٥٢		٠٤		٥٦	
الثلاثاء	٢٥	١٤	١٥		٣٧		٢٠		٥١		٠٤		٥٦	
الأربعاء	٢٦	١٥	١٦		٣٨		٢٠		٥١		٠٤		٥٧	
الخميس	٢٧	١٦	١٧		٣٩		٢٠		٥١		٠٥		٥٨	
الجمعة	٢٨	١٧	١٨		٤٠		٢٠		٥١		٠٥		٥٩	
السبت	٢٩	١٨	١٩		٤٠		٢٠		٥١		٠٥		٠٠	٣

على هذا النهج من النظم المحكمة كان المسلمون الاوائل ، حتى تمكنوا فى عشرات من السنين من الظفر بزعامة العالم كافة فى العلوم ، والفنون ، والسياسة ، ومدوا ملكهم الى بقاع لم يظلها علم غير علمهم الى اليوم

وينتقل بنا الاستاذ من الحديث عن التشريع الاسلامى الى الحديث عن حكم الآيات المتشابهة فى القرآن الكريم فى قوله : آخر مطلب للاوساط من مطالبهم هو ان يكون الدين واضحا سائغا ليس فيه مايحتاج لتاويل ، ولا مايستعصى على التعليل ...

ان الاسلام ـ وهو الدين العام الخالد ـ قد وضع لهذا الامر نظاما ، وحد للعقل فيه حدودا ، فلم يغمط الدين حقه فى استعمال الالفاظ الموضوعية لتلك الشئون العلوية ، ولم يكلف العقل ان يصير اسير هذه التعبيرات البعيدة عن مؤدياتها كل البعد ، فيجعلها لنفسه عقيدة صورية ان سلم بها الناس فىجيل شذ عنها ابناؤهم فى جيل آخر ، فقرر هذا الاصل الاصيل وهو : (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، واخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغا تاويله ، وما يعلم تاويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الالباب).

ومعنى هذا ان آيات القرآن الكريم محكمات الوضع ، واضحات المعانى ، لايستعصى فهمها على انسان ، ولا تحتاج الى صرف الفاظها عن ظواهرها، هى أصل الكتاب وأسسه ، وعليها يقوم صرح هذا الدين فى المعتقدات والعبادات ، والمعاملات . ويعقب الاستاذ على الاية الكريمة السابقة فيقول : (ان الاسلام بهذه الاية قرر بنص لايحتمل التأويل انه لا يطالب الناس الا بما أتى به محكم الوضع جلى المعنى ، لاتعترك فيه العقول ، ولا تحار فى كنهه الافهام . واما مالا يدركه العقل ، وما تقصر عن بيانه الالفاظ ، وما تذهب المدارك فيه كل مذهب ، فالناس غير مطالبين به . وزاد على ذلك فقرر انه لا يحاول تأويل تلك الآيات الا الزيغ ، فانها تتعالى حتى عن التأويل .

ويتابع كاتبنا بحثه الشيق فيقدم صورة صادقة لمدى تأثير الاسلام فى العالم ... فالاسلام ـ دين الله الحنيف ـ نقل العقل البشرى منذ فجر دعوته من التجمد ، الى الادراك الواعى ، والتفكير المثمر بما حضت آيات الله البينات ، وسنة رسوله الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من دعوة صريحة للعلم ... يقول سبحانه : (اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم) .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم : (العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) (أفضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ، ثم يعلمه اخاه المسلم) .

يقول الاستاذ الكاتب : (لا مشاحة فى ان كل انقلاب اجتماعى يحدث فى أمة من الامم لاتقتصر آثاره عليها ، فكما يفضى فيها الى زوال عهد قديم ، كذلك يفضى فى جاراتها من الامم الى سقوط بعضها ، وفناء البعض الاخر .. وتمتد الصدمة التى يحدثها الى ابعد مما يتخيله الراءون ، حتى يعم الامم كلها نسب مختلفة .

ويستطرد الاستاذ فى حديثه هذا فيقول : (فلننظر الان فى نتائج الانقلاب الذى احدثه الاسلام ، وما اصاب العالم منه ، وفى الروح الذى أوجده فى الارض . وقد رأينا ان ندع الكلام فى هذا الموطن لمستشرق .

قام بهذا الامر خير قيام فى مقدمة فهرست وضعه لآيات القرآن الكريم باللغة الفرنسية هو المسيو (جول لابوم) قال ماترجمته : كان جو العالم ملبدا بسحب الاضطرابات الوحشية فى كل مكان ، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على الخير . وكان اكثر الرؤساء كسبا للثقة والطاعة اشدهم صيحة فى اصلاء نيران الحروب والمعارك . ولم يكن يأخذ بعواطف القلوب ، ولا يؤثر عليها تأثيرا حادا ، وان كان وقتيا ، الا شيء واحد هو الغنيمة ، وسلب الامم والشعوب ، والمدائن والاعيان ، ورجال الحروب ، وفقراء الحراثين ، وبسطاء المتسولين ... ولولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتالق فى بعض العقائد الفلسفية التى كانت بمعزل عن اعاصير تلك المشاغب ، وانتقلت من روح الى روح اخرى بوساطة بعض أصحاب الجراة من رسل الرقى فى المستقبل ، لكانت البربرية اسرعت فى خطاها مقودة بغطرسة زعماء البهيمية ، واستحالت الى وحشية محضة ..)

ويعلق الاستاذ الكاتب على هذه الفذلكة التاريخية التى كتبها المستشرق المسيو جول لابوم فيما كان عليه العالم وقت ميلاد محمد خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم انه كان فى حاجة ماسة الى صيحة من صيحات الحق المعهودة فى بعض أدوار الانقلابات البشرية ، تنبه الغافلين ، وتوقظ النائمين ... ثم تهيب بهم الى النظر فى انفسهم ، والتفكير فى مصيرهم .. والى قبس ساطع من نور الحكمة يكشف الحجب المسدولة على أعين الناس والغلف المضروبة على قلوبهم ، لكى يربأوا بانفسهم ان يعيشوا على ماهم فيه ..)

وكان ان بعث الله سبحانه وتعالى بخاتم النبيين الى شعب يجهل وجود نفسه فضلا عن وجود غيره ... وما هى الا سنوات تعد على اصابع اليد حتى رأينا ذلك الشعب الذى كان جامدا بالامس يتطلب لقاء أكبر دولة فى الارض ـ وهم الرومانيون ـ فاصطدم بجيوشهم فى سورية فسحقها بكتائبها المدربة ، وحطم معاقلها المشيدة ، واجتاز حوائطها المنعة ، وقذف بها الى مابعد حدود تلك البلاد ، واجبرها على الاستسلام ،والصبر على الهوان ، والرضا من الغنيمة بالاياب وفى الوقت نفسه انقضت على فارس ـ وهى تلك الدولة القديمة التى كانت تمثل كل ما كانفى الشرق من خيلاءالحكم المطلق ، وغلواء الاصول والرجعية ـ وما هى الا صدمة صادقة حتى تداعى صرحها الشامخ ، واصبحت فى ذمة التاريخ .. كل هذا فى اقل من عقدين من السنين) .

ويعترف المفكرون الغربيون بفضل الاسلام والمسلمين ، يقول العلامة (سديو) احد وزراء فرنسا فى كتابه (تاريخ العرب : (كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم ، والفلسفة والفنون ، وقد نشروها اينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى اوربا ... فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها ... ولم يكتف المسلمون بان يكونوا معلمين للاوروبيين،وملقنين لهم النهوض والمدنية ... ولكنهم أسسوا فى بلادهم جامعات ، واقاموا مراصد ، باعتبار أنها كانت تحت سلطانهم فبقيت لاهلها بعد جلائهم ، واثمرت ثمراتها اليانعة لهم) .

ومن علماء الغرب ايضا يقول (درابر) فى كتابه عن المدارس الطبية عند العرب : (وأول مدرسة انشئت للطب فى أوربا كلها ، هى المدرسة التى أسسها العرب فى ايطاليا وأول مرصد أقيم فيها هو ما اقامه المسلمون فى اسبانيا ...)

وهكذا فالامم جميعا تدين لخاتم النبيين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما هى عليه من حياة وقوة ، وبما فى نهضتها من الروح المؤدى الى التكمل ، والعمران والمدنية ... ولو اردنا ان نستقصى كل نتائج هذه الدعوة المحمدية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ، ونهضوا بها ، واوجدوا علوما اخرى لم تكن موجودة من قبلهم .... اليس هذا مصداقا لقوله سبحانه وتعالى : (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ؟

اقف بك قارىء العزيز عند هذا القدر من كتاب (الاسلام دين الهداية والاصلاح) احد الذخائر الذى ان دل على شيء فانما يدل على أمجادنا الاسلامية الخالدة .

والى لقاء ان شاء الله .

من ذخائر السيد عبد الرحيم القنائى فى الأدب القرآنى

الاستاذ عبد السلام الطاهر الرمى

الموعد ١٨ رمضــــــان عام ٥٨٧ هـ برباط السيد عبد الرحيم القنائى بقنا فى الساعة التاسعة مساء بعد انتهـــاء الحضرة والذكـــر قال السيد الفاضل عبد الرحيم القنائى

بسم الله الرحمن الرحيم « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصــوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين »

نزلت هذه الآية الكريمة على رسول الله والخطـــاب له صـــــلى الله عليـــه وســـلم للتبليــغ . قال الله تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين فقدوا أخلاقهم ويجادلونك بالبـــاطل ويبتغون كسبا لآرائهم وأقوالهم بدون حق قل لهم ان ربى وضع ميزانا للحياة الدنيا فى جسم ابن آدم . ميزانا قائما على العدل فمن تزحزح عن قيوده واتجاهاته ضــل عن سبيل ربه وباء بالخسران المبين . قل لهم يا محمد ان الميزان الذى وضع فى أجسامهم ان كانوا يحسنون التبصر فى صورهم ويشعرون بوجــــوده انه هو القلب . قل لهم يا محمد ان هذه القطعة فى الجسد عليها يتوقف سعادة الانسان وشقاؤه وعلو منزلته وانخفاضها قل لهم يامحمد ان فى الانسان مضغة لوصلحت لصلح الجسد كله واو فسدت لفســ[د] الجسد كله الا وهو القلب . قل ل[هم] يا محمد ان القلوب بيدالله يصــور[ها] ويزكيها ويهديها ويضلها قضاء من عن[د] الله وقدرا قدره بعد ان افسح لهـــ[ا] المجال للتبصر والدراسة بسمع يسم[ع] به وبصر يبصر به وعقل يدرك به ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها . قل لهم يا محمد ان هذا المكان خلقه الل[ه] مقدسا فحافظوا على قدسيته وطهارته بالتمهد بنظافته حتى لا يتاثر بما عملت يد الانســـــان « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » . قل لهم يامحمد ان الامور لها ملائكة وكلت بها وهى تنصح بأمرى دون ان ترى وان هناك شيطانا أخذ على نفسه أن يضلكم ويعدكم غرورا وضدان فى الحياة كل يســــعى ليغلب ولكن الغلبة للحق جل جلاله ولرسله وصالح المؤمنين .. قل لهم يامحمد ان هذه الامور وجب عرضها على ميــزان الحق فى القلب وانه هو الميزان الحق الصحيح النقى الذى لا بخس فيه ولا خسران لعلكم ترشدون .. قل لهـــم يا محمد ان القلب جميـــل فلا تشوهوه وان القلب خلقته نيرا فلا تظلمــــوه باطفاء نوره بايديكم .. قل لهم يامحمد ان القلب وضعته فى مكان امين سليم فلا تتركوه الى النفس تارة تتجه الى الله وتارة تتجه الى غيره فيضـــل صاحبها ويهوى .. قل لهم يا محمــد ان القلب فيه الحب . والحب الطاهر الجميل النقى فلا تلوثوه قل لهـــم يا محمد ان الله قال وقوله حق « يرفع الله الذين آمنوا منـــكم والذين أوتوا العلم درجات » وهؤلاء أصحاب القلوب الذاكرة الشاكرة الواعية النظيفة . قل لهم يا محمد انى ذاكر لكم درجات الحب حسب الترتيب الذى يعلم الله اتجاهه فى نفوسكم فالآباء أولها والأبناء ثانيها والاخوة ثالثها والازواج رابعها والعشيرة خامسها والاموال سادسها والتجـــارة سابعها والمساكن ثامنها هذه هى منازل الحب ومراتب المفاضلة فى قلوب الناس .. ان كان هؤلاء جميعا او أفرادا كلا أو جزءا أحب لقلوبكم ولنفوسكم من الله الذى خلقكم وصوركم فأحسن صوركم ومن عليكم بنعمه ظاهرة وباطنة والبسكم من الخيرات ما يقيكم بأساء هذه الدنيا

من متاعب ومزالق .. قل لهم يا محمد لم اطلب من عبادى حبا ينفعنى أو انا فى حاجة اليه فانا وحدى القوى الجبار المتكبر العزيز القهار مالك الملك خـــالق الكون وما فيه ومن فيه الى مرجعكم جميعا فليحبنى عبـادى كرها ايمانا بقدرتى وقهرى وليحبنى عبـادى تقربا وطوعا ايمانا بانى انا الغفارالتواب الرحمن الرحيم الكريم المتعال .. قل لهم يا محمد ليس لنفسى أغضب لهذه المفاضلة بين حبهم لى وحبهم لمن ذكرت لهم فى كلامى المنــــزل عليك .. بل أغضبت أيضا لأجلك أنت يا محمد أن فاضلوا فى حبهم عليك أحدا ممن ذكرت لهم .. فحبهم لى واجب وحبهم لك واجب أيضا ولا اقبل منهم حبا غير مقرون بحبك يا صاحب الخلق العظيم ويا من أنت بالمؤمنين رءوف رحيــم يا صفوة خلقى ونور عرشى وخاتم أنبيائى ورسلى .. يامحمد أن فاضلوا عليك آباءهم وأبنـــاءهم وأخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم واموالهم وتجارتهم ومساكنهم فعليهم غضبى .. ثم قل لهم يا محمد أن هناك فئة أخرى يجب أن يكونوا فى ميزانك وميزانى فى الحب هم المجاهدون فى سبيلى الذين باعوا ارواحهم رخيصة فى سبيلى انا الله القادر المقتـــدر فاشتريتها منهم بثمن غال ومكنتهم فيما يطلبون ويشتهون .. قل لهم يا محمـد انى أقمت الدنيا هذه ومن فيها عـلى المكابدة والعمل والكدح فيها وخير كادح عندى المجاهد فى سبيلى . قل لهـم يا محمد فتربصوا حتى يأتى الله بأمره مادمتم غير مقتنعين بقولى . أنكم لستم فى قوتكم الا ضعفاء وفى مالكم فقراء وفى شبابكم موتى وهلكى .. الى مرجعكم أن طال العمر أم قصر وفى تجارتكم كسادا فانا الرزاق الكريم الغنى الحميد وما مساكنكم التى تتفاخرون بها من رياش وأثاث فقد جرتكم الى التعاظم على الله ومن يتعـــاظم على هلك وباء بالخسران المبين والله لايهدى قوما فسقوا وضلوا سواء السبيل (من كان يريد ثـــواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) ولا يمنح ثواب الله للفاسقين والمبغضين لله ولرسوله ولأوليائه . أنما يمنـــح للمحبين الغارقين فى بحور هذا الحب يغترفون منه مايرويهم فاذا بهم عطشى ولو سقوا كل مائه ما ارتوت نفوســهم ليلهم نهار ونهارهم ليل يعشقون فيتيهون فى ملك ربهم متفكرين

ويذكرونه فيجدون لذكره حـــلاوة ولاسمه جلالا وضياء ويصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحســـون بالشوق فى دمائهم فتجرى دموعهم كاتبة على خدودهم آيات الحب الطـــاهرة والوفاء والاخلاص . هؤلاء هم المحبون لله ولرسول الله صـــلى الله عليــه وسلم . اللهم أجعلنا من المحبين لله ولرســـوله ومن المحبين للمحبين لله ولرسوله صـــلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .. اما أولئك الذين قال الله فيهم والله لا يهدى القوم الفاسقين هـــؤلاء الذين فســـقت قلوبهم فضـــلت وأضلت وقد عميت أبصارهم وغشيت بصائرهم وانسدت مسالك الدم النقى الى عقولهم فادركوا خطأ وتكلموا كذبا وسعوا فى الارض . فجورا فمآلهم فى الدنيا معيشة ضنكا وفى الآخرة عذاب الله الشديد (نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة)

نعوذ بالله من سوء العاقبة وخـزى الدنيا والآخرة .

وغدا بقية الدرس ان شاء الله تعالى

يوم ١٩ رمضان عام ٥٨٧ هـ عاد السيد عبد الرحيم القنائى الى القاء الـدرس وذلك فى الساعة الثامنة مساء قال :

موضوع درســـــنا اليوم : الدين الاسلامى دين علم وعمل وأخلاق فمن ترك واحدة فقد ضل الطريق .

قام بالشرح السيد عبد الرحيــم القنائى قال :

.. الدين الاسلامى هو الدين الـذى ارتضاه الله لعباده وبه سمى سيدنا ابراهيم عليه السلام الامة بالمسلمين من قبل وهو رسالة صفوة الخلق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وســـلم .. والدين الاسلامى دين التزم به مبعوث الامم وخير هاد لها ومبشر به هـــو سيدنا محمد ختم الله به الانبيـــاء والمرسلين ولا نبى بعده ولا دين ولا دعوة ولا تبشير ولا قول نازل من الســـماء فالقرآن الكريم آخر الكتب السماوية ولا حديث بعد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الدين الاسلامى هو الدين القـــويم المرتكز على اعمدة راسخة ثابتة قوية البنيـــان والاركان باقية ما بقى الزمان يحرسه الرحمن بقهره وقوته ويحيطه مولانا جل شانه بعنايته ورعـــايته ويقيم له من عباده بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادا هم على كتاب الله وسنة رسوله اصطفاهم الله من خلقـه فى قلوبهم نور وفى نفوســهم طهارة وفى عقولهم ادراك ذلك هم عبـــاد الرحمن الذين وصفهم الله فى كتابه وجعل لهم مميزات خاصة بصفات خاصة قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم . وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم أن عذابها كان غراما . أنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما .. والذين لايدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا .. والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما . والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صـــما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنـــا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما . اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وســـلاما . خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما .

((صدق الله العظيم)) .

تلك هى خصائص المسلم واضـــواء الاسلام . وأول صفة يتحلى بها المسلم .. هذا الانسان الذى يمشى فى هـــذه الحياة الدنيا هونا متواضعا لين الجانب فى غير مذلة عظيم الجاه فى غير تكبر غير عابىء بلوم الجاهلين أو استنكار الفاسقين واذا سمعهم أو وصل اليه نبأ قولهم أو فعلهم قال سلاما . فصاحب الدعوة الاسلامية يقول المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ولهذا كان هينا على عباد الرحمن وتواضعا منهم أن يردوا السفه بالسفه والرديئة بالرديئة والقطيعة بالقطيعة والبذيئة بالبذاءة وهذه هى الصفة الاولى فى عبـــاد الرحمن .

اما الصـــفة الثانية اولئك الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . ذاكرين الله خوفا منه وطمعا فيه وتقربا اليه جل جلاله . فالصلاة هى الصلة والقربى بين العبد وربه ولهذا سما وعلا اولئك الذين اتخـــذوها مناجاة بينهم وبين خالقهم فى الليل حين سكن النـــاس وهجعوا لا يشعر بهم أحد الا خالقهم جل شأنه لتصل قلوبهم الى النور فيتجلى عليهم برضوانه أما الثالث من صفاتهم فهى صفة الضراعة بالدعاء والابتهال اليه وليس هنـــــاك اكبــــر من أن يطلب الانسان النجاة من النار وعذابها أن عذابها كان لزاما أنها ساءت مستقرا لشدتها ومقاما لسوئها ليس بعدها عذاب فى جميع مراتبها السبعة فلجأ عبـــاد الرحمن للرحمن يرجون ان يبعدهم عنها ويقيهم منها .

.. اما الصفة الرابعة من صفاتهم هى صفة التدبير فعباد الرحمن اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يبذروا . واذا صانوا الشىء لم يبخلوا ولم يقتروا وجعلوا فى كل شىء امورا وسطا تحفظ عليهم دينهم ودنياهم . أمرا بينا قيما قائما على العدل والقسطاس المبين .

.. اما الصفة الخامسة من صفاتهم هى عدم الاشراك بالله وتشاهد وأنت تقرأ هذه الاية انها حضت على عـــدم الشرك بالله ثم جاء بعدها فى مـــكان

واحد قتل النفس والزنا .. أى أن الله قال : « والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون » . فكلها كبائر وعظائم .. وعباد الرحمن بعيدون من ذلك كل البعد لان الشرك ظلم عظيم وقتل النفس جريمة .. الله آخذ بحق المقتول ظلما فى الدنيا قبل الآخرة وكفى أن الله يقول « فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل » ومن كان سلطانه ربه فهو واصل الى النصر والى نيل حقه وحق القتيل .. ثم الزنا وما فيه من مضار اجتماعية وروحيه وجسمانية وهى فعلة نكراء تبعثر الذرية وتدعو الى ايجاد نسل يعيش فى الحياة فى حالة من الهمجية وغضب الرحمن فكم من لقيط تزوج بأخته دون أن يدرى وكم من امرأة حملت سفاحا وهى فى عصمة زوجها ونسبت حملها لزوجها وهو منه برىء وكم وكم من هذه الجرائم الكثيرة العدد والزنا من الجرائم التى تذهب بالحياة والكرامة وما هلك السابقون الا بهذه الجريمة فقد أصابهم غضب الله فارسل عليهم نقره وهلكوا مع الهالكين . ثم وعدهم الله بعذاب مضاعف يوم يلقونه يوم الجزاء الاكبر وامر جل جلاله بان يخلدوا فيه فى هوان وذلة .. ثم أبان الله لهم رحمته وطمعهم فى العودة اليه بتوبة صادقة من عباده لمن تاب منهم وعمل عملا صالحا فقد وعدهم الغفور الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء بان يبدل سيئاتهم حسنات وان التوبة الخالصة منهم مقبولة عنده فبابه مفتوح للتائبين والعائدين اليه بالعمل الصالح والاستغفار .

.. الصفة السادسة .. الذين لا يشهدون الزور . فهذه صفة مذمومة لمن ارتكبها قبيحة تطمس معالم الحقيقة وتعين الظالم بظلمه على أصحاب الحقوق فتضيع بين الناس حقوقهم فتسود الفوضى وتعم الفتن وتكثر الضغائن لان صاحب الحق قوى وفى دمه دفعة وثابة للاخذ بحقه بالقوة أن استطاع لها وبهذا لايمكن ان يكون ذلك محلا للامن ولاسبيلا للاستقرار وما أدى الى هذه الفوضى الا ذلك الذى شهد الزور وارتكبه ثم اللغو فى القول من سب او فاحشة او تهم تلقى جزافا اذا مروا بها عباد الرحمن مروا كراما لا يعيرونها اهتماما ولا اذنا صاغية حقنا للدماء وحفظا للارتباط لعل الله يهدى المذنبين ليتوبوا الى الله متابا

الصفة السابعة .. اولئك الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها بدون سمع ولا بصر ولا بصيرة بل كانوا لها مدركين لمعناها ولمغزاها عاملين بما جاء فيها خائفين من نذير ورد فى آية من الآيات او عقاب شمل صفة مذمومة من هذه الصفات المنهى عنها يبتغون التقوى من غضب الرحمن حتى لايصيبهم ما أصاب العاصين .

.. الصفة الثامنة .. الذين يقولون ويضرعون لله ويطلبونه فى تذلل وخضوع وخشوع يرجون منه وليس من احد سواه ربنا هب لنا من أزواجنا اللاتى أحللتهن بكتابك وسنة رسولك صلى الله عليه وسلم هب لنا منهن ذرية صالحة تعرفك ونسلا طاهرا يعبدك ويوحدك ويعمل على طاعتك وتكون لنا سرورا فى الحياة الدنيا . ثم اجعلنا للذين اتقوا وعبدوك وسجدوا لك وركعوا وساروا فى طريقك ائمة بالعلم والمعرفة والعمل الصالح والتقوى لان الله مع الذين اتقوا والذين هم مؤمنون ..

ثم بشرهم الله . بشر عباد الرحمن .. بصفاتهم الثمانية بأن لهم عنده الغرفة وهى قطعة فى الجنة خاصة بهم ولامثالهم من عباده بما صبروا على مجاهدة النفس ومنعها من الذنوب ومحاربتها على ارتكاب الرذيلة حبا لله ولرسوله فاذا مادخلوها حيتهم ملائكة الرحمن تحية اهل الجنة ولقوا فيها سلاما دائما تحوطهم رعاية الرحمن لعباد الرحمن . ثم بشرهم الله بالاستقرار الدائم فيها والخلد وما احسنه مستقرا وما أبهاه مقاما وما أعظمه ثوابا وما أطيبه جزاء

هذا هو الدين الاسلامى . وهذا هو المسلم بصفاته او بشروطه التى ارتضاها له مولاه ليعمل بها . ليكون من عباد الرحمن .

.. ثم ان الدين الاسلامى دين «علم» .. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه وتعالى رداء فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه جل جلال الله . وذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت . وقيل أيضا كل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما معناه » لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة وذلك لان التعليم هو الطريق الصحيح لتأدية الصلاة الصحيحة المقبولة وقال عليه الصلاة والسلام أيضا باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ، وقال أيضا طلب العلم فريضة على كل مسلم . وقال أيضا العلم خزائن مفاتيحها السؤال .. الا فاسألوا فانه تؤجر فيها اربعة . السائل والعالم والمستمع والمحب لهم . وقيل العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم ومن قرأ القران الكريم بدون علم فهو جاهل . ولا بد للانسان ان يتعلم حتى يدخل الى هذا القران متفقها أبوابه عارفا لمعانيه . ويقول سيدنا على كرم الله وجهه . كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو

الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا يزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا تنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا أنا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به . من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القران بغير علم فليتبوأ مقعده من النار . وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التى حبست بالعقال . وهذا القول ضرب لصاحب القران حتى يتعهده بالتكرار والاستذكار حتى لا ينسى

وروى عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (« ما معناه ») ما من أمرىء يقرأ القران ثم ينساه الا لقى الله يوم القيامة أجذم «ومعنى أجذم» أى مقطوع الحجة . وعن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القران فليسأل الله به فانه سيجىء أقوام يقرأون القران ويسألون الناس به .

ويقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

ففز بعلم تعش حياته أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل به ثم نشره . وقال الله تعالى « ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون» وذلك بالتعليم والارشاد . قال جل شأنه « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا .

وغدا ان شاء الله نتمم باقى الدرس
– ١٩ رمضان ٥٨٧ هـ

وسنوالى فى الحلقة القادمة تتمة باقى شرح مولانا السيد عبد الرحيم القنائى فى دروس رمضان عام ٥٨٧ هـ نسأل الله الكريم النفع والهداية والبركة والخير لنا ولكم وللامة المحمدية جميعا انه سميع قريب مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

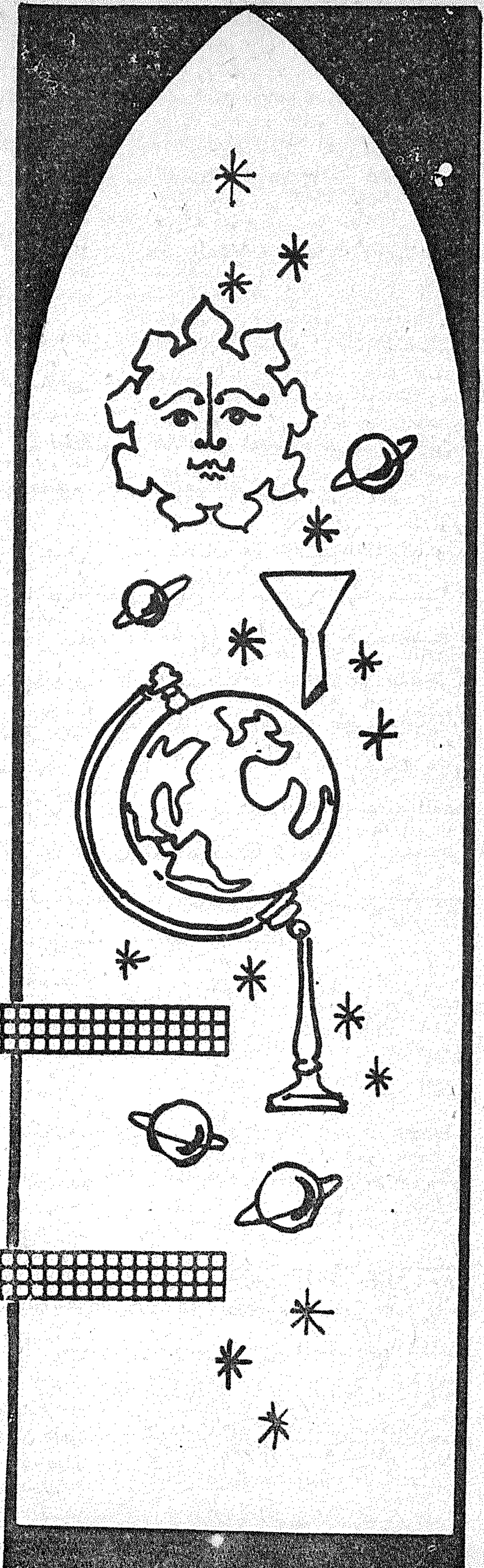

باب العلم

فلينظر الإنسان مم خلق

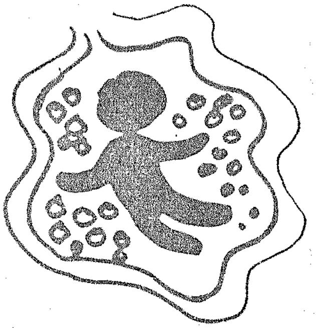

الدكتور عبد الحليم كامل

لقد تحدثت فى مقالين سابقين عن تكوين الحيوان المنوى فى صورته النهائية وكذلك عن تكوين البويضة فى أتم صورة لها أيضا مستعدة لما قد تفرضه عليها الظروف من واجبات أو اذا شئنا أن نقول مستعدة لتقوم بما كتب وقدر عليها فى هذه الحياة

ولكى تستمر هذه الحلقة من الحياة كان لابد وأن تستقر هذه البويضة المخصبة فى الرحم مركز الرحمة والأمان ، فى ذلك القرار المكين الى قدر معلوم ويحدثنا القرآن فى سورة المرسلات فيقول

ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون

ويتصل بالرحم قناتان هما قناتا فالوب ولكل منهما غطاء عضلى رقيق كما يبطن كل منهما من الداخل ببطانة رقيقة بها ثنيات كثيرة متداخلة مع بعضها . ولما كانت البويضة لا تحتوى على ما يحركها حركة ذاتية كانت كل قناة مزودة بأهداب تدفع البويضة الى داخل الرحم . وهذا تكييف عجيب واستكمال لنظام دقيق يضاف اليه أن نهاية القناة المفتوحة تشبه القمع وتحيط بها حافة رفيعة متحركة غير ثابتة تمتد الى الخارج لتستقبل البويضة الناضجة عند خروجها من المبيض .

وقد تستغرق البويضة فى انتقالها من المبيض الى الرحم مدة لا تقل عن أيام ثلاثة ولا تزيد عن ست .. ثم يأتى بعد ذلك دور الرحم الذى يرعى الجنين أثناء نموه وتكوينه . ويتكون جدار الرحم هذا من عضلات كثيفة كما تبطنه من الداخل طبقة من نسيج غدى وأنسجة ضامة تسيطر عليها الهرمونات . وتعرف هذه البطانة ببطانة الرحم وكما يسميه البعض « فراش الولادة » والذى قد تبين أخيرا ولأول مرة أنه مكون من جزئين الجزء الأول وهو القاعدى الذى تنشأ منه الغدد الجديدة والأنسجة . أما الجزء الثانى فهو الجزء الوظيفى الذى يتساقط أثناء الحيض ثم يتجدد غيره فى كل دورة من الدورات الشهرية المنتظمة .

ولهذا الغشاء المبطن لجدار الرحم أهميـة عظمى فى صحة الأم وصحة الجنين • فالكثير من الاضرار التى تصيب الرحم والتى تؤدى الى الولادة قبـل الأوان أو قد تؤدى الى موت الجنين هى نتيجـة لسلوك الشرايين الدقيقة الموجودة فى هذا الغشـاء الداخلى والتى تكون عادة ملفوفة أثناء دورةالحيض استعدادا للحمل المحتمل ثم تفك لفائفها وتتمدد من منتصف الحمل الى وقت الولادة ، فاذا حلت هـذه اللفائف بسرعة أكثر مما هو مطلوب أو بسرعة تقل عن السرعة العادية المطلوبة عندئذ لاينمو الرحم كما ينبغى ويضار الجنين أو قد يولد ميتا أو قبل ميعاده وهكذا كل شىء عنده بمقدار فسبحانه القائل

الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحـام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار •

وفى النصف الاول من دورة الطمث أى عنـدما تكون البويضة آخذة فى النمو داخـل المبيض يزداد النشاط الغدى والدورى لبطانة الرحم متأثرة بفعـل الاستروجينات فيزداد جدار الرحم فى السمك كمـا تنشط الغدد الموجودة به ويستعد لاستقبال البيضة التى ستستقر فى بطانته بأن تستطيل هـذه الغدد وتلتوى وتفرز افرازا خاصا كما يصبح النسيج الضام أكثر تفككا وبه كثير من الأوعية الدموية • وفى هذا الوقت تكون قد نضجت حويصلة جراف التى تنفجر بعد ذلك وتخرج منها البويضة متخذة طريقها فى أحد القناتين متجهة الى الرحم •

فاذا لم يقدر لهذه البيضة اخصاب فانهـا تموت وتنتهى وعندئذ يضمحل الجسم الاصفر ومن ثم لا يكون له افرازما من الهرمون المسمى بالبروجسترون والذى كان يؤثر فى بطانة الرحم ، وعندئذ تتساقط هذه البطانة ثم يتبع ذلك نزف دموى يدوم بضـعة أيام هى أيام الطمث أو الحيض معلنة انتهـاء دورة كاملة وابتداء دورة أخرى تتجدد فيها بطـانة الرحم أثناء نضج بويضة جديدة • ويحدثنا القرآن الكريم عن الطمث فيقول فى سورة البقرة

ويسـئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهـرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمـركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

وهكذا تتعاقب الدورات بانتظـام ما دامت الأم فى صحة جيدة وما دامت لم تصل بعد الى مايسمونه بسن اليأس الذى ان أدركته الام أو أدرك هو الام نضب معين هذه الأعضاء فيقل ما تفرزه من هرمونات فيتوقف نضج البويضات وعندئذ تنكمش بطـانة الرحم وينكمش جداره العضلى ويقل تبعـا لذلك نشاط كل منهما •

ونتنقل بعد ذلك الى مرحلة أخرى ولعلها المرحلة المهمة فى تاريخ كل كائن حى ألا وهى مرحلة الحمل •• فمن الحيوانـات العديدة التى تنجح فى اختراق قناة عنق الرحم تدفعها أذيالها حتى تصل الى نهاية المطاف داخل قناة فالوب ، حيوان منوى واحد هـو الذى تحتاجه البويضة الناضجة ليتم الأخصـاب وما ذلك العدد الضخم الا لتكون هناك فرصـة أكبر للقاء بين الحيوانات المنوية والبويضـات فاذا قل العدد كانت الفرصة اضعف واللقاء أصعب ومن ثم فرصة الحمل أقل وأندر • ولكى ندرك ضخامة هذا العدد نستطيع أن نقول ان الرجل يعتبر عقيما من الوجهة العملية التناسلية اذا كان عدد خلاياه المنوية أقل من عشرين مليونا فى السنتيمتر المكعب الواحد من السائل المنوى الذى تسبح فيه •

ويقال ان الحيوان المنوى يقطع ملليمترا واحدا فى كل دقيقة ولذلك كان عليه أن يسـير ما يقرب مـن أثنى عشر ساعة قد تزيد الى أربع عشرة ساعة حتى يصل الى ما يهدف اليه وهو البيضـة الموجودة فى قناة فالوب • فاذا لم تكن هناك بيضة ناضجة فى ذلك الوقت كان حدوث الحمل مستحيلا •

حتى اذا تم اللقاء بين الحيوان المنوى والبويضة تكونت البيضة الملقحة أو بمعنى آخـر أدق ابتدأت حياة كائن حى جديد بانقسام هذه البيضة الملقحة الى خليتين بعد أربع وعشرين ساعة ثم تنقسم هاتان الخليتان الى أربع ثم الى خمس وست وثمان وهكـذا

حتى يتكون ما يسمى بالكيس الجرثومى الذى يغرس نفسه فى بطـــانة الرحم نحو اليوم العاشر بعد الاخصاب .

وتسمى طبقة الخلايا الخارجية للكيس الجرثومى بالخلايا التروفية أوالخلايا الأكالة وما سميت كذلك الا لأنها تحفر فى بطـانة الرحم التى تم بناؤهـا وتحضيرها أثناء دورة الطمث . وهكذا تحفر داخل هذه البطانة حتى تتخذ لها مكانا تســتقر داخله وتحتمى به . ولا يقتصر عملها على هذا فحسب بـل انها تفرز الجونادوتردفين الكوريـــونى الذى يحث بدوره الجسم الاصـفر ليفرز الهرمونات التى تؤثر فى بطانة الرحم فتبقيها قوية صـــحيحة لا تتحلل ولا تتســاقط ومن ثم تتوقف دورات الطمث ما دام هناك حمل مستقر داخل الرحم .

وتنمو هذه الخلايا الأكالة بسرعة مكونة بروزات تشبه الاصابع يشق بها الجنين طريقه فى بطـــانة الرحم . كما أن الجنين يعتمد على هذه الأصـــابع فى حصوله على ما يحتاج اليه من مواد غذائية من دم الأم . وهذه الأصابع هى البداية الاولى فى تكوين المشيمة وتسمى هذه البروزات بالحمل . وتتكون الاوعية الدموية داخل هذه الحمل وتكون بعد شهر تقريبا ما يسمى بالشريان السرى والوريد السرى . عن طريق هذين الوعاءين الدمويين يحصل الجنين على ما يحتاج اليه من غذاء من دم الأم كما يتخلص مما يريد أن يتخلص منه عن طريق دمها أيضا

ثم تمضى الأيام سراعا وتنمو الخلايا الداخليـــة بسرعة كبيرة وبالأضافة الى هذا تستطيل الحويصلة الجرثومية أثناء غوصها فى بطانة الرحم ولهذا فهى تفقد شكلها الكروى مؤقتـا وتصبح شبيهة بالعلقة ولو أنها تستعيد شكلها الكروى مرة أخرى بعـد أن تضمها بطانة الرحم وما أن يمضى من فتره الحمل مائة يوم حتى يكون الجنين والمشيمة قد بلغامرحلة متقدمة من النمو . وهنا نتلو قوله سبحانه وتعالى

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنـا العلقة مضغة فخلقناالمضغةعظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين

وفى التفسير « ثم خلقنا النطفة علقة » بأن أحلنا النطفة البيضاء الى علقة حمراء . « فخلقنا العلقــة مضغة » وصيرناها قطعة لحم . والعلق « الدم الغليظ » والقطعة منه « علقة . « والعلقة » أيضـا دودة فى الماء تمتص الدم والجمع علق . «وعلقت » المرأة حبلت . والعلقة هنا كما تحدثنا الآية الكريمة وكما تحدثنا من قبل هى تلك التى تلى النطفـة فى التكوين . وهى ذلك الكائن الحى الصغير المستطيل الذى يشبه العلقة فى الشكل . أو ما هو يشـبه العلقة الموجودة فى الماء التى تمتص الدم كما يمتص الجنين ما يحتاج اليه من غذاء من دم الأم أو هى الجنين يتعلق بجدار الرحم وداخل بطانته . أو هى مرحلة فى التكوين بعد النطفة وقبل المضغة .

كل هذا وغيره كثير تدل عليه الآية الكريمة بل الآيات الكثيرة فى القرآن الكريم . ففى ســـورة غافر

هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون

وفى سورة العلق

اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانســان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

وفى سورة الحج

يا أيها النــاس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقـة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى

ويستغرق نمو الجنين كما نعرف جميعـا فترة تتراوح بين ٢٧٥ ٢٨٠ يوما ويزداد حجم الجنين ازديادا هائلا أثناء النصف الاول من مدة الحمل . أما

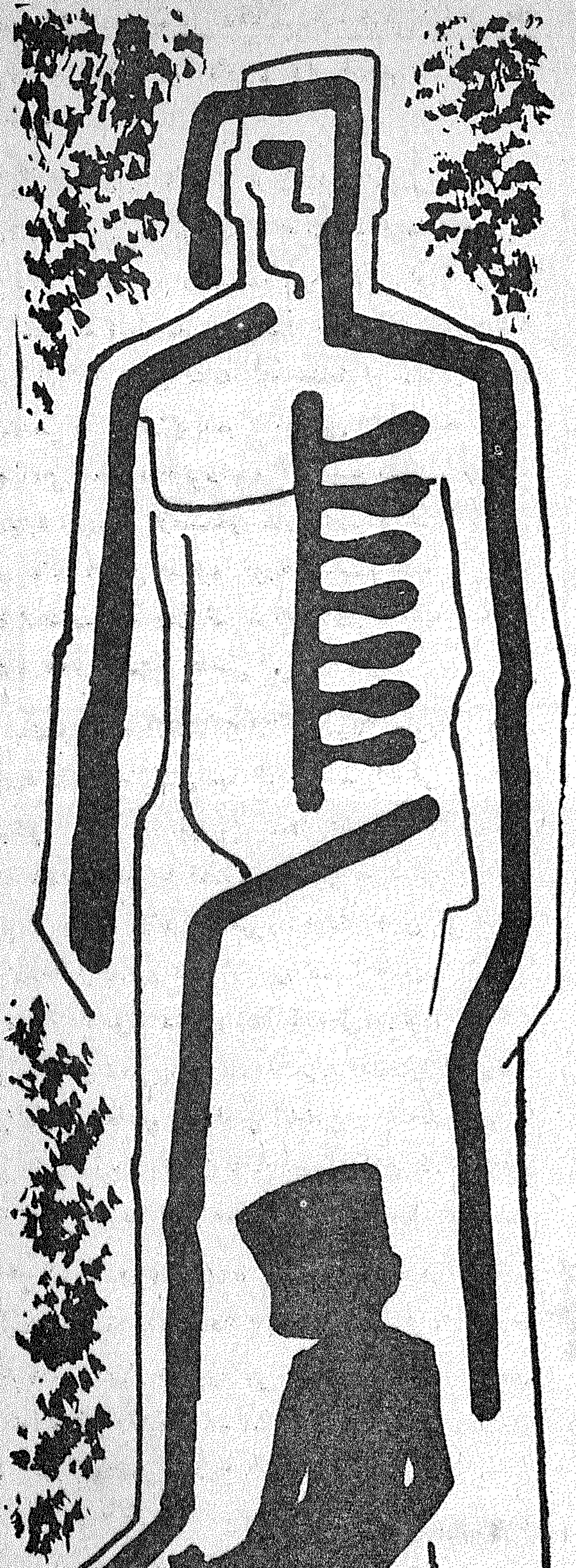

فى المراحل المتأخرة فان عمليـة التخصص الخلوى تكون هى العملية الهامة بينما تصبح الزيادة فى الحجم هى العملية الأقل شأنا فى نموه •

ويسمى الجنين أثناء نموه داخل الرحم مضـغة فيما بين الأسبوعين الثالث والثامن من حياته عندما تكون اعضاؤه المختلفة آخذة فى تشكلها وتكوينهـا ولكنه يسمى جنينا من الاسبوع الثامن حتى نهـاية الحمل

ويستقر الجنين فى الرحم بعد الأسـابيع الاولى تحيط به أغشية ثلاث هى المشيمة الحوصـلية والكوريون والأمنيون • ولا يلاصـق الأخير الجنين بل يفصله عنه السـائل الامنيونى •. ويعمل الأمنيون وسائله كوسـادة تقى الجنين من المؤثرات الخارجية والصدمات الميكانيكيـة التى قد تتعرض لها الأم وهنا نقرأ قوله سبحانه وتعالى فى سورة الزمر

يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث • ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون •

وهذه هى الظلمات الثلاث . وقد يقول قائل ان هذه الظلمات الثلاث هى هذه الأغشية كلها مجتمعة كغشاء واحد ثم جدار الرحم ثم جدار البطن وسواء أكان هذا التفسير أو التفسير الأول هو المقصود بالظلمات الثلاث ـ والله أعلم بمراده من غير شك ولكنا نرجح أن التفسير الاول هو الى الصواب أقرب فان هذه الأغشية تتكون مع الجنين وتنشأ مع نشأته لتحيط به وتحميه . وهكذا يحدثنا القرآن الكـريم عن أشياء ما كنا لنصل اليها ونعرفهـا الا بالتشريح الدقيق . ولكنه تنزيل من لدن حكيم خبير .

دلائل الروح في عظمة الوجود

الدكتور عزت محمد فهيري

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض
ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل الـ
يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخر
بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين
- (٥٤) - من سورة الأعراف ٠

ان السمة الاساسية للاشعة الكونية هى ما تحـ من طاقات هائلة ، حيث أن الجسيمات المشحو بالأشعة الكونية التى تصل جو الأرض مصا خارجة ، تبلغ من الطاقة مقادير تتراوح بين ١٠ مليون ، ١٠٠ مليون بليون فولت الكترونى ، بينـ لاتستطيع معجلات الطاقة التى صنعها الانسان تعطى الجسيمات طاقة تزيد على ٣٠ بليون فـول الكترونى ومن هنا قام التساؤل عن ما هية تلـ المعجلات الكونية التى تزود الجسيمات بتلك الطاقا الهائله ، وما اذا كان مصدر هذه الأشعة الكوني هو الشمس وحدها أم توجد مصادر اخر خارج مجرة المجموعة الشمسية ؟

وقد كان المعتقد أولا هو أن الأشعة الكونية تتولد أصلا من الشمس ،ويدل على ذلك أن الشهب الشمسية الناشئة عن الانفجارات تزيد كثيرا من سرعة الجسيمات التى تصل الى جو الأرض (مثل البروتونات وبعض الجسيمات الاكثر كثافة) كما أن شدة الأشعة الكونية تزداد فى جو الأرض فى مثل هذه الأحوال ٠ ولكن يوجد من الشواهد والحقائق مايؤكد أن الشمس ليست هى المصدر الرئيسى للأشعة الكونيـة ، ومن ذلك أن الجسيمات التى تصل الى جو الأرض مشحونة بهذه الأشعة لهـا طاقات مختلفة وميكانيكية متنوعة المصادر ، كما أن الأشعة الكونية التى تصل الى الأرض لا تأتى اصلا من ناحية الشمس ٠ وقد فسر ذلك أولا على أساس احتمال تأثير المجالات المغنطيسية فيما بين الكواكب والمغنطيسية الأرضية على اتجاهات الجسيمات المحملة بالطاقة ، ولكن ذلك التفسير قد دحض بانه فيما عدا الجسيمات ذات الطاقة الصغرى لا يمكن ان تتأثر الجسيمات ذات الطاقات الكبيرة بمثل هذه المجالات المغنطيسية الى هذا الحد ٠ ومن ثم فقد اصبح من

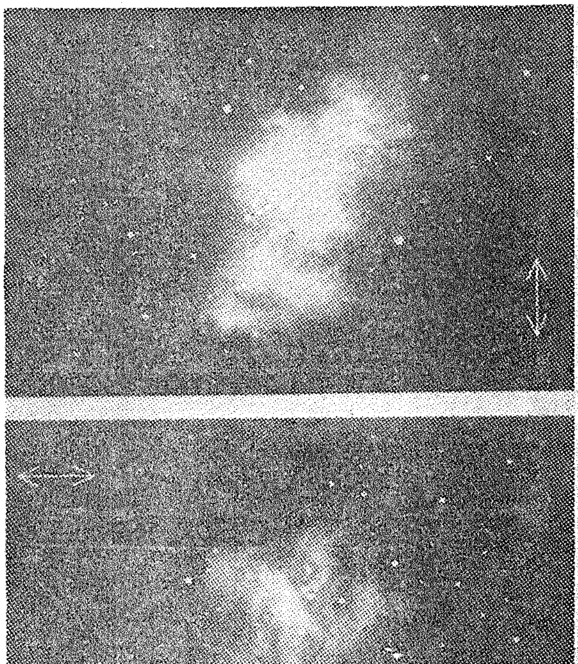

يبين الشكل نيزك كراب
وهو مصدر اشعاع قوى
للاشعة الكونية فى مجرتنا

الأشعة الكونية ومصادرها

المؤكد أن الجسيمات ذات الطاقة الهائلة لا توجد أصلا فى نطاق المجموعة الشمسية بل تأتى فى غالبها من مناطق ومصادر خارج هذا النطاق • واذا علمنا أن الأشعة الكونية بطاقاتها الهائلة تنفذ خلال كل شيىء فى الفراغ والهواء وتحت الأعماق) وأنهـا مصدر لجزء هام من مستلزمات الحياة عـلى الأرض ، فاننا نستطلع فى وجودها ونشأتها وانتقالها على متن الجسيمات الكونية المختلفة نستطلع قوة الخالق وعظمة الوجود وفيض النعمة وغمر الفضل وسبحان الله القائل فى كتابه العزيز •

((وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمـر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلـك لآيات لقـوم يعقلون)) (١٢) ـ من سورة النحل •

((يـدبر الأمر مـن السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون)) ـ (٥) ـ من سورة السجدة •

((وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيـم الخبير)) ـ (١٨) ـ من سورة الأنعام

واذا لم تكن الشمس هى المصدر الرئيسى للاشعة الكونية ، فانها لايمكن أن تنشأ من النجـوم التى تشبه الشمس حيث أن الشمس أقرب من النجوم وبالتالى فهى أقدر على توليد الطاقات الكونية **اكثر** من غيرها من النجوم • وعلى ذلك فلا بد **من وجود** مصادر مناسبة فى الكـون تستطيع **أن تعطى** الجسيمات مثـل هذه الطاقات الهـائلة ـ **التى** تشحنها بها الأشعة الكونية ، وقد ظهرت **الدلائل** الأولى للتعـرف على بعض هذه **المصادر عنـدما** اكتشف العـالمان والتربادى **وفريتزتسـفيكى** منذ اكثر من ثلاثين عاما مضت بعض **النجـوم** المتميزة بطاقات غير عادية التى اطلق عليها **((النجوم** الفوقية)) وعزى الى هذه النجوم نتيجة **لانفجارات** مخربة حدثت فيها فأتت على جزء كبير **من كتلتها** مصحوبة بطاقات هائلة ـ أن تكون **مصادر مناسبة** للأشعة الكونية • هذا وقد أوضح **باحثون آخرون** انه توجد أنواع أخرى من النجوم فى مجرتنا **(مجرة** المجموعة الشمسية) قادرة على **توليـد جسيمات** محملة بطاقات عظيمة ومـن ثم تسهم **فى انتـاج** الأشعة الكونية بكفاءة أكبر من الشمس **وبالرغم** من هذه الفروض والاحتمالات فانه كان **ينقصهـا** جميعا اثبات مايدل على وجود **جسيمات كونيـة** تسير بسرعة تعادل سرعة الضوء **فى أى من الأجرام** الفلكية خلا الشمس •

وقد جاء الدليل مؤخرا فى الخمسينيات من هذا القرن نتيجة لتقدم علم الفلك الاشعاعى الذى اثبتت أن الجزء الأكبر من المصادر المشعة فى مجرتنا أو خارجها تشع الطاقة عن طريق ما يسمى بالاشعاع التلقائى وذلك ينشأ عن الكترونات تسير بسرعة الضوء فى المجالات المغنطيسية • واذا كان من الممكن التعجل بسرعة الالكترونات الى هذا الحدفانه يمكن كذلك التعجيل بسرعة الجسيمات الأخرى مثل البروتونات أو ماهو أثقل منها •

وان مثل هذه المصادر المشعة للطاقة فى مجرتنا يمكن اعتبارها بقايا لنجوم متفجرة ، فمثلا النيزك المسمى (نيزك كراب) هو بقية لنجم تفجر فى غابر الزمان ، ويقدر ذلك حوالى عام ١٠٥٤ ميلادية • ويبين الشكل اشعاعا مصورا من هذا النيزك وبالرغم من اهمية هذه الاكتشافات الا أنه ليس من التيسير إجراء حسابات وتقديرات دقيقة لمقادير الطاقة التى يمكن ان تنطلق بها جسيمات كالبروتونات أو ما هو أثقل منها محملة ومعجلة بالأشعة الكونية من هذه المصادر الموجودة فى المجرة الشمسية ، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بكثافة الأشعة الكونية فى جو الأرض والذى يبلغ من الشدة مايوازى فولت الكترونى لكل سنتيمتر مكعب

وقد توصل العالم جون بالدوين منذ حوالى اثنى عشر عاما الى أن الاشعاع المنطلق فى مجرتنا لايأتى نطاق النجوم المحيط بها ، لكن من مجال يمتد على شكل هالة كروية تحيط بالنجوم وتحتوى على الكترونات عظمة الطاقة يمكن اعتبارها المركبة الالكترونية للاشعة الكونية كما تحتوى على مجال مغناطيسى ضعيف ، وعلى هذا الاساس فان الاشعة الكونية تملا هذه الهالة الضوئية • وقد توالت المشاهدات بعد ذلك على امثال هذه المجالات والهالات الضوئية ،كما أن بعض المشاهدات الأخرى قد اثبتت ان الاشعاع من داخل المجرة يحتوى جزءا قد لايكون دائما هو الجزء الأغلب من مجالات الهالات المشار اليها ، أما الجزء الأكبر فيكون من مصادر مشعة فى نطاق بعض النجوم بالمجرة أو من مجرات أخرى •

أما فيما يختص بالمصادر المشعة للاشعة الكونية خارج مجرتنا فان أحدث هذه المصادر قد اكتشف عام ١٩٦٣ على هيئة ما يسمى بأشباه النجوم » وهى تسهم فى انتاج هذه الأشعة مع المصادر الأخرى فى المجرات المختلفة وما زالت البحوث تترى فى هذا الميدان الهام للتعرف بدقة على مصادر الطاقات الهائلة التى تصل جو الارض وتهب الحياة لها عن طريق الاشعة الكونية والاشعاعات الضوئية ، وما زال العلم يسعى لاستجلاء خوافى الطبيعة والتسبيح بفضل الله وجلال نعمائه

« ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء» ـ (١٨) ـ من سورة الحج •

الإفتاء • المرأة المسلمة • الرياضه
بريد القراء • بريد التعارف

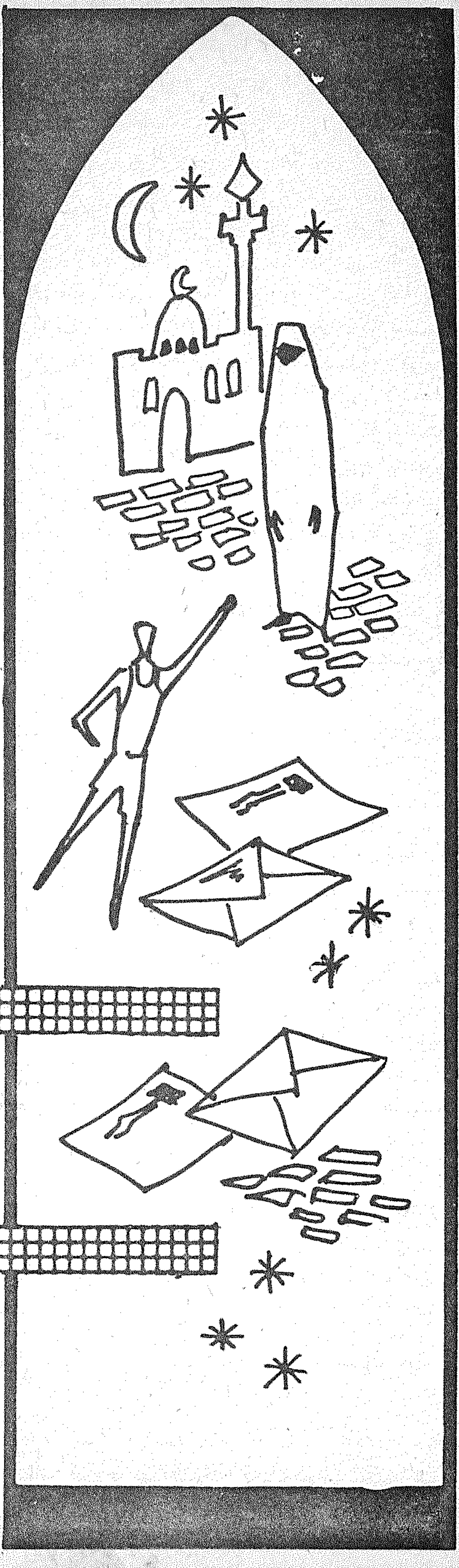

أنت تسأل

والمفتي يجيب

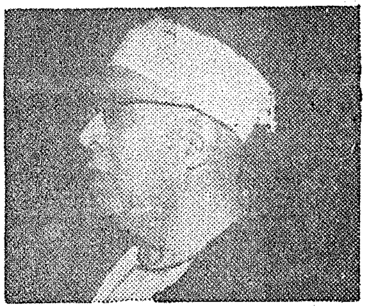

فضيلة الإمام الأكبر

الشيخ حسن مأمون

س ١ :

من السيد/مصطفى كمال

يقول : مات وترك أختين لأب وزوجة . فما نصيب كل ؟

الجواب :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث وللاختين لأب الثلثان فرضا والباقى ردا وعلى ذلك اذا كان أصل التركة من ٢٤ قيراطا يكون للزوجة منه ستة قراريط وللاختين لأب ستة عشر قيراطا مناصفة بينهما فرضا ويبقى من أصل التركة قيراطان ترد على الأختين لأب لكل منهما قيراط ردا وهذا كله اذا لم يكن للمتوفى المذكور وارث آخر سوى من ذكروا ولم يوجد له فرع يستحق وصية واجبة . والله أعلم .

س ٢ :

من السائل السيد/أحمد مطاوع احمد على

يقول : توفى رجل قبل وفاة والدته بحوالى عشر سنوات تاركا :

بنتين وزوجة . فما نصيب كل فى جدتهم لأبيهم ؟

الجواب :

ان الوصية الواجبة بدأ العمل بها من أغسطس ١٩٤٦ فان كانت وفاة والدة الرجل كان قبل أغسطس سنة ١٩٤٦ فلا شىء لأولاده فى ميراث جدتهم من طريق الوصية الواجبة

وان كانت وفاتها بعد هذا التاريخ فان لبنتى هذا الرجل وصية واجبة فى ميراث جدتهما المذكورة بقدر ما كان يرثه أبوهما ان لو كان حيا وقت وفاة جدتهما والدته المذكورة فى حدود الثلث فان زاد عن الثلث يرد الى الثلث ويقسم بين البنتين مناصفة ولا شىء لزوجة المتوفى فى تركة أمه المذكورة وهذا كله اذا لم تكن الجدة المذكورة قد أوصت لبنتى ابنها المتوفى أو أعطتهما شيئا بغير عوض عن طريق تصرف آخر ـ والله أعلم .

س ٣ :

من السائل نفسه :

يوجد شخص مسلم رضع من امرأة مسيحية لها بنات ، ويريد الزواج من احدى بنات هذه

سيحية التى رضع منها وذلك بعد اعتناقهـا
سلام ؟

الجواب :

أحب أن أشير هنا أولا الى أن زواج المسلم المسيحية التى تؤمن بكتاب يصح سواء كانت ما مسيحية كما هو الحال فى السؤال سواء بت على مسيحيتها أو أسلمت ـ لقوله تعالى : **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا تاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من ؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من بلكم »** .

ولنعد الى السؤال فنقول انه برضاع هذا شخص من تلك السيدة المسيحية صار ابنا لها ن الرضاع وصار كل أولادها وبناتها أخوة وأخوات ه رضاعا سواء من ـ رضع معها أو قبلها أو بعدها وعلى هذا لا يحل له التزوج باحدى بنات هذه السيدة وهذا على اطلاقه مذهب الحنفية القائلين بأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى ايجاب التحريم ـ أما على رأى الشافعية وأحد رأيين للامام أحمد فان الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات متفرقات مشبعات فى مدة الرضاع وهى سنتان على المفتى به وهذا الرأى الاخير هو الذى ارتضيه وافتى به تيسيرا على الناس فاذا كان الفتى قد رضع من هذه السيدة فى مدة الرضاع خمس رضعات فأكثر على الوجه المذكور حرم عليه الزواج من احدى بناتها لأنهن اخواته رضاعا ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

أما اذا كان رضاعه فى غير مدة الرضاع أو كان فى مدته وكان أقل من خمس رضعات فانه لا حرمة فى زواجه باحدى بناتها على الرأى الذى اخترناه للفتوى وهو مذهب الشافعية . والله أعلم .

س ٤ :

من رشاد عبد الحق :

يقول : انه يريد الزواج من ابنة خالته ولكن والدته أخبرته انه رضع من جدته أم خالته ، فهل يحل له الزواج من بنت خالته هذه ؟

الجواب :

المنصوص عليه شرعا انه اذا أخبر أجنبى بحصول الرضاع بين اثنين فان صدقاه حرم الزواج بينهما وان كذباه أو كذبه احدهما فلا يثبت التحريم الا بشهادة شاهدين بحصول الرضاع فان كان السائل قد صدق والدته فى أخبارها برضاعه من جدته أم خالته صارت خالته المذكورة أخته رضاعا وصارت بنتها بنت أخت السائل من الرضاع فتحرم عليه كما تحرم عليه بنت أخته نسبا أما اذا لم يصدق السائل والدته فلا يثبت التحريم .

هذا وان الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات متفرقات مشبعات فى مدة الرضاع كما يراه الشافعية وهو ما نراه ونفتى به خلافا لما رآه الحنفية وأحد قولين للامام أحمد من أن قليل الرضاع وكثيره سواء فى ايجاب التحريم .

ففى حالة ما اذا صدق السائل والدته بخصوص الرضاع فان التحريم بينه وبين بنت خالته انما يكون اذا كان قد رضع من جدته أم خالته خمس رضعات متفرقات مشبعات فى مدة الرضاع فان رضع أقل من خمس أو رضع خمسا أو أكثر أو أقل بعد مدة الرضاع وهى سنتان على المفتى به فلا يثبت التحريم بينهما . والله أعلم .

س ٥ :

من السيد/أحمد عبد الله اسماعيل :

توفيت والدتى ولم تكن تؤدى الصلاة . فاذا كانت الصلاة دينا على المسلم فهل يمكننى **أن أقوم بالصلاة نيابة عنها ؟ بمعنى أن أصلى كل يوم صلاة يوم آخر لها ؟**

الجواب :

العبادات اما بدنية كالصلاة والصوم أو مالية كالزكاة والصدقات أو بدنية مالية كالحج فاذا مات الانسان ولم يكن فى حياته يؤدى العبادات البدنية كالصلاة مثلا فلا يسقطها عنه صلاة وارث له وهو موضوع السؤال ، أما العبادات المالية كالزكاة فانه يصح للوارث أن يقوم نيابة عن الميت باداء زكاة لم يدفعها الميت حال حياته وكذلك العبادات البدنية المالية كالحج فيصح أيضا أن يؤدى الوارث الحج عن مورثه الذى مات ولم يحج وكان قادرا على الحج حال حياته لما روى أن امرأة جاءت الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالت يارسول الله ان أبى مات ولم يحج أفأحج عنه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « **حجى عن أبيك واعتمرى** » .

وإذا كان الله غفورا رحيما وقد كتب على نفسه الرحمة وسمى ذاته العلية باسم الرحمن وباسم الرحيم وقال « ورحمتى وسعت كل شىء » — فالأمل كبير فى الله أن يغفر لوالدتك أيها السائل على تقصيرها فى أداء أهم ركن من أركان الاسلام بعد الشهادتين وهى الصلاة وما عليك الا أن تستغفر الله لها وتتصدق على روحها والرسول — صلوات الله وسلامه عليه يقول : **« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »**

س ٦ :

من الطالب عطية عبد الفتاح السيد

يقول : أنه أصيب بمرض جلدى فى وجهه واذا غسله بالماء عند الوضوء تزيد الاصابة فماذا يصنع لأداء الصلاة علما بان هذا المرض استمر لمدة ثلاث سنوات ؟

الجواب :

من رحمة الله بعباده أن أدخل اليسر فى العبادات التى كلفهم بها فجاء اليسر فى الصيام والصلاة والطهارة ومن ذلك الوضوء والغسل فاذا كان المكلف مريضا بمرض يضره استعمال الماء أو يطيل فى مدة البرء منه فقد يسر الاسلام عليه فى الطهارة فشرع التيمم بالصعيد الطيب بدلا من الوضوء فالتيمم للمعذورين يغنى عن الغسل وعن الوضوء فاذا كان السائل يضره الماء لو توضأ فله أن يتيمم فيمسح وجهه ويديه بالتراب الطاهر وهذا التيمم يرفع عنه الحدث الأصغر والأكبر وله أن ييمم ما دام المرض قائما مهما طالت المدة : **« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » — « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » — « ولو شاء الله لأعنتكم ».**

س ٧ :

من السيد محمد صلاح الدين الفيومى

يقول : أرضعت سيدة أخاها زكريا مع ابنتها حورية — ثم أنجبت هذه السيدة بعد بنتها حورية أولادها : يسرى ومحمد وعادل — وقد أنجب زكريا المذكور بنتا فهل يصح لعادل أن يتزوج ابنة زكريا ؟

الجواب :

انه برضاع زكريا من أخته مع ابنتها حور صارت أخته المرضعة أما له من الرضاع وصـ زكريا أخا لجميع أولادها سواء من رضعت مـ حورية أو من رضع قبلها أو بعدها وعلى هذا يكو زكريا هذا أخا لعادل رضاعا فلا يجوز لعادل ا يتزوج بنت زكريا لأنها بنت أخيه رضاعا فتحر عليه كبنت أخيه نسبا وهذا على اطلاقه مذهب الحنفية القائلين بأن قليل الرضاع وكثيره سواء ايجاب التحريم وهو أيضا مذهب المالكية وأحد قولين لأحمد أما مذهب الشافعية وهو القول الثانى لأحمد بأن الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات متفرقات مشبعات فى مدة الرضاع فاذ كان رضاع زكريا من أخته خمس رضعات فأكثر فى مدة الرضاع حرم على عادل اخيه من الرضاع أن يتزوج من بنته لأنها بنت أخيه رضاعا ، وإذ كانت مرات رضاعه اقل من خمس حل لعادل أن يتزوج من بنته على مذهب الشافعية الذى نطمئن اليه ونفتى به — والله أعلم .

س ٨ :

من السيد/محمد احمد على عبد الرحيم

يقول : ما حكم الدين فى زيادة عدد الركعات فى الصلاة أو نقصها عن المفروضة وهل سجود السهو يقرأ فيه أم لا ؟

الجواب :

اذا ترك المصلى ركنا من الأركان أو ركعة من الركعات فلا بد له من الاتيان بما فاته ويسجد للسهو جبرا لما حدث من الاخلال .

أما اذا زاد ركنا أو ركعة ناسيا فلا سبيل الى نقصان ما زاد ويكفى أن يسجد للسهو — واذا شك فى عدد ما صلاه من ركعات أو ما أداه من الأركان كأن شك هل سجد سجدتين أو سجدة واحدة او شك هل صلى ثلاث ركعات أم أربعا فحينئذ يبنى على اليقين وهو الأقل ويسجد للسهو .

فعن ابن مسعود أن النبى — صلى الله عليه وسلم قال : **« اذا زاد الرجل أو نقص فليسجد سجدتين »** — والمراد زاد أو نقص فى الصلاة .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال **« اذا شك أحدكم فى صلاته فلم يدر كم صلى . أثلاثا أم أربعا فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن**

يسلم فان كان صلى خمسا شفعن له ، وان كان صلى اتماما لأربع كانتا ترغيما للشيطان)) ، نيل الأوطار الجزء الثانى ٣١٦ .

وقوله ـ صلى خمسا يدل على انه يقصد الصلاة الرباعية وقوله شفعن صلاته يعنى صيرتها شفعا بعد أن جعلتها الركعة الخامسة وترا .

ومعنى ترغيما للشيطان الصاقا لانفه بالرغام أى بالتراب ـ ويقال افعل كذا رغم أنف فلان ، وهو كناية عن الاحتقار والذل والاهانة فالسجود لسهو ترغيم واهانة واذلال للشيطان الذى تسبب فى هذا السهو .

هذا وسجود السهو سجدتان بعد التشهد الأخير قبل السلام يكبر لهما كتكبيرة السجدات للصلاة ثم يتشهد ويسلم .

نسأل الله للمسلمين العصمة من الشيطان الذى يقف لهم بالمرصاد وبخاصة حين اداء العبادة فيشككهم فى عبادتهم حتى تكون عبادتهم كما أرادها الله .

س ٩ :

من السيد/على مصيلحى حسن ـ امام مسجد الدهار بالغردقة

يقول ما رأى الدين فى الذكر بلفظ (آه) الذى يذكر الله بعض الأخوة الصوفية فى حضراتهم ؟ علما بأن البعض منهم يقول انها اسم من أسماء الله الحسنى والبعض يقول انها اسم الله الأعظم .

الجواب :

ذكر الله فى الأصل هو استحضار عظمته وامتلاء القلب بجلاله وجماله والتفكر والتدبر فى بديع صنعه وآثار قدرته .

وقد يطلق الذكر على تعبير اللسان عن عظمة الله تعالى بذكر اسم من أسماء الله تعالى الذى سمى بها نفسه فى كتابه أو سماه بها رسوله وهو المشهور اليوم من كلمة ذكر الله وهذا الذكر اللسانى لا يؤدى ثمرته المرجوة الا اذا كان تعبيرا صادقا عما يحويه القلب : **((انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم)) : ((الا بذكر الله تطمئن القلوب)) .**

وبعد هذه المقدمة نستقبل سؤال السائل فنقول :

ان كلمة (آه) التى وردت فى سؤال السائل ما هى الا لفظ مهمل لا معنى له واذا كان بهذه المثابة فليس اسما من أسماء الله بيقين فان أسماء الله تعالى ذكرت فى كتابه ووردت فيما صح عن الرسول وليس منها هذا اللفظ .

واذا كان ذكر الله عبادة محضة فليس لنا أن نعبده الا بما أذن لنا أن نعبده به ولم يأذن لنا بدعائه وعبادته بهذا اللفظ المحرف ولكن بأسمائه وصفاته **((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)) .**

س ١٠ :

من السيد/محمد عبد الستار المكاوى

يطلب رأى الدين فيما يدور على ألسنة الناس من طيران الميت لأنه رأى نعشا يرجع الى الخلف دون ارادة حامليه .

الجواب .

الواقع انه يجرى على ألسنة العامة فى هذا الشأن صور كثيرة منها ثقل النعش وخفته، ومنها ابطاؤه فى السير تارة وطورا اسراعه ومنها توقفه عند مكان ما ، ثم يعود فيسير وغالبا فيما يشيعه الناس أن يكون توقف النعش مثلا عند مزرعة الميت أو قرب منزل أحد اقربائه ومن الغريب ان هذه الأفكار تشيع بين الناس وقد تأخذ صورة الواقع الذى لا يختلف فيه أحد .

هذه شائعات سمعناها وألفنا التحدث بها وبخاصة عند سكان القرى ، والواقع ان صدق هذه الشائعات لا يكفى فيه مجرد سماعها ممن يتحدثون بها ، أما سماعها عن غيرهم أو أنهم لاحظوها فعلا حال اشتراكهم فى حمل النعش كما لا يكفى فى التصديق بها مجرد رؤية الناس للنعش وهو يسرع أو يبطىء فى السير أو ينحرف عن سير الناس يمنة أو يسرة بل أن صدق هذا يتوقف قطعا على أن يكون حامل النعش أمينا فيما يقول وان يكون سليما من أى انفعال يورث ضعف أعصابه ويجعله غير منتظم فى مشيته وألا يكون له نوايا بعيدة يهدف اليها من اضفاء الكرامات الى الميت كبناء ضريح له يزار وتقدم لحارسه القرابين والهدايا مما يكون سبيلا للارتزاق .

على أننا لم نسمع بشىء من هذا قد حصل فى موت الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين وكان جديرا أن يحصل لهم .

شباب العصر والتربية الدينية

الأستاذ ناصف سليم

انسان هذا العصر يكد فى حياته ويتعب .. وفى سبيل عيش رغد يدأب فى سعيه ويكدح ، يستسهل الصعب ، ويغتبط بما يصادفه من مشاق كى يوفر لأبنائه حياة أفضل .. ولكنه فى النهاية ، لا يستطيع أن يلقن ابنه كل ما يريد . على عكس ما كان عليه الحال منذ زمن قريب .

كان الشاب فى الماضى يحترم الشيخ .. ويسير من خلفه فى تواضع حتى يصل معه الى حيث يريد الجلوس .. وكان الابن يقدر جهود الأب ، ولا يتلفظ بكلمة نابية أمامه ، ولا يعلن مطلبا ضئيلا أو عظيما من فرط حيائه .

كانت هذه سمة الشباب فى الماضى ، وقد لا تجدها الآن الا فى القليل النادر فى البيئة الريفية المتدينة .

وليس كل ما كان فى الماضى حسنا ، وليس سيئا كل ما نراه من تقاليد جديدة لشباب اليوم .. تلك التقاليد والعادات التى غرستها المدنية فى نفوس أبناء هذا الجيل .

ولكننا نلاحظ أن شباب اليوم لا يقتنع بآراء من سبقوه بسهولة ، يميل الى المعارضة والمناقشة — وليس فى هذا ما يعيبه — ولكن يعيبه حقيقة انه يريد أن يفرض رأيه موقنا أنه الأصوب ، وان قامت الأدلة على خطئه ، لانه كما يعتقد نابع من عقلية متطورة ، والسامعون له يعيشون فى زمان غير زمانهم ، حتى ولو كان بعضهم لا يكبر صاحب الرأى الا بعشر سنوات فقط..أو كان ممن يتابعون كل ثقافة جديدة ، ويسير فى نفس الخط الذى يسير فيه شباب اليوم .

* ◆ *

انها اذن مشكلة .. ستأخذ وقتا كبيرا فى حلها ، حتى لا تحدث عملية انفصال بين جيل وجيل .

ولست أقول أن هذا كان أسلوبا سليما ، ولكنى أبرز — فقط — حقيقة هامة ، وهى ان شباب اليوم قد تأثر بالمدنية الزائفة أكثر مما تأثر بالدين ، وانه يتمتع اليوم بما لم يكن يحظى بأقل القليل منه الشباب بالامس . وأن الدولة قد منحته فى مجال الرعاية الاجتماعية والرعاية الدينية ما لم تمنحه حكومات كثيرة مضت لشباب تلك العهود .

وأعجب ما تسمعه اليوم حين تلقى بالنصيحة لشاب ، مستدلا بآية قرآنية أو حديث ، ولا تجد منه غير المعارضة .

* كنا فى مجلس جمع الرياضيين القدامى مع الشباب الذى سافر لتمثيلنا فى المكسيك .. واقترح أحد الاداريين الكبار أن يلقى كل رجل قديم بنصيحة من تجاربه للشباب الذىحزم حقائبه واستعد للسفر فقال لى أحدهم :

هناك فى الخارج ستجدون من يحاول استفزازكم ، ليحدث أزمة ، أو يوقع بينكم وبين شباب دولة صديقة أو غير صديقة .. ولست أجد ما أنصحكم به ، لتفادى هذا الخطأ **غير قول الرسول عليه الصلاة والسلام لمن طلب منه النصيحة : لا تغضب .. لا تغضب .. لا تغضب ..**

ويهمس شاب فى أذن جاره ويقول :

يا ناس كفاية .. شبعنا من الكلام ده ..

وانتظرت حتى حان وقت مناسب ، وقلت لصاحبنا : سمعتك .. أى كلام شبعت منه

فقال :

الغضب ليس باختيار صاحبه .. انها مسألة غدد بفرز

افـــرازات تؤثر على أعصـــاب صاحبها وعقله ..

* قلت :

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم ذلك .. لأنه لم يــكن ينهى عن أصـــل غـــريزة الغضب ، فهى غريزة مركوزة فى قـــرارة النفس البشريـــة ، ولا يمكن اخمادها فى النفس ، بل يمكن تعديلها وضبطها بضوابط الحكمة . وتوجيه قوتها الى مـــا ينفع الانســـان ..

ولم يقتنع الشاب **وقال :**

وما يدريك أن الرســـول لم يكن ينهى عن الغضب فى ذاته

* قلت :

لأن الرسول كان يتفرس فى حال من يسأله فيجيبه مما هو أنسب به وأصلح لحاله ، ولذلك تنوعت أجوبته فى الســـؤال الواحد بحسب أحوال السائلين فقد سأله سائل ذات مرة : أى المسلم خير ..

فقال :

(من ســـلم المسلمون من لسانه ويده)

وسأله آخر نفس الســـؤال فقال :

تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ..

وقوله لا تغضب لمن ســـأله النصيحة يدل على أنه كان يعلم من حال السائل شدة الغضب لأقل الأســـباب ، فأوصـــاه ألا يغضب حتى لا يتـــورط فيما لا تحمد عقباه .. وألا يتمادى فيه حتى لا يندفع الى غايات سيئة .

ثم ان الرسول عليه الصـــلاة والســـلام كان يغضـــب لله اذا انتهكت محارمه ، ومن حـــق كل منـــا أن يغضب لله كذلـــك .. وللوطن إذا اعتدى عليه . أما إذا كان الغضب للدنيا ، فهنـــا تــكون التوصـــية الخالدة التى قالها الرســول :

(ليس الشديد بالصرعة .. وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) .

ومضى الشـــاب الذى يدرس فى الجامعة ، معتقدا انه ســـمع كلاما جديدا لم يســـمع به من قبل .. كما أصبحت معتقدا أن شباب اليوم يريد ان يعـــارض وأنه ليس كله مستجيبا لما يلقى اليه من نصح

* **وبدأت أسأل :**

هل شـــباب اليوم لم ينـــل حظـــه من الرعاية الدينيـــة ، والتوجيه الروحى ؟ . ويأتينى الجواب : ابدا ..

فلم نســـمع أن دولة وضعت فى برامجها دعم القيم الروحيـــة كما نفعـــل ، ولم نر اذاعـــة خصصت ركنا للقرآن الكريم والأحاديث والشرح والتفســـير كما صـــنعت اذاعتنا .. ولـــم أشـــاهد دارا للتليفـــزيون كالتليفزيون العربى ضـــمن برامجـــه ألوانـــا شـــتى من الموضـــوعات الدينية فى حوار مفتوح وتمثيليات اســـلامية تســـاعد على التثقيف واحيـــاء التراث وأحاديث لجهـــابذة العلماء .. وكلهم يتسابقون فى عرض ما عندهم كل مساء .

أما الصحافة ، فلم نسمع فى بلد من بلاد العالم أن جـــريدة يومية قد خصصت ملحقا للدين ولا أن كل الصحف قد تنافست فى تقديم المواد الدينية المتصلة بحياتنا والمستقاة من تراثنـــا بأسلوب صحفى جديد يبعث على استيعاب ما تقدمه هذه الصحف كل يوم جمعـــة ، أو فى أعمـــدة قصيرة يومية ..

وهذا بلاشك واجب مقدس على صحافة اليوم ، لأنها تؤمن الآن انه لا يصلح هذا الجيل الا تنشئته تنشئة دينية متفقة مع أسلوب العصر ، وانها قادرة على ان تساهم مع المدرسة والبيت فى دعم القيم الروحية .

لعل الخطوة الأخرى ، هى اعتبار الدين مادة أســـاسية ، يمتحن فيها الطـــالب فى نهـــاية كل عام ..

صورة من الماضى

ولعل هذه الصـــورة التى قدمها من واقع حياتنا اليوم ، وما نلمسه من اهتمام بالشئون الدينية يتجلى واضحا فى رعاية الدولة لهـــذه المجلة (منبر الاســـلام) مع اصـــدار مئات الألوف من الكتب الدينيـــة عن طريق المجلس الأعلى للشـــئون الاسلامية ، يؤكد ايمان الثـــورة بأهميـــة الدين الاســـلامى فى اعداد هذا الشعب الذى يتطلع اليه المسلمون فى كـــل بقـــاع الارض .. فهى بلا شك حصن الاسلام والذائد عنه ..

وتحضرنى بهذه المناسبة صورة من الماضى البعيد ، لما كان عليه حال الدين الاسلامى فى بلادنا أعرضها عليكم لتروا كيف كانت نظرة الحكومات الى الدين ، وكيف كان العلماء يطالبونها بالاهتمام به فلا يسمعون لمسئول جوابا ولولا اصالة هذا الشعب وايمانه الراسخ بدينه واعتزازه بقرآنه ما كانت لنا فى الماضى تلك التقاليد الدينية التى كانت سائدة ، والتى أعطت للامة شبابا قويا راسخ العقيدة ، نود أن نراه مكررا فى شباب اليوم

جاء فى العدد ٤١ من مجلة الاسلام الأسبوعية الصادرة فى يوم الجمعة ٢٨ من شوال عام ١٣٥٦ الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٧ ، وصفا للمهرجان السنوى للقرآن الكريم الذى أقامته الجمعية العامة للمحافظة على القرآن بالشبان المسلمين ... لتوزيع الجوائز على الناجحين فى امتحان المسابقة .

وقد تعاقب الخطباء متحدثين عن أثر القرآن الكريم فى الأخلاق .. ثم عن المسابقة ودور الدولة فيها فاذا بأحد الخطباء يقول :

« واننا نعلن بكل أسف أن وزارة المعارف قد حرمت الجمعية هذا العام والذى قبله من الاعانة التى كانت مقررة لها منذ تأسيسها ، مع أن الواجب كان يقضى عليها أن تضاعف هذه الاعانة » .

ثم ان الذى تبرع بالمكافآت لهذه المسابقة القرآنية رجل من أثرياء القوم ، وهى لم تزد فى جملتها على ٤١ جنيها .

بينما كان رجال الدولة جميعا فى ذلك الوقت يقضون الصيف فى أوربا ولبنان ، ومن حالت أعماله دون السفر انتقل الى الاسكندرية يقضى الصيف بها على حساب الدولة التى كانت تبخل بأربعين جنيها من أجل المحافظة على القرآن الكريم .

عدد الحافظين للقرآن

وقد يقول قائل : ومع هذا كان عدد الحافظين للقرآن فى ذلك الوقت أكثر .. خاصة اذا روعيت نسبة السكان بين ما كنا عليه بالأمس وما صرنا اليه اليوم

وأقول هذا صحيح ، ولكن ذلك يرجع الى الاسرة أكثر مما يرجع الى الدولة ... كانت الاسرة فى الريف أكثر تدينا .. وكانت تستسهل الطريق الى « كتاب سيدنا » . وكانت تجد كثيرا من المشقة حين تريد أن تبعث بولد لها الى المدارس الابتدائية التى لم تكن متوفرة فى أماكن قريبة ، وكانت تحتاج الى مصروفات فوق طاقة العائل الذى يبغى تعليم ابنه فى المدارس المدنية .

وهل يمكن أن نعتبر انتشار هذه المدارس اليوم ووجود أكثر من مدرسة فى كل قرية وفتح أبوابها لكل طبقات الشعب بالمجان خطأ لان أهل الريف انصرفوا عن (كتاب سيدنا) وتوجهوا الى هذه المدارس .

اننى أعتقد أن القدر الذى تدرسه هذه المدارس من القرآن الكريم والمواد الدينية لطلابها ، كاف لمن أراد أن يتفقه فى دينه خاصة حين تكون الأسرة حريصة على تنشئة أبنائها تنشئة دينية فى سن مبكرة .. وهى اذا استطاعت أن تضع قدمى ابنها على الطريق المستقيم فى هذا الوقت أمكنه ودون مشقة أن يستكمل حفظ القرآن الكريم .

ثم ان المساواة التى تحققت بين طلبة المدارس وطلبة المعاهد الدينية بعد تطوير الأزهر تشجع الكثيرين من جديد على تفضيل الأزهر ، خاصة اذا ما قامت حملة توعية تكشف عن حقيقة هذا التطور وأهدافه .. واذا ما تحولت بعض امكانيات الدولة المرصودة للنشاط الروحى ودعمه الى تشجيع الحافظين للقرآن الكريم حفظا تاما ببذل المكافآت التى تعوضهم عن المدة التى يقضونها فى حفظه ، وبتفضيلهم على غيرهم فى الأعمال التى تناسبهم .. واذا كان الاسلام قد فضل حافظ القرآن على غيره ، وقدمه ليؤم المصلين وان كان دونهم سنا ، فأولى أن نقدمه على غيره فى مجال الحياة خاصة وقد نضج وعيه الدينى، وحين يكون صالحا لممارسة الحياة ومؤثرا فيها وقادرا على استغلال ما حفظ فى دعم القيم الروحية بين الناس .

مع القراء

اعداد فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان خير ما تتساح به أمتنا العربية فى معركتها المصيرية هو تأكيد صمودها ، وتعزيز ثباتها وتأمين وحدتها بالتزام كل ما هو جاد وهادف ، والأخذ بأسباب العزة ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون)) وهنا يتحتم على كل منا ان يكون نموذجا حيا لخلاق القرآن ، وعزة المؤمن ((يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)) ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) على أن يصدر فى سلوكه عن وعى بمتطلبات المعركة وفهم لمخططات العدو ، وليعلم أن الجهاد الشاق المرير هو الوسيلة التى ارتضاها المولى جلت قدرته سبيلا لانتصار الامة المحمدية ، فكانت النداءات السماوية اليه ، والحث الربانى عليه ، واجزال العطاء الالهى والمثوبة الخالدة للعاملين عليه

« يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال » ومن ثم كانت غزوات الرسول الامين وكان سجل البطولة الفذة ، والاقدام المنقطع النظير على ساحة الاستشهاد ، وتحقيق النصر المبين الذى أقام أعظم دولة عرفها التاريخ ، علما وحضارة ، وبطولة وفداء ، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتقيم موازين العدل ، سماحة وتعاطفا ، براوتعاونا ، فليكن لنا من هذه الامجاد الخالدة نبراسا يهدينا سواء السبيل على طريق كفاحنا الطويل ضد أعداء الانسانية أعداء الدين .. وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلي الله فليتوكل المتوكلون » والمجلة اذ تشارك الامة الاسلامية فرحة استقبال هلال شوال وبهجة عيد الفطر المبارك ، تضرع الي المولى جل وعلا أن يجعله هلال يمن وبركة ، وعيد انتصار على قوى الشر والعدوان ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين » صدق الله العظيم .

●●

نصر من الله وفتح قريب

حول مكانة الاستشهاد فى سبيل الله واعلاء كلمة الحق يحدثنا المؤمن بربه وبنصره المؤزر الاديب خيرى عيسى فى رسالة يبعث بها الينا من بلد المليون شهيد موطن الاحرار الذين أذهلوا العالم بفدائيتهم المنبعثة من طبيعة العربى اللائذ بربه من قوى الشر والطغيان مؤكدا ما للامة الاسلامية من باع عريق فى اغتصاب النصر فى أحلك المواقف والتى جاءت رسالته صورة صادقة لهذا الايمان الخالص حيث يقول :

اسرة تحرير مجلتنا المفضلة « منبر الاسلام » السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : أنا أخوكم المسلم الشاب خيرى عيسى ابن بلادكم الجزائر العربية المسلمة ، أحب دينى حبا جما ولا أرى للانسانية حياة ولا سلما ولا سعادة بدونه ، كما أحب الجهاد فى سبيل الله والوطن ، وأقسم لكم بالله اننى فى كل أوقات صلاتى أدعو الله أن يميتني شهيدا فى احدى المعارك العظيمة الاتية والتي سينتصر فيها الاسلام ويتجدد بها عصر الفتوحات ويقول كل مؤمن حينئذ : « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » وسيكون هذا باذن الله على أيدينا نحن شباب القرن العشرين المسلم .

منبر الاسلام والمرأة الصالحة

فى رسالة من السيدة الفاضلة حرم السيد بيومى عبد الخالق بالظاهر بالقاهرة ، تطالب فيها المجلة اعطاء المرأة مزيدا من العناية والرعاية خاصة فى مثل هذا العصر الذى تقف فيه المرأة فى مفترق الطرق وذلك حيث تقول : الاسلام هو أول دين كرم المرأة وعلى رجال الدين تقع مسئولية توجيه المرأة دينيا وأخلاقيا وخصوصا فى هذا العصر ولهذا فأنا أطمع بل وأرجو من كل قلبى أن أرى فى المجلة بابا خاصا بالمرأة يهديها ويرشدها الى الطريق السليم ، وفقنا الله واياكم لما فيه النصر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))

والمجلة اذ تشكر للسيدة الفاضلة هذه اللمسات الاسلامية العميقة ترى أن تلفت نظرها ان مجلة منبر الاسلام التي تستمد ايمانها ودراستها وأصول أبوابها من كتاب الله وسنة رسوله ونهج السلف الصالح ، لم تكن فى عدد من أعدادها فى غفلة عن هذا الموضوع ولا أدل علي ذلك من أفرادها بابا خاصا بالمرأة المسلمة فضلا عن سلسلة الابحاث الاسلامية التي تتصل بالمرأة صراحة مثل « النساء المذكورات فى القرآن الكريم » لفضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى ، والوصايا العشر للشيخ محمد حافظ سليمان ، والزوجة الصالحة للشيخ عبد الحميد بلبع والنشء والتربية الدينية وغير ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، هذا بالإضافة الى الابواب الثابتة فى التفسير والسنة ، وحينئذ فالمجلة يسرها أن تستجيب لهذه الدعوة الصادقة وتعدها بتنظيم حملة من الابحاث الاسلامية الموضوعية الهادفة للاخذ بيد المراة الي بر الامان ، الا بذكر الله تطمئن القلوب .

بريد التعارف

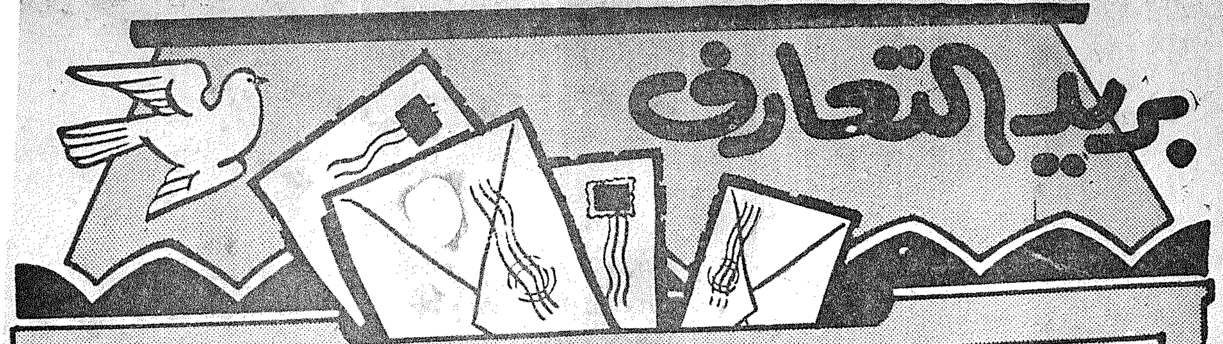

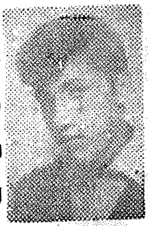

الاسم : شيبان علي

البلد : الجمهورية الجزائرية

السن : ٢٠ سنة

المهنة : طالب تيكنيكي

الهواية : المراسلة والرياضة وتبادل الصور والطوابع

العنوان : حي ديار الكاف E-5-21 باب الواد الجزائر

الاسم : ماهر عبد العزيز بندارى سالم

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٦ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : جمع الطوابع ومراسلة المناظر الطبيعية

العنوان : محافظة الشرقية- الزقازيق قسم النحال ٥ شارع أبو خليل

الاسم : محمد صالح العيسوى

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٥ سنة

المهنة : طالب بمدرسة بيلا الاعدادية

الهواية : المراسلة والتعارف وقراءة الكتب

العنوان : مدرسة بيلا الاعدادية بنين كفر الشيخ

الاسم : عباس حسان عبد السلام

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب بمعهد شربين الدينى الاعدادى

الهواية : المراسلة وقراءة الكتب الدينية والرسم

العنوان : الجوادية - بسنديلة - بلقاس دقهلية

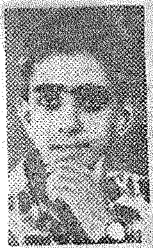

الاسم : عبد الله السيد حامد ابو كيلة

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٥ سنة

المهنة طالب بالمرحلة الاعدادية

الهواية : جمع الطوابع والمراسلة

العنوان : منزل رقم ٣٦ شارع امين العمرى خلف جامع حسين بك بالمنصورة دقهلية .

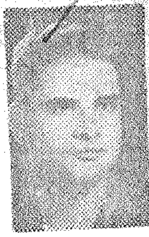

الاسم : رمضان محمد سليمان حسن

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ٢٣ سنة

المهنة : محاسب

الهواية : المراسلة والقراءة وتبادل الهدايا والمناظر والموسيقى

العنوان : شركة المحاريث والهندسة ١٨ عماد الدين بالقاهرة ص . ب ٣٦٦ حسابات الشئون الهندسية .

قرأ فى هذا العدد

صفحة

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القومى العـــام ٤
صفحة من كتاب دعاء الثـورة للسيد حسين الشافعى ١٢
كلمة السيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشئون الازهر فى الحفل الذى أقامه المجلس الاعـلى للشئون الاسـلامية احتفالا باعلان النظام الجمهورى فى جزر مالـديف ١٤
حديث مع السيد سفير لبنان بالقاهرة ١٧
حديث مع اللواء الركن محمود شيت خطاب ١٩
تابع تفسير سورة آل عمران من اول الآية ١٤٣، الى آخر ١٦٩ .. .. ٢٢
اســلام عمــر ٢٨
والشمس وضحاها ... ... الاستاذ أحمد حسين ٣٢
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ... فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى ٣٩
تسامح المختلفين فى الرأى ... ... الدكتور احمد الحوفى ... ٤٢
نحو الجهاد ونحو الدين ... ... فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى ٤٤
امانة الكلمة ... . فضيلة الدكتور بدر المتولى عبد الباسط ٤٧
بنو اسرائيل فى ميزان القرآن . ... الاستاذ البهى الخولى ٤٩
اليهود من كتابهم المقدس ... ... فضيلة الشيخ كمال احمد عون ٥٦
دراسات فى فقه الحديث ومذهب المحدثين ... الدكتور عبدالمجيد محمود ٦٠
الاسلام والخدمة الاجتماعية .. .. الدكتور يحيى درويش ٦٤
الشريعة الاسلامية والاداب ... ... المستشار محمد حاطر ٦٨
مع القرآن الكريم ... . الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ٧٠
من الاشباه والنظائر فى القرآن ... .. الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ٧٢
الاعجــاز التشريعى فى القرآن . ... المستشار على على منصور ٧٦
ضرب الامثال فى القرآن الكريم ... . فضيلة الشيخ محمد سيد جادالحق ٧٨
اعجاز القرآن الكريم ... ... الدكتور درويش الجندى ٨١
من اخلاق الاسلام ... ... فضيلة الدكتور احمد الشرباصى ٨٦
الحث على استذكار القرآن وتعاهده .. ... فضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى .. ٩٠
من اسرار القرآن الكريم ... ... الاستاذ على النجدى ناصف ٩٢
أسلوب السمو فى الانفاق .. .. الدكتور عبد الله العزازى ٩٥
الجمان فى تشبيهات القرآن ... ... الدكتور بدوى طبانه ٩٨
الاسلام دين الحياتين ... . الاستاذ عبد الحكيم النجار ١٠١
التبشير فى الاسلام .. .. سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى ١٠٣
الاسلام علم وحضارة ... . الاستاذ أحمد وافى ١٠٦
بين جهاد النفس وجهاد الاعداء ... ... فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى .. ١١١
الصمود والثبات من مقدمات النصر ... فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان .. ١١٥
الشريعة الاسلامية كمصدر للتشريع ... المستشار فتحى عبد الصبور ١١٨
المجتمع المتعاطف .. .. فضيلة الشيخ عبدالرحمن النجار .. ١٢٠
فضائل الادخار ... ... الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ... ١٢٢
المسلمون غداة النصر الاكبر فى غزوة بدر ... الاستاذ أحمد عبدالرحمن خليل ... ١٢٤
اهداف الاسلام ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ... ١٢٧
مابعد رمضــان ... . الاستاذ عبد المنعم حمادة ١٣١
شوال شهر تحقيق الامال ... ... فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم ١٣٦
العيــد ... . الاستاذ حسن الشيخة ١٤٠
الاعياد عند المسلمين .. .. الاستاذ محيى الدين اللبان ١٤٢
مغزى العيد فى الاسلام ... . فضيلة الشيخ عبدالوهاب الساكت ... ١٤٥
فلسفة الاعيـاد ... فضيلة الشيخ موسى احمد مخلوف ... ١٤٨
فرحة العيــد ... ... الاستاذ توفيق على وهبه ١٥١
من صور الابتهاج بالعيد ... الدكتور على صافى حسين ١٥٣
واجبنا بعد شهر رمضان ... ... الاستاذ عبدالعال شعيب ١٥٦
نحن والاعياد .. .. فضيلة الشيخ محمد المبارك عبدالله ... ١٥٧
ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ... ... الدكتورة عنايات الطحاوى ١٦٠
قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها .. الاستاذ عثمان عبدالسميع العدل ... ١٦٦

ير القــرآن الكريم
نه النبوية الشريفة
ريع ـ الفقه ـ الابحاث
اسات الصوفية فى الاسلام

الأعياد فى الاسلام

يخ الاسلامى

فكر وفن

اضواء على التاريخ الاسلامى ... ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ... ...
الحركة الثقافية على عهد يوسف بن الاحمر ... الدكتور محمد كمال شبانه ... ...
الانسان والدين ... ... الاستاذ عبد المغنى المنشاوى ... ...
كلمات حول التصوف ... ... فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى ... ...
اصالة العروبة فى فلسطين عبر التاريخ ... فضيلة الشيخ سليمان حسن عبدالوهاب
على أطلال البرامكه ... ... الدكتور محمد نبيه حجاب ... ...
الثروه البشرية بين الثروات ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى
بقية خطاب الرئيس جمال عبد الناصر ... فى الجلسة الافتاحية للمؤتمر القومى العـام ... ...

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الختامية للمؤتمر القومى العــام ... ...

بقية كلمة السيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشئون الازهر ...
عمارة المسجد الحرام ... ... الدكتور حسن الباشا ... ...
من روائع الشعر العربى فى أدب العفو والتسامح الدكتور عبد الحكيم بلبع ... ...
برغم الرزايا ... ... الشاعر الشيخ صقر بن سلطان القاسمى
نبضات قلبى دعاء ... ... الشاعرة رحيبة القليني ... ...
رسالة المسجد الاستاذ الشاعر قاسم غالب ...
مع النبى صلى الله عليه وسلم ... ... الشاعر عبد الله شمس الدين ... ...
يا شباب ... ... الشاعر محمد حليم غالى ... ...
هلال العيد أبكانى ... ... الشاعر محمود جبر ... ...
حول المعركة ... ... الشاعر أحمد عثمان المراغى ... ...
من القصص الاسلامى ... ... الاستاذ حسين الطوخى ... ...
تحديات فى مواجهة تاريخ الاسلام ... ... الاستاذ أنور الجندى ... ...
خطه مواجهة العدو فى الاسلام ... ... الاستاذ حسن فتح الباب ... ...
دين ودنيا ... ... الاستاذ محمد المتولى النظامى ... ...
الدين والسلوك الاجتماعى ... ... الاستاذ محمد كمال الدين ... ...
وحده التشريع والقضاء فى البلاد العربية ... الاستاذ محمود كمال ... ...
قطوف ... ... الاستاذ على الجندى ... ...
المال بين النعمة والنقمة ... ... الاستاذ منصور نسيم ... ...
عبد الناصر صانع السلام ... ... الاستاذ كامل عبد المجيد ... ...
نظره استدراكية ... ... الاستاذ حسين السكرى ... ...
اربع رسائل عمرية ... ... الاستاذ صلاح عزام ... ...
الشباب المسلم والخدمة العامة ... ... الدكتور احمد كمال احمد ... ...
التصوف الاسلامى والاتجاه الى الله ... ... الاستاذ طه سيف نصر ... ...
اسلام هرقل !! ... ... الاستاذ عبد العليم المهدى ... ...
آداب محمدية ... ... الاستاذ الرفاعى الباز ... ...
اعرف عدوك ... ... الاستاذ اسماعيل السوسى ... ...
استشهاد أسد الله ... ... الاستاذ على الجمبلاطى ... ...
لمحات حول مغزى الجهاد ... ... فضيلة الشيخ محمد وهيب ... ...
اضواء على شعر اقبال ... ... الاستاذ محمود الشريعى ... ...
كتاب عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى المستشار عبد الستار آدم ... ...

الخلفاء الراشدون وأعــلام الاســلام

طلحة بن عبيد الله ... ... الدكتور أحمد شلبى ... ...
أبو يوسف ... ... الدكتور على حسنى الخربوطلى ... ...
الامام محمد عبده ... ... الاستاذ السميع البطل ... ...
أمير الشعراء ... ... الاستاذ محمود التجريبى ... ...

المكتبة الاسلامية

الاسلام دين الهداية والاصلاح ... ... عرض وتلخيص محمد بهى الدين سالم
من ذخائر السيد عبد الرحيم القنائى .. الاستاذ عبد السلام لشاذلى القوصى ..

باب العــلم

فلينظر الانسان مم خلق ... ... الدكتور عبد الحليم كامل ... ...
دلائل الحق فى عظمة الوجود ... ... الدكتور عزت محمد خيرى ... ...

الافتا ـ الرياضة

أنت تسال والمفتى يجيب ... ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون
شباب العصر والتربية الدينية ... ... الاستاذ ناصف سليم ... ...

مع القراء ـ بريد التعارف

مع القراء ... ... الاستاذ فؤاد هيبة ... ...

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التي وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية في قارات أفريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن:
بيع

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

٤٤ اسطوانة
سرعة ٣٣ ½ لفة في الدقيقة

بترتيل الشيخ محمود خليل ا

	ملیم
بالغلاف الفاخر	٩٦
بالغلاف العادي	٢٢

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة
سرعة ٣٣ ½ لفة في الدقيقة

بترتيل الشيخ محمود خليل الح

الثمن : ١٥٠ مليم

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوي على ٧ سبع اسطوانات

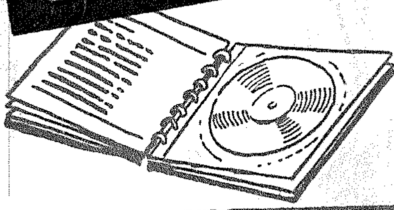

الاسطوانة الأولى
شاملة للأذان
الاسطوانة الثانية
تشمل كيفية الوضوء
والخمس الاسطوانات الأخرى
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات
وأمام كل اسطوانة
كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة وال

الثمن ٥٠ خمسون

مواعيد البيع
من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ م
ومن الساعة ٥ مساء إلى الساعة ٩ م
ماعدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

العنوان
القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ شارع الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
الإسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ ش سعد زغلول ت ٢٨٦٦٢

(مطابع شركة الإعلانات الشرقية)